
مجموعة
يسري شاكر
حكايات من الفولكلور المغربي
الجزء الأول
الجمع والتدوين
يسري شاكر
تقديم
دكتور عباس الجراري
أستاذ الأدب المغربي والشعبي
بجامعة محمد الخامس
رسومات
الشاوي محمد

مجموعة يسري شاكر



حكايات من الفولكلور المغربي

الجزء الأول

تقديم

دكتور محمد عباس الجراري

أستاذ الأدب العربي والشعبي

بجامعة محمد الخامس

رسومات

الشاوي محمد

الجمع والتدوين

يسري شاكر

اهداء الكتاب

الى ملك العراقي . . . . . .

تقديراً للجيل الجديد . . . . .

أمل المغرب ومستقبل المشرق . . .

تقديم

بقلم دكتور محمد عباس الجراري

التناول الصحيح للتراث سواء على صعيد الجمع او الدراسة يعني موقفا من هذا التراث قائما على رصد موضوعي نزيه وراى مدعم مقنع ، وان تباين التذوق او اختلفت الرؤيا سلبا وايجابا اليه .

والموقف الذى اتخذناه والتزمنا به ودعونا له — ولا نزال — ينطلق من النظر الى التراث من خلال مفاهيم العصر ومناهجه وقضاياه بما يتيح لنا الكشف فيه عن جوانب القوة والفعالية ويجعلنا اذا نحن ضبطنـــا هذه الجوانب قادرين على امتلاك التراث فى الصميم وعلى اخضاعه للواقع وربط حركته فى التاريخ القريب والبعيد بصيروره المستقبل .

وتحقيقا لهذه الغاية لم نفرق فى التراث بين ما هو مدرسى وما هـــو شعبى واعتبرنا هذا مكملا لذلك لما يمتاز به من خصب وغنى وحيويـــة وتلقائية، وزادنا الحاحا على هذا ما وجدناه فى التراث الشعبى المغربى من تنوع وغزارة واحتفاظ بملامح الاصالة والعراقة مع النزوع المستمر الى التطـــور والتجـــدد .

واذا كانت هذه السمات تعد من خصائص تراثنا الشعبى ككل ، فهى فى الجانب الادبى منه اوضح وابرز لتوصل هذا الجانب بالوان من القول

واشكال من القوالب وانماط من ادوات التعبير متنوعة وغنية بتنوع البيئة المغربية وغنى روافدها ، لكنها ابدا تلتقى فى البوتقة الوطنية لتكشف عن وجدان مغربى موحد قادر على التكيف والامتصاص بعفوية وتلقائية غريزيتين .

ومع ذلك فان الراى العام الادبى فى المغرب والمثقف عموما ما زال يبدى حذرا شديدا من الادب الشعبى لعدم ادراك قيمة مضامينه وجودة فنيته ، ثم لخوفه من العامية على اللغة المدرسية وما يرتبط بها من تعريب حين يتعلق الامر بالادب الشعبى الصادر بالعربية او لخوفه من اللهجات. الامازيغية على الوحدة الوطنية حين يكون الامر متعلقا بادب هذه اللهجات واذا كنا بالنسبة للعامية العربية قد فرغنا من القول حين كشفنا عن ايجابية المنالية بها ، فاننا بالنسبة للهجات الاخرى لا نملك الا ان نؤكد جدوى الاهتمام بها وماصدر فيها من آداب دون ان ننسى قرابتها مع العربية فى الاصل ودون ان ننسى كذلك مدى ما اقتبسته منها خلال العصور سواء على صعيد اللفظ او التركيب فضلا عما نقلته من مضامين.

واذا كنا ذهبنا فى السابق الى حاجة اللغة العربية — فيما تحتاجه للتطور والتجدد والتوسع — الى العامية وسيلة من وسائل الاغتناء وتقريب الهوة بين اداتى الكتابة والتخاطب ، فاننا نزعم أن اللهجات الامازيغية بما لها من خصائص العربية قادرة على ايجاد قنوات الاتصال تذيب قليلا او كثيرا مما بينها من فوارق .

وهناك حذر آخر يبديه بعض المثقفين تجاه مضمون الادب الشعبى حين يتعلق الامر بالحكاية الشعبية اذ يرون ان انتشارها يزيد فى شدنا الى ارضية التخلف لانه لا يدل الا على خرافية عقلية متداوليها او على عدم وجود وعى لديهم يدركون به مختلف الظواهر والحقائق والتناقضات السياسية والاجتماعية ، ولا يدل هذا فى النهاية الا على انهم كانوا ابدا خارج التاريخ بعيدين عن التخطيط لمصيرهم وتحقيقه ، او التحكم فيه على الاقل وانهم لجاوا الى الخرافة لمجرد التعويض .

ولسنا نشك فى ان الخرافة كانت مجالا واسعا للتعبير فى المجتمع خلال مراحل من تاريخه لم تكن تتسم بالرقى والتطور ، لكن استمرار

انتشارها يعنى ــ بالاضافة الى الجانب الترسبى فى الذهن والفكر ــ ان المجتمع كان يلجا الى التعبير بها حين لا تتاح حرية التعبير ، وحين يفرض عليه توجيه شانه أن يثبت لعقلية معينـــة .

من هنا كانت الخرافة متنفسا له يرفه بها عن نفسه ، ويعبر عـــن موقفه ويبعد بواسطتها آلامه ويقرب آماله ، بل انه كان يجد الحل أو السبيل للراحة والاطمئنان حين تضغط المشاكل عليه ، فيقف أمامها حائرا او غير قادر على المواجهـــة .

ومع ذلك واننا كنا لا نستطيع أن ننكر أن هذا النوع من الأدب ، يزيد انتشاره فى البيئات التى تعانى من التخلف ، فاننا نلاحظ ميلا يكاد يكون غريزيا الى الخرافة حتى فى المجتمعات التى تخطو نحو التعلم كما هو الحال فى المجتمع المغربى والعربى عامة ، حيث يتضح هذا الميل ليس فى الايمان والإعتقاد فحسب ، بل حتى فى الممارسة والسلوك .

وهذه حقيقة لا تؤكد الا ان العلم فى مجتمعنا ليس غير مادة نظرية لم تتحول بعد الى تطبيق وهى تؤكد بالتالى أن متعلمينا لم يتعمقوا فى المفهوم الحقيقى للعلم ولم يدركوا ابعاده ولم يتشربوا روحه وانهم فـــى النهاية لم يربطوه بالحيـــاة .

حقا ان الانسان مدفوع بالغريزة والتفكير معا سواء على النطـــاق الفردى أو المجتمعى الى معرفة ذاته من الخصائص والطاقات والامكانات والقدرات على الاضافة والعطاء، حقا أن عناصر تركيبة هذه الذات تتغير على مر العصور كما تتغير المؤثرات الفعالة فيها ، ولكن الجوهر يبقى الى حد بعيد وخاصة عند الطبقات البسيطة ميالا الى الاحتفاظ بمقوماته العقلية والذهنية لارتباطه بواقع مادى ونفسى معين ، وان مال الى بعض التطور بقدر ما يتطور التاريخ فى هذا المجتمع .

وهو بهذه الملامح أكثر ظهورا فى ما يمارس الشعب من عادات وتقاليد وما يبدع من آداب وفنون وخاصة فى مجال القص والحكى .

وهذا مايحفزنا ــ نحن مازلنا بصدد البحث عن الذات ــ الى العناية والاهتمام بهذا النوع من الادب الشعبى والدعوة الى جمعه أولا ، والى

دراسته ثانيا ومن جوانب مختلفة ـ انثروبولوجية ونفسية وتاريخية وادبية .

من هنا كان تقديرنا لهذا العمل الذى انجزه صديقنا المصرى الاستاذ يسرى شاكر فى اطار جمع الحكايات الشعبية المغربية .

وهو عمل جليل وضخم تطلب منه سنوات طويلة من التتبع والجمع فى غير قليل من المعاناة المضنية المرهقة ، وكان سبق له ان أطلعنا على مشروعه منذ ازيد من ثلاثة أعوام فاشفقنا عليه مما قد يصيبه من المشقة والعناء ولكننا لم نلبث أن شجعناه حين الفيناه مصمما وبروح قوية عالية على المضى فى البحث الميدانى عن الحكاية هنا وهناك وعلى مواجهة الصعوبات التى تعترضه مادية ومعنوية . وكنا قد تعرفنا عليه من خلال مسلسل للا غنو الذى قدمت التلفزة المغربية حلقاته الناجحة فاعجبنا بالعمل وقدرنا صاحبه .

ولا شك ان الحس الفنى الذى يتمتع به الاستاذ يسرى باعتباره مخرجا تلفزيونيا ساعده الى حد بعيد فى انجاز مشروعه الذى يقدم فى هذا الكتاب اولى مجموعة منه . والحكاية الشعبية التى تعرض هذه المجموعة تمثل اقاصيص قديمة لا يعرف مؤلفها ولا زمن انشائهنا وان كانت فى مجموعها ترجع الى عمق ضارب فى التاريخ ، لما تكشف عنه منملامح عريقة ، وقد انتقلت عبر العصور والاجيال ولا تزال عن طريق الرواية الشفوية ، وان وجدنا بعضها مدونا عند الذين عنوا بها فى مرحلة متأخرة وخاصه من المستعربين .

وهى ابداع شعبى ، يعكس مدى الثقافة والخيال لدى المجتمع المنتشرة فيه على الرغم مما قد يلاحظ من التشابه بينهما وبين حكايات متداولة فى مجتمعات اخرى كالمجتمع المصرى .

وتلك ظاهرة لا تعنى النقل بقدر ما تعنى التماثل فى التجربة والتقارب فى الاصول الفكرية، كما أنها تثبت عملية التبادل الثقافى الذى كان ابدا موجودا بين الشعوب ، وخاصة حين تجمع بينها أواصر الجنس والعقيدة وروابط اللغة والتاريخ ووحدة قضايا المصير .

ويمكننا أن نميز من بين حكاياتنا ما يعتمد التاريخ وسير الانبيـــاء والابطال وما يتخذه شخوصه من الحيوانات الوحشية والاليفة وما يلجأ الى الجن فى ابراز العلاقات بينه وبين الانس تختلف تأييدا ومحاربة وقد تصل الى حد الحب والعشق والزواج . وانها قبل هذا كله نوع يرتكز علـــى الاساطير والاساطير تعنى كل ما هو خارق وفوق الحول الانسانى ، ولكنها نمط فى التعبير عن واقع معين ووجود متميز يتسم بالخوارق انطلاقا من تصورات معينة للكون والانسان وتكشف عن حقائق ترتبط بتاريخ المجتمع وواقع عقليته وتفكيره وعقيدته عبر الزمان، وهى حقائق تدل على مدى ما كانت تقوم به من وظائف ثقافية منبثقة فى الغالب من قيم خلقية او دينية.فمثل هذه القصص يحكى تجارب الانسان فى حياته الخاصة والعامة ويحكى صورة ممارسته للوجود بما تفرض من مواجهة وصراع لم يكن فى المرحلة البدائية الاسطورية قادرا على التعبير عن موقفها دون التوسل بما يسعفه بـــه الكون ــ والعلوى خاصة من صور وانماط مرئية ومتخيلة ، ثم لم يلبث ان تخلص نفسيا وفكريا وذهنيا من التعلق بهذا العالم ليرتبط قليلا او كثيرا بالارض ولكنه حتى فى هذه المرحلة المتطورة ، اعمل تخيله وتصـــور ان الارض تتسع لمخلوقات خارقة مهولة فانشا اقاصيص خرافية .

والحكاية الشعبية بعد هذا تلح على التجسم فى تناول الوقائع وعلى تشخيص الحيوان والجماد وقد يدل هذا التشخيص الى ايجاد تداخــل بينها وبين الانسان سواء فى التشكل او الصفات ، حيث نصادف اناسا باطراف حيوان كما نصادف بهائم واحجارا تفكر وتنطق .

وهى تفصل الاحداث وتهتم بعناصر الدقة والتحليل والتعليل لعدم استنادها الى علم او منطق او عقـــل .

ثم انها تعتمد على الدين وترتبط به حتى ما كان منها يرجع الى اصل بدائى ، بل اننا نجد خرافات الخوارق تعتبر ان فى الجن مسلمين وغـــير مسلمين .

ويبدو واضحا ان الارتكاز على الدين والجانب الغيبى منه خاصة ، كان دائما يقرب الخرافة الى الجماهير ويجعل لها تاثيرا فى انفسهم اقوى واعمق ، والغالب ان يلتزم القاص الشعبى تصميما عيا يطرح فى بدايته

الاحداث والشخوص ، وهم فى الغالب يدون تعريفات خاصة ، وانما يحملون أسماء مثل ، السلطان والوزير والفقيه والساحر والعجوز واللص والحطاب والصياد .

ثم يصل الراوى الى العقدة وقمة الصراع بما فى ذلك من تأزيم للموضوع أو الموقف ومن احراج يختبر فيه ذكاء البطل أو قدرته الجسمية، وقد يبدو انفراج فى الازمة بتمويه فى الحل ، ينطلق من افتراضات ناتجة عن مواقف ، وفى النهاية يتضح الحل الصحيح ، وهو غالبا ما يكون انتصارا للبطل او لقيمة الخير

وللقاص تقاليد فى السرد حيث يبدأ ويختم بعبارة معينة ، كما أنه يستعين بالغناء والدعاء ، وقد يتوسل بالحكم والامثال وعبارات الوعظ والارشاد ، وبالكلمات المسجوعة والتراكيب الالغازية وخاصة فى تجسيم لاحد المواقف أو الرمز لقيمة ما ، بالاضافة الى ما للغز من دور محورى حين يتعرض البطل للحظة دقيقة، يضطر فيها الى اظهار القدرة على حله.

والقاص الشعبى لا يهتم كثيرا بالشكل والاطار ويتعامل مع الحكاية بحرية تتدخل فيها ثقافته ومزاجه وذاكرته وظروفه الزمانية والمكانية وموقف القاص .

ولكنه اذا كان لا يحفل بالشكل الفنى ، فانه يحفل بالجوهر والمضمون لارتباط الحكاية بادوار تؤديها تهدف الى التوجيه الخلقى والى نقد انواع معينة من السلوك ، وتهدف الى التوعية الوطنية والقومية والى بث القيم والمثل الانسانية كما تهدف الى التسلية والترفيه والترويح .

وبعد فان هذه المجموعة تحتاج الى دراسة ترصد جوانب كثيرة كما أسلفنا وقد كان على الاستاذ يسرى شاكر ان يثير بعضها فى المقدمة التى كتب ، ولكن حسبه انه قصد الى جمع شتات مبعثر ، وذلك فى حد ذاته عمل له قيمة يستحق عليه كل تنويه . وأن وعد بانجاز هذه الدراسة فى الجزء الثانى من المجموعة وما اظنه الا موفيا بوعده وموفقا الى ذلك. واذا كنا ندعوا الى دراسة هذه الحكايات فاننا لا نخفى أن مهمة دراستها ودراسة الادب الشعبى عامة ليست سهلة على الاطلاق ، فهى اذا كانت تحتاج الى شجاعة أدبية لخوض غمار الريادة فيها ، فانها اكثر من ذلك

تحتاج الى حس وطنى والى ضمير واع يلزمها فى الدارس حتى يهتدى الى العناصر الحية والجوانب الايجابية فيتح عليها ويبرزها ويلغى من الساحة كل الشــوائب والسلبيـات .

ولا شك أن طلابنا فى الدراسات العليا ممن يميلون للتراث الشعبى مهياون لينهضوا بهذه المسؤولية ، وهم مطالبون بذلك حتى لا يتركوا المجال فارغا للباحثين الاروبيين والامريكيين الذين يقبلون على دراســة آدابنا وفنوننا الشعبية وكذلك العادات والتقاليد بايعاز وتشجيع مــن حكوماتهم التى ترصد الاموال لذلك وتهىء المراكز والمعاهد ، واظننا فــى غنى عن الاشارة الى ما يشوب أعمال هؤلاء وما لهم فيه من خلفيات .

ولعله خير لنا أن نبادر الى دراسة آدابنا الشعبية بروح وطنيــة وقومية من أن نترك المجال للمنحرفين والمغرضين يعبثون به ويوجهونــه لخدمــة اهداف هدامــة .



مقدمة

بقلم : يسرى شاكـــر

منذ الوف السنين وقبل أن تنشأ الحضارات القديمة فى مصر وبابل والهند والصين ، لعبت الحكايات دورا هاما فى تاريخ البشر ، بل لا مغالاة فى القول انه انصبت فى وعائها الكبير الكثير من افكار ومعتقدات المجتمعات الانسانية الاولى العريقة فى القدم ، فالحكايات قديمة قديمة ، ربما الى ابعد ممـــا يصل اليه تقديرنا .

فما هو اصل هذه الحكايات وهل يمكن لنا ان نطلع ولو على حكاية واحدة كما رويت اول مرة ، والمقصود النص الاول الاصلى للحكاية ؛ مع الادلة والاسانيد التى تثبت ذلك ، وللاسف انه لامر يصعب تحقيقه تماما . وعندما تقدمت العلوم منذ قرون قلائل استطعنا ان نرى بمنظار العلم صورا من ماضى الانسانية السحيق ، فساعدنا ذلك الى أن نطلع ونعرف هذه الحكايات القديمة بطريقة أفضل ، لكن تعرفنا على هذه الحكايات جاء عن طريق ما وجدناه وما رصدناه من بقاياها فى حكايات أحدث منها ، مكتوبة ومدونة ، وهذه الحكايات الحديثة نسبيا وصلـــت الينا من مصر القديمة وبابل — ويرجع تاريخها الى حوالى ثلاثة آلاف سنـــة قبل الميلاد — ومن الهند والصين كذلك .

ومن العجيب ان الكثير من هذه الحكايات القديمة نتعرف عليها دون مشقة فى حكاياتنا المعاصرة ، فى المغرب وفى كل بلاد العالم ، كما فـــى الحكاية المغربية « جحا قاضى الفيران » ، وكما فى حكاية « المنافقون » كذلك ، واصل كل منهما حكاية « الصدق والكذب » المصرية القديمـــة التى اكتشفت عام 1930 مدونة على أوراق البردى ، ويرجع تاريخها الى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، وهذه الحكاية تشبه عددا كبيرا من الحكايات المعاصرة ، يقول عالم الفولكلور ديرلاين ، « قويلت الحكاية

عند اكتشافها بدهشة من الباحثين ، ذلك أن موضوعها عرف خلال عدد كبير من الحكايات الهزلية وحكايات الكذب ، الا انه يصور هنا فى الاصل القديم المدون فى صورة رائعة ، فالفكرة التى تتمثل فى ان احد الشيئين مستحيل كالاخر ، هذه الفكرة تصور هنا فى اطار جدى وجديد كل الجده، وقد تسربت الحكاية المصرية الى الحكايات الهندية وحكايات الف ليلة، كما انها رويت فى جنوب أوروبا وجنوبها الشرقى ، وربما انتقلت من مخطوط الى آخر ، على انه غالبا ما كان يشار اليها فى مجال الوعظ والارشاد ، ففقدت الحكاية أصلها الاسطورى وبقيت منها فكرة انتصار الخير على الشر ، او الصدق على الكذب ، كما ان « حكاية المتجولين »، عند الاخوان جريم ، تلك التى نقأ فيها الاسكافى الشرير عين الخياط الخير ، هى بحق امتداد للحكاية المصرية، ففيها كذلك انتصر الخير على الشر فى النهاية ، رغم كل الاخطار وكل المكائد .

اما اشهر الحكايات الخرافية المصرية فهى حكاية « انوب وباتو » او « انوبو وبيتيو » ، التى دونت قبل الميلاد بحوالى الف وثلاثمائة سنة، وعرفت فى اوروبا عام 1852 ، وهى موجودة فى الادب الشعبى المغربى فى حكاية «الاخوان» (1).

وقد روى هيرودوت كذلك حكاية « اللص الماهر » ، نقلا عن مصر القديمة، وتتفق الكثير من الحكايات المعاصرة عن حيل اللص الماهر مع الحكاية المصرية ، والحكاية المغربية « أبناء اللص 2» ، تعتبر رواية مطورة للحكاية المصرية ، لكن فى صورة أكثر اشراقا واكمل فنا .

وما حدث بالنسبة لهذه الحكاية المصرية حدث بالنسبة لالوف الحكايات من الهند والصين فى مختلف انحاء العالم ، فقد كانت هناك دائما موجات من الهجرات ربما بسبب تغير ظروف الحياة والطقس ، أو بسبب الكوارث والاوبئة والغزوات والحروب ، فتمازجت واختلطت الاجناس البشرية فى تاريخها القديم وكذلك حكاياتها .

وربما كان فى تتبع حكاية واحدة وانتشارها بقدر الامكان ، مثل يوضح حيوية الادب الشعبى واصالته وقدرته على البقاء .

تقول حكاية الصدق والكذب المصرية القديمة ، كان الصدق والكذب

(1) ، (2) — حكايات منشورة فى الكتاب .

اخوين ، وتشاجرا فى يوم مع بعضهما لان كل منهما ادعى انه اقوى من الاخر ، ثم أراد الكذب أن يوقع بأخيه الصدق ، فاصطحبه الى محكمة الالهـــة ، واقسم الكذب أمام المحكمة بانه يوجد سيف كبير هائل الحجم، قبضته مثل الشجرة ونصله مثل الجبل ، ولم يشأ الصدق أن يصدق هذا القول بالرغم من قسم الكذب ، فحوكم الصدق وفقئت عيناه .

ثم عمل الاخ الاعمى « الصدق » بوابا ، واحبته امراة وولدت منه ولدا ، فاق اقرانه الذين يكبرونه ذكاء وقوة ، ثم علم الابن بقصة والده ، فأراد ان ينتقم لابيه لما لحق به من ظلم ، فأتى بثور ممتاز واعطاه الى راعى عمه «الكذب» واعجب العم بالثور ، فحرض الراعى على سرقته ، ففعل ، وطلب الراعى من الصبى — بناء على اوامر الكذب — ان يختار من قطيع عمه ثورا آخر ، ولكن الصبى اخبر الراعى بانه ليس هنـــاك ثـــور مثل ثوره ضخامة ، فهو حينما يقف عند بحر آمون يصل احد قرنيه الى الجبل الشرقى بينما يصل القرن الاخر الى الجبل الغربى (1) وهو يلد كل يوم ستين عجـــلا .

ولم يصدق الراعى هذا القول ، حينئذ قيده الصبى وحمله الى عمه « الكذب » وطلب منه ان يحضر أمام محكمة الالهة ، وهناك ادعـــى الكذب ، أن مثل هذا الثور لا يوجد ، وعندئذ سأل الصبى الالهة عمـــا اذا كان هناك سيف كالذى ادعى الكذب انه قد رآه ؟ ، وعلى هذا تحتم على المحكمة أن تتراجع وتعيد النظر فى الحكم القديم بين الصدق والكذب، فأصدرت حكمها بأن يبرأ الصدق .

وقد انتشرت هذه الحكاية المصرية حتى وصلت الى اقصى انحاء الارض ، وصلت الى الصين البعيدة ، وهناك انصهرت فى بوتقة الشعب الصينى، فأضفى عليها من روحه وملامح شخصيته واصبحت حكاية من الادب الشعبى الصينى ، لكن اصلها مصرى .

وتقول الحكاية الصينية أن فلاحين وجدا اثناء حراثة حقلهما كنزا مدفونا فى الارض ، وهو عبارة عن اباريق فضية ، وقد اقنع احدهمـــا الاخر بانه سيحتفظ بالاباريق الفضية لمدة من الزمن حتى يذهبا سويـــا الى السوق فيما بعد ليبيعاها .

(1) — يقع وادى النيل بين مرتفعـات تحده من الشرق والغرب .

وحين طلب الفلاح من صديقه فى يوم الذهاب الى السوق ، ادعى الصديق بانه فقد الاباريق لان الفئران اكلتها ، فاخذ الفلاح معه ابن صديقه ورحل ، ولما افتقد الرجل ابنه واخبره الجيران انهم شاهدوه مع صاحبه ، أسرع اليه وسأله عن ولده ، فاخبره انه حدث اثناء اصطحابه لابنه أن نزل طائرا من السماء وخطف الابن وطار به عاليا ، فلما ابدى الرجل عدم تصديقه لهذه الحكاية الخرافيه ، قال الفلاح ، ولماذا لا تصدقها وقد صدقتك حين قلت لى أن الفئران اكلت الاباريق الفضية ، فأحد الشيئين مستحيل كالاخر ، تماما كما فى القصة الاصلية المصرية . وقد أعددت هذه الحكاية الصينية كتمثيلية تلفزيونيه ، وقدمتها على شاشة التلفزيون المصرى عام 1962 فى برنامجى « اطفال الشعوب » ضمن حلقة «اطفال الصين» .

ونحن نجد هذه الحكاية فى كتاب ابن المقفع العظيم « كليلة ودمنة » وقدمتها ضمن حلقات «كليلة ودمنة» التى انتجتها للتلفزة المغربية عام 1975 ونجدها فى قلب أوروبا، تقول حكاية جان « القاضى الفلاح » ، التشيكوسلوفاكية ، ان جان الفلاح اعطى فرسه الى فلاح غنى لترعى مع حصانه ، وعندما ولدت الفرس ، اخذ الغنى الحصان الصغير ، وادعى أن حصانه قد ولده ، مع استحالة حدوث ذلك بالطبع ، فاشتكى جان للقاضى ، لكن القاضى اخذ رشوة من الفلاح الغنى ، فحكم بأن يعطى الحصان الوليد للغنى ، وقال لجان الفلاح انه يمكن للحصان ان يلد ، واراد جان أن يسترد حصانه ، فانتهز فرصة زيارة الامير للاقليم ، واحضر شبكة لصيد السمك، وأخذ يرميها فوق صخور الجبل اثناء وجود الامير، وسأل الامير جان ، «كيف تصيد السمك من فوق الصخور؟»، فأجابه جان، « ولماذا لا يمكن صيد السمك فى الجبل ، مادام يمكن للحصان أن يلد فى هذه البلاد » ، وعندما عرف الامير القصة عاقب القاضى فطرده، وعين جان الفلاح قاضيا واعيدت له فرسه ومهرها كذلك . وقد أعددت هذه الحكاية وقدمتها كتمثيلية فى حلقة « اطفال تشيكوسلوفاكيا » على شاشة التلفزيون المصرى عام 62 ، فكم هو ثرى ومعطاء ذلك الادب الشعبى الذى لا نفيه حقه من الاهتمام والتقدير .

وما حدث للحكاية المصرية ، حدث لالوف الحكايات الهندية كذلك ولغيرها من حكايات البلدان المختلفة ، وليس من المهم تدوين الحكاية ، فحكاية « الصدق والكذب » كانت تروى قبل ان تكتب وتدون ، ثم دفنت

أوراق البردى التي دونت عليها الحكاية فى المقابر ولم تكتشف الا سنة 1930 ، ومع ذلك ظلت الحكاية حية وموجوده ، وانتشرت فى بلدآن كثيرة، وكان من الممكن أن لا تكتب على أوراق البردى ، وكان يحدث لها نفس ما حدث ؛ فالصدفة وحدها اتاحت لنا العثور عليها مكتوبة ، فأمكننا ان نعرف تاريخ تدوينها على وجه التقريب فمن ثم أمكننا أن نتأكد من أصل الروايات العديدة للحكايه ؛ وهو أصل مصرى، والحقيقة انه يرجع الفضل فى حفظها وانتشارها الى رواة الحكايات الذين تداولوها وعن طريقهم انتقلت وانتشرت فى بلدان كثيرة . وقد امكن لرواة الحكايات ان يحفظوا ويتناقلوا جيلا بعد جيل ؛ وعلى مدى حقبة طويلة من الزمان ذلك التراث القيم ، حكايات الانسان القديم ، تلك الحكايات التي تعكس صورا من حياة الانسان وواقعه ومشاكله وآماله وتصوراته واحلامه ؛ ولقد ساعدنا رواة الحكايات على كشف وفهم حقبة مجهولة وغامضة من تاريخ الانسانية فى أيامها الاولى وساهموا دون ان يدروا فى تقدم المعرفة الانسانية .

يقول احد علماء الفولكلور(1)، « يريد الفولكلور أن ينشىء من جديد التاريخ الفكرى للانسان لا كما تمثله وتظهره كتابات المفكرين الكبار والادباء والشعراء ؛ بل كما تصوره وتظهره أصوات الشعب الاقل جهارة مع انها هى الاكثر صدقا وتعبيرا » .

ورواة الحكايات الذين يرجع اليهم الفضل فى حفظ الحكايات وتداولها ؛ هم فى الحقيقة فنانون وادباء موهوبون وان كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة لان الكتابة لم تكن قد اخترعت بعد ؛ يقول عالم الفولكلور المقتدر الاستاذ كراب . « ان رواية الحكاية جزء لا يتجزا مما نسميه فى الادب بانشاء النثر القصصى، وان كان بعض هذا النثر يحتاج نشره الى قلم ومحبرة . بينما تروج أنواع اخرى بالتناقل من الافواه الى الاذان؛ فليس هذا اختلاف بينهما؛ فهو اختلاف فى تلك الامور التى تختلف عليها المدارس الادبية المتباينة فى قضايا الذوق والتكنيك.» ويستطرد (كراب) « انى أرى أن الحكاية والاغانى الشعبية تعبيرات ادبية بحتة تصور العبقرية الشعبية التى تعمل بوازع من تلك الدوافع التى تغذى الذهن الخلاق عند رجل الادب والعالم والفنان » .

(1) — استاذ كراب فى كتابه القيم « علم الفولكلور » .

والدور الهام الذى تلعبه ذلك الفنان الموهوب « الراوى » يدفعنا للاهتمام به اشد الاهتمام ، ومن حسن الحظ انه مازال يعيش بيننا رواة حكايات ، استطاعوا ان يقدموا لنا بعض المعلومات .

لقد امكن لهؤلاء الفنانين المجهولين أن يحفظوا لنا التراث وتداولوه فى امانة ادبية يحسدون عليها ، ويمكن الاستشهاد براوية الحكايات الفلاحة « نهمانين » التى حكت للاخوان « جريم » اجمل واخلد الحكايات الشعبية ، يقول الاخوان جريم « كل من يؤمن بقانون استحالة دوام الحكاية الخرافية مدة طويلة دون تغيير بسبب الاخطاء التى تأتى من انتقال الحكاية من جيل الى آخر ، وبسبب عدم اهتمام الاجيال بالاحتفاظ بها، عليه أن يستمع الى تلك الفلاحة ليعرف كم هى تتمسك بنص الحكاية ، وكم هى حريصة على صحتها ، فهى لا تغير شيئا من نص الحكاية مطلقا عند روايتها مرة أخرى ، واذا ما ادركت انها اخطات فى السرد ، اعادت على التو الرواية الصحيحة ؛ فان التمسك بالتراث المنقول يعيش بين أناس رسموا لحياتهم نظاما معينا لا يحيدون عنه ، وهم فى تمسكهم بهذا التراث اقوى من ميلنا نحن الى التغيير ، والفلاحة فهمانين تحتفظ فى ذاكرتها بحكايات كثيرة ، وهى تقص حكاياتها فى حذر وفى ثقة وحيوية صادقة ، بل انها تستمع فى الواقع بما تقصه ، وطريقتها أن تسترسل فى رواية الحكايات ، ثم تعيد قصتها مرة اخرى اذا شاء المستمع ذلك » .

ويخبرنا الباحث الالمانى « جوتفردهنسن » بأنه اعتمد فى مجموعته « مجموعة هنسن » على راو واحد هو الشيخ « اجبرت جيرتى » الذى امده بعدد هائل من الاغنيات والحكايات الهزلية.

ونحن نذكر على سبيل المثال ما حكاه قصاص من هنود امريكا الجنوبية الى احد جامعى الحكايات ، قال : « ان ما يعثر عليه الانسان اليوم من اخبار آبائنا لهو اكبر قيمة من الكنوز واللالىء ، والذى نعرفه عن آبائنا انهم كانوا يلتزمون باخفاء هذه الكنوز عن المتطفلين ؛ تماما كما يتحتم علينا نحن الان أن نقوم بحماية حكايات وطننا التى تبدو مبعثرة من قبل ان تذروها الرياح المتغيرة وتطوح بها هنا وهناك فى البيئات غير الصالحة» .

ويؤكد هؤلاء الهنود انفسهم انه لايحق لانسان ان يغير من هذه الحكايات بحال من الاحوال حتى لايغضب أرواح اجداده، وقد كان من المحتم على قصاص من قبيلة « الاروكاتر » أن يهبط الجبل فى ساعة متأخرة من

الليل لكن ينقل كلمة فى حكاية من الحكايات حتى لا تشوب الروايـــة الاصلية شائبـــة .

وقد يزاول الراوى اى مهنة من المهن ، فقد قام بمهمة الـــرأوى ، التجار والجنود والبحارة والصيادين والمغنيين والعمال ورواة الاقاصيص المحترفين وأصحاب الحرف المختلفة ، واحيانا يتخصص بعض الرواة فى هذ ه المهنة ولا يقومون بأى عمل آخر ، ذلك اذا كانت ظروف المجتمـــع واحواله تتيح لهم دخلا يكفيهم أن اقتصروا على مزاولتها .

ويقول أحد علماء الفولكلور ، « ان هناك كذلك بكل تأكيد الاحساس بالشكل ، تلك الميزة التى يتصف بها القصاصون المجيدون ، فان قابلتهـــم حكاية هزيلـــة مهلهلة البنيان ، فانهم بما لديهم من احساس متميز بالشكل يردون هذه الحكاية من طريق تحويرها واستكمالها مرة أخرى الى شكلها المكتمـــل » .

وهذا الاحساس بالصحة وسلامة التركيب الفنى كـــان يـــتم دون دراسة التقنيات والقواعد التى نعرفها اليوم ، فقد أصبح الراوى خبيرًا ومتخصصا فى عصر لم تكن العلوم قد عرفت فيه بعد الا بقدر لا يؤبه به ، وليس فى هذا اية مبالغة ، وحتى نتبين الى اية درجة رفيعة وصلت مواهب بعض رواة الحكايات ، نورد سطورا قليلة من حكايه صينيه لنظهر الملكات الادبية المذهلة التى تحلى بها هؤلاء الفنانين الشعبيين ، قـــال الراوى الصينى ، «لقد أبصر حينذاك من حوله غابات من العقيق الاصفر وأشجار من معدن التفريت(1) الاخضر، وكانت الحشائش من حجر اليشب الكريم، والازهار من المرجان ، وفى وسط هذا البهاء كله يقع قصر التنين ، وقـــد اشرف على القصر مئات من البوابات المغلقة على ما بها ، كما انتشرت فى جنباته ألازهار والورود الساحرة فى وفرة ممتعة، وكانت المياه الفضية تتماوج فى الجداول وهى مختزنة ، وفى قاعها تسبح الاسماك ذات القشور الذهبية ، وفوق الاشجار المزدهرة عدد لا حصر له من الطيور السحرية الملونة التى تغنى وهى تطير صاعدة هابطـــة .

وطلع تنين احمر فى لون الدم القانى ذو اشعاعات قرمزية ، ولحية نارية ، وجذب العمود الذى كان مشدودا اليه بسلسلة ، ثم قصف الرعد من حول التنين ولمع البرق ؛ واختلط الثلج بالمطر فى شبه دوامة عاصفة ثم كانت صرخة راعدة هائلة ارتفع عندها التنين الى السماء واختفى ».

(1) ـ نـــوع مـــن المعـــادن النفيســة .

وهكذا تقدم رواة الحكايات الصينيون لنا صورا من الجمال الاخاذ لم يستطع الكثير من الشعراء والادباء تقديمها .

ولقد اعتمدت بالطبع فى جمع كل الحكايات التى دونتها على الرواية الشفاهية ، واستمعت الى العشرات من رواة الحكايات ، ويختلف الرواة فيما بينهم من ناحية المواهب والاحساس الفني ، فالراوى الجيد يمكن أن تدون حكايته كما يرويها ، لكن هؤلاء قليلو العدد مثل الفلاحة «فهمانين» التى تكلم عنها الاخوان جريم ، وقد ساعدتنى الظروف والتقيت فى المغرب بعدد من الرواة الممتازين ، وارى من الاجحاف عدم التكلم عنهم اعترافا بفضلهم فى انجاز هذا العمل ، وللاسف الشديد وأنا أحتج على ذلك ، تجبرنى التقاليد على عدم اذاعة اسمائهم واخفاء بعض التفاصيل .

ومن الرواة الذين استمعت اليهم ، سيدة من فاس ، قصت على حكايات من الفولكلور المغربى ، يمكن القول فى ثقة أننا لو قارنا بينهما وبين بعض الحكايات العالمية المعترف لها بالامتياز ، يمكن القول أن هذه الحكايات المغربية تماثلها ان لم تتفوق عليها .

والسيدة ولندعوها فاطمة : ربة اسرة ومتزوجة من رجل اعمال ناجح ، وهى جدة ولها أحفاد، ولديها خمسة ابناء فى الجامعة وبعضهم تخرج منها ، وكلهم بصفة عامة ممتازون فى دراستهم وسلوكهم ، وعرفت السيدة فاطمة بقوة الشخصية ، وبالذكاء الحاد .

وهى لا تقرا ولا تكتب وتحفظ حوالى 30 حكاية : كلها جيدة وبعضها ممتاز أو ممتاز جدا ؛ أحسن حكاياتها ، لالانوفويا « لالاغنو فى التلفزة »، ودهاء النساء ؛ يابا خذ معلمتى . المنافقون . شراب الزبيب ، وبعض حكايات أخرى ستنشر ان ساعدت الظروف .

كانت تجلس وقد غمرتها فرحة صادقة، وقد سرها وجود من يتلهف على سماع حكايتها الحبيبة الى قلبها . وتبدا وتروى الحكاية فى جمل قصيرة مترابطة : وواضحة ومعبرة . وانى اذكرها مرة وهى تحكى حكاية «لالا نوفيا» واعمالها القبيحة المترتبة على جهلها وعدم خبرتها ، وكانت تضحك من اعماق قلبها ضحكات صافية صادقة ، فتذكرت كلام الاخوين جريم عن استمتاع الراوية الفلاحة « فهمانين » بما كنت تقصه لهما ، وحين أخبرت السيدة فاطمة بذلك اجابت ، « انا امراة بسيطة ولا أعرف

تماما معنى ماتقول، لكننى فهمت أن هذه السيدة كانت تستمتع وهى تحكى الحكايات ، وهذا حق فأنا أحكى لك الحكايات لمدة ساعات بالرغم مما فى ذلك من مشقـة لان هذا العمل يسعدنى » .

وكانت دقيقة غاية الدقة ، لا تؤخر ولا تقدم كلمة واحدة ، وحـين كنت أستحثها على الاسترسال فى القص بسرعة ، حين نحاول تكرار جملة معينة ثلاث مرات كما تقتضى أصول الحكاية ، كانت عندئذ تبتسم فى هدوء وهى غاية فى الادب ودماثة الخلق وتسالنى الصبر ، وتكرر الجملة ثلاث مرات ، ثم تسترسل فى قص الحكاية دون أن تابه لاعتراضى .

وكانت تعبر وهى تحكى بملامحها ، وبصوتها ، تخفضه أو ترفعـه وتلون نغماته ، وتحرك يديها أو اصابعها ، كانت تندمج وتعيش حكاياتها، أذكرها وهى تحكى حكيلة (شراب الزبيب) وهى تصور جو «المشور» وما يحدث فيه ، ووصفها البديع لشكل الغلام وملابسه وللكؤوس النظيفة.. الخ . ومن أحسن الرواة الذين استمعت اليهم ودونت عنهم أصح الروايات لحكايات رائعة وقيمة ؛ السيد « تمعيشة » ، وهو قصاص محترف وفنان اصيل ، فى الستين من عمره تقريبا ، يقرأ ويكتب ولكن ثقافته بسيطة بل تكاد أن تكون منعدمة وكل ما قرأه بعض كتب القصص والحكايات مثل ، «الف ليلة وليلة» ، «وحمزة البهلوان» ، «والاميرة ذات الهمة» وبعض الكتب الشعبية مثل ديوان سيدى عبد الرحمان المجدوب وما شابه ذلك وهى قليلة ومحدودة على اية حال .

لكنه يحفظ فى ذاكرته مئات الحكايات التى يرويها الناس شفاهيا فى المغـرب .

ومن أروع واجمل حكاياته التى دونتها :

ــ أولاد الحاكم افلاطون ــ طائر الحكمة ــ الرجل الذى يبيض ــ أخدم يا التاعس ــ اللص الظريف ــ زوجة من الريف ــ القزم ــ مهارة اللصوص ــ فرطت ــ ابناء اللص .

وفى اول لقاء معه بينت واوضحت له رغبتى فى معرفة الحكايات التى تروى شفاهيا والغير مدونة فى الكتب ؛ ففهم بسهولة وبسرعـة ، وحكى لى حكاية « فرطت » واصر هو على هذه التسميه ورفض أن تسمى « اللى فرط كرط » وكان رايه أن الكلمة التى تتردد دائما فى ثنايا الحكاية

وتربط احداثها : هى كلمة ـ فرطت ـ . بالاضافة الى أن لهذه الكلمة جرس لطيف فى الاذن .

وكان يحكى الحكايات بصوته الاجش وهو اكثر تاثرا بما يحكيه من السيده فاطمة ؛ وخاصة حين كان يحكي حكايات اللصوص والحكايات الهزنية . فلا يمكن للانسان ان يتهالك نفسه من الضحك ، وهو شان الفكاهيين الاصيلين لا يضحك من المواقف الضاحكة ؛ لانه يمثلها ويؤديها، بل نلمح فقط ابتسامته فتكون أكثر تاثيرا على المستمع .

وبعض حكاياته الخرافية مثل « طائر الحكمة » و « أولاد الحاكم افلاطون » ، تستحق وتستلزم الدراسة والبحث ، ومن الغريب انه يبجل هذه الحكايات ويؤمن بما جاء فيها من خوارق وغرائب على انها اشياء واقعية .

اما حكايات اللصوص وهى احب الحكايات الى قلبه ، فكنت أراه ممثلا موهوبا وهو يحكيها . سألته مرة لماذا يميل الى خكايات اللصوص؟ فأجابنى بعد تفكير . « الحق انني اميل الى حكايات اللصوص لما فيها من تشويق واثارة ولما فيها من حيل تبين الذكاء والمهارة ، لكن لا ، لا لا ، ارجوك صدقنى : ان كل الحكايات التى احفظها الان حبيبة الى قلبى بالتساوى ، ان الحكايات بالنسبة الى مثل ابنائى ، آه ... لقد أحببت الحكايات منذ زمن بعيد حين كنت صبيا يافعا ، وحفظتها ورويتها منذ صغرى للجيران والاطفال ، وقد خدمت فى مهن كثيرة ، مهن بسيطة ، فأنا رجل فقير ، لكننى كنت دائما مهتما بالحكايات ، أحب سماعها ، ويسعدنى ان ارويها للناس ، ولذلك احترفت مهنة القصاص منذ ما يزيد عن ثلاثين عاما ؛ حقيقة وقبل سنوات كثيرة كنت افضل بعض الحكايات مثل حكايات اللصوص ، ولكننى ادركت خطأى وعلمتنى التجارب أن راى راوى الحكايات لا قيمة له ، فالمهم رأى الناس ، فانا الان مثلا أحفظ الكثير من الحكايات ، فان سألتنى عن أحسنها ، لا شك انني سأؤكد لك انها هذه الحكايات التى حكيتها لك أخيرا ، وهى أحسن ما عندى لكن ليس هذا رابى بل هو راى الناس الذين استمعوا لها ، وانت ايضا اعجبتك ، اليس كذلك ؟ .

ولم أرد عليه لاننى كنت أحدق فيه وقد تنازعتنى شتى الافكار ، وتذكرت قول تولستوى العميق الدلالة بأنه لا وجود للفن بدون جمهور .

اما «حدة» فهى فلاحة من تازة ، هاجرت من بلدتها حين كانت فى الخامسة عشرة من عمرها لتعمل خادمة عند بعض الاسر فى الدار البيضاء والرباط وفاس ومكناس ، و « حدة » فى الخامسة والعشرين من عمرها ، قصاصة بالفطرة والسليقة وراوية حكايات عظيمة ، وهى غاية فى الذكاء ، حية ونشيطة ولا تكف عن الحركة ، وتتقن جميع الاعمال المنزلية اتقانا ممتازا، ذلك ان ارادت ؛ لكنها تصطدم دائما مع الاسرة التى تعمل عندها لانها لا تقبل الضيم ولو كان بمقدار قليل ، مما جعلها تنتقل بين عدد كبير من الاسر التى رات فى سلوك «حدة» تطاولا على ما اعتادوا ان يعتبروه حقا من حقوقهم، فى حين تعتبرهم «حدة» ظالمين. وقد روت لى «حدة» عددا وفيرا من الحكايات الممتازة النادرة، واحسن حكاياتها؛ بعيدا عن الانثى — حكاية سبع بنات — مغامرات ذئب — الخاتم السحرى — البرق — حديدان الحرامى — حتى يشيب الغراب ويزدهر العكاز بالورود — عائشة بنت الحطاب (1) .

وتعتبر «حدة» الحكايات اشياء هامة بالنسبة اليها فهى تؤمن بما جاء فيها على أنه حقيقة وواقع ، فالحكايات ثقافتها ودنياها وعالمها الذى تعيش فيه، ومن طريف ما يذكر ان «حدة» كانت ترفض أن تحكى حكاية قبل أن تستأذن من الاسرة وتشترط الاعفاء من العمل ، نصف يوم مثلا، لان رواية الحكاية عند «حدة» لها أصول وقواعد ، فلابد من الاصغاء التام ولو من مستمع واحد ولا تسمح لاحد بالمقاطعة ، والا فأنها تتوقف ويستحيل بعدها أن تعاود رواية الحكاية .

لكن ما تشترطه حدة يعتبر حقا من حقوتها ، وبعد الاستماع اليها يهتف الانسان ، « معها الحق » ؛ ذلك أن حدة كانت تندمج تماما وتنفعل بشدة وهى تحكى ، وانى لاذكرها وهى تحكى حكاية — بعيدا عن الانثى — حين تردد ونادى الرجل اخوته الحيوانات، كل واحد باسمه ثلاث مرات واه ياسبع ، واه ياسبع واه ياسبع الخ ... وكانت تنادى وترفع صوتها وتطيل النداء، وتنطق كلمة سبع والعين مضمومة ومنونة، واذا عرفنا انه كان على بطل حكاية حدة أن ينادى اخوته الحيوانات الستة كل منهم باسمه ثلاث مرات ، فان الاستماع لحدة وهى تغير نغمة ودرجة صوتها لتكون مناسبة مع أهمية كل حيوان من الحيوانات التى تناديها، كان

(1) — بعض هذه الحكايات منشور فى الكتاب والبعض الاخر سينشر فى الجزء الثانى لحاجته الى مزيد من المراجعة والبحث .

الاستماع لحدة متعة من المتع ؛ فقد كانت تنقلنا الى جو الحكاية والغابة تماما كما يفعل اكفا الادباء الموهوبين .

ولعل «حدة» وتميمشة والسيدة فاطمة كانوا رواة حكايات ممتازين، وقد دونت عنهم عددا كبيرا من الحكايات الهامة ، لكن الاهم هو انني عرضت عليهم ما جمعته من غيرهم من الحكايات ، واستمعت الى آرائهم والى بعض هذه الحكايات نفسها حين رووها لى مرة اخرى ، وكانت مراجعتهم قيمة بالنسبة للعمل الذى اقوم به وتساوى تماما ما قدموه الى من حكاياتهم الخاصة التى دونتها عنهم .

وقد استمعت الى عشرات الرواة الاخرين ، ومن الاجحاف عدم الاشارة الى بعضهم بعد الكلام عن الثلاثه المهمين بشىء من التفصيل .

ومن الرواة الذين يجب ذكرهم ، السيدة م. وهى والدة لاعب كرة مشهور، وقد دونت عنها حكايتين فقط، حكاية الطائر الازرق الجميل(1)، بنت القائد سلامة (2) ، وظنى ان حكاية الطائر الازرق الجميل من اروع حكايات الفولكلور المغربى ، فبدايتها مشوقة لاقصى حد ، وبناؤها الفنى غاية فى الاكتمال وغنية بالاحداث الغريبة . والسيدة م. كبيرة السن ، ومريضة ، وهى رقيقة وخجول الى اقصى حد ، وصوتها دائما منخفض، وهي تحكى حكايتها فى بطء شديد وبتمهل ، وتحس وأنت تستمع اليها انها تتعامل مع الكلمات والجمل فى حنان غريب، وهى لا تنظر الى المستمع أو المستمعين وهى تحكى ، بل تنظر الى بعيد ، فيهيأ اليك انها تنظر الى صور جميلة ساحرة وتنقلها اليك من لوح محفوظ .

أذكرها حين كانت تصف لوعة الامير حين افتقد محبوبته ، ثم حين طلب فى توسل ولهفة من بائع الملح أن يحكى عن جمالها ، فاحس بالعجز، فاى كلمات يمكن أن تنقل صورة السيدة وهى تردد الكلمات فى رقة وحنان ويكاد وجهها أن ينفجر اشراقا وبهجة حين تحكى عن الاميرة وهى تثير عواطف الامير واشواقه وتصف روعة لقاء الحبيبين .

وقد أفادتنى فائدة لا تقدر حين راجعت معها عددا من الحكايات التى جمعتها من غيرها ، كانت تقول مثلا ، « نعم ، لكن نهاية القصة تروى

(1) — حكاية الطائر الازرق منشورة بالكتاب .
(2) — ستظهر هذه الحكاية فى الجزء الثانى لحاجتها الى المراجعة والتنسيق .

بطريقتين . او تعترض أو تستحسن وكنت أسمع منها أدق الاحكـــــام واصوبها.

وظنى أنه من الاعتراف بالفضل ومن الواجب الكلام عن شخصيتين أخريتين : احدهما محمد ، فلاح من نواحى « امنتنوت » دونت عنه حكايه — الرمان السفرى — وتستحق بمفردها دراسة خاصة ، حكاية مغربية اصيلة ، بمعنى ان سلسلة الموضوعات القديمة التى تتضمنها قد ضمت اليها سلسلة موضوعات مغربية بحتة ، عن ذبح الكبش . ففى نهايــة الحكاية « ازاح الابن الحجر ونظر مراى فى باطن الارض فراغــا . راى سماء أخرى تحت الارض ، وبعيدا هناك وقفت امه العجوز ومعها الكبش تناديه وهى تبكى لانها لا تجد من يذبح لها الكبش ويسلخه ، فرمى لهـا خنجره ، لكن الخنجر تاه فى الفضاء الموجود تحت الارض ولم يصل اليها، فرمى جلبابه الذى تبدد فى الفضاء كذلك ، فرمى لها نفسه ، لكنـه ذاب وتبدد هو الاخر فى الفضاء ، لكن نقطة دم منه بقدرة الله العلى القديـر، وصلت حيث توجد امه ولامست الكبش فذبحته لها . (1)

فانه من النادر أن يصادفنا فى الحكايات ذلك التناول الفنى الغريب الذى يعرض فى اعجاز تقليدا من التقاليد المغربية الاصيلة فى صورة جديدة كل الجدة وجميلة وعجيبة لاقصى حد .

ومحمد رأوى الحكاية « بربرى » أصيل ، فى الخمسين من عمره : اشتغل فلاحا فى بداية حياته ثم بناء وعاملا فى المناجم ، وهــاجر الى مراكش وعمل كبائع متجول ثم كبستانى وحارس عند بعض الاسر فــى الدار البيضاء واخيرا رجع الى قريته وزاول الفلاحة ، ويحفظ كثيرا من الاشعار البربرية العاطفية ، ولديه عددا قليلا من الحكايات احسنهــا حكاية الذئب والقنفذ مع الاسد — الام الحنون (2) — البقرة الذهبية (3) وحكاية الرمان السفرى الرائعة والفريدة فى مميزاتهــا ، ويرجع اليه الفضل فى لفت نظرى لحكايات القنفد .

والشخصية الثانية ، « للا سعدية » وكان يجب الكتابة عنها ابتداء وقبل أى راو آخر ، لولا اعتبار ، هو أننى دونت الكثير من حكاياتها نقلا عن تلاميذها واقاربها بالنسبة لظروف مرضها الشديد لكبر سنها فقـد قاربت التسعين من عمرها المديد .

(1) — انعكاسات المذهب النقشى ، انظر ص 20 .
(2)،(3) — حكايات ستنشر فى الجزء الثانى من الكتاب

للا سعدية مهندسة الحكايات الخرافية ، كفاها فخراً أنها صاحبة اجمل حكايات هذه المجموعة « مولاى محمد الكاس » وغيرها من الحكايات القيمة ، مثل ، القدر والمكتوب ، السلطان الكبير والسلطان الصغير ، « بهوت النساء » وقد روت لى بنفسها هذه الحكايات ، غير الحكايات التى دونتها عن تلاميذها وامهما — يابا خذ معلمنى ، وللا فونفويا ودهاء النساء ، المتانقون ، شرابم الزبيب ، مولاى على فحيحح (1) .

وفى أثناء استماعى لبعض الرواة ، كان البعض منهم يردد حين ينسى بعض التفاصيل ، «ساسال للا سعديه» وعندما سألت عنها وطلبت مقابلتها ، كان الرد أن هذا من الصعب تحقيقه لظروف مرضها المتواصل شفاها الله .

وانتهزت فرصة شفائها النسبى ، وذهبت اليها ، دخلت مع بعض أقاربها غرفة نومها التى لا تكاد تغادرها ، وقد جلست للا سعدية فى سريرها بطلعتها المهيبة ، تشع عيناها بريقا مشرقا وحنانا ولطفا ، ولا يتناسب صوتها المعبر الجميل مع تقدم عمرها بحال من الاحوال ، ورحبت بنا وحادثتنا فى شؤوننا الخاصة ، وبعد مدة التفتت الى وقالت ،« لقد سمعت من فلانة وفلانة وفلان انك مهتم بسماع الحكايات وكتابتها ، لقد حكوا لى عنك كثيرا ، وأنا أنصحك ، احسن من تحكى لك هى للا فاطمة، هذه ابنتى وخليفتى ، تحفظ جيدا وذاكرتها قوية » ، وصدقنا ما قالت، فحين راجعت معها الكثير من حكاياتها التي سمعتها من تلاميذها ، كانت أحسن راوية لحكاياتها هى للا فاطمة ، ومن الطريف مقارنة ما سمعته من للا سعدية ، فالكثيرون يقولون ، للا سعدية هى صاحبة حكاية كذا وحكاية كذا ، وكأن هذه الحكايات ملكا لها ، ثم هناك اجماع على قوة ذاكرة للا سعدية الخارقة للعادة ، وقد تحققت من ذلك بنفسى ، ومن الطريف المقارنة بين ما سمعته عن للا سعدية وبين ما تحدثنا به احدى باحثات الفولكلور عن القصاصين الاتراك وتقاليدهم ومواهبهم ، وعن ملكية بعض الاسر التركية للحكايات . فنجدها وكانها تصف للا سعدية، فهناك تشابه فى كثير من الامور ، تقول الباحثة ، « ان الحكايات الخرافية لم تكن مادة حرة يحق لكل راو أن يرويها ، ففى مجتمع القصاصين الاتراك كان من الممكن النظر الى بعض الحكايات بوصفها نوعا من الملكية الخاصة لقاص بعينه ، وكانت بعض الحكايات تعتبر ملكا لبعض الاسر ، فاذا حكى

(1) — ستنشر فى الجزء الثانى من الكتاب .

شخص حكاية تنتمى الى اسرة اخرى فان هذا يعد سرقة كبيرة وينظر اليها على انها عمل دنىء كما ينظر الى سرقة الحصان ، وعند ذاك ، يحرم على سارق الحكاية الا يتناول من الطعام سوى الخبز والماء . ذلك ان القاعدة والعرف فى مجتمع هؤلاء القصاصين لا يسمحان الا لقلة موهوبة من القصاصين برواية الحكايات المعقدة مثل الحكاية الخرافية ، ولقاص بمفرده الحق أن يروى حكايات شخص آخر يكون جده او استاذه او معلمه حتى يمكن الاعتماد على روايته للحكاية وعدم مساسة بكيانها المستقل .

وكان معنى ذلك أن انتقال الحكايات وانتشارها كان يتم فى المقام الاول،لا عن طريق مجموعة كبيرة من الرواة ، وانما عن طريق قلة من القصاصين الموهوبين . ذلك أن جمهور المستمعين كان يرفض القاص رفضا باتا ان لم يكن حائزا على مواهب ممتازة ، بل يمكن القول انه كان ينظر الى المتلقين بوصفهم عنصرا حافظا للحكايات وضابطا لها على الدوام ، وكان على القصاص ان يعيد حكايته دون اية تغيرات ولو رواها على فترات زمنية متباعدة ، فقد كانت الذاكرة القوية هى أول صفات القاص، والاغرب انه كان فىمقدرة القاص أن يستمع الى حكاية مرة واحدة ثم يعيد روايتها بعد سنوات بنفس الطريقة ، مع ذكر ادق التفاصيل ، حقا كان بعض هؤلاء القصاصين يمتلكون ذاكرة قوية لدرجة مذهلة تثير الدهشة، وربمايرجع ذلك الي ان الذاكرة لم تكن قد ضعفت بعد عن طريق القراءة الواسعة كما يحدث فى عصرنا الحاضر ».

وارادت للا سعدية ان تكون كريمة معى فى أول لقاء ، فبدأت تحكى لي حكاية « مولاى محمد الكاس »، ثم حكت لى فيما بعد حكايات قيمة ، كثيرة ، وكانت تعليقات وآراء للاسعدية صائبة ومثيرة للتامل والتفكير . فكانت ترى أن الحكايات ستندثر فى المستقبل القريب ، لان الناس أصبحوا مشغولين ومتوترين ، ولان الحياة خارج البيوت اصبحت جذابة ، فهناك المقاهى والمسارح والسينمات والنوادى وغيرها من وسائل اللهو والترفيه، والحكايات كما تقول لا تزدهر ولا تنتشر الا فى محيط الدار فى المقام الاول حيث الاسرة والاصدقاء ، فقبل عقود قليلة من السنين كان الناس يجتمعون كثيرا فى البيوت ويسهرون ولم تكن هناك اذاعة ولا تلفزيون ، والحياه خارج الدار كانت غير جذابة ، وربما لهذه الاسباب اختار الاخوان جريم لمجموعة حكاياتهم المطليمة عنوانا هو « حكايات الاطفال والبيوت » .

وللا سعدية صاحبة مثل عليا، وهى اخلاقية النزعة، وتميل الى الحكايات التى تتضمن العظة والعبرة، ولذلك كانت تقدر حكاية «المنافقون» تقديرا كبيرا. ولما حكيت لها حكاية «القزم» ، حزنت كثيرا لانها لم تعرف هذه الحكاية من قبل ، وكانت تردد فى تأثر « حكاية عظيمة لانها تحض وتدعو الى الرحمة والشفقة بالصبيان والعمال البسطاء فى الحرف المختلفة وكان يجب على أن احفظها منذ زمان بعيد ، يا للخسارة » ، ثم تتغير حالتها وتهتف فرحة فى براءة « حكاية مرحة ومبهجة ومشوقة ». وعندما اعددت حكايتها بهوت (I) النساء للتلفزة ، وكانت أول حكاية لها تراها مجسمة على الشاشة ، اصيبت بدهشة شديدة وفرحة غامرة ، ودخلت الى قلبها ، اما عندما اعددت « للا فوفويا » فى التلفزة باسم للا غنو ، كانت سعادتها لا توصف ولا تقدر وكسبت قلبها تماما ، وساعدتنى الى اقصى حد تسمح به صحتها .

ولم تكن للا سعدية متعصبة لارائها ، فبعد ان شاهدت حكاياتها المختلفة على شاشة التلفزيون غيرت رايها عن اندثار الحكايات وقالت ، « ما دمتم ستعرضون الحكايات فى التلفزيون والاذاعة والمجلات والكتب كما بينت لى، فانا واثقة أن الحكابات ستعيش ولن تندثر »، فقلت لها صادقا وقد هزنى تأثرها ، كيف يمكن لنا نحن ابناء الجيل المعاصر ان نسمح لهذه الكنوز أن تندثر ، سنجمعها وندونها ثم نطورها ونسعد قلبك ياسيدتى المبجلة ، فبكت للا سعدية فى تأثر صادق وكانت دموع الفرح، لانها ايقنت أن حكاياتها قيمة وانها ستعيش .

وهى كفنانة أصيلة تحب الفن وتقدره ، اذكر مرة اننى حكيت لها عن أحد الرواة، مهندس قابلته فى اليوسفية (2) وهو شخصية مرحة ولا يكف عن المزاح والضحك ، حكى لى حكاية اشكون الحمار — الكى بالسكين — الاحمق لا يصلح لشىء — وعندما استمعت الى الحكايات ، صاحت اعجابا ،« حكايات جميلة ، اشكون الحمار »، وهزت راسها،ثم قالت فى صوت معبر «الجاعل ، ياللروعة ، هذه حكاية عظيمة يابنى »— ولهذا السبب بدات بها عملى فى التلفزة — والكى بالسكين حكاية تعجبنى، اما «الاحمق لايصلح لشىء» (3)، فاسمعها منى واعادت على روايتها اكثر اكتمالا وعنها دونتها فى الكتاب .

---

(1) — دهاء .
(2) — مدينة فى المغرب .
(3) ويسمونها فى فاس حكاية محمد البهل كما اخبرتنى « للاسعدية »

وحين توطدت أواصر الصداقة بيننا كنت أمازحها بلطف واقول لها، لا يمكن ان أغفر لك انك تفضلين حكاية «للا فونويا» على باقى الحكايات، فكانت تضحك وتقول ، « يابنـي افهـم ، الفتـاة اليـوم تذهـب الى المدرسة وتتعلم وتتوظف وعقلها متنور . أما قديما فكان لابد ان تحكى لها حكاية « للا فونويا » ، فان تصرفت البنت أى تصرف اخرق قلنا لها فى سخرية ، أنت تتصرفين مثل للا فونويا ، صدقنى لقد لعبت حكاية للا فونويا دورا كبيرا فى تربية الفتيات ، وليست حكاية للا فونويا فقط بـل كثير غيرها من الحكايات ، لكن للا فونويا كانت اهمها لانها مضحكـة وهزلية ، صدقنى فأنا عجوز ، وقد عشت هذا العصر وعرفته فى صباى وشبـابـى . »

وبجانب سيدة الحكايات للا سعدية والرواه الذين اشرت اليهم ، هناك عدد كبير من الرواة استمعت منهم ودونت عنهم حكايات كثـيره ، وسأبين الطريقة التي اتبعتها أثناء جمع الحكايات وتدوينها ، لكن قبلا ، اود أن أروى حكاية علم الحكايات ، علم الفولكلور ، هذا العلم الـذى ولد على يدى الاخوين جريم منذ حوالى مائة وستين عاما ، اما الحكايات فهى متداولة وحية وموجودة منذ الوف السنين، وقد تناقلها الناس شفاهيا فى كل مكان ، ويبدو أن الادب الشعبى قد عرف اول عصور أزدهاره فى القرن السادس قبل الميلاد فى بلاد الهند والاغريق ، لكن عصر الازدهار الثانى كان أروع عصور الازدهار ، وكان هذا فى القرن الحادى عشر ومـا تـلا ذلك من قرون ، فقد بدأ جمع وتدوين الادب الشعبى .

ففى هذا الوقت ظهرت مجموعة الشاعر الكشميرى « سومادیو »، « ملتقى التيارات لمختلف الحكايات » ، كما تطورت فى مصر مجموعة حكايات الف ليلة وليلة ، واستقرت على الصورة التى هى عليها الان تقريبا ، وفى اوروبا بدأت فى الظهور منذ القرن الثالث عشر ، مجموعات هامة مثـل « مجموعة دى كاميرون » لبوكاشيو ، و « ثلاثة عشر ليلة ممتعة » لسيترابارولا ، ومجموعة «بيتا ميرونى» لشاعر نابولى الكبير «بازيل»، وفى فرنسا ظهرت حكايات « أمى لوى » لشارل بيرو ، وقد استمدها من افواه الشعب مباشرة ، وقد اخذ عنه الاخوان جريم بعض الحكايـات واثبتاها فى مجموعتهما الشهيرة .

وكان الاخوان وليم وجاكوب جريم ، عالمي لغويات وأساطير كبيرين، وقد عملا معا حوالي خمسين عاما في ميادين اللغويات والمأثورات الشعبية واصدرا معا مجموعة حكاياتهما المشهورة ، التي استغرق جمعها وتدوينها أكثر من ست سنوات في جزئين عام 1812 وعام 1814 ، فأحدث ظهورها ضجة كبرى ونجحت نجاحا ساحقا واثرت على فنون الادب الشعبي في كل بلاد العالم ، وما تزال حكاياتها تحمل حتى اليوم الحيوية والجدة التي كانت عليها أيام ظهورها ، بل انها لم تزد في المائة وستين عاما الماضية الا تألقا ، ومازالت فنون الموسيقى والشعر والفن التشكيلي تستمد منها موضوعاتها، ويعتبر «جاكوب جريم» السباق الى تأسيس علم الفولكلور دون منازع حين اصدر كتابه «الميثيولوجيا الالمانية» و «الاجرومية الالمانية»، لكن من الناحية التاريخية يعتبر مع اخيه وليم من مؤسسي علم الفولكلور ومن الرواد الاوائل ، فقد اشتركا في كثير من الابحاث والدراسات . ثم توالت بعدهما الابحاث والدراسات ، وانه لمن الممتع حقا الاطلاع عليها وتتبعها، الا ان ذلك يخرج عن نطاق هذا الكتاب،بل يحتاج لكتاب منفصل ،لكن يجب الالمام ببعض المعارف والمعلومات عن الادب الشعبي بصفة عامة حتى يمكننا أن نقدر تلك الحكايات التي رواها ويرويها الشعب ، فان مزيدا من المعرفة يعني مزيدا من الاستمتاع ، فمن يعرف شيئا عن الموسيقى يستطيع ان يتذوق ويستمتع أكثر بما يسمعه ، ومن قرأ ودرس شيئا من الشعر يمكنه ان يقدر القصيد ويستمتع بالشعر أكثر من ذلك الذي يجهل منه كل شيء ، كذلك الامر بالنسبة لرحلات الفضاء وتفتيت الذرة ، كما هو بالنسبة للادب والفن ، فلابد أن يلم الانسان اليوم بقدر من الثقافة العامة ليستطيع ان ينمو، ويتقدم ويزيد فهمه فمن ثم استمتاعه بالحياة،هذا من ناحية ومن ناحية اخرى، هناك هدف وهو لفت النظر وتنبيه الاذهان الى ادراك ما يشتمل عليه الادب الشعبي من ثراء فني خصيب يتيح لنا ان نستفيد منه في مختلف مجالات النشاط الفني والادبي .

لقد أصبح الاهتمام بالادب الشعبي واجبا قوميا ، ذلك الاهتمام الذي يجب أن يبدأ بجمعه وتدوينه ثم ببعثه وتطويره، لاهمية الادب الشعبي الفائقة الحد ، ذلك الادب الجميل الذي أمكنه أن يبقى وان يعيش ألوف السنين ملتصقا وملتحما بالشعب في قاعدته العريضة ومرحبا به في بيوت التجار والنبلاء وبلاط الملوك والاباطرة ، ومزاحما للادب الرسمي ومتفوقا عليه ، لاننا لو قارنا عصور الازدهار والانحطاط لكل من الادبين لفاز

الادب الشعبى بقصب السبق بسهولة ، ويمكن القول أنه ظل نابضا بالحياة ومشوقا وجذابا واخلد على مر الزمان ، ولا مغالاة فى القول بأن الاهتمام بالادب الشعبي يعتبر أحد العوامل الهامة التى يمكن لها ان تساهم فى تقدم شعبم المغرب العظيم .

واخوف ما اخافه ذلك الراى الغريب وهو ان الادب الشعبى يقصد من الاهتمام به التخدير ومناصرة الرجعية ، وبالعجب فمنذ سنوات قلائل كان ينظر فى مصر لكل مهتم بالادب الشعبي على اعتبار أنه شيوعى أو يسارى على الاقل ؛ والادب الشعبى برىء من هذا الراى وذاك .

فالادب الشعبى ليس له هوية معينة ، فقد قرات كتابا اصدرته حكومة الصين الشعبية اسمه « لا تخافوا الاشباح » ، وهو عبارة عن حكايات عن الجن والعفاريت ، واستطاع الكاتب ان يستخدمها بمهارة يحسد عليها ليملم الاحداث والشباب الشجاعة ، والحكايات كلها عادية جدا تدور حول موضوع واحد ، فلاح أو طفل أو امراة تقابل عفريتا ولا يصيبها مكروه ؛ وليست هناك حكاية واحدة تتضمن اية دعاية سياسية والصين الشعبية كما يقولون دولة شيوعية متطرفة .

وفى الصفحات القادمة دراسة موضوعية لاهم أنواع الادب الشعبى (1) ، الحكايات — وتركز الدراسة على الحكايات وتتبع اصول موضوعاتها وتحللها وتشرحها ، وكان ايرادها ضروريا ليساعد القارىء الكريم على تفهم وتذوق الادب الشعبى ، والاستمتاع بحكاياته القيمة الممتازة وتقدير جمالها .

واذا القينا نظرة على الحكايات فى عصرنا الحاضر لوجدناها تجمع بين القديم والجديد ؛ وبين الحكمة العميقة والخيال الصرف ، وبين الجد والهزل وبين الكثير من المتناقضات والصفات المتباينة المختلفة ، فما هو اصل هذه الحكايات ومن اين استمدت موضوعاتها ؟ ، ومن المهم أن نتعرف على مضمون الحكايات أو موضوعاتها ، ومن بعد على شكلها .

وقد استمدت الحكايات موضوعاتها من **العقائد البدائية القديمة ومن الطبيعة ومظاهرها ومن عالم الحيوان ومن السحر والاحلام ومن العادات والتقاليد وغرائب الحياة** . فقد عرف الانسان فى الازمنة السحيقة الكثير من **العقائد البدائية ، مثل المذهب الروحى والفتشية** .

(1) — تعتمد هذه الدراسة على آراء العالم الالمانى الكبير « فردريش ديولاين » التى اوردها فى كتابه « الحكاية الخرافية » .

والطوطمية ، لكن هذه أسماء اطلقها العلماء علي التصورات البدائية ، اما الانسان القديم ، فلم يكن يعرف عن هذه الاسماء شيئا ، فقد كان الكون وما يحتوى بالنسبة اليه صورا من التعبير عن القوى ، أو رموزا، وللايضاح سنسعرض تصورات بعض المعتقدات القديمة ورواسبها وانعكاساتها على الحكايات .

والمذهب الفتشى أو العقيدة الفتشية كما عاشت عند البدائيين ، تبين انه من الممكن أن تتضمن وتمتلك بعض الاشياء ذات الصلة الوثيقة بالانسان، مثل الاظافر والشعر والدم والبصاق ، والصورة والاسم والملابس الخ ... تتضمن هذه الاشياء وما يماثلها وتكمن فيها قوة الانسان وقدرته ، لانها جزء من كيانه ، وان من يمتلك شيئا من هذه الاشياء ، يمتلك الشخص ذاته ، ويمكن بما يفعله فى هذا الشىء أن يؤثر فى الشخص نفسه .

ففى الملحمة الكلتية « تريستان وايزولد »، تطايرت شعرة ذهبية فى وجه الملك « مارك » ، فأصبح كل هم الملك ان يتخذ من صاحبة الشعرة زوجة له ، وهذا يعنى أن الشعرة كانت تجذب الملك بقوة الى صاحبتها ، اذ ان الشعرة تعد جزءا من كيانها ، وتكمن فى الشعرة جاذبية صاحبتها وقدرتها ، وفى حكايات كثيرة اذا ما نظر انسان الى خصلة شعر انسان آخر ، فانه لا يهدأ له بال حتى يفوز بهذا الشخص نفسه، وكذلك كان كل هم فرعون فى حكاية الاخوين المصرية ان يفوز بالمراه التى حمل اليه التيار خصلة من شعرها ، وفى حكاية مغربية وقف الفارس أمام نبع وأراد ان يسقى حصانه ، نجفل الحصان ولم يقدر ان يشرب ، فترجل الفارس ، ووجد أن لسان الحصان قد التفت حوله شعرة ، ولما اخذ الفارس الشعرة ونظر اليها ، صمم على أن يجد صاحبتها ويتزوجها وهذا الموضوع نفسه نجده كثيرا فى الحكايات الهندية والمنغولية والارمنية.

وكانت قوة شمشون تكمن فى شعره ، وفى كثير من الحكايات تمنح بعض الحيوانات الخيرة البطل الذى ترغب فى مساعدته شعرة من شعرها، وما أن يحرق البطل هذه الشعرة او يمسح عليها بيده ، حتى تجىء الحيوانات اليه وتهرع الى مساعدته،(1) ويحكى فى الحكايات الروسية وحكايات بلاد الشمال انه فى وسع الانسان أن يقيد آخر بشعرة قيدا أقوى من قيد أكثر الاغلال سمكا، وقد تكمن القوة فى العظام، أو فى الدم،

(1) — كما فى حكاية أصدقاء الانسان وعدوه .

وقد تكون القوة فى الرداء أو الجلد أو الريش، ومن ظفر برداء شخص آخر فانه يستحوذ على صاحب الرداء نفسه ، كما فى حكاية الفتيات البجعات (1) ، وتقول الحكاية أن البجعات كن يخلعن ريشهن فيتحولن الى فتيات ، وسلب بعض الرجال أرديتهن من الريش ، فأصبحن أسيرات، ثم هربت البجعات منهم بمجرد أن استطعن استرداد ريشهن قسرا ، وهناك حكاية مماثلة فى الف ليلة وليلة ، وفى حكاية مغربية خلعت «بلارج» (2) ريشها وتحولت الى فتاة جميلة ، وعندما اراد البطل أن يستحوذ عليها عمل خدعة وحرق ريشها فى «مجمر» موقد الفحم فأبقاها فى الصورة الانسانية وأمكنه أن يتزوجها .

وفى حكاية مصرية — اغريقية — ان نسرا او هو فى الاصل حقا « الريح » ، قد غرر بفتاة حتى سلب منها حذاءها ثم قذف به فى حجر ملك، وان هذا الملك لم يهدأ له بال حتى أصبحت الفتاة صاحبة الحذاء زوجة له.، والفتاة لم تقدر أن تهرب من الملك حيث انه يملك حذاءها فكان بذلك يمتلك جزءا من ذاتها ، وربما تسرب موضوع الحذاء الى حكاية وعاء الرماد (3)، وينبغى أن لا ننسى أن الحذاء والقدم استحوذا منذ اقدم العصور على قوة لها أثرها على الحب . وفى حكاية مغربية «مولاى على فحيح» (4) تصبح الاميرة من نصيب الفارس الذى رمت له منديلها بالرغم مما قابله من مصاعب وعقبات .

ومن اهم معالم الفتشية كذلك ، تلك الفكرة التى انتشرت عند كثير من الشعوب، والتى تقول ان كيان الانسان يعيش فى صورته ، وان من يمتلك صورة شخص يمتلك القدرة التى يؤثر بها فى ذلك الشخص ، وفى العصور الوسطى كانت الساحرات يزعمن القدرة على ايذاء شخص بأن يلحقن الاذى بصورته ، ونحن نعرف من طقوس الصيد عند ابدائيين ومن شواهد العصر الحجرى — رسومات الكهوف — ان الانسان كان فى وسعه ان ينجح فى قتل الحيوان بأن يطعن مسبقا صورته بالرمح فى موضع معين، وعند الصيد يصيب الرمح الحيوان فى ذلك الموضع بسهولة .

وفى حكاية « يوحنا » من مجموعة « جريم » راى البطل صورة

(1) — حكاية خرافية فرنسية .
(2) — حكاية بلارج منشورة فى الكتاب .
(3) — حكاية سندريلا ، أو « سندريون » المعروفة .
(4) — ستنشر فى الجزء الثانى من الكتاب .

الاميرة ولم يهدأ باله حتى فاز بها ، وقد رفضت الاميرة كل الخطاب قبل ان يظهر الامير ، لانها رأت صورته فى حلم ، ومن ثم قد أحبته ، وتزوجها . وهناك عدة حكايات طويلة مماثلة فى الف ليلة وليلة .

والمرآة مثل الصورة ، تمتلك قوة سحرية لانها مسطحة وينعكس عليها العالم بأسره ، ويمكنها ان تحتوى على صورة الانسان وان لم تحتو عليها فى الحقيقة ، وكم دهش الانسان البدائى حين راى نفسه لاول مرة فى المرآة الاولى ، وهكذا كانت صورة المرآة بحق أول الامـر صـورة روحية للانسان ، وبعد ذلك اصبحت المرآة شيئا يستطيع ان يخفى العالم بأسره داخله ، ومن ثم استطاعت المرآة ان تعرف خبايا الامور ، وبهذا تكونت من المرآة البسيطة مراة الحكاية الخرافية السحرية ، وفى ارقـى البلدان الاوروبية اليوم يوجد من يزاول مهنة التنبؤ بالغيب عن طريـق البللورة السحرية !

وكذلك اسم الانسان فانه يحتوى على كيانه وقوته ، والامر كذلك ايضا بالنسبة لاسم الكائن المهول أو الحيوان او الجهاد .

وكل من يعرف اسم كائن يكون له سلطان عليه ، ففى اسطـورة «بارسيفال» عندما علمت «ألزا» اسم البطل « لوهنجرن » ، تحطمت قوته الخارقة، وهناك مثل المانى يقول «اذا مانطق الانسان باسم الذئب جاء يعدو » ، ومثل مصرى يقول « جبنا سيرة القط جه ينط » ، وفـى حكاية على بابا والاربعين حرامى ، كان مجرد معرفة الاسم كافيا لينفتح الكهف اذا ما نطق أحد « افتح ياسمسم »، وفى حكاية مغربية «بعيدا عن الانثى » (1) حين نادى البطل أصدقاءه الحيوانات بأسمائها ، أسرعـت اليه وانقذته من أعدائه .

وكذلك يتسبب لمس اشياء معينة فى ظهور الصفة الخاصة بالكائن، فكانت الشعوب البدائية ان ارادت أن تستجلب المطر فانها ترش المياه على الارض ، وان ارادوا أن يثيروا العاصفة والريح ، كانوا يلطمـون سطح ماء بركة بفرع شجرة ويقذفون الى البركة بالاحجار ، وكذلك هناك اشياء اخرى كالاشجار والزهور والخواتم وغيرها ، تشاركنا حياتنا ، فاذا افترق اخوان فان احدهما يدفع بسكين فى بطن شجرة ، وبهذه الطريقة يمكنه أن يعرف ما يحدث لاخيه ، كذلك تشير الزهور التى تذبل الى مرض

(1) — حكاية منشـورة فى الكتـاب .

انسان أو موته ، كما فى حكاية مولاى محمد الكاس المغربية ، وفى حكاية مغربية أخرى « الاخوان » أعطى ألاخ لاخيه خاتما وبين له انه ان سخن الخاتم فى اصبعه ، فمعنى ذلك انه فى خطر ، واحيانا ينطق شىء يملكه شخص آخر ، كما نعل المهراز الذى تمتلكه الغولة لينبهها الى هروب البنات الصغيرات فى حكاية « سبع بنات » المغربية، ذلك لان المهراز ينتمى الى الغولة فيكمن فيه جزء من قوتها السحرية .

فالقوة والقدرة تكمن فى الشعر أو الدم أو البصاق او الرداء أو الاسم او فى أى شىء ينتمي للشخص او للكائن بصلة ، ففى العقيدة الفتشية يتمثل الاحساس بالرابطة العميقة بين الافراد والاشياء التى تكون مقدرة من قبل ويتحتم بعد ذلك تحقيقها ، وهذا يبدو لنا بوصفه احدى الملامح الاساسية فى الحكايات الخرافية بصفة عامة ، وهذه الموضوعات قديمة فى خصائصها وهى تنتمى الى عالم كان التفكير الرمزى فيه قويا للغاية ، ووراء هذا التفكير يقف الاحساس بنظام هائل يشمل عالم الانسان ، وتنعكس تصوراته فى الحكايات ويجب علينا ان نتواضع ولا نعتبر هذه الافكار الرمزية للانسان القديم غريبة للغاية ، فاننا نعرف فى عالمنا اليوم ما يشابه هذه الافكار أحيانا ، وحسبنا ان نذكر الاثمان الباهظة التى تصل اليها الاشياء التافهة التى كانت يوما ملكا للشخصيات المشهورة ، أو القيمة الرمزية الكبيرة التى يضفيها القواد الحربيون على عصا المرشالية الخ..

وكان **المذهب الروحى** كذلك احد المعتقدات القديمة ، يقول عالم الاجناس الكبير تايلور ، « كان المذهب الروحى معتقدا بدائيا واسع الانتشار ، فقد كانوا يعتقدون ان شيئا غريبا أشبه بالخيال يعيش فى الانسان هو الروح، وهو موجود وحبيس داخل الجسد طالما كان الانسان مستيقظا ، حتى آذا نام الانسان ترك الروح الجسد وخرج منه وهام طليقا وطار وعاش تجارب غريبة هى الاحلام ، ثم يرجع الروح ويدخل الى الجسد فيستيقظ الانسان ، وفى نهاية الحياة ينفصل الروح عن الجسد الى الابد لكى يهيم فى العالم أو لكى يتقمص جسدا آخر ، وفى هذه الحالة يموت الانسان ، وأغلب تصور للروح شيوعا لديهم هو تصورها فى صورة طائر وربما يرجع هذا الى إعتقاد الانسان أن الروح شىء خفيف الوزن ، اذ أنه يقدر على الطيران فى الاحلام .

ونحن نجد الروح فى شكل طائر فى اعتقادات قدماء المصريين ، وفى

الحكاية الخرافية الالمانية « مخاندل بوم » — مجموعة جريم — وهي تحكي عن زوجة الاب القاسية التي تقتلت طفل زوجها ، وقد عوقبت بعد ذلك بحبسها داخل المنزل حيث قتلت شر قتلة ، في هذه الحكاية تحولت روح الطفل الصغير الى طائر اخذ يتغنى بالالم الذى قدر له ان يقاسيه : وفي كثير من الحكايات الهندية يتحول الانسان الى صورة طائر ، وفي حكاية مغربية(1) حولت امراة الاب القاسية ابنة زوجها الى حمامة، بان غرزت ابرة مسحورة في راسها ، وقد تظهر الروح أحيانا في صورة فأر او افعى، وكثير من الحكايات تلعب فيها الافعى دور الحيوان الروح ، فلقد لاحظ الانسان البدائي أن الحية تخرج من باطن الارض وتزحف على سطحها : وكان مستقر أجساد الموتى دائما هو باطن الارض .

وتصورت المجتمعات البدائية كذلك أن الروح تتقمص المظاهر والقوى الطبيعية ، فتصبح شخوصا وتعد كائنات انسانية الملامح ، ففي حكاية يذهب البطل ويقابل السيدة الشمس ، وفي حكاية مغربية يخطف البرق (2) فتاة ويذهب بها الى قصره في السماء ، والريح تحمل في حكاية المانية الاميرة الى قصرها المسحور ، ونجد في الحكايات الاشجار تتكلم والصخور تنطق الخ . . . لان هذا الاعتقاد في تقمص الروح للطبيعة ومظاهرها انتشر انتشارا واسعا مذهلا وما يزال يعيش بعضه حتى اليوم عند الجماعات البدائية .

وكان الحيوان من أهم الاصول التي استمدت منه الحكايات موضوعاتها ، والمقصود حكايات كثيرة وفيرة العدد لدرجة مذهلة ، فقد عاشت البشرية في مرحلة الصيد قرونا طويلة ، وكان الحيوان زميلا للانسان فوق الارض ، ومن المؤكد أن عددها كان كبيرا جدا ويفوق بالوف الاضعاف عدد هذه الجماعات الانسانية التي كانت موجودة في ذلك التاريخ القديم .

وكان العصر عصر الصيد ، والحطابين ، ولذلك نجد حكايات عن الحطاب لا يمكن حصرها منتشرة في كل مكان ، وهي تعكس واقعا معاشا لجماعات الحطابين القديمة . لكن لعل حكايات الحيوان الشارحة المفسرة اكثر قدما ، تلك الحكايات البدائية في شكلها ومضمونها ، والتي تعتبر أدب وعلم البدائيين الذى يعتمد على الملاحظة قبل كل شيء .

(1) ، (2) حكاية البرق منشورة في الكتاب .

وهذه الحكايات التى تعلل وتفسر أوفر عددا واكثر انتشارا من حكايات « الحطاب »ومعروفة لدى كل الشعوب فى جميع أنحاء العالم ، وهى تشرح وتعلم وتحكى وتسلى فى نفس آلوقت ، مازجة هذه الاغراض مزجا بديعا وانه لمزج عجيب ، وهو محير فى بعض الاحيان ، لكنه حى ومثير وجذاب .

تحكى هذه الحكايات مثلا ، لماذا كانت السلحفاة بطيئة الحركة وبالارنب شفة مشقوقة ولابن آوى لونا مخططا ، ولطائر اللقلاق منقارا أحمر ، ولماذا ينعق الغراب ، ويمتلك الجمل اذنين صغيرتين ... الخ .

ومما يذكر على سبيل التعليل والتفسير ، أن السلحفاة طار بها النسر حسب رغبتها ، وأطبقت بأسنانها على عصا يحملها النسر الذى أمرها بالصمت ، لكنها تكلمت وفتحت فمها ، فوقعت وتكسرت عظامها ، ولذا فهى بطيئة الحركة ، وان القمر صنع الارنب على وجهه لانه ابلغ رسالة خطأ فانشقت شفته ، وان ابن آوى أراد ان يسرق الشمس فاحترق جاده وصار لونه مخططا من الاحتراق، وان اللقلاق حمل النار من السماء فحرق منقاره؛ وان الغراب ثائر لان صديقا اهوج أغضبه ، ويمتلك الجمل اذنين صغيرتين لانه لم يكن قنوعا وأراد ان يمنح قرونا فعوقب على ذلك ، الخ ...

وقد راقب الانسان الحيوان وعاش معه آمادا طويلة ، واستكشف الكثير من طباعه وغرائبه ؛ والناس الذين ارتبطت حياتهم بحياة الحيوان ارتباطا قويا ، وفى مقدمتهم الصيادون ، كانوا يبجلون الحيوان ويخشونه لقوة عضلاته وسرعته وقوة غرائزه وثقته بنفسه ، فالكثير من الحيوانات أقوى من الانسان ، ولابد أن يخافها الانسان ويخشى غضبها وهجومها، ففى تلك الازمان السحيقة لم يكن الصيادون هم البشر وحدهم ؛ لان الحيوان كان يقوم بنفس الدور ويصبح الانسان هو الفريسة .

ويرجع كثير من الاساطير اصل بعض الجماعات الى الحيوان ، وقد احتفظ عدد كبير من القبائل البدائية وكذلك بعض الاجناس فى الحضارات الراقية بصلتها بالحيوان . فعند الجرمانيين يرتبط جنس « اليلفنج » الشهير بالذئاب ؛ واسم بطل الملحمة الانجليزية الشهيرة « بيوولف » التى ظهرت فى القرن الثامن الميلادى يبين ذلك ، وكان المصريون القدماء يصورون معبوداتهم فى صور تحمل رسوما للحيوانات وكانت كثير من

المعبودات البابلية نصفها انسان ونصفها حيوان ، وقد تلد بعض النساء في الحكايات حيوانا ، والبطل « ايفان » في الحكايات الروسية كان ابنا لبقرة ؛ وكثير من ابطال الحكايات المختلفة رضعوا في الغابات من اناث الذئاب أو الاسود الخ ...

ولا يزال عبير ذلك الماضي البعيد يصل الينا ، ففي وقتنا الحاضر يعتبر الاسد رمزاً للدولة البريطانية والنسر الامريكي رمزا للولايات المتحدة ومن الاسماء الانسانية نجد اسم السبع والنمر والضبع والفار والقط ... الخ.

وربما كانت هذه التصورات الانسانية البدائية التي تسربت في قوة ووفرة وغزارة الى الحكايات سببا يدفع للظن أن الحكايات كانت بالنسبة لتلك المجتمعات تغلغلا في المراحل الاولى لاصلهم ومحاولة جادة لاستكشاف ماضيهم .

وتحكي حكاية رائعة من حكايات الهنود الحمر ، عن جدهم الكبير « أولال » وتبين كيف تركهم ورحل الى السماء ، بعد أن وعد عشيرته بالعودة الى الارض مرة أخرى بوصفه ابنا للشمس ، وستصير عندئذ كل الحيوانات حامية له ، وعندما رجع « أولال » ، ساعدته كل انواع الحيوانات ، حتى الوطاويط والفئران كذلك ، والحكاية اسطورة قديمة اصيلة ، لكنها تشرح في الوقت نفسه خصائص كثيرة وصفات متنوعة لعدد كبير من الحيوانات المختلفة بالتفصيل وبدقة تامة ، وذلك وفقا لسلوكها من خلال عملية انقاذ « اولال » .

وكانت تصورات الانسان القديم أن الحيوان يعيش في عالم قائم بذاته، وغالبا ما تكون صورة ذلك العالم شبيهة بعالم الانسان ، ذلك ان الانسان القديم استأنس ودجن وروض كل الحيوانات التي عاش معها ، استأنسها في خياله وتصوراته قبل أن يستأنس بعضها في عالم الواقع ، واضفى على عالم الحيوان طابعا انسانيا ، ولذلك نجد الحيوانات في الحكايات ، تماما كما هو الشأن في عالم الانسان ، تكيد المكائد وتتصارع ويخدع بعضها البعض وتمزح وتهزل ، وتغضب وتحزن وتتقاتل ، وتتزوج ، وتتصاحب الخ

وكثيرا ما تحكي الحكايات عن الطيور التي تضع البيض الذهبي او الجواهر وعن الافعى التي تمتلك العشب الذي يتيح الخلود للانسان ؛ وهذه كلها آمال واحلام انسانية .

وحكايات الحيوان الوفيرة والتى لا يمكن حصرها ، احتفظت بحيويتها وجاذبيتها وجمالها الغريب على مدى الزمان ، وبداية ظهورها يرجع دون شك لاحقاب موغلة فى القدم ، تسبق حضارة بابل ومصر القديمة .

وقد أعطى الاغريق لهذه الحكايات شكلا جديدا وصاغوها صياغة فنية رفيعة ، وهكذا نالت حكايات « ايزوب » اعجابنا وتقديرنا .

لكن الحكايات الهندية عن الحيوان اقدم واروع، واستطاعت أن تفوز بقصب السبق عن جدارة وقد قدمت الحكايات الهندية فى شكل جديد وصياغة رائعة ، قدمها الفرس والعرب ، فى صورة عجيبة أذهلت العالم، فى الكتاب القيم « كليلة ودمنة » .

وكذلك قدم « لافونتين » بعض الحكايات الهندية فى شكل جديد حين اطلعنا على خرافاته الجميلة .

وكانت **الطبيعة** التى يعيش الانسان فى رحابها ويتأثر بمظاهرها وتقلباتها شغل الانسان الشاغل ، فلم تقتصر الحكايات الشارحة والمفسرة على عالم الحيوان فقط ، بل تعدتها الى الظواهر الطبيعية .

وتحكى حكايات كثيرة عن الشمس والقمر والليل والنجوم والماء والنار ، وتبين الحكايات أن الشمس كانت تود أن تظل مشرقة على الدوام ، فطلب الانسان مساعدة الليل ، فحجب الشمس واجبرها أن تغرب ، وتصور الحكايات التترية والسيبيرية الليل فى صورة وحش هائل يستقر فكه الاسفل فى الارض ويصطدم فكه العلوى بالسماء .

وكثير من الحكايات تحكى عن القمر الذى اثار خيال البدائيين لدرجة كبيرة ، فالقمر عريان لانه لا يتلاءم معه أى لباس نتيجة تقلبه بين الزيادة والنقصان، ويتحطم القمر كل شهر وتصنع النجوم من حطام القمر القديم، وفى حكاية ، ان القمر كأن يلاحق الشمس بمغازلاته فغضبت الشمس ولطخت وجهه المستدير بالرماد لكى يدعها فى هدوء ، ومنذ ذلك اليوم والقمر يحتفظ بتلك البقع على وجهه .

وفى حكاية افريقية ، اتفقت الشمس والقمر على أن يطرحا اولادهما فى الماء ، لكن القمر خدع الشمس والقى بكيس مملوء حجارة فى الماء ، ولذلك كانت الشمس وحيدة فى السماء ؛ اما القمر فانه يسير فى صحبة اطفاله النجوم اثناء الليل تحت القبة الزرقاء .

وكانت السحب فى الازمنة القديمة اجنحة للجبال وتوزعت الجبال بمساعدتها فى كل مكان لكن السحب لم تنس اصلها ولذلك تنجذب السحب الى قمم الجبال .

وتبين الحكايات ان الماء كان فى البداية فى السماء ، ثم تجرأ بطل فى الذهاب الى هناك وهبط به الى الارض ، او أن المياه كانت فى باطن الجبال وشق بطل شجاع الجبل فتدفقت المياه من الشقوق ، وأن الانسان سرق النوم من حيوان الضب الذى ينام دائما . وهناك حكايات كثيرة عن النار وكيف جاءت الى الارض ولماذا تنطفىء ، وحكايات عن النبات والاعشاب والاشجار ، فتلك الحكايات التى استمدت من الطبيعة موضوعاتها كثيرة ووفيرة ويصعب حصرها .

ولقد عرفت المجتمعات البدائية والحضارات القديمة **السحر** ، وكان الساحر شخصية هامة متميزة بأعمال كثيرة ، منها مهمته كطبيب يعالج الامراض التى كان الظن انها أرواح شريرة تسكن جسم المريض ، وعليه ان يخرجها من الجسد لينال المريض الشفاء .

ومهمته ايضا أن يستنزل المطر اذا تاخر وأن يقاوم الكوارث الطبيعية كخسوف الشمس وخسوف القمر ؛ والعواصف والرعد والبرق ، وان يسترضيها ؛ وبيده احيانا أن يقرر بقاء الجماعة او رحيلها ، واقدامها على الحرب او جنوحها الى السلم ، واحيانا يحوز الساحر القدرة على مسخ الانسان فى صورة حيوان او فى شكل حجر ، ويمكنه أن يفعل العكس كذلك .

ويحكى الاغريق عن الساحرة « كيرك » التى كانت تسحر المسافرين والبحارة وتمسخهم فى صورة حيوانات .

ونحن نعرف حكايات كثيرة عند قدماء المصريين عن فنون السحر والسحرة وعن قدرة السحرة المصريين على تحويل انفسهم الى هيئة حيوانات عندما يقتفى الناس أثرهم ، وفى حكاية « بروشيوس » الشهيرة فى « الاوديسا » يحدث نفس الشىء ، وكذلك الامر فى الحكايات الشرقية والجرمانية ، وكما فى حكاية مغربية « بعيدا عن الانثى (1) » ، حين يتحول الغول الى اشكال حيوانات مختلفة وهو يطارد المراة وابنتها .

(1) — منشورة فى الكتاب .

وفى « الف ليلة وليلة » حكايات كثيرة عن السحرة الذين يمسخون الانسان الى صورة حيوان ويمكنه ان يسترد صورته الانسانية عن طريق قيامه بأعمال معينة كمساعدة البطل او ان يقوم شخص آخر يمتلك قوة سحرية بتخليصه من هذا المسخ .

وتنتشر بكثرة لا مثيل لها سلسلة موضوعات عن الهروب السحرى فى عدد كبير من حكايات الشعوب المختلفة ، والتى تتلخص فى ان شخصين يهرب أحدهما من الاخر ويكون عارفا بفنون السحر ، والذى يطارد الهارب يكون غالبا غولا او عفريتا او حيوانا ، وعند ذلك يرمى الهارب قطعة خشب فتنبت غابة ثم يقذف حجرا ، فيتكون منه جبل عال ، ويسقط قطرة ماء فتتحول الى بحر قد يغرق فيها الغول او العفريت .

وقد أستمدت الحكايات من «**الاحلام**» موضوعاتها، فقد ظن القدماء انهم يستطيعون بواسطتها ان يعرفوا الغيب والمستقبل ، وكانت شعوب الحضارات القديمة كالمصريين والبابليين والهنود تؤمن بالاحلام التى تتنبأ بالمستقبل ويرون فيها حقيقة تنبؤية ولعل مئات الكتب عن الاحلام فى ايامنا الحاضرة تشهد بأن هذا الاعتقاد لم يختف بعد .

وكان سكان جزيرة كتشاكا البدائيون شمال جزر اليابان يضفون على الحلم قوة البرهان وتحكى حكاية ان بعض سكان هذه الجزر قد أخبروا فتاة برغبتهم فى الحصول عليها كزوجة لواحد منهم ، وانه سبق له ان حصل عليها فى الحلم ، وبناء على هذا الحلم عدلت الفتاة عن رفضها الاول وقبلت الزواج به ، وتعد خيانة المرأة فى الاحلام عند بعض البدائيين دليلا على خيانتها الحقيقية ، كما ان الحلم عند بعضهم اقوى حجة من اقوال الشهود .

ويقول الاديب الكبير «دستيوفسكى»، «قد تكون الاحلام حقيقة فنية صادقة وغاية فى التعقيد ، ولا يدرك كنهها ، ومثل هذه الاحلام مثل القصص ، عالم مكتمل من الاحداث يرتبط بالخفايا الدقيقة والتفصيلات غير المتوقعة ، مبتدئة بأرقى صور حياتنا حتى ادناها ، الى درجة ان « تولستوى » نفسه — وانا اقسم على هذا — لم يكن ينجح فى تصورها ومثل هذه الاحلام لا يراها الكتاب والمثقفون وحدهم بصفة خاصة ؛ وانما يراها فى بعض الاحيان اكثر الناس بساطة وكذلك طبقة الموظفين ورجال الدين ».

وكثيرا ما تقودنا الحكايات الخرافية الى موضوع الليل . ويتكرر فى كثير من الحكايات ان تتزوج الفتاة بحيوان او غول ، لكن الزوج يتحول فى اثناء الليل الى انسان ، ولا يحق للزوجة ان تلقى عليه ضوءا ، فان فعلت ، اختفى الزوج ، كما فى حكاية « الحب والروح » الرومانية ، وكما فى حكاية « ميلوزيــن » التى اعاد « جوته » كتابها . وكذلك فى حكايــة مغربية «فاطمة بنت الحطاب»(1) وغالبا مايكون الزوج غولا فى الحكايات الكلتية وشيطانا فى الحكايات الاوروبية وجنا فى الحكايات العربية ، وهذا زواج فى الحلم لانه يتم فقط اثناء الليل. وفى الحلم ينال الانسان صورة محبوبته ، فاذا استيقظ فى النهار فقدها . وهناك احلام اليقظة التى قدمت موضوعات كثيرة للحكايات ، ويبدع خيال الانسان الذى يعيش فى الغابة أو الصحراء او البقاع الثلجية أشكالا غريبة ، وتقدم لنا حكايات النرويج واسلندة نماذج عديدة تنشأ من تاثير الطبيعة الهائل ، كما ان وقت الظهيرة بحرارته الخانقة يجعل رعاة منطقة البحر الابيض المتوسط يعيشون فى نزع من أشباح الظهيرة . وكذلك تلك الاشكال من عفاريت ومردة وجن وشياطين التي يعرفها العرب ، ليس مردها الخيال فحسب وانما هــى تتضمن واقعا خاصا ومعاشا فى انحاء الصحراء الشاسعة . فالخيال فى هذه الاحوال يمتزج مع الواقع وتنبثق منهما اشكال غريبة وعجيبة .

ويروى عالم الفولكلور السويدى « جونز جرانبرج » فى بحث له عن « اشباح الغابة فى التراث الشعبى المتاخر » ، مثلا لذلك ، فقد ذكر انــه فى بعض مناطق الغابات التى لا يعيش فيها احد سوى قاطعى الاخشاب وحارقى الفحم والصيادين ، لا يظهر شبح الغابة الا متخذا صورة امراة شابة جميلة، وان تكن قبيحة من الخلف، وتبين الحكايات انها تعيش داخل الاشجار وتخرج منها ، اما فى مناطق الغابات التى يحلب فيها الحيــوان والتى لا تعمل فيها غالبا الا النساء الحلابات ، فغالبا ما يظهر شبح الغابة فى شكل كائن ذكــر .

وقد تركت العادات والتقاليد الخاصة بالحضارات وبكل الازمنــة آثارها فى الحكايات الخرافية ، فمثلا عرفت كثير من المجتمعات البدائية عادة اختطاف العروس وكذلك عادة شرائها ، ونحن نجد الكثيرين مــن ابطال الحكايات الخرافية يختطفون الفتيات ثم يتزوجون منهن ، ولهــذا يخفى الاباء فى الحكايات البنات داخل قلعة أو قصر ويحجزونهن حتى لا

(1) ــ وكما فى حكاية مــولاى احمد القنديل المنشورة فى الكتاب .

يراهن انسان ؛ وينبغي على الفتاة فى أحوال كثيرة ان تظل داخل القصر او القلعة حتى تتزوج أو يختطفها البطل .

اما عن عادة شراء العروس ، فيصادفنا فى الحكايات تكليف الاباء لخطاب بناتهم بالقيام بأعمال شاقة ، فالبطل يتحتم عليه أن يهيء ارضا خصبة أو يجتث او يبنى قصرا او يحضر دوابا محملة بالمال الخ ..

ونجد كذلك فى الحكايات الخرافية تلك العقوبات القاسية ؛ فالشرير او المذنب تربط يداه وساقاه فى أربعة أحصنة ثم يقاد كل حصان فى اتجاه، او هو يسلق أو يشوى او يحرق، والي غير ذلك من العقوبات،وكل هذه العقوبات ليست مجرد خيال أو من صنع الحكايات الخرافية وانما هى مأخوذة من قانون العقوبات الحقيقى عند الكثير من المجتمعات البدائية ، فقد كانت العقوبات قاسية ، وليس لنا ان نتعجب ، فالرومان اخترعوا عقوبة الصلب ؛ وكان الترك يقتلون العصاة فوق الخوازيق ، واخترعت محاكم التفتيش الكثير من العقوبات المرعبة التى لا تخطر على بال البدائيين ولم يمض زمن بعيد على حرق « جان دارك » .

وكثيرا مانجد فى الحكايات اطفالا يتركون فى الغابة بغية التخلص منهم ، او يسلمون للموت بطرق اخرى ، ويقوم بالمهمة عبد او خادم ، واحيانا يشفق ويرحم ، فيبلا قصبة بدماء حيوان ويدعى أنه ذبح الطفل، او يوضع الطفل فى صندوق ويرمى الى الماء الخ ...

والتخلص من الاطفال كان يحدث فى الواقع كثيرا، ففى ايسلندة ولدى جميع الشعوب الجرمانية كان من حق الاب ان يتخلص من الطفل الرضيع اذا كان يبدو ضعيفا وهزيلا ، وعرف العرب فى الجاهلية واد البنات ، وقد نهى عنه الاسلام وحرمه ، وتتخلص الكثيرات من الامهات غير الشرعيات فى عصرنا الحاضر من اطفالهن بطرق مختلفة . وعرفت بعض المجتمعات البدائية عادة اكل اللحوم البشرية ، وكان تصورهم أن الانسان يستأثر لنفسه عن طريق اكل اللحوم البشرية بما لدى غيره من القوة والقدرة ، وينعكس أثر ذلك فى الحكايات الخرافية ، فتلتهم المردة والغيلان لحم الانسان وخاصة لحم الاطفال الذى يطلبه الغول أو الغولة ، فقد ارادت الغولة فى الحكاية الالمانية ان تأكل « هانزل وجرتيل »، وفى حكاية حديدان الحرامى أرادت الغولة بكل وسيلة أن تأكل « حديدان » وهو أصغر اخوته، وفى حكاية سبع بنات تحاول الغولة ان تاكل اصغر البنات ، وفى كثير من

الحكايات تقول الغولة، «اندير لحمك فى ضغمة ودمك فى جغمة الخ» (1) وكذلك عرف الكثير من الشعوب عادة التضحية البشرية ارضاء للمعبودات لكى تسالمها وتساعدها ، واحتفظت حكايات كثيرة باثار هذه العادة : فيحكى دائما عن كائن مهول ، تنين او غول او مارد يجب أن يقدم له كل يوم أو كل عام انسان ؛ حتى يقع الاختيار على ابنة الملك ويجىء البطل ويقضى على الكائن المهول وينقذ ابنة الملك الخ...

واستمدت الحكايات موضوعاتها من الكثير من العادات التى لا يمكن الاشارة اليها باكملها ونكتفى بما أوردناه .

ولقد احتفظت الروايات المتناقلة والادب بغرائب الحياة اليومية وغرائب الانسان العادى ، وما يزال بعض هذا يعيش فى الحكايات الخرافية حتى اليوم ، فاذا تميز شخص بذكاء نادر او حس دقيق أو اشتهر بغباء غير عادى أو اصابته مصيبة غريبة أو جرت له حادثة عجيبة، فان الحكايات فى العصور المتأخرة كثيرا ما تتوسع فى هذا كله وتنميه ، وتنسب الحكايات بعض الحوادث الى شخصية مشهورة ، او تخترع لها شخصية مثل جحا ، فتحكى حكاية عن الصبى الذى كلف بحراسة الباب ، فخلع الباب ، واخذه معه ليحرسه ، أو عن الغبى الذى ضرب صديقه بفأس على وجهه ليصيب ذبابة كانت تقف على وجه صديقه ، او تحكى عن القرود التى قيل لها ان تسقى الاشجار من جذورها فخلعت الاشجار ، لكى تعثر على الجذور ، او تحكى عن شاب كان ينبغى عليه ان يحمل وعاء مملوءا زيتا وأن يحمله فى حذر اذ كان به ثقب ؛ فلما حاول الشاب أن يبحث عن الثقب ، انقلب الوعاء وسال الزيت كله ، وحكاية «الاحمق لا يصلح لشىء (2)» تتضمن أحداثا مماثلة لكن فى صورة رائعة لان الحكاية تربط فى سلاسة وبساطة بين أحداث كثيرة مرحة وتنسبها لشخص واحد .

ومن أجمل الحكايات، الحكاية الثامنة من حكايات اليوم الثامن فى كتاب « ديكامرون » لبوكاشيو ، وتبين ان امراة كانت تعشق أحد الفرسان ، وفى يوم أراد الفارس أن يزورها ، فأرسل اليها تابعه ليخبرها بقدومه ، ونال التابع اعجاب المراة ، فحاولت اغراءه ؛ وفى هذه اللحظة جاء الفارس فخبأت المرأة التابع وانكرت انها راته حين سالها الفارس

(1) — المعنى انها تاكل لحمه وتشرب دمه .
(2) — حكاية منشورة فى الكتاب .

عنه ، ونجاة جاء زوج المراة فلم تضطرب وأمرت الفارس أن يندفع الى الخارج شاهرا سيفه وهو يسب ويلعن وينذر بأنها ستتحمل مسؤولية ما حدث ، وعندما سألها زوجها مندهشا عن سبب ثورة هـذا الـفارس ووجوده فى بيته ، اسرعت واخرجت التابع من مخباه وقالت ازوجها ، انها انقذت واجارت هذا التابع حين رات سيده الفارس يطارده ويبغى قتله. ويمكن أن يتحول الفارس الى ضابط والتابع الى جندى او رجل وابنه او عم وابن اخيه او تاجر ومساعده الخ .. والحكايات كلها تشير الى ذكاء شخص غير عادى ، يتخلص من مواقف معقدة .

ومن تصفح فى عناية الصحف المعاصرة لصادف دائما مثل هـذه الحكايات ؛ فالحياة تقدم الكثير من الحوادث الغريبة ، وقد وجدت هـذه الحوادث دائما طريقها الى الحكايات .

وقد امكن للمجتمعات القديمة ان تحقق رغباتها بحق فى الحكايات الخرافية ؛ تلك الرغبات التى لا يمكن ابدا ويستحيل تحقيقها فى الحياة الواقعية ، ففي الحكايات نجد الموائد تمتلىء دائما من تلقاء نفسها بما لذ وطاب من الماكولات (1) واللحوم واطاييب الطعام التى لا تنفذ ابدا ، وبالاسلحة التى تصيد دائما او السيف الذى يمكن لمن يحوزه ان يقتل جيشا بأكمله ، والطيور التى تضع بيضا من الذهب او الاحجار الكريمة كما فى حكاية«طائر الحكمة»المغربية ، والخواتم الذى يستطيع الانسان بواسطتها — ويخدمها جن او مارد — ان يحصل على ما يريد ويتمنى . والبساط الذى يمكن أن يطير بالانسان الى أى مكان ، كل هذا وغيره يرجع الى احلام الانسان ورغبته فى تحقيق هذه الاشياء المستحيلة ، وعندما عجز عن ذلك فى حياته الواقعية ، حققها فى حكاياته الخرافية .

كانت هذه هى الروافد الهامة التى استمدت منها الحكايات موضوعاتها ، وانها لمختلفة ومتباينة ، وغنية وثرية ومعين لا ينضب لخلق عمل فنى ممتاز، فغرائب الحياة اليومية والحوادث العجيبة وفيرة ومشوقة وتتدفق عبر الايام والسنين ، مضمونة الاستمرار مادام الانسان يدب على الارض .

والتصقت وتلاحمت موضوعات الحكايات مع الحياة الانسانية اصدق تلاحم والتصاق ، فانصبت فى وعاء الحكايات الذى لا حد لسعته ، مادات

(1) — حكاية الطائر الازرق

الانسـان وتقاليده؛ وكم كانت كثيرة وغريبة ومتنوعة ، لانها جاءت عبـر العصور المتباينة ؛ مرورا بأقدم المجتمعات البدائية حتى أرقى الحضارات، وانعكست كذلك على موضوعات الحكايات أحلام الانسان وآماله وإهدائه وقدم الخيال المساعدة ، فاخترع البساط الذى يطير وغطاء الراس الذى يخفى من يلبسه عن الانظار ؛ والموائد التى تمتلىء بالطعام بدون تدخل الانسان والكيس الذى لا يفرغ من النقوذ ؛ والطيور التى تبيض بيضا ذهبيـا الـخ ...

وكان تأثير مرحلة الصيد التى عاشتها الجماعات الانسانية لحقب طويلة تأثيرا شديدا وكبيرا ، وأمد الحيوان وعالمه موضوعات الحكايات بمواد وفيرة، والقت تلك التصورات الموغلة فى القدم بظلها على الحكايات.

لقد كان الادب الشعبي والحكايات أهم أنواعه . أقرب لما نسميه اليوم ؛ بالمدرسة الواقعية فى الادب . فقد انعكست حياة الانسان انعكاسا واضحا ومعبرا فى حكاياته . وتحليل الحكايات العلمى . أتاح لنا أن نكتشف الكثير من تاريخ الانسان القديم وعالمه الروحى .

لكن هذه العناصر الوفيرة التى كانت أصول موضوعات الحكايات ، لم تكن قادرة وحدها أن تخلق اى عمل فنى ، فمن ابدع هذه الحكايات ؟ من هو الفنان الاول ؟ فنحن نعرف أن أقدم الحكايات ، هى تلك الحكايات التى تفسر وتشرح وتعلل ، وهى ليست سوى عرض قصير ، أو اجابة مفاجئة عن سؤال مفاجىء ، وهذه الحكايات التى تتحدث عن خصائص الانسان والحيوان والارواح والاشجار والارض والسماء والبرق والرعد الخ ، وهى تفسر أكثر مما تحكى ، ولا تشير الى الشخوص التى تعيش التجارب، وانما تتكلم عن الموضوع نفسه، عن الحدث فالعرض فيها اكثر علميـة واكثـر موضوعيـة .

وهذه الحكايات فى أحسن صورها،حكاية طويلة تجمع بعض الحكايات التعليلية القصيرة وهذه الحكايات الطويلة نسبيا تمزج بين كل الحوادث فى غير توقف ولا تكون لها بداية او نهاية سليمة ، لكنها تتميز بالحيويـة والوضوح وبالتنوع ، كما انها مليئة بالصور الجديدة دائما وبالمفاجئات ، على أنها لا تعرف بصفة عامة اى نظام ، وانما تقفز من موضوع لاخر ، كما تصرف القارىء عن الموضوع الرئيسى دائما أبدا بانطباعات جديدة واثارات جديدة .

لكن ليس لنا أن ننخدع بشكل هذه الحكايات البدائية الذى يبدو انه لا يتبع اية قاعدة أو نظام ، نقد بينت الابحاث التى تتحدث عن فن الحكايات لدى الشعوب البدائية ، انه كان لها شكلها المحدد ، وان بدا لنا غريبا وعجيبا ، وانه كان على الرواة أن يحتفظوا بالحكايات دون أن يغيروا منها شيئا ، حتى لا يسيئوا اى اجدادهم أو الى الارواح ، ومثل قصاصى الهنود الحمر يبين ذلك ، لكن على أية حال ، كان من الصعب علينا ان نقبل الراى الذى يقول ، ان هذه الحكايات تعكس احساسا آخر بالشكل وكما قال أحد علماء الفولكلور الالمان عن هذه النقطة ، « لقد امكن تقبل هذه الفكرة بالتدريج ، فقد كان من الصعب تفهم ذلك الشكل الغريب للحكايات البدائية : لكن الم تعتبر الموسيقى الشرقية والاسيوية بالنسبة لنا نحن الاوروبيون الحانا مضطربة أو بالاحرى نغمات شاذة ، مع أن السلم الموسيقى فى هذه الموسيقى ذو تكوين ثابت ومنظم ، وان اختلف عن سلم موسيقانا الغربية ، فالانسان يعيش مرتبطا بتقاليده الشكلية الى درجة انه لا يستطيع ان يفهم اى نظام شكلى آخر الا بصعوبة بالغة ، وهكذا الامر بالنسبة لشكل هذه الحكايات البدائية » .

ذلك لان الحكايات التى تنتسب الى الحضارات المختلفة ذات بنية محددة كل التحديد وشكل متميز تماما ، وهى تختلف كل الاختلاف عن بنية وشكل الحكايات البدائية التى تفسر وتعلل ، لكن علينا ان نتصور ان هذه البنية المحددة وهذا الشكل المتميز لحكايات الحضارات ، كان تطويرا طبيعيا نشأ عن هذه الحكايات التعليلية القديمة ، والاهم هو كيف تكونت الحكاية فى البداية ، فمثلا هناك سلسلة اجابات على اسئلة ، تقول : 1 ــ اختزن البطل الماء فى برميل ــ 2 ــ اخفى البطل الماء فى الجبل ــ 3 ــ جاء بطل آخر فى شكل طائر وشرب الماء ــ 4 ــ طارد البطل الطائر وبعد ذلك اخرج الماء من جوفه ، فمن الذى حول هذه الاجابات الى حكاية تبين كيف جاء الماء الي الارض ؟ ، لابد أن هناك شخصا مجهولا جمع هذه الاجزاء ذات مرة بعضها الى بعض ، واعاد روايتها فى صورة فنية وفقا لما سيصير شكل الحكايات فى المستقبل ، وعندئذ اخذت الحكايات تنتشر بين الشعوب .

لقد كان ذلك الشخص المجهول او الفنان الاول الذى ابدع الحكايات، هو الراوى الذى امكنه ان ينقل تلك التصورات ، أو سلسلة الاجابات البسيطة الى بطل من الابطال ، او ان يصور الصراع بين بطلين من اجل

شيء له قيمة — الماء — مما ادى ابي وحدة الموضوع والى تناقض بين الاشخاص وبذلك تمت المرحلة الاولى فى سبيل تكوين الحكاية الخرافية ونحن نتعرف فى عدد كبير جدا من الحكايات على التناقض بين الخير والشر والقوى والضعيف وبين الاخوة المخلصين وغيرهم من المنافقين وغير ذلك من التناقضات المختلفة .

ثم نمت الحكاية بعد ذلك عن طريق تكرار الموضوع ثلاث مرات ، وهو احد القواعد الملحمية لاغلب انواع الادب الشعبى ، فاثنين من أشخاص الحكاية يحاولان دائما الوصول الى الهدف لكن بدون فائدة ولا يصل الا الثالث دائما ، أو يحاول البطل تحقيق غرضه ، فيفشل فى المحاولة الاولى والثانية ، وينجح فى المحاولة الثالثة الخ ...

وقد أشار الاستاذ اندريه بولس فى بحثه « اشكال بسيطة » الى الشكل الادبى للحكاية الخرافية قال ، « انها تشترك مع القصة فى بعض الامور ، فكلاهما يتضمن مجموعة عن الحوادث تجمع بينهما طريقة معينة فى العرض ، لكن فى حين تمثل القصة جانبا من جوانب الحياة ، فان حوادث الحكاية الخرافية لا تعيش الا داخل اطار الحكاية ، فان لها عالمها وهى تعيش فى مجال خاص بها ، وهى تمثل مضمونا ساذجا ، وتوضح الامور كما يجب أن تكون فى الحياة ، وتصور كل ما هو عجيب لا بوصفه امرا عجيبا ولكن بوصفه امرا طبيعيا ، كما أن لشخوصها ذلك الوجود الغير محدود » .

ويرى الاستاذ ماكس لوتى، أن الخصيصة المميزة للحكاية الخرافية تتمثل فى كونها ذات بعد واحد وانها مسطحة وذات اسلوب تجريدى ، وهى وان كانت تحكى عن المردة والسحرة والاقزام فانها لا تنشىء علاقة مع عالمنا الممكن ادراكه ، اذ أنها ذات بعد واحد ، وهى كذلك لا تعرف التركيب المنطقى الدقيق ، كما ان شخوصها غير مجسمة بلا عالم خارجى او داخلى ، بل ينقصها كذلك عالم المشاعر وتظل المشاعر والروابط وصلة القربى ذا مغزى اذا كانت هناك ضرورة لاستخدامها فى سياق الحكاية، حتى العنصر الزمنى لا تعرفه الحكاية ، وكلما ازداد سرد الحكاية وضوحا كان ذلك ضمانا لوصولها لهدفها وتاكيدا لاصالتها .

ويجب الوقوف هنا قليلا ، الوضوح ، يالها من كلمة ، انها تكشف السر ، فالوضوح هو الضمان الاكيد لبقاء الحكايات وحيويتها وقدرتها على الانتشار ، وهو دليل على الاصالة ، لكن كيف يتأتى هذا الوضوح ، وكيف

تكتسبه الحكايات ؟ والجواب هو ، عن طريق الرواة ، لكن من هو الراوى؟ فليس كل ن حكى حكاية يعتبر راويا ، فالمقصود هؤلاء الذين يتمتعون بالموهبة الادبية ، ويذاكرة جيدة ، ويستمتعون بما يقصون .

ومهما كان النقد الذى يوجه للرواة احيانا ، فان ذلك لا ينقص من فضلهم ولا يقلل من اهمية الدور الكبير الذى قاموا به وما زالوا ق سبيل حفظ التراث ونشره ، يقول عالم انفوبكلور الالمانى « ديرلاين »« والذى يستحق أن ننصح به بصفة عامة فى عصرنا لحاضر بالنسبة لجمع الحكايات هو التزام سماتها الصادقة ، حقا اننا نعترف بعدم كفاية بعض الرواة احيانا ، لكننا نعتقد علي العموم اننا نحصل عن طريق هؤلاء القصاصين وحدهم على صورة أكثر دقة للحكايات » ، ويستطرد « وهذه الافكار لم تغب عن بال الاخوين « جريم » ، — مؤسسى علم الفولكلور — فقد كان جاكوب جريم يطلب دائما لحكايته الخرافية ان تكون قدر الامكان ذات معالم كاملة ، وكم كان يود لو استطاع أن ينشر الحكايات فى صورتها الاصلية لو كان ذلك ميرا ، ذلك لانه كثيرا ما كان يجمع بين اجزاء كثيرة من الحكاية ثم يقارن بعضها ببعض ؛ ويؤلف بينها فى شكل حكاية مكتملة بعد ان يسقط كل ما هو بعيد عن بنيتها العضوية وبذلك يخلق من الروايات العديدة غير الكاملة ، حكاية مكتملة ، لكن الرواة المجيدين مثل الفلاحة « فهمانين » والسيدة « دروتش فيلد » — التى أصبحت زوجة وليم جريم فيما بعد — استطاعتا أن تهدا الاخوين بأروع الحكايات القيمة التى ضمتها مجموعتهما المشهورة .

اما عن اسلوب الحكايات ، ورب قائل يقول ، وهل للحكاياب اسلوب مادامت تروى شفاهيا ، لكن المقصود الاسلوب الذى يكتب به جامع النصوص الحكايات ويدونها ، حين ينقل الحكاية من صورتها الشفاهية الى لغة صحيحة ، فليس من حق جامع النصوص أن يستخدم اسلوبه الادبى ، والا بعد عن الامانة الادبية التى يستوجبها جمع الحكايات ، فالحكاية لابد أن تكتب فى اسلوب سهل وبسيط وواضح (1) وكلما اقترب الاسلوب من صورة الرواية الشفاهية كان ذلك أضمن للنجاح . وفى تحليل علمى لاسلوب الاخوين جريم يعزو عالم الفولكلور « ديرلاين » النجاح

(1) — وهناك استثناءات قليلة بالنسبة لبعض الحكايات التركية و حكايات الفور « الفجر » ويميل الرواة الشرقيين و بعض الرواة الالمان الى زخرفة الحكاية الخرافية .

الساحق المذهل للحكايات الى أسلوبها اللغوى فيقول ، « أما عن الصيغة اللغوية للحكايات الخرافية التى نقدرها تماما ونثق بها ثقـه كاملـه ، فمصدرها « ولهيم جريم »، فقد كان يهدف الي أن يحكى الحكاية الخرافية وفقا لاحكامها ، اذ كان يشعر حقا بمشقة كبيرة فى نقل الحكاية مـن بنيتها الروائية الشفاهية الى صيغة مكتوبة تظل تحتفظ للحكاية بحيويتها وشكلها الخاص ، وهكذا نجد « وليم جريم » يختفى كلية وراء عمله الكبير فكثيرا ما تبدو لنا حكايته وكانها لم تجد الاديب الذى يطبعها بطابعه وانما تبدو وكانها تخرج من افواه الشعب مباشرة ، ولعل هذا هو السر فـى النجاح الفريد الذى احرزه الاخوان جريم من حيث ان حكايتهما تمتلـىء بالعناصر الفنية ويكتمل فيها ، هذا بالاضافة الى ما تتميز به من بساطة وقـرب مـن روح الشعب ».

فليعذرنا القارىء الكريم الذى يميل الى البلاغة والمحسنات اللفظية من جناس وطباق وبديع ان افتقدها عند قراءه الحكايات ، وتقبلة اسلوب بسيط ، لان هذا الكتاب جمعت فيه الحكايات ودونت ، وهو عمل تسجيلى لحفظ التراث ويقدم المعطيات والمادة الخام للكتاب والادباء والفنانـين ؛ ليتيح لهم اعادة كتابتها باسلوب أدبى رفيع ، أو اقتباسها ووضعهـا فى قوالب فنيـة حديثـة كمسرحيات وتمثيليات وغير ذلك من وسائل بعثها وتطويرها ، كما فعل الرسام والموسيقى والفنان التشكيلي فى اغلب بلدان العالم ؛ لان بعث التراث يلعب دورا هاما ويساعد علـى تقـدم الادب والـفـن .

اما عن جمع الحكايات التى استمر اكثر من خمس سنوات : فلابد من اشارة موجزة اليه ، فقد تحريت ان اجد علي الاقل روايتين لكل حكاية: واحيانا ثلاثة روايات أو خمس او أكثر ، واحتاج الامر الى صبر كثـير وجلد ، وكان لا بد من مقارنة الروايات العديدة للحكاية الواحـدة ؛ حتى يمكن الوصول الى حكاية مكتملة من الناحية الفنية والعلمية . ولذلك فانه بالرغم من جمعي لاكثر من ثلاثمائة حكاية : الا انه لم يبق منها بعد المراجعة والمقارنة المضنية الا حوالى مائة حكاية : اما الباقى فيحتاج الى مزيد من البحث وجمع روايات اكثر للحكايات الغير مكتملة حتى يتسنى تدوينها ، اما المائة حكاية فيتضمن هذا الكتاب ما يزيد قليلا عن نصفها . لان الباقي مازال يحتاج الى شىء من التنقيح والمراجعة ، والامل ان ينشر فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

لكن قبل المضي في الكلام عن شكل الحكايات ، يجب أن نفرق بين الحكايات وبعضها، فهناك اساطير وحكايات خرافية وحكايات ضاحكة وحكايات بطولة ، « وكلها أنواع من الادب الشعبي ، وهذا التصنيف تقدمه لنا المتخصصون في الادب الشعبي ، أما الشعوب نفسها فلم تعرف هذه التقسيمات ولم تفرق بين الانواع المختلفة من الحكايات . فحكايات الف ليلة تتضمن حكايات خرافية واساطير وحكايات بطولة ، ومجموعة الاخوان جريم تحتوى على حكايات شعبية وخرافية واساطير الخ ، وكذلك الامر في مجموعات الحكايات الهندية الكبيرة » ، وليس هناك داع للكلام عن كل نوع من الحكايات بالتفصيل مما يخرج بنا عن نطاق هذا الكتاب ، لكن لا مانع من الاشارة باختصار الى تلك الانواع من خلال الكلام عن شكل الحكايات وعن طريق مقارنة بعضها ببعض .

فمثلا حكايات البطولة يلقى البطل فيها نحبه دائما في النهاية ، فهى ادب تراجيدى ، ولاتبدأ الطبيعة البطولية على الاطلاق الا من خلال هذه النهاية التراجيدية ، اما بطل الحكايات الخرافية فدائما تنتهى حياته نهاية طيبة ، كان يتزوج الاميرة ، او يتولي الملك او ينال هدفه وترجع له حقوقه الخ .. وهناك الاسطورة او الاساطير وهى موغلة فى القدم ، مثل الاساطير الاغريقية المختلفة ، واسطورة « ايزيس وايزوريس » المصرية . وهناك « الفابولات » ، وهي الحكايات التى تضفى علي الكائنات الطبيعية وخاصة الحيوان خصائص بشرية .

ولعل المقارنة بين الحكايات الخرافية والحكايات الشعبية ، وهما اهم انواع الحكايات تبين خصائص كل منهما ، فالحكاية الشعبية تحكى عن الموضوع نفسه، عن الحدث، والعرض فيها اكثر علمية وموضوعية، اما الحكاية الخرافية فتحكى عن البطل ، وهى ذات طريقة تجريدية في العرض ، كما انها تسمو بالموضوع والصور الى درجة المثالية ، وعلى العكس الحكاية الشعبيه ، فهى حسية ، تصور فيها العوالم الاخرى فى دقة وتفصيل ، فهى تحكى عن العفاريت والمردة والجن ، فتتحدث عن ماضيهم وعاداتهم اليومية ، ولا تعرف الحكاية الخرافية مثل هذا ، فان تحدثت عن المردة والجن فانها لا تصفهم ، وهى لا تحكى عن العالم الاخر من اجل ان تثير فى نفوسنا تصورا له كما هو الحال فى الحكاية الشعبية ، وانما لتجد فى هذا العالم القوى التى تكون مساعدة او معادية للبطل ،

ولهذه القوى وظيفة محددة دائما وهى أن تقود البطل الى الهدف المحدد من قبـــل .

والحكاية الشعبية تتميز بشكلها البسيط ، وهى لذلك لم تتعـــرض عبر مئات السنين الا لصور ضئيلة من التغيير ، وكثيرا ما نجد الحكايات الشعبية المتشابهة تعيش فى أماكن مختلفة تماما وترتبط بشخوص مختلفة، وليس هذا من قبيل الصدفة فان ما تحكيه الحكايات الشعبية الكثيرة يمكن انْ يصادف كل شخص .

اما الحكاية الخرافية فبنية مركبة ذات شكل معين ، ولا تؤخذ مأخذ الحقيقة ، والنهاية السعيدة التى لاتصور حكاية خرافية بدونها تقترب لانموذج من الميلودراما الحديثة ؛ وتتحرك الحكاية الخرافية بين ما هو جاد وما هو هزلي ، اذ غالبا ما تتواجد فيها الاشياء المفزعة الغريبة ، والافكار التى تفيض بالرقة ودقة الاحساس ، فهذه الاشياء وتلك ضرورية فيها على السواء .

اما الحكاية الشعبية فجادة فى طابعها وتؤخذ مأخذ الجد ، وينبغى لها أن تعيد ذكر المواقف التى حدثت فى الواقع ، وهى تبحث دائما وابدا عن شـواهــد تؤكد حقيقة ما حــدث .

لكن لا يمكن التعميم بصفة مطلقة والقول بأن الحكاية الشعبية تؤخذ وقائعها بمأخذ الصدق وان هذا لا يحدث احيانا للحكايـــة الخرافيـــة ، لان الحكاية الشعبية قد تروى أحيانا مالا مغزى له كما أنه لا ينتفى فى بعض الحكيات الخرافية الغرض التعليمى والجدية .

واذا شئنا ان نختصر احداث الحكايات الخرافية بصفة عامة نجدها تتلخص فى :

1 — بطل يحوز دائما مقدرة خارقة للعادة ، 2 — وجود كائن مهول (غول ، مارد ، عفريت ... الخ) يسيطر ويأسر المراة او الاميرة ويكـــاد ان يقضى عليها ، 3 — يتدخل البطل وينقذ المراه بأن يدمر الكائن المهول ويتخلص منه بأى شكل ، 4 — ويفوز البطل بالاميرة فى النهاية .

والشخص او البطل يعيش التجربة فى بؤرة الحكاية الخرافية ، لكن الحدث هو الذى يعيش فى بؤرة الحكاية الشعبية ، ومصير الشخص او البطل هو الذى يفرض على الحكاية الخرافية الامتداد بالموضوع ، لكـــن

يمتد تسلسل الحكاية الشعبية بالحدث : فالحكاية الشعبية تعبير موضوعى اما الحكاية الخرافية فتعبير ذاتى ، وتقابل الحكاية الشعبية فى الانـواع الادبية الراقية القصة ؛ اما الحكاية الخرافية فتقابلها الرواية،وكل هذا بصفة تقريبية وليس بصفة قاطعة .

لكن يجب القول انه لا يحق التحدث عن موضوعات خاصة بالحكاية الشعبية وموضوعات خاصة بالحكاية الخرافية ، فالحكاية الشعبية وغيرها من أنواع الحكايات المختلفة تتالف فى عمومها من نفس الموضوعات . وانما يجب التفرقة على أسس اخرى يهتم بها المتخصصون بالاضافة الى ان كثيرا من الحكايات لا يمكن تحديد نوعها . لان هناك سمات مشتركة بين انواع الادب الشعبى كما سيجىء . وتشابها أو اختلافا فى الشكل والمضمـون بدرجات متفاوتـة .

وهناك نقطة هامة دارت حولها ابحاث علم الفولكلور سنين طويلة، وساهم فى بحثها علماء عديدون وهى كيف امكن الاحتفاظ بالحكايات دون تغيير يذكر فى ملامحها الاساسية عبر المئات بل الالوف من السنين ؟

وقد قدم لنا الاستاذ «البرت فسلسكي» تفسيرا بين فيه اهمية وجود الراوى الذى ابدع الحكاية واعتنى بها ، قال « ان هذا الذى يسمـى «الشعب» كان يعمل دون أن يدرى على هدم الحكايات ، فلم يكن يجد فى بعض الاحايين اناسا يتمتعون بمثل هذا الاحساس بالجمال الذى تحلى به القصاصون القدامى ؛ ولذلك فانه من الضرورى أن تستهلك الحكايات وأن تفقد محتواها وان تموت ، ما لم يحتفظ لها بنص مكتوب ، مخطوطا كان أم مطبوعا ، وعن هذا النص تنتشر الحكاية مرة اخرى بين الشعـب ثم لا تلبث أن تمسخ بحـق » .

ولا شك فى أن هناك شيئا من الحقيقة فيما قاله « فسلسكى » ، لكنه بالغ فى رايه هذا ؛ فقد اثبتت اكتشافات حكايات قديمة مدونه مثل الحكايات المصرية والبابليـة والهندية ، قدرة هذه الحكايات على الحياة آلاف السنين بين الشعب دون أن يعتريها تغيير يذكر فى ملامحها الاساسية ودون الرجوع لاية رواية مدونـة ، ثم أن الرواية المكتوبة التى يعتد بها « فسلسكى » كثيرا ليست فى الغالب سوى ما نقلته الرواية الشفاهية، لكن كان له الفضل فى لفت النظر الى اهمية الرواية المكتوبة ومدى تأثيرها فى الادب الشعبـى . لكن المشكل يظل قائما ؛ فلم يجد السؤال بعـد اجابة شافية ، فكيف يمكن تفسير هذا الثبات العظيم للحكايات ، وقد قدم

العالم الدنمركى المشهور « اكسل اورليك » تعليلا رائعا ؛ وعزا ذلك الى ما اسماه بالقوانين الملحمية للادب الشعبى .

فقد عرفنا ان الحكاية الخرافية لا تبدا فجاة بالحركة ولا تنتهى فجاة: وذلك ما اسماه الاستاذ « اورليك » قانون البداية . وقانـــون النهاية ؛ والادب الحديث يبرز الاحداث عن طريق تصويره للتفصيلات تصويرا دقيقا او عن طريق استخدامه وسائل اخرى ، اما فى الحكايات فابراز الاحداث يكون عن طريق التكرار بصورة اكثر تركيزاً ، بل اكثر اقتصادا ، ويتصل ذلك بقانون العدد ثلاثة ؛ اذ يتحتم على الانسان ان يكرر المحاولة ثلاث مرات حتى يصل الى غرضه والمحاولة الاخيرة هى التى تتم بنجاح ، والاخ الاصغر هو الذى يصل الى ما حاول ان يصل اليه اخواه دون جـــدوى ؛ وهذا القانون ذو طابع ملحمى صرف وتعرفه اغلب أنواع الادب الشعبى. اما قانون المشهد العام ، فيبين انه لا يظهر فى الموقف الواحد اكثـــر من شخصين فى وقت واحد ، فاذا تصارع البطل مع التنين ، فان الاميرة فى هذه الاثناء لا تلعب اى دور يتطلبه موضوع الحكاية وهى لا تشترك فى الصراع الا بوصفها انسانا أبكم » ولا تساهم مرة اخرى فى الموضوع الا بعد أن يقتل التنين . ويرتبط بهذا القانون ، قانون التناقض ، فالحكايات تصور النقيضين دائما ، الكبير والصغير ، والغنى والفقير ، الخير والشر ، الشاب والكهل الخ .. وقدم لنا الاستاذ « فالتر اندرسون » فى ابحاثه قانون الحق الذاتي للحكاية الخرافية ، وهو يعنى أن الروايات المختلفة العديدة لحكاية واحدة قد تنحرف قليلا عن صورة الحكاية الاصلية ، لكـــن هذه الروايات المختلفة تتأرجح كليا حول نقطة ارتكاز لا تتغير دائما ، فقد تتباين هذه الروايات المختلفة عن بعضها البعض ، لكن الحكاية تظـــل فى عمومها كما هى غير متغيرة وتبقى احقابا زمنية طويلـــة .

ويعقب عالم الفولكلور الكبير « ديرلاين » على هذا الرأى فيقول ، اعتقد أن أندرسون على حق فى هذه الدعوى ، من حيث أن الحكاية ، وان انتشرت انتشارا بعيدا عن طريق مختلف القصاصين ، فانها تحتفظ بحقها الذاتى وتظل كما هى فى صورتها العامة فى الروايات المتعددة المختلفة ، ويحق لنا ان نتمسك بقانون « أندرسون » ، الحق الذاتى للحكاية ، فى تفسير ثبات الحكايات العظيم » .

ولعل هذه القوانين الشكلية الصلبة الخاصة بالحكايات وما يبدو على اطرها من ضيق هو فى الحقيقة ســـر قوتها وقد ساعدت الحكايات على

الثبات والاحتفاظ بملامحها الاساسية ، فالحكاية التى نستمع اليها لاول مرة تبدو لنا معروفة الى درجة كبيرة حتى أننا نكاد نعرف مسبقا الخط الذى سيسير فيه الموضوع .

وقد سبقت الاشارة الى الاحساس بالشكل الذى يتحلى به رواة الحكايات المجيدون دون أن يعرفوا شيئا عن هذه التقنيات ، فقد امكن لهؤلاء الرواة بما يتمتعون به من احساس متميز بالشكل ان يردوا الحكاية الضعيفه عن طريق تحويرها واعادتها الي شكلها المكتمل ، لكن كيف حدث هذا ؟ يجب ان نتوقف هنا لان الاحساس بالشكل ، أى السعى وراء نظام محدد فى التفصيلات يخضع لقواعد معينة لا يشمل نوعا من الحكايات فقط ، بل يشمل كل الانماط الشعبية الاخرى ، وهو الذى حدد شكل الحكايات وأرغم ادباءها المشهورين فى عالم الادب ، وغيرهم من المجهولين فى الاوساط الشعبية ، ان يخضعوا جميعا لهذه القواعد ، فكيف حدث هذا الامر ؟ لان هذا السؤال لا يتعلق بالادب الشعبى وحده ، فهو لا ينفصل عن السؤال عن اصل ادبنا بصفة عامة وعن عناصره الشكلية التى جعلت لكل الانواع الدرامية منها والملحمية والغنائية طابعها الخاص ، ان هذا من شأنه ان يبعد بنا عن الحكايات ، لكنه يبين لنا أن الحكايات لا تنفصل عن الاشكال الاخرى من اشكال التعبير عن الروح الانسانى ، وانها تمثل دائما وابدا الجوهر والاساس الذى يستمد منه الادباء والفنانون ابداعهم .

فنحن نعتبر فن «هومير» و «سوفوكوليس» و «شكسبير» و« جوتة» الفن الخالد او الثروة الخالدة التى هى ملك لكل الشعوب ، لكن هومير عاش فى ظل النسيان حقبة من الزمن تبلغ الف عام ، وعاش شكسبير فى نسيان بضع مئات من السنين ، ثم اجتهدت الاجيال وعملت وتعلمت حتى تمكن أدب شكسبير وجوته من غزو عقول بعض الشعوب ، اما الحكايات فقد عاشت على العكس من ذلك بين جميع الشعوب فى جميع الازمنة محتفظة على الدوام بحيويتها وجاذبيتها ، فحكاية الصدق والكذب المصرية وحكاية اللص الماهر التى رواها هيرودت وحكاية الحب والروح الرومانية، منا تزال تشبه الكثير من حكاياتنا المعاصرة ، وقد راينا أن الحكايات فى الهند والصين واستراليا وامريكا ولدى الفرس والعرب والشعوب الاوروبية ، تعد تعبيرا أدبيا يقبل عليه ويميل اليه كل شعب . ولذلك قام العلماء والباحثون وجامعوا النصوص بمجهودات شاقة جبارة لجمع

الحكايات ودراستها وتصنيفها وخاصة فى بداية القرن العشرين ، وكانت أكبر هذه الجهود هى التي قام بها علماء « المدرسة الفنلندية » وعلى راسهم « كارل كرون » و « انتى آرنى » ، وانضم اليهم علماء كثيرون من بلدان العالم اجمع مثل « اولريك » فى الدنمرك ، و « جستون » و « كوكسون » فى فرنسا ؛ و « هرتر » ، و « كوكر و « بولتة » فى المانيا ، وقد سلمت للباحثين الحكايات التى جمعت من جهيع انحاء العالم وجعلوها فى متناول العلم . ووضعوا خطة لتصنيف الحكايات واكتشف «انتى آرن» نظاما للتدوين توسع فيه العالم الامريكى الكبير تومسون، الذى وضع بعد عمل شاق مضن دليلا لموضوعات الحكايات غايه فى الشمول والاكتمال ؛ وقد رتبت فيه الموضوعات ونقسا للاغراض التى امكن الوصول اليها نتيجة فحص مادة هائلة من الحكايات والاساطير والفابولات . وقد كان الادب الشعبى موردا لا ينضب له معين للادباء والفنانين فى كل انحاء العالم قديما وحديثا ، فاغلب روائع « شكسبير» مقتبسة من الادب الشعبى مثل هاملت ، وروميو وجولييت وترويض النمرة الخ ... وقدم جوته « اميليوزين الجديدة » ودكتور فاوست ، واعاد «يوجين اونيل» تقديم فاوست فى صورة جديدة .

اما الشاعر الروسى العظيم بوشكين ، فاقتبس من الفولكلور الروسى «روسلان ولودميلا» والغجريون ، وقدم قاجنر اوبرا « تربسان وايزولد » مستوحيا الاسطورة المشهورة ، واستغل موزارت اسطورة « أيزيس وايزويرس » وخلق منها اوبرا عالمية « الناى السحرى » . وفى العصر الحديث من الصعب حصر ما قدم فهو كثير مثل اسطورة « سيزيف » التى اعاد البير كامى كتابتها كمسرحية ، وقدمها جان بول سارتر كرواية « الغثيان » ، ومثل اسطورة الكترا ، التى قدمها جان جيردو كمسرحية ، ويوجين اونيل فى مسرحيته الرائعة « الحداد يليق بالكترا » ، وسارتر فى مسرحيته « الذباب » ، واسطورة انتيجون التى قدمها جان ارنيبى كمسرحية ، وكوكتو كمسرحية رسم مناظرها بيكاسو ، ووضع موسيقاها الموسيقى المعاصر « اونيجر » واسطورة اوديب التى قدمها كوكتو فى مسرحيته « الالة الجهنمية » الخ ...

وفى لغتنا العربية قدم الحكيم « ايزيس » والفريد فرج ، الزير سالم ، « وعلى جناح التبريزى » وفى المغرب قدم الاستاذ عبد السلام الشرايبى مسرحية « الحراز » وهى من اجمل المسرحيات التى شاهدتها ومسرحية « سيدى قدور العلمى » .

والحكايات فى مراحلها الاولى لا يمكن فصلها عن بداية المراحـــل الاولى للانســانية ، فهى عون لا غنى عنه لعلم الفولكور وعلم حضارات الشعوب : اذ انها تكشف لنا عن تطــور حياة الانســان الروحيــة والاجتماعية ؛ كما انها انتقلت من شعب لاخر فساعدتنا على اكتشاف بعض العلاقات والتأثيرات بين الشعوب بعضها البعض . ولولاها لظلت هذه العلاقات والتاثيرات محتجبــة .

ان الادب الشعبى هو الادب الخالد . ودراسته تؤدى الى ادراك اسس الادب بصفة عامة ؛ ذلك ان تاريخ الادب حين يتجاوز حــدود الادب الرسمى، ويحاول ان يشمل بابحاثه اسس الادب وطبيعته بصفة عامة ، فانه يتحرك خلال تصورات مضطربة وتعسفية للغاية . فكل من اراد ادراك طبيعة الادب حقا؛ فعليه ان يوسـع دائره مجاله. كما ينبغى عليه أن يدخل فى هذا المجال الشعر المحنور علي القبور، وفى اقدم الكتب، وكذلك نقوش البيوت والحكايات التى تتضمنها كتب التقاويم والمجموعات القديمــة والحديثــة للحكايات .

ان الادب جميعه يبدو كيانا قائما حيا يتحرك على الدوام ، يخرج منه الادب الرسمى ثم يعود ليصب فيه ويمتزج به من جديد . حتى يخرج من ذلك ادب جديد مرة اخرى .

فالنظرة الى التراث الشعبى باسره بما فى ذلك الحكايات الخرافية والشعبية والاساطير والموسيقى الشعبية والفن الشعبى بصفة عامه . يجب ان تكون نظرة تقدير وتبجيل فــالادب الشعبى — كمــا حــدث بالنسبة لمجموعة الاخوان جريم — يقدم معطيات قيمة ونادرة للادباء والفنانين . وقيمة العمل الفنى ترجع للكفاءة والموهبة ؛ والفن تناول. ويكفى الادب الشعبى فضلا أنه يضفى على الاعمال المقتبســة من التراث، ان كانت رفيعة ؛ صفة الاصالة ؛ وهى صفة اساسية لاى عمل فنــى عظيم. وربما كان الادب الشعبى المصدر الاصلى لكل ادب ؛ ويكفيــه فخرا ان الحكايات وحدها استمدت موضوعاتها من تصورات كل الازمنة والحضارات وصاغت ذلك فى صور فنيــة جميلة وعجيبــة ومشوقة . وهاجرت فى شكلها الفنى المكتمل الى اغلب بقاع العالم ؛ ومن ثنايــا الحكايات تشرق فكرة عظيمة تتوق لوحدة الانسانية ؛ فهى تمثل الان بحق الحصيلة المشتركــة لكل الشعوب .



من النهار الأول كايموت المش
(1) (2)

افترق الصديقان ، وسافر احدهما الى بلدة بعيدة ، وتزوج كل منهما دون ان يعرف الآخر .

ومضت ثلاث سنوات ، وعاد الصديق من رحلته ومعه زوجته ، وذهب ليزور صاحبه، واخذا يتبادلان الحديث، حتى اشتكى احدهما للآخر من سلوك زوجته وقال ،« الحق يا صاحبى ، آن ما يضايقنى منها انها تعاملني بقسوة ، فان كلمتنى رفعت صوتها ووجهت لي الكلام وكانها تسبنى ، وكما ان مطالبها لاتنتهي وعلى أن البيها ، وان تاخرت قليلا عن ميعاد رجوعى الى الدار لا تتورع عن اهانتي ، واحيانا تضربنى ، ان امراتي شرسة » :

فتعجب الصديق واسف لما صار اليه حال صاحبه ، فقال له ، « ربما كنت انت المسؤول عن ذلك ، فقد كان يجب عليك ان تفعل كما فعلت انا ، فقبل ان اتزوج سمعت الكثير عن زوجتى الحالية ، وانها قوية وقاسية ، ونصحتنى امي أن لا اتزوجها ، فقد خافت ان تسيء معاملتى وتسبب لى الهم والمشاكل ، ولكن فى اول يوم بعد العرس ، جاءت قطة ونحن نتناول طعام الافطار ، وخطفت الخبز ، فامسكت السكين بسرعة وطعنت القطة طعنة قاتلة ، وما ان رات زوجتى ذلك حتى صارت تخشى بأسى وتعاملنى معاملة طيبة » .

ففرح الصديق حين سمع هذه الحكاية ، وشكر صاحبه على نصيحته ، وفى اليوم التالى ، احضر قطة واثناء تناول الطعام ، قرب قطعة من اللحم اللذيذ من القطة عمدا ، فاختطفتها القطة واكلتها ،

(1) — كايموت : يموت
(2) — المش : القط



فاسرع وأمسك بالسكين وطعن القطة، فقتلها، فصرخت زوجته وغضبت وأخذت تسبه وتلعنه

فاسرع وامسك بالسكين وطعن القطة فقتلها ، فصرخت زوجته وغضبت واخذت تسبه قائلة :« انك لرجل مجرم سفاح ، لماذا قتلت القطة الصغيرة المسكينة ، الانها خطفت قطعة من اللحم ، ايها الجشع البخيل ، والله لاذهبن الي القاضي واشكو اليه ما فعلت؟» ، فاندهش الرجل وكان يتوقع نتيجة مخالفة لذلك ، وخاف زوجته ، وتلعثم ولم يدر ماذا يقول لها ، ومضت تسبه وتؤنبه ولا تكف عن الصياح .

فذهب الى صديقه وحكى له ما حدث ، فقال له الصديق :« لقد تأخرت ، كان يجب عليك فى أول يوم ان تقتل القطة ، لا بعد زواجك بثلاث سنوات » قالها باللهجة الدارجة « فى النهار الاول كسايموت المش » وصارت مثلا ...



زوجة من الريف

كان الرجل فقيها يقرأ القرآن ويعلم الصبية القراءة والكتابة ويؤم الناس في الصلاة ؛ وعاش في احد احياء المدينة محترما ومقدرا طوال حياته .

ولم يكن له الا ابن واحد ؛ انشاه ورباه على التقوى والصلاح ؛ وحين مات الفقيه . كان الابن قد اصبح رجلا ، فاجتمع تلاميذ الفقيه ومريدوه وقالوا للابن ،« من مات وترك ذرية صالحة فكأنه لم يمت ، ونحن نعرفك وعهدنا فيك الصلاح والتقوى . وانت خليفة لابيك ، فلتؤمنا في صلاتنا وتكمل وعظنا وارشادنا وتعلم اولادنا كما فعل ابوك من قبل» .

ولم تمض سنوات حتى جاءوا اليه وطلبوا منه ان يتزوج ، وعرضوا عليه بعض البنات من أهل الحى . لكنه رفض وابى وصمم أن يتزوج فلاحة من الارياف ، لانه يؤمن ان اهل المدينة مراوغون . واصحاب حيل ، وأن نساء المدينة اغلبهن لصات وسارقات وغير مخلصات . ولا يعرف احد من اين جاءته هذه الافكار ؛ وعلى اية حال قال له الناس : فلتتزوج بمن تشاء . المهم ان تتزوج . فخرج الفقيه الشاب من المدينة وذهب الى القرى والارياف ليبحث عن زوجة فلاحة . وحمل معه القرآن الكريم وكتب الدين الشريف . حملها فوق كتفه بعد ان وضعها في كيس كبير .

وفي يوم دخل احدى القرى وجلس في وسط السوق ، فالتف الشبان حوله . وقد ظنوه احد المغنين او رواة الحكايات. لكنه ما ان وضع كيسه على الارض واخرج كتبه واخذ يقرا القرآن حتى انفضوا من حوله ، ولم يبق امامه الا فلاحة عجوز جاوزت السبعين من عمرها ، فقال لنفسه،



ولم يبق أمامه الا امرأة عجوز جاوزت السبعين من عمرها.

ليكن . كمانى هذه العجوز الطيبة تستمع الى . ومضى فى قراءتـه ، والمرأة تنظر اليه وتبكى ؛ وهو يقرأ وهى تبكي ، حتى انتهى ؛ لكنها استمرت فى بكائها بعد أن سكت . فسألها الفقيه :« ما الذى يبكيك يا أماه ؟»، فلم تجبه . وبكت . فقال لها :« يالك من عجوز طيبة تبكين تأثرا بكلام الله تعالى »، فلم ترد عليه ومضت فى بكائها فقال لها : « لعلك مؤمنة تقية تخشعين عند سماع كلام الله » . فكفكفت العجوز دموعها وقالت له :« والله لقد نظرت اليك والى لحيتك الصغيرة وهى تتطاير فى الهواء فذكرنى شكلك بخروف كان عندى . سرقه اللصوص . فبكيت لاننى تذكرت الخروف وهو كل ما كنت املك » ؛ ومضت تبكى .

فرجع الفقيه الى المدينة واسرع الى تلاميذه ومريديه وطلب منهم أن يبحثوا له عن زوجة من اهل المدينة . لانه غير رايه ، وسألوه عن السبب ؛ فحكى لهم ما حدث له فى سوق القرية مع العجوز ، وقال : « اذا كان هذا حال الفلاحة العجوز فكيف يكون حـال الشـابـات الصغيرات؟ » .



السلطان الكبير والسلطان الصغير

تشاجـــر رجل مع صاحبه وتخاصما ، وقاطع كل منهما الاخــر ، وكان حتي لو قابله لا يقراه الســـلام .

ومضى عام وتدخل الاصدقاء ، وامكنهم بعد لاى وجهد ان يصلحا بينهما ، وذهب الرجل مع صاحبه يوما الى الغابة وجلسا ليستريحـــا ، فقال الرجل لصاحبه ، « انني اود ان احلق شعر راسى ، فان كان معك موسى فارجوك ان تحلق لى شعرى »، فاجابه صاحبه ، « نعم لحسن الحظ معى موسى ، وسأحلق لك » .

وبدأ يحلق بالفعل، وكان قلبه مازال مملوءا بالحقد، فوضع الموسى علي رقبة صديقه وقال له ،« لايوجد مخلوق معنا ، فلو ذبحتك فلن يعلم احد بالامر »، فاجاب الرجل ،« لو ذبحتنى فالسلطان الكبير يفضح جريمتك ويوصل الخبر الى السلطان الصغير » .

وكان الرجل يبغض صاحبه ويريد قتله ، فذبحه فى الحال ، وحفر حفرة بجانب شجرة ودفنه فيها ، وعاد الى داره ، خائفا يرتجف ، ولكن الايام والاشهر والسنوات مضت ، ولم تكتشف الجريمة .

وبعد ثلاث سنوات ، تذكر الرجل ما حدث ، فسار الى الغابـــة وذهب الى نفس المكان الذى دفن فيه صاحبه بجوار الشجرة ، فراى كرما له أوراق ذات لون أخضر زاه ، وتتدلى من الكرم عناقيد مستوية الشكل ذات حبات كبيرة من العنب الاصفر الجميل ، فمد الرجل يـــده وقطف عنقودا وأكل منه ، فوجده أحلى من السكر ، وشـــم رائحتـــه العطرة كرائحة المسك ، فتعجب ، وخاصـة ان الوقت كان شتاء ، حيث


وتناول السلطان عنقودا من
العنب وصرخ لأنه شاهد في
السلة رأس الرجل المقتول
الحليقة تقطر دما.

لا ينضج العنب ولا يوجد ، فأحضر سلة وملاها بالعنب ، وذهب الى السلطان ليهديه هذا العنب الفريد من نوعه وفى غير موسمه .

فلما مثل أمام السلطان قبل الارض بين يديه ، وقدم له هديته ، فاندهش السلطان لجمال عناقيد العنب ولعطرها الفواح ونضجها فى غير اوانها ، وتناول السلطان عنقوداً من العنب ، وصرخ لانه شاهد فى السلة راس الرجل المقتول الحليقة تقطر دما ، فهتف وسال الرجل ، « ماذا احضرت لى » ؛ وراى الرجل راس صاحبه فى السلة تنزف منها الدماء ، فصرخ ، « لكننى لم أحضر الا عناقيد العنب » ، وحكى للسلطان القصة من أولها ؛ فقال له السلطان ، « لقد فضح السلطان الكبير جريمتك واوصلنى الخبر » ، وأمر السلطان ان يقطعوا رقبته كما فعل مع صديقه .

(١)

بهوت النسا

كان لتاجر غني ابنة وحيدة جميلة . غاية فى الذكاء والفطنة ؛ تعيش فى دار ابيها الكبيرة ولا تؤنس وحدتها بعد موت امها سوى جارية اثيرة لديها ؛ وكانت هناك بجوار دارها ، دار صغيرة يملكها فقيه شاب؛ يسكن فيها ويستخدمها فى نفس الوقت كمدرسة صغيرة« مسيد » (2) يعلم فيها الاطفال مبادىء القــراءة والكتابة والحساب واصول الديــن ويحفظهم ما تيسر من القرآن الكريم ، وكانت الفتاة ترى الفقيه الشاب كثيرا ، فلفت نظرها طوله البادى واستقامة عوده ورجولته الفياضة ، وصوته الرنان المؤثر وهو يلقى الدرس أو يقرأ القرآن ويعلم التلاميذ، وكان تقيا ؛ اكتسب احترام الناس وحبهم بسلوكه القويم وادبه الجم . ووقعت الفتاة فى حبه دون أن تدرى، وبدأت تنتحل المعاذير، فتفتح النافذة المواجهة فى الوقت المعين الذى تعرف انه يخرج فيه أو يدخل الى داره ، وتنتهز الفرصة فتحييه قائلة :« صباح الخير أو عم مساء »، فكان الفقيه الشاب ينظر الى الارض ، ويرد التحية فى أدبه ولطــف دون ان ينظــر اليهـــا .

واشتعل الحب فى قلب الفتاة فتغير حالها ، وعافت الطعام ، وكثر شرودها وأصابها الوهن ، وأعترفت لجاريتها الاثيرة بما تقاسيه من ضنى الحب وعذابه ، لكن ما العمل ؟ ان أباها تاجر غنى،وهــو يرفــض ان يزوجها الا لشاب ثرى من أسرة كبيرة ، اما الفقيه الشاب فلن تشفــع له عند أبيها وسامته وسجاياه الطيبة ، وهى لا تقدر أن تعترف بحبهـــا لابيها . ولم تكن تدرى أن الفقيه الخجول هو ايضا يقاسي ما تقاسيه ،

(1) — بهــوت : حيــل

(2) — ويسمى فى مصــر الكتــاب والجمع كتاتيب .

وتكوى قلبه نيران الحب المشتعلة ، وحاول الشاب أن يتغلب على حبه بالصلاة وقراءة القرآن والاوراد ، والانهماك فى العبادة ، وكان يقرأ كثيرا من الكتب والفتاة تراقبه،وتتبع خروجه ودخوله وحركاته وسكناته، وكانت دائما تحييه فى الصباح ، وتقرأه السلام ، وتنتهز الفرص لتراه .

وفى يوم بعد أن حيته ، سألته سؤالا غريبا ، قالت له : « هل قرأت كتاب بهوت النساء ؟ » ، فاطرق كعادته واجابها ، «لا ، الحق اننى لم اقرا هذا الكتاب » ، وظلت تسأله كل يوم بعد أن تحييه : نفس السؤال ، ويجيبها نفس الاجابة .

وبعد أسبوع احضرت وعاء من الفخار وملاته بنوع ممتاز من زيت الزيتون وأمرت جاريتها أن تضعه فى الصباح الباكر تحت نافذتها، فنفذت الجارية الامر ، وعندما خرج الفقيه من داره وجد الوعاء الملىء بزيت الزيتون امامه ، وأطلت من النافذة وهتفت به ، « صباح الخير » ، فلم ينظر الى اعلى وخفض بصره واجاب : « صباح الخير » ، لكنه رأى صورتها منعكسة على سطح زيت الزيتون الشبيه بمرآة ، فأشاح البصر ، فقالت فى رقة ، « لا، بل انظر الى دون أن ترفع بصرك ، سترانى هناك فى الزيت » ، واضطرب وخفق قلبه المتيم بحبها ، ولم يجب ، فابتسمت ، وظل ينظر فى الزيت وكانها امامه تواجهه ، ورد بصوت منخفض ، « هذا حرام » ، فاجابته فى صدق وبصوت حنون ،« لا ، أود وارغب أن اتزوجك ، لاننى احبك »، فذهل الشاب لما سمع ولصدقها الذى ينعكس على ملامح وجهها الفتان واهتز من اغماقه وهتف ، « لكن ما العمل ؟ ، ان اباك لغنى واننى لفقير ؟ »، فهزت راسها تنفى هذه الفكرة وقالت له ،« اعرف كل شىء عنك ، فانت تملك هذه الدار الصغيرة ، بعها وانا أعوضها لك، واذهب الى أبى وادفع ثمنها صداقا لى » ، فضحك فى يأس ، واجابها ،« حتى لو بعتها ، فان ثمنها لقليل ، ولن يرضى به أبوك صداقا لك ، وانا لا املك غيرها ، وهى مدرستى ومسكنى » ، فردت عليه ، « اننى واثقة مما اقول ، بع الدار واقبض الثمن ، واخبرنى حين تتم هذا العمل وانا سادبر لك خطة » .

وباع الفقيه الشاب داره ، فطلب منه المشترى أن يخليها ، فرجاه أن يصبر قليلا ، وخرج فى اليوم التالى فى الصباح ينتظر أن تطل الفتاة من النافذة ، وحين رآها خفق قلبه وفرح ، وأخبرها أنه



لكنه رأى صورتها منعكسة على سطح زيت الزيتون الشبه بمرآه ...

تد باع الدار ومعه المال . وسألها ان تبين له ما تود منه أن يفعله لانه يريد أن يقابل اباها ويخطبها منه . فاجابته . بأن عليه أن يذهب لابيها ويطلب منه ان يتزوجها . ويقدم له ما يمتلك من المال كصداق ؛ واكدت له ان اباهـا سيوافق . لكن لانه يحبهـا ولا يود ان يفارقها . فسيحاول ان لا يتم الزواج وسيقول له . ان ابنتى كسيحة ومشلولة وقبيحة وقصيرة وخنفـاء . وثقيلة السمع ولا تصلح ابدا للـزواج . فعليه عندما يسمع هذا الكلام ان يرد . انني موافق على الزواج منها وانا اعلم واعرف كل هذه العيوب . وعليه أن يشهد الشهود على هذا الكلام . وعندئذ سيضطر ابوها للموافقة على الزواج . وعليه ايضا أن يطلب من إبيها أن يعجل بالزواج ويحدد الموعد بعد يومين . فهـز الفقيه رأسه اعجابا بسعة حيلتها وذكائها . وبينت له ان اباها لا يرغب أن يقابل اى خاطب لها فى الدار . بل يفضل ان يلقاه فى الحانوت . ووصفت له الحانوت . وقالت «» ان ابى مشهور . وهو الحاج فلان وحانوته معروفـة فى السـوق » .

فاسرع الشاب الى الاب فرحا والتقى عليه السلام . وفى خجل طلب منه ان يزوجه ابنته واظهر استعداده لدفع مبلغ معلوم هـو ثمن الدار الذى يحمله معه . فرد عليه الاب . « يا بنى . لا امانع ولكن ابنتى كسيحة ومشلولة وقصيرة وخنفاء (نفنافة) وثقيلـة السمـع . وقبيحة الشكل ؛ ولا تصلح للزواج ابدا » . عندئذ اجاب الشاب فى هدوء . « اننى راض بكل هذه العيوب واعلمها ، وعلى استعداد أن يشهد على الشهود بذلك » ، فأعاد الاب الكلام واوضح عـدم صلاحية ابنته للزواج وبين عيوبها مرة ومرات . لكن الشاب اصـر على طلبه وقدم المال وطلب ان يعجل بالزواج . فقال الاب . « اذن فلتتزوجها الان » ، وأرسل لاحضار العدول (1) وكتبوا عقد الزواج ، واستلم الاب المال ووعد الشاب أن يرسل اليه ابنته فى الصباح .

فخرج الشاب من الحانوت لا تسعه الدنيا من الفرحة ، لقـد تحققت آماله وتزوج محبوبته ، وكم كـانت جميلة ، وذكيـة ، وذات صوت حنون وبسمة فتانة ، انه لا يصدق ؛ لقد كانت بعيـدة المنال ؛

(1) ـ العدول : اعوان القاضى الشرعى فى الاحوال الشخصية ، يقومون بما يقوم به « المأذون » فى مصـر .

والحلم أصبح حقيقة ، وقد وعدته أن تعوض له ما قدمه من مال . وهل يهم المال ؟ .

ولم يستطع أن ينام حتى الصباح . وظل مستيقظا يفكر في السعادة المرتقبة ، وفي الصباح الباكر . سمع طرقات على الباب ففتحه . ورأى اثنين من الحمالين يحملان محفة صغيرة . وبادراه بالتهنئة وطلبا المكافأة . وانزلا من المحفة شيئا شبيهها بامرأة . وادخلاها الدار ، فذهل الشاب . فقد رأى امرأة قصيرة كسيحة . شبيهة بقرد . مشلولة وقبيحة ، وأعجوبة من الأعاجيب . وسألهم ، « ماهذا ؟ » . فضحكا ، وأجاباه :« زوجتك » . وسمع صوتا أشبه بنقيق الضفادع يقول ، « أهلا بك يا زوجي العزيز » . فصرخ .«ما هذا ؟ » ، فحكى له الحمالان أن فلانا التاجر ، وكان هو التاجر الذي تزوج ابنته . قد اعطاهما دينارا نظير أن يوصلا العروس الى دار زوجها الفقيه فلان الذي تزوجها البارحة ، ولما كانت كسيحة مشلوله فقد حملاها وأحضراها اليه .

فصعق لما سمع ولما رأى ، فأخذ يردد مشدوها . « غير معقول ، هذا غير معقول . لقد لعبت بي الفتاة و سخرت مني . آه من النساء » .

ورويدا ، رويدا تأكد مما حدث وكأنه أحداث أسطورة من الأساطير ، يالفظاعة لقد باع داره وخسر كل ماله وتزوج هذا الشيء المسكين القبيح الذي يفترض أنه امرأة ، وأخذ يفكر . ومر في خاطره السؤال ، هل قرأت كتاب بهوت النساء ، هل قرأت كتاب بهوت النساء ؟ ، لكن أيصل الأمر الى هذه الدرجة ، هذا غير معقول،وكاد أن يجن .

وخرج من داره ووقف تحت نافذتها يود أن يصرخ ويصيح ، « أيتها المحتالة الخداعة » ، ونفتحت النافذة وأطلت عليه ، وهم أن يهتف بها ويسبها وينفجر غضبا ، لكن ما أن رآها ولمح وجهها المشرق الفتان، وأظهرت عيناها الألم لما وجدته فيه من كرب وضيق وحنق ، فسالت دموعها وبدا الحنان يغمر وجهها وضحكت في براءة وسألته ، « هل قرأت بهوت النساء ؟ » فوجم وسكت وهز رأسه ، كأنه يقول نعم قرأته ، وأي قراءة ، أنه العجب العجاب ، ورفع يديه محتارا ،

مبلبل الفكر . لقد رآها تبكي ، ربما ندمت على ما فعلت من جريمة . لكنها لم تدعه سوى لحظات قصيرة حتى قالت له . « عدني ان تتزوجني وانا انقذك من زوجتك القبيحة » ؛ فاندفع يقول لها : « اعدك ! هذا غير معقول . الم ابع الدار وهي كل ما املك ورضيت ان ادفع ثمنها صداقا ونفذت اوامرك؟ انا لا اصدقك ولا افهمك ؛ لقد اسأت الى وسخرت منى » . فلم تدعه يكمل كلامه . وصاحت به . « اسمعنى لقد فعلت ما فعلت لاننى أحبك واريد الزواج منك . ان ابى غنى ولا يمكن ان يرضى بك . لذلك دبرت هذه الحيلة لاغنيك فتقدر ان تتزوج بى ويرضى ابي بزواجى منك » .

فاستفسرها عما تعنيه فاستطردت قائلة : « ان الرجل الذى تزوجت ابنته الشوهاء لتاجر اغنى من ابى ، والان عليك ان تذهب الى سوق الحمير ونشترى حمارا اجرب رخيصا . وضع فوقه تفة وضع فيها زوجتك . وأمش الى السوق وناد كما ينادى المتسولون واطلب الصدقة من اجلها ؛ عندئذ سيجيء اليك أبوها ويطلب منك ان تكف عن التسول بابنته » . وبينت له ماذا يقول لابيها . وان يرفض اخذ الصداق الذى دفعه ولا يرضى الا بوزنها ذهبا .

ونفذ الشاب ما قالته ، وحمل زوجته في تفة فوق حمار اجرب، وذهب الى السوق ، وامام حانوت ابيها اخذ ينادى ويتقن النداء ، وطلب الصدقة من اجل الكسيحة ، من اجل المشلولة ، من اجل المرأة الشوهاء ، فالتف الاولاد حوله وخرج التجار يتعجبون واجتمع الناس يتساءلون ما الخبر ، واسرع جار الى ابيها يخبره ، فخرج من حانوته يجرى غير مصدق ما يرى ، وامسك بالفقيه الشاب ، ورجاه ونهاه عن هذا السلوك الشائن ، وصاح به ، « كيف سولت لك نفسك ان تعرض ابنتي في الاسواق فوق حمار اجرب داخل تفة وتطلب من اجلها الصدقة ، وانا ابوها من أغنى التجار واشهرهم » ، فرد عليه الفقيه الشاب في ثبات وهدوء وتبل ، « اننى لم آت عملا قبيحا فهذه زوجتى وانا اطلب الصدقة لاننى فقير » ، فصاح التاجر ، ولكننى تاجر وغنى ولى مكانتى وسمعتي ، وقد بينت لك واوضحت عيوبها »، واخذ الناس يزجرون الشاب ويلومونه على فعله القبيح ، لكن الشاب كان حاسما وحازما ، فأجاب التاجر ، « نعم انك لم تخدعنى وبينت لى عيوب ابنتك ، وقلت لى انها كسيحة ، ومشلولة

وقبيحة وثقيلة السمع ولا تصلح للزواج ، وقد قبلت كل هذه العيوب ورضيت بها ودفعت لك مبلغا كبيرا من المال كصداق لها ، وانا لا لا اعترض ولا احاول طلاقها ، لكن الست معى ، ان امراة بهذه الصفات لا تصلح للزواج وقد قلت انت نفسك هذا الكلام » .

فهتف التاجر ،« اذن لماذا تزوجتها ؟ » ، فرد الفقيه الشاب ، « لاسترزق بها ، انها لا تصلح للزواج ، فقد كان غرضى وما زال أن استرزق بها ، ان أتسول بها ، وخاصة أننى فقير لا امتلك شيئا افهمت ؟ » ، فاقتنع الناس وقالوا ، الحق فى جانب الفقيه ، عندئذ عرض التاجر أن يرد للفقيه الشاب الصداق نظير أن يطلقها ، لكنه رفض، فعرض التاجر مبلغا مضاعفا ، فلم يرض الفقيه ، وظل الاب يساوم ويرجو حتى عرض ان يزنها بالذهب ، فوافق الفقيه وطلقها ، واخذ اكياس الذهب ورجع الى داره .

واسرع ووقف تحت النافذة وكأنه على ميعاد ، فقد فتحت الفتاة النافذة فى الحال وابتسمت له ، ورات اكياس الذهب ثقلية بين يديه ، فسألته ،« هل نجحت الحيلة ؟ » فاجابها ، « نجحت » ، فهبطت اليه وقالت له ، « لكننى أخاف ، فانت لا تعرف التجار وربما يكون ابوها قد خدعك وغشك واعطاك ذهبا مزيفا » ، فسالها مرتبكا وقد خاف أن يكون ابوها قد خدعه ، « وكيف نتأكد من أن الذهب غير مزيف ؟ » ، فأجابته ، « ان جارتى تعرف الذهب خيرا من صانعه ، أعطني الذهب » ، فأعطاها الذهب ، فأخذته ودخلت الدار ، ووقف ينتظر النتيجة ، وغابت الشمس ولم تخرج اليه مرة ثانية ، لكن بعد مدة اطلت من النافذة ، فسألها ، « هل الذهب حقيقى لم مزيف ؟ » ، فردت عليه مندهشة ، « اى ذهب » ، فدارت به الدنيا ومر فى خاطره ، السؤال ، هل قرات كتاب بهوت النساء ، وتذكر الحيلة الاولى حين دفعته الى الزواج بالمراة الشوهاء وظن انها ستستحوذ على الذهب ولا ترده اليه ، لكنه حين ابصر وجهها المشرق وعيونها الصادقة ، ازدادت حيرته ، وتبلبلت أفكاره ، فهتف بها ، « بالله لا تسخرى منى ولا تسحقى قلبى ، انا لا افهمك »، فقالت له ، « اذهب الى ابى واخطبنى ، وعندئذ ساعطيك الذهب لتقدم منه الصداق لابى » ، فهتف من قلبه « اى ذهب الم تتأكدى من حبى بعد ، لقد أحببتك منذ وقت طويل ، وفاض حبى حين رأيت

صورتك فى زيت الزيتون ، وبعت دارى ، ونفذت اوامرك وأنا اسير حبك وليس لى أمل فى الحياة ولا احلم الا بالزواج منك ، خذى الذهب » ، فرددت بصوت مؤثر حنون « لقد تأكدت من حبك ، لقد تأكدت من حبك » ، وأعطته الذهب ، وذهب الى أبيها ودفع المهر الغالى وتزوجها ، وعاشا سعيدين ، وكان دائما يقول لها ، لقد قرأت كتاب بحوث النساء ، ياله من كتاب ! .

الحمار الذكي

يروى انه كان هناك ذئب عجوز يعيش فى الغابة ، وقد تقدم فى العمر الي درجة انه اصبح غير قادر على الصيد والحصول على طعامه ، فلم يعد فى امكانه ان يجرى بسرعة ويطارد فريسته ، فقد ضعف وخارت قواه . وفى يوم بينما كان الذئب العجوز يسير فى الغابة، وقد امضه الجوع ، قابل ثعلبا عجوزا ، ضعيفا مثله واكثر منه جوعا، وبعد ان تبادلا التحية والسلام سارا بجوار بعضهما يتبادلان الحديث عما يقاسى كل منهما فى هذه الايام العجاف المريرة ، وتذكرا الماضى وايام الشباب والكميات الكبيرة من الطعام التى كان من السهل الحصول عليها، واخذ كل منهما يحكي للاخر عن ما كان يصيده ويأكله ، فاضر بهما ذلك غاية الضرر ، فقد سال لعابهما ، وشعر كل منهما بآلام الجوع الحادة ، فهتف الذئب ، « يا اخى الثعلب ، لقد عرفت عنك المكر والدهاء وقدرتك على اتيان الحيل العجيبة ، الا يمكنك ان تجد لنا طريقة لنحصل على شيء من الطعام، ارجوك، انني واثق من ذكائك ومهارتك »، فابتسم الثعلب العجوز ، وقد اثار فيه مديح الذئب شيئا من الغرور ، وتنهد واجاب قائلا : « ان الامور صعبة هذه الايام ، لكن لو كنا سعداء الحظ لصادفنا خروف شارد عن قطيعه ، فافتراس الخراف اسهل انواع الصيد ، واننى لاتمنى ذلك من اجلك فقط يا اخى الذئب ، اما انا فتكفينى دجاجة او بطة صغيرة . » .

واثار حديث الثعلب عن خروف ضال شهية الذئب ، فاسرع فى خطواته ، ومضى ينظر هنا وهناك لعل الحلم يتحقق ويكون سعيد الحظ ، كما قال الثعلب .

وبعد برهة من الزمن توقف الذئب فجأة عن السير وهتف منفعلا: « انظر انظر هناك »» وأشار الي حقل بعيد ، ونظر الثعلب ودقق النظر ، لكنه لم ير شيئا ، فسأل الذئب »« ماذا تقصد يا اخى الذئب ، انا لا ارى اى صيد ؟ »» فأجاب الذئب : « ها هو امامك ، الحمار الا تراه واقفا هناك فى الحقل ، حقا يبدو انه حمار عجوز ، لكن ذلك لا يهم فاللحم هو اللحم ، ونحن آكلى لحوم على اية حال » ، فاندهش الثعلب وهز رأسه آسفا وقال : « يظهر يا اخى الذئب ان الجوع يدفع للجنون ، انا لم اسمع فى يوم من الايام ان الذئاب والثعالب هاجمت الحمير فى الحقول وأكلتها ، ثم لا تنس ان ركلة الحمار قوية شديدة كضربة المطرقة ، صدقتنى ، ان قوة الحمار والحصان والبغل تتركز فى ارجلها ، انا نفسى حدثت لى حادثة ، مرة قابلت حصانا .. » ، لكن الذئب لم يسمح للثعلب ان يروى حكايته وقاطعه قائلا :« هذا لايهم الان ، ان علينا ان نخدع الحمار ونحاصره ، كل منا من ناحية ، حتى اقترب منه واصبح خلفه ، فأقفز عليه وآكله من رقبته » ، فتضايق الثعلب وسأل الذئب ساخرا ، « ما هى حيلتك ، كيف ستخدع الحمار حتى يسمح لك بالاقتراب منه دون ان يركلك ؟»، فأجاب الذئب ،« ساخدع الحمار واوهمه بانه مريض ، وبأننى طبيب اريد ان اعالجه واداويه ، حتى يأمن لى واقترب منه وافترسه » ، فعارض الثعلب العجوز الذئب، وبين له ان حيلته ستفشل ، لانه ادرى منه بالحيل والخدع .

لكن الذئب الجائع ، وقد استبدت به آلام الجوع اسرع ناحية الحمار فى الحقل ، وتبعه الثعلب من بعيد وهو غاية فى الحذر . وحين راى الحمار العجوز الذئب مقبلا ومن ورائه الثعلب ، انتبه ووقف حذرا يرقب ما سيحدث .

ولم يقترب الذئب من الحمار ، ووقف على بعد خطوات منه ، وحياه واقرأه السلام ، فرد الحمار العجوز الذى حنكته التجارب على تحية الذئب فى ادب ، ولم يفارقه حذره ، وحادثه الذئب وقال له فى مودة، « كيف حالك يا اخى الحمار ، ان الجو اليوم حار ، هل يضايقك هذا الجو الخانق ؟ .. » وهز الثعلب رأسه موافقا ، لكنه ظل خلف الذئب بمسافة بعيدة ، واقترب الذئب بضع خطوات من الحمار واكمل حديثه قائلا ، « ان الجو الحار مضر بالصحة ، واننى لارى اثر ذلك عليك ،



وبسرعة ركله الحمار ركلة قوية شديدة

فلونك متغير ، نعم لونك متغير لا شك فى ذلك ، لكن الجو الحار لا يفعل هذا بالحمير ، فما هو السبب ؟ » : وسكت الذئب واطرق براسه مفكرا ، ثم استأنف حديثه ، « آه ، اخاف ان تكون قد شربت من ماء قذر او ربما غفوت ونمت قليلا : فهاجمك الذباب دون ان تشعر به ، وهو يسبب الكثير من الامراض ، على اية حال انك لسعيد الحظ ، فانا طبيب واحب الحمير ويسرنى ان اعالجك واداويك » ، فسخر الحمار من الذئب وقال له ،« هذه اول مرة فى حياتى اسمع ان الذئب قد اصبح طبيبا ، وصديقا للحمير ، ولماذا يهمك امرى ؟ » فهز الذئب راسه مدعيا انه قد تضايق من كلام الحمار وقال له ، « وما الخطأ فى هذا ، ان الحيوانات كلها اخوة ، وانا احب الحمير لاننى .. » ، فقاطعه الحمار قائلا ، « ربما كان هذا صحيحا ، لكن ما يثير دهشتى يا اخي الذئب أننا لم نتقابل قبل اليوم ، هل تعرف حتى اسمى ؟ » ، فاندهش الذئب وهتف ، « وهل للحمير اسماء كبنى البشر حتى اعرف اسمك »، فسخر الحمار منه ضاحكا وقال ،« انك جاهل ولاشك فى ذلك يااخى الذئب، الا تعلم ان الحمير أسماء، وان كل حمار مكتوب اسمه على حافر رجله اليمنى الخلفية » ، ورفع الحمار فى بطىء وببساطة رجله اليمنى الخلفية ، واقترب الذئب ونظر الى الحافر ليرى اسم الحمار ، وبسرعة ركله الحمار ركلة قوية شديدة ، حطمت أسنانه وقذفت به عاليا ، ووقع فوق الارض يتلوى من الالم ، وجرى ناحية الغابة وهو يعوى ويصرخ ، وارتعد الثعلب فقد أذهله ما حدث ، فقال له الحمار ، « وانت يا اخى الثعلب ، الا تريد ان تعرف اسمى ؟ » ، فتراجع الثعلب الى الوراء بسرعة وهو يردد ، « لا، لا، لا، انا آسف ولا استطيع ذلك لاننى لا اعرف القراءة والكتابة » ، وجرى الثعلب ناحية الغابة .

اللص الظريف

كان لاحد اللصوص ثلاثة اصدقاء غير متزوجين ، احدهم يعمل نجارا والاخر صيادا . والثالث منجما « سحارا » لذلك كانوا يتقابلون كثيرا ويجهزون طعامهم بانفسهم .

وفي يوم من الايام طلب النجار من أصدقائه أن يعطيه كل واحد منهم قدرا بسيطا من النقود نظير ان يجهز لهم عشاء يتناولونه معه في داره . فأعطوه ما طلب ، وكان النجار يسكن خارج البلدة في دار صغيرة . بعيدة عن العمران .

وذهبوا اليه في الليل وتناولوا ما أعده لهم من الطعام ، ثم اخذوا يتسامرون ويشربون الشاي .

وفجأة سمعوا صفيرا كصفير الرياح ، ودويا كدوي الرعد ، وانطفأ القنديل فانتابهم الهلع والخوف ، فقام اللص وتحسس طريقه وأوقد القنديل ، فذهلوا اذ رأوا بينهم في الدار فتاة جميلة كالبدر ، شابة حسناء فاتنة ، تلبس ملابس العرس وتتزين بالمجوهرات النفيسة، وتنحدر دموعها على خديها فتزيدها فتنة على فتنة .

كانت ساكتة ، تنظر الى الامام شاردة ، فكان خوفهم منها اكثر من دهشتهم ، لان باب الدار مقفول ، وما حدث ، حدث في غمضة عين، فظنوها من الجان ، سألها الصياد ، « هل أنت ملكة ؟ » ، وارتعش النجار خوفا منها ، اما المنجم فهتف ، « انها عيشة قنديشة (1) انها جنية » ، فجرى النجار من شدة خوفه وخرج من الدار فتبعه

(1) — شخصية خرافية مغربية يبعث ذكرها الرعب

المنجم فى الحال ، ومن ورائه الصياد ، وتردد الصياد برهة ، لكنه خاف فجرى معهم بعد أن اقفل باب الدار ، لكنه وقف وطلب منهم الوقوف وقال لهم ، « نرجع الى الدار ونتكلم معها ، فهى لن تقتلنا على اية حال » ، فلم يوافقه احد لان الخوف تملك من قلوبهم ، ثم تفرقوا وذهب كل منهم الى بيته الا النجار ، فقد بات ليلته عند صديقه اللص بعد ان اتفقوا جميعا علي اللقاء فى الصباح الباكر ، ليجدوا لهذا الحادث تفسيرا وللمشكل حلا .

وفى الصباح تقابلوا ، وقد تبدد خوفهم ، وشجعهم اللص والصياد فذهبوا الى دار النجار وفتحوا الباب فى حذر ، ودخلوا الدار فلم يجدوا الفتاة ، فصاح المنجم ، « الم اقل لكم انها جنيه » ، فرد النجار ، « حقا ، والا فمن اين دخلت والباب مقفول ؟ » ، فقال اللص ، « علي اية حال ، ان صديقنا منجم ، فان كان يتقن مهنته ولا يكذب علينا ، فليعرف لنا حقيقة هذه الفتاه ، فاخذ المنجم يعبث فى رمله ورمى حصاه ورسم آلاشكال«وضرب الحروف وعدد النجوم»، وهمهم وتمتم ، ثم قال ،« ان من كانت فى دار النجار امس بنى آدم ، وهى عروس خطفها عفريت يحبها حتى لا تتزوج ، وكان فى طريقه معها الى داره حين ناداه صاحبه ، واستحضره ، فاصبح فى عجلة من أمره ليذهب الى صاحبه . فاحتار ماذا يفعل ، وكان بجانب دار النجار ، فادخلها الى الدار ، فخفنا منها وهربنا وتركنا الدار ، وعاد العفريت بعد ساعة واخذها وانصرف » .

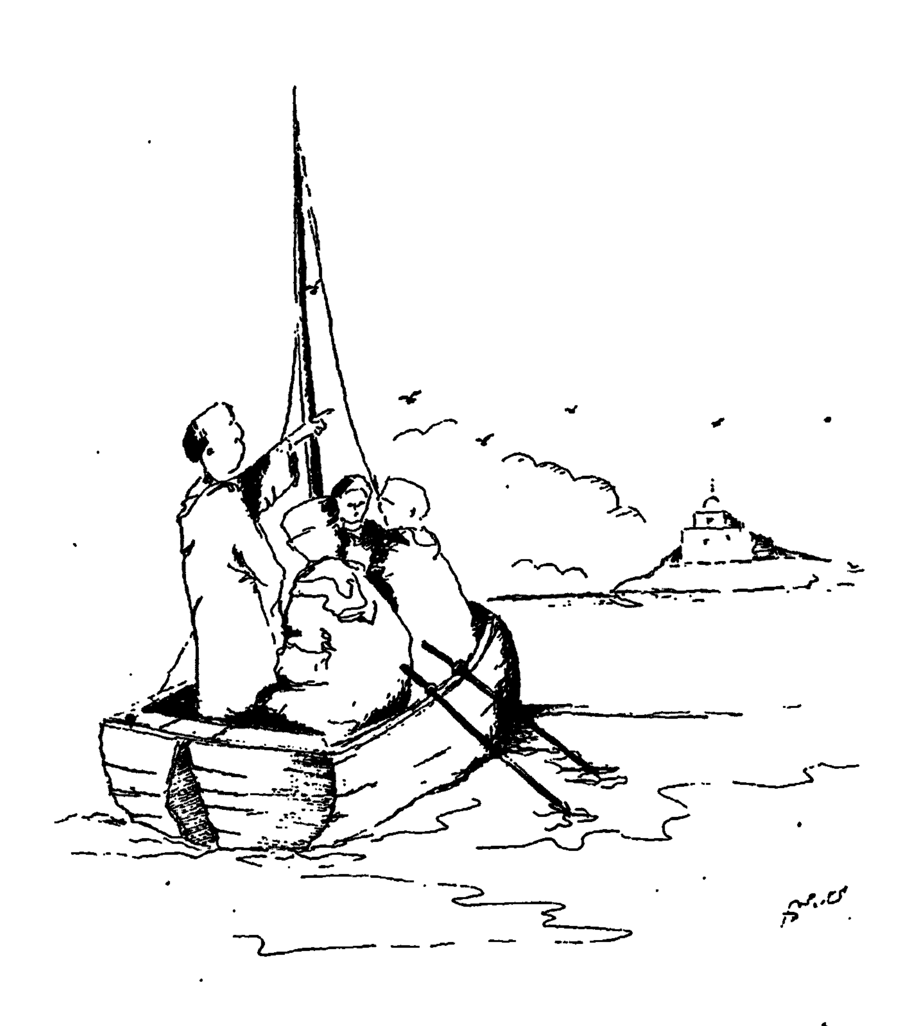
فطلب الاصدقاء من المنجم أن يخبرهم اين توجد الفتاة ، فعاد يعبث فى رماله ورمى حصاه ، وهمهم وتمتم ، ثم قال ، « انها فى جزيرة بعيدة داخل البحر وهى تعيش فى قصر العفريت هناك » .

ففرح اللص والنجار والصياد ، لان المنجم كشف لهم السر، وعرفوا حقيقة الفتاة بل ومكانها ، وقال اللص للنجار ، « ها قد آن الاوان لتنفعنا ، فهل يمكنك ان تصنع لنا قاربا يتسع لنا فنذهب ونحضر الفتاة ؟ » ، فرد النجار ، « بالطبع » ، وأخذ النجار يعمل فى نشاط حتى صنع مركبا متينا باربعة مجاديف ، وابحروا يرشدهم المنجم فى طريقهم الى شاطىء الجزيرة حيث تعيش الفتاة مع العفريت . ووصلوا الى شاطيء الجزيرة بعد سبعة ايام ، فقال اللص ،

الان يمكننى انا اللص ان اسرقها من العفريت ولو كان يخبئها داخل عينيه »، وطلب من اصدقائه أن ينتظروه ، وسار حتى وصل الى قصر العفريت ، فتسلق السور ونزل داخل القصر وتسلل داخله فى خفة ، فوجد الفتاة جالسة تبكى والعفريت نائما ، واضعا راسه على فخذها وممسكا بشعرها وقد لفه على يده ، وما ان رات الفتاة اللص حتى سألته ، « من انت ؟ » ، فقال لها ، « انا واحد من الاربعة الذين ظهرت امامهم فى الدار منذ ايام » ، وحكى لها ما حدث عن هروبهم وبحثهم عنها ، فهنفت، « لقد ارسلكم الله لتنقذونى من هذا العفريت » ، فقال ، « سأقص شعر راسك واضع حجرا تحت راس العفريت بدلا من فخذك » ، فرفضت أن يقص اللص شعرها ، فتقدم فى مهارة وخفة : واخذ يسحب شعرة واحدة من خصلة شعرها التى يمسكها العفريت ، ويلفها حول يده ، ثم شعرة اخرى وشعرة ثالثة ، وأخذ يسحب الشعرة واحدة بعد واحدة من يد العفريت حتى اصبح العفريت يقبض على بضع شعيرات ، فسحبها من قبضته ثم وضع حجرا تحت راسه بدلا من فخذها وصحبها معه ، وهرب بها من قصر العفريت ، وما ان وصلا الى الشاطىء حيث المركب ، حتى فرح أصدقاؤه لانه استطاع أن يسرقها من العفريت، ، لكنهم ما أن هموا بركوب المركب ، حتى احسوا بالارض تهتز من تحتهم وراوا العفريت مقبلا يجرى ، فقد صحا ولم يجد الفتاة وشم رائحة بنى آدم من حوله.

فهتفوا بالصياد يستحثونه على قتل العفريت ، فامسك بقوسه وسدد سهمه ، واطلق ، فطاش السهم ولم يصب العفريت ، وصاح الصياد ، «ياربى لم يبق لدى الا سهمان ، وصوب سهما ثانيا وأطلقه فلم يصب العفريت ، واصبح على قرب منهم ، فصرخ الصياد، « فليستنجد كل منكم بشيخه »، وصاح اللص ،« دعوتى غير مقبولة »، فصرخ الصياد « بل ادع فالله يغفر للجميع »، وسدد السهم الثالث والاخير واطلقه ، فأصاب اعفريت فى جوهرة راسه ، فارداه قتيلا .

ففرحوا ، واعجبت الفتاة بالصياد الذى انقذهم كلهم من العفريت ، ونزلوا الى المركب واخذوا يتحدثون ، فقال الصياد ، « ان الفتاة من حقى ، فانا الذى قتلت العفريت ؛ واريد ان اتزوجها » ، فقال اللص ، « لا بل انا الذى سرقتها من العفريت »، فقال النجار ، « انا الذى



وأبحرو يرشدهم المنجم في طريقهم الى الجزيرة حيث تعيش الفتاة مع العفريت

منعت المركب الذى جئنا به الى مكانها » . فصاح المنجم ،« لولاى لما عرفتم أين توجد الفتاة ، فلن يتزوجها احد غيرى » . .

واختلفوا كل يريد ان يأخذها لنفسه ، وتشاجروا ، فقالت الفتاة ، « صبرا حتى نصل الى البر وتتفقون » ، فسمعوا لكلامها وجدفوا حتى وصلوا الى الشاطىء ، عندئذ قال النجار ، « لنذهب الى القاضى ليحكم بيننا » ، فرد اللص « ان الفتاة جميلة ولسوف ياخذها القاضى منا ويطردنا » ، فقال المنجم ، « فلنذهب الى السلطان ليحكم بيننا » ، فرد اللص « سياخذها السلطان منا ويأمر بقطع رؤوسنا » .

فقال الصياد ، « عندى حل » ، فسألوه « ما هو ؟ »، فأجاب، ليتبارز كل اثنين منا حتى يقتل واحد الاخر ، ثم يتبارز الاثنان الباقيان فيقتل واحد منهما الاخر ومن يبق حيا منا سيأخذ الفتاة » ، فلم يرضوا بهذا الحل ، فقال اللص ، « ليس امامنا الا ان نذهب الى السلطان لينظر فى امرنا » ، ورضيت الفتاة بهذا الحل .

ومشوا جميعا الى قصر السلطان ، وكان الوقت ليلا ، فقال اللص ،« انتظروا حتى اناديكم »، ودخل القصر وتسلل فى خفة الى غرفة الملك ، فوجد السلطان مسترخيا وامامه الوزير يتسامران ، فنفخ اللص البنج ، فتخدر السلطان والوزير ، وغابا عن الوجود ، فحمل اللص الوزير ، ووضع له فوق راسه قلنسوة بقرون ، وجعله فى هيئة العفاريت ، وحمله وربطه ربطا متينا فى اعلى شجرة ، ثم رجع الى السلطان ونفخ عليه ضد البنج فأفاق قليلا وسأل السلطان ، « هل نمت يا وزير ؟ » فرد اللص ، « لا بل نمت أنت يا مولاى » ، فتثاءب السلطان وهو نصف مستيقظ ، وقال له اللص ، « سأحكى لك حكاية يا مولاى ، كان لص له ثلاثة اصدقاء ، نجار ومنجم وصياد وكانوا غير متزوجين » ، وحكى له ما حدث من ساعة العشاء ، وحضور الفتاة وكل ما جرى الى ان قال ،« وعندما رجعوا بالفتاة ، خافوا ان يذهبوا الى القاضى فياخذها منهم ويطردهم ، فقالوا لنذهب الى السلطان ليحكم بيننا ، وخافوا منه أيضا »، فضحك السلطان وسأل ،« وماذا حدث بعد ذلك ؟ »، فأجاب اللص ،« تسلل اللص الى القصر ، وابقى أصحابه ينتظرون ، وكان الملك مسترخيا يتسامر مع الوزير كما نفعل

الان يامولاى ، فنفخ اللص البنج فتخدر السلطان والوزير ، وحمل اللص الوزير ووضع له قلنسوة بقرون ، وربطه فى أعلى شجرة وعاد وافاق السلطان قليلا وساله ، بماذا تحكم ، فسال السلطان ، « وبماذا أجاب السلطان ؟ »، فأجاب اللص ،« يأخذها المنجم » فرد السلطان ، « لا ، لقد اخطأ السلطان ، بل يأخذها اللص » ، فاسرع اللص واحضر اصحابه ، واعاد سؤال السلطان ، « ما رايك يا مولاى من يأخذ الفتاة ؟ »، فاجاب السلطان « قلت لك لا يأخذها غير اللص ، فهو ظريف » ، فصاح اللص ، « لقد حكمت يا مولانا وانا راض بحكمك » ، وانصرف اللص واصحابه .

وبعد ساعات افاق السلطان ، فسمع صياحا ياتى من الحديقة فنادى الحراس وسالهم ، « ما الخبر ؟ » فاخبروه بأن فى الحديقة عفريتا فوق الشجرة ، فذهب السلطان الى الحديقة ، وتشجع الحراس بوجود السلطان بينهم ، وصعدوا الشجرة ، وانزلوا الوزير وازالوا القلنسوة والقرون ، واندهش الملك وسال الوزير ،« ماهذا ؟»، فأجاب الوزير ، « والله لا استطيع أن افسر ما حدث لى ، ولا إعرف كيف حدث » ، فقال الملك ، لقد حكيت لي حكاية اللص واصدقائه والفتاة الي خطفها العفريت واخذوها منه وقتلوه » ، لكن الوزير أنكر انه حكي حكاية للملك ، فأعاد الملك الحكاية ، وسال الوزير مرة أخرى ، فأنكر الوزير ، فعرف الملك أن اللص قد تسلل الى القصر حقيقة ، وخدره هو والوزير بالبنج ، وعلق الوزير فى الشجرة ، لان ما حكاه قد حدث ، واعجب السلطان بمهارة اللص الفائقة الحد وظرفه ، وقال للوزير ، « لقد كان فى امكان اللص ان يسرق ، أو يقتلنا ، ولذلك ارى ان نعطى له الامان ، ليظهر ويتقدم الينا »، فقال ، « نعم نعطى له الامان ، وحين يجيء الينا نقتله » ، فلم يرض السلطان بهذا الراى وانب الوزير .

ونادى المنادى ، « ان من حكى حكاية للسلطان ، يظهر وله الامان »، وعندما سمع اللص بذلك توجه الى القصر .

ولما مثل امام السلطان قبل الارض بين يديه ، وساله السلطان بعد ان ضحك كثيرا ، « لكن اريد أن أعرف ، لماذا ربطت الوزير وعلقته فوق الشجرة ؟ » ، فأجاب اللص ، « بانني ان تكلمت

مع اى شخص كبير ، يقاطعنى دائما من كان حوله ، لقد خفت ان يقاطعنى الوزيـــر وأنا احكي لمولاى » ، فقال السلطان ، « انك رجل ذكى وظريف ولا يصح أن تكون لصا » ، فأعلن اللص توبته ، وعينه السلطان حارسا لبيت المال حتى لا يسرقه احـــد .

التاجر المخادع

كان الرجل يعمل تاجرا ، يبيع ويشترى مختلف انواع الشاى ، وفى يوم اشترى كمية كبيرة من الشاى الردىء بثمن رخيص ، لكنه لم يخفض سعره وظل يبيعه بثمن الشاى العادى الجيد .

وتضايق الكثير من الزبناء ، واشتكوا ، وبينوا للتاجر ان الشاى الذى يشترونه منه ردىء الى درجة كبيرة ، لكنه كان يخدعهم بمعسول الالفاظ ، ويطيب خاطرهم ، ويحتج بمختلف انواع الحجج الكاذبة .

وكان اكثر الزبناء تذمرا رجل عجوز ، وفى اول الامر قال له التاجر : « انا لا اشك فى صدقك ، لكن صدقنى ، ان الشاى جيد النوع وربما كان سبب شكواك ، الماء ، فاحيانا يغير ماء البئر من طعم الشاى ورائحته » .

وانصرف العجوز وقد صدق ما قاله له التاجر ، ولم يعد ياخذ من ماء البئر ليصنع منه الشاى ، واحضر الماء من عند جاره ، لكن مذاق الشاى الردىء لم يتغير .

فذهب العجوز الى التاجر ، واشتكى له مرة اخرى ، فقال له التاجر ، « ربما يرجع السبب الى البراد ، فقد يكون قديما او لم يغسل جيدا » .

وانصرف العجوز ، واشترى برادا جديدا ، وغسله جيدا ، وجهز الشاى ، لكن الطعم الردىء لم يتغير .

ورجع العجوز الى التاجر ، وبين له انه قد غير الماء ، واشترى



برادا جديدا ونظفه ، ومع ذلك فان مذاق الشاى ظل كما هو ، رديئا الى درجـــة كبيـــرة .

ففكر التاجر برهة ، ثم قال للعجوز : « آه ، لقد عرفت السبب، انه الفحم ، ان الفحم الردىء يتلف الشاى ويجعله رديئا » .

فذهب العجوز الى الفحام ، واختار اجود أنواع الفحم ، وغسل الابراد ، واحضر ماء من عند جاره ، لكن ذلك لم يغير من الامر شيئا .

واسرع العجوز الى التاجر ولخبره بما فعل ، فهتف التاجر ، « لقد نسيته ، الان عرفت السبب ، قل لى يا عماه ، كيف توقد الفحم وتشعله ؟ »، فاجاب العجوز مندهشا ، « اشعل فيه النار وانفخ عليه بالمنفاخ » ، فصـــاح التـــاجر ، « هذا هو السبب ، فوهة المنفـــاخ ، ربما كانت اضيق أو اوسع من اللازم »، فصاح العجوز ،« والله لـــن اغير هذه المرة المنفاخ ولا فوهته انك تاجر مخادع »، وانصرف العجوز غـــاضبـــا .

أهلها أحمق منها

كان الرجل يعمل تاجرا ، دائم السفر والترحال ، وذات يوم جهز قافلة وحملها بمختلف السلع ، لكنه كان حذرا فقد عرف بخبرته وتجاربه ان لا يامن للزمان ، لان الربح والخسارة فى علم الغيب لا يعلمهما الا الله جلت وتعالت قدرته ، لذلك أبقى نصف ماله فى داره واوصى زوجته ان تحفظه لدواير الزمان (1)، وقال لها ضاحكا ،« هذا ليس مالى او مالك ، بل ان له صاحبا هو داوير الزمان ، فوعدته المراة بحفظ المال لصاحبه دواير الزمان .

وبعد أيام سافر التاجر مع قافلته ، ليبيع ويشترى ، قاصدا بلادا بعيدة ، وخبأت الزوجة المال فى قدر لتحفظه كما وعدت زوجها .

.ومضت أسابيع ، وذات يوم دق باب دار التاجر متسول بطلب صدقة ، فردت عليه الزوجة ، بالقول المعتاد ، « الله يعطيك » ، لكن المتسول ألح كعادة المتسولين ، فاجابته ، « ليس عندى مال » ، فرد ، « اعطينى اى شىء ، فانا اقاسى الجوع ولم آكل منذ ثلاثة ايام، اعطينى اى قدر من المال » ، فقالت المراة ، « ليس عندى الا اموال دواير الزمان ولا أستطيع أن أعطيك منها » ، فضحك المتسول يائسا وظن ان المراة تسخر منه وقال ، « وهل تعرفين ايتها المراة المنعمة دواير الزمان ؟ »، وتنهد وهو يردد ،« دواير الزمان »، فاندهشت المراة وكانت على قدر كبير من السذاجة وسالته ، « اتعرف انت دواير الزمان ؟ » ،فأجاب فى مرارة ساخرا ، « اعرف دواير الزمان ، ومن يعرفه غيرى ، أنا دواير الزمان »، يقصد أن يقول لها انه فقير ويعرف

---

(1) ـ كلمة مغربية « عامية » بمعناها ايام الضيق وقلة الرزق واصلها ، « انها دار الزمان ».



فهتفت : « سامحني ياعم«دواير الزمان»لم اعرفك، ولماذا لم تقـل من أول لحظة أنك دواير الزمان، ولماذا لم تجئ منذ أسابيع لتأخذ أموالك.

الفقر ، وكل أيامه ضنك ، فهتفت ، « سامحنى يا عم دواير الزمان ، لم اعرفك ، ولماذا لم تقل من اول لحظة انك دواير الزمان ، لماذا لم تجيء منذ اسابيع لتاخذ اموالك ، لقد تركها زوجى لك ، واوصانى ان احفظها من اجلك ، أصبر فساحضرها لك »، وجرت المراة الى داخل الدار .

ففتح المتسول فمه من شدة الدهشة والعجب ، فقد اندفعت المراة فى الكلام وقالت ما قالته ، وهو غير مصدق لما حدث ، وظل واجما ، وانتابه الدوار ، لكن المراة عادت تحمل قدرا ثقيلا واعطته له، فحمله بين يديه ومضى الى حال سبيله وهو يردد ، « هذا رزقى ، وقع علي من السماء » .

ومضت شهور وشهور ، وعاد التاجر الى داره ، عاد حزينا مهموما ، فقد أصابت الخسارة تجارته ، وفقد كل امواله ، وبعد أن حكى ما حدث له لزوجته ، وبين لها ان حظه كان سيئا ، فقد تقلبت الاسعار ، وفقد كل ماكان معه ، وتنهد وقال ،« الحمد لله لاننى ابقيت نصف اموالى هنا فى الدار ، احضرى لى يازوجتى المال » ، فسالته، « اى مال يا زوجى العزيز ؟ » ، فرد ، « مال دواير الزمان » ، فضحكت وقالت له ، « ولكن دواير الزمان جاء بعد سفرك باسابيع، واخذ ماله » ، فشهق التاجر وصرخ واستفسرها ، واخذ يهزها ويسالها ،« اى رجل ؟ من هو دواير الزمان ؟ احكي لى ما حدث » ، فروت له المراة ما جرى لها مع ذلك المتسول بالتفصيل .

فكاد الرجل ان يصعق ، وكان يعلم أن زوجته علي قدر من الحمق ، لكنه لم يكن يتصور أن تصل الامور الى هذا الحد ، وصرخ التاجر ، « لابد ان اذهب الي اهلك واشكوك اليهم ايتها الحمقاء ، كيف تزوجتك ايتها المراة » ، ذلك أن التاجر كان قد زوجته امه من هذه المراة .

فقرر أن يسافر الى بلاد زوجته ، ليشكو اليهم حمقها ، ويطلب منهم المساعدة أو يطلقها ويردوا له الصداق .

واخذ التاجر طريقه الي بلاد زوجته ، ولم يكن له دابه يركبها ، فسار على رجليه اياما واسابيع حتى وصل الى مشارف بلدة زوجته ، وكان الطريق الطويل قد غير هيأته ، فقد اتسخ جسمه ولطخ التراب

ملابسه ، وانهكه السير والتعب ، لذلك حين وجد عينا من الماء تحوطها الاشجار جلس بجانبها ، وخلع ثيابه واخذ يغسلها حتى يقابل اهل زوجته فى هياة حسنة ، وعلق ثيابه لتجف فوق شجرة ونزل ليستحم فى العين .

وجاءت بعض نساء القرية ليملان الاوعية بالماء من العين ، فأحس الرجل بالحرج وحاول ان يتوارى عن الانظار ، لكن دون فائدة، وكانت راسه بالطبع تظهر فوق الماء ، فراتها امراة وهتفت ، « انظرن، انظرن » ، وهتفت أخرى ، « باسم الله ، باسم الله » ، وسالت الثالثة هلعة ، «. انسى ام جنى ؟ » ، واخذت النسوة الهلعات يسملن ويسالن ، « انسى ام جني ؟ » ، فاندهش التاجر وتحقق من حمقهن ، فرد ،« آنسي »، فاخذن يسالنه ،« ومن اين اتيت ؟ » فرد ساخرا ، « من الاخرة » ، فبكت احداهن وولولت وقالت له ، « استحلفك بالله هل قابلت ابنتى خدوج ، لقد ماتت فى الاسبوع الماضى ؟ » فأجابها ، « نعم قابلتها » ، فسألته المراة ، « وهل تريد خدوج شيئا ؟! اني على استعداد ان اعطيها كل ما كانت تحبه من دمالج (1) وعقيق ومضمة (2)، ان كان ذلك يدخل السرور على نفسها؟»، وقبل ان يفيق التاجر من دهشته ، اندفعت امراة اخرى فى البكاء ، وسألت عن أمها وعرضت أن ترسل لها معه مجوهراتها ، فأجاب التاجر ، انه راجع بسرعة الى الاخرة وعلى استعداد ان يوصل كل شيء الى الاموات ، فرجته بعض النساء وتوسلن اليه أن يحمل أشياء كثيرة الى من نفقدن ، واخريات اوصينه بتبليغ السلام والاشواق ، فوعدهن باجابة مطالبهن .

وتحقق أن الحمق متوفر فى هذه البلدة ، واوضح للنساء انه ليس لديه وقت كثير يضيعه ، فأسرعت النساء لتحضرن له ما يرغبن فى ارساله الى فقيداتهن .

وعدن بسرعة وما ان مضت دقائق حتى كان قد ملأ صندوقا بالجواهر والاموال وافخر الملابس ، واخذت النساء تثرثرن ، هذه توصي بالسلام الى جدتها واعطائها عقدها اللؤلؤى والاخرى ترسل الدمالج ، وثالثة الجوهر ، واخرى تعطانا حريريا نفيسا . . . ،

---

(1) ــ دمالج : اساور

(2) ــ المضمة : حزام من الذهب او الفضة تتزين به النساء فى المغرب .

كل ذلك والتاجر غائص فى الماء غير مصدق ما يجرى أمام عينيه ، وتأكد من حمق نساء هذه البلدة ، واخيرا صرخ التاجر ،« لقد حان ميعاد رجوعى ، فعليكن بالانصراف لانه محرم على أن أظهر أمامكن »، لكن النساء استمررن توصينه وتستحلفنه بالله أن يهتم برجائهن ، وانصرفن اخيرا بعد أن أظهر التاجر غضبه من بقائهن .

وخرج التاجر من العين ، ولبس ثيابه وتأكد أن اهل زوجته احمق منها ، ولا فائدة من الكلام معهم ، أو الشكوى اليهم ، وفرح بما جمعه فى الصندوق وحمله فوق راسه وسار عائدا فى طريقه الى بلدته.

وحين عادت النسوة الى البلدة ، وكانت من بينهن واحدة أرسلت الكثير من المجوهرات الى اختها ، وكانت منفعلة اشد الانفعال ، وعندما رجع زوجها الى الدار اسرعت تخبره بما حدث ، فاندهش الرجل وصاح غاضبا ،« يالحمقاء »، فقد عرف أن النساء قد خدعن ، واسرع الى حصانه ليلحق بالمحتال ، وبينما كان التاجر يسير حاملا الصندوق فوق راسه، راى من بعيد غبارا يتطاير وشبح حصان يجرى مقبلا نحوه ، وكان الى جانبه حقل من الذرة فتوقف ، ودخل الحقل ، وخبأ الصندوق بين اعواد الذرة ، وامسك بعض الاحجار واخذ يرميها اتجاه الطيور وكأنه صاحب حقل الذرة يطارد الطيور ويبعدها عن محصوله .

واقترب الرجل راكبا حصانه ، ووقف على مقربة من التاجر وساله ، « هل رايت رجلا يسير ويحمل صندوقا ؟ » ، فأجاب التاجر: « نعم لقد رايت رجلا يسير ويحمل صندوقا » ، ففرح الرجل وساله، « وفى اى اتجاه سار ؟ » ، فرد التاجر ، « انه دخل حقل الذرة ومشى فى هذا الاتجاه »، وأشار الى ناحية بعيدة من الحقل واستطرد ،« ولماذا انت فى عجلة وتسال فى لهفة عنه ؟ » ، فأجاب الرجل ،« انه محتال ولص واريد ان الحق به» ، فقال له التاجر ، « لقد مر من هنا وكان يحمل صندوقا ويبدو عليه التعب والانهاك » ، فقال له الرجل ، «لكننى لا استطيع ان اسير فى حقل الذرة راكبا الحصان ، فارجوك أن تحرس الحصان حتى الحق به وامسكه » ، ونزل من فوق الحصان وأعطى لجامه للتاجر ، وجرى فى حقل الذرة فى اتجاه الناحية التى اشار اليها التاجر ، وما ان ابتعد الرجل حتى أحضر التاجر الصندوق من بين

اعواد الذرة، ووضعه فوق الحصان وركبه وجرى به ، فانتبه الرجل والتفت ، واذهله ما راى ، لقد راى الحصان يجرى وقد ركبه التاجر وامامه الصندوق .

فأخذ يصيح ، ويطالبه بالرجوع ، لكن التاجر رد عليه من بعيد ، « اعذرنى ، لقد أخذت الحصان ، لاننى أود ان اذهب الى الاخـــرة بسـرعة ، لاوصل الحاجيات الى اقاربكم الموتى » ، فجرى الرجل في سـرعـــة مخترقا حقل الذرة ليلحق بالتاجر .

واثناء جريه كان يكسر أعواد الذرة ، وزآه صاحب الحقل الحقيقى، فجاءه مسرعا وقد ظن انه أحد اللصوص اتى ليسرق محصوله ، فامسك به وانهال عليه ضربا بالعصا .

اما التاجر فقد رجع الى زوجته راكبا حصانا ،ومحملا بصندوق ملىء بالجواهر والملابس ، ودخل الدار وهو يردد ،« أهلها أحمق منها » .

الكيّ بالسكين

كان الرجل ميسور الحال وقد رزقه الله بسبع بنات ، .ومضت السنوات وكبرت البنات واصبحن شابات جميلات ، لكن آلاب كان يحب بناته ولا يريد ان يسرع بتزويجهن ويتمنى ان يزوجهن خير الرجال .

وفى يوم دخل الرجل الى داره دون ان تشعر به الفتيات ، وكن يتحادثن عن آمالهن ورغباتهن فى الزواج ، فقالت واحدة منهن ،« انى احب ابن عمي فلان واود ان اتزوجه »، فتوقف الاب فى مكانه مذهولا ولم يتحرك ، وبقى يستمع ، وقالت بنت اخرى ،« اما انا فيكاد العشق ان يهلكنى ، انى احب ابن خالتى فلان ولابد ان اتزوجه »، وقالت ثالثة ، « حبيبى خفيف الروح شريف ولطيف ، من يجمعنى به ويزوجنى له ، فاننى اخجل من ابى ولا استطيع ان اطلب منه ان يزوجنى اليه » ، وقالت الرابعة ،« ان لم يرض ابى أن يزوجنى من ابن خالى فلان فساقتل نفسى »، وقالت الخامسة وهى تضحك »، انا احب ولد جارنا .

نشــوفــوا ويشــوفنــا
ما يجيب حد اخبارنا (1)

وقالت السادسة ،« اريد ان اتزوج ولو رجلا اقرع لكن يجب ان يكون غنيا وانا على استعداد ان اتبل راسه القرعاء كل يوم، « اقرع وبفلوسه ، هات لى راسه نبوسه »، وقالت السابعة وهى تتنهد ، « اريد حنطر بنطر كطايته (2) اكثر من رطل » .

وادرك الرجل انه قد اخطا ، وكان يجب عليه ان يزوج بناته منذ

(1) — لا يطلع أحد على سرنا
(2) — كطايه : ضفيرة من الشعر ، اكثر من رطل ، المعنى ان تكون ضفيرة طويلة .

مدة طويلة ، لذلك غير رايه واسرع بتزويجهن ، فزوج الاولى الى ابن عمها ، والثانية الى ابن خالتهـا ، والثالثة الى حبيبها خنيف الروح ، والرابعة الى ابن خالها حتى لا تقتل نفسها ، والخامسة الى ابن الجيران والسادسة الى رجل اقرع غنـي .

اما السابعة فقد احتار لانه لم يجد « حنطر بنطر كطايته اكثر من رطل ». وظل يبحث حتى وجد رجلا له هذه الصفات ، لكنه كان فقيرا ويعمل « كياسا » (1) فى الحمام ، فذهب اليه وقال له ، « اننى اعرف انك رجل فقير لكننى ساعطيك ابنتى هدية ، سازوجها لك ولن اطلب منك او اكلفك شيئا ، فوافق الرجل فرحـا ، وذهب الاب الى السوق واشترى الاثواب الملائمة والحاجيات الاخرى ، وزف ابنته الي الرجل الذى تمنت الزواج به .

ومضت الايام وحملت الفتاة لكن زوجها كان فقيرا ، فقاست كثيرا وتالمت ، فالفقر يسبب الكثير من المشاكل ، واضناها الحرمان من ضروريات الحياة .

ومضت عدة شهور ، واخذت تتوحم واشتهت سمك الشابل (2) اكن زوجها لم يقدر ان يحضره اليها ، ففكرت ورات ان تذهب وتزور اختها التي تزوجت الاقرع الغنى ، وتطلب منها ان تحضر لها ما اشتهته من الطعام . وذهبت الفتاة الى اختها ، فرحبت بها الاخت واكرمتها ، وقدمت لها الحلوى ، وادخلتها الى غرفة واسعة مليئة بالفراش الوثير والوسائد الحريرية المطروزة ، واخبرت الفتاة اختها انها تتوحم وترغب فى ان تاكل سمك الشابل الشهى مقليا ، فاسرعت الاخت وارسلت احدى خادماتها الي السوق ، وطلبت منها ان تشترى كمية كبيرة من سمك الشابل .

وسرعان ما عادت الخادمة ، فامرتها سيدتها ان تجهز السمك وتقليه بسرعة ، وفاحت رائحة السمك المقلى الشهية ، فذهبت الفتاة مع اختها الى المطبخ حيث يقلون السمك ، وحين نضجت بعض الاسماك اخرجتها الخادم من المقلاة ووضعتها فى طبق ، وكانت الاخت صاحبة الدار تساعد الخادمة بسكين ، تقلب به السمك فى المقلاة ، وتناولت

(1) — رجل يعمل فى الحمام ومهمته مساعدة المستحمين .
(2) — سمك يوجد بالانهار التى تصب فى المحيط الاطلسى .



فمست بلطف يد أختها بالسكين الساخنة التي تقلب بها السمك.

الفتاة التي تتوحم قطعة من السمك المقلى بسرعة وابتلعتها ، فتضايقت الاخت من فعل أختها أمام الخادمة ، فمست بلطف يد اختها بالسكين الساخنة ، التى تقلب بها السمك ، وقالت لها ،« أصبرى » ، فحرقت السكين يدها ، وصرخت الاخت وقالت ، « الكى بالسكين ولا راجل مسكين »(3) وصــــارت مثلا .

(3) ـ الكى بالسكين الساخنة اهون من الزواج برجل فقيــر

الطائر الأزرق

كان حتى كان ، كان الله فى كل مكان ، كانت امراة عجوز تجلس على شاطىء النهر ، غسلت صوفها ، ثم نشرته فوق اغصان الاشجار، وظلت تنتظر حتى يجف ، واقبلت حمارة محملة بالاوانى والاطباق والكؤوس ، ووقفت على مبعدة من العجوز ، ولم يكن هناك احد يقود الحمارة ، او يسير وراءها ، وفجأة تحركت الاشياء فأخذت الاطباق والكؤوس والاوانى ترتفع قليلا بهدوء وخفة فى الهواء ، ثم تنزل الى الشاطىء وتتراجع فى نظام حتى تغطس فى الماء وتعلو وتهبط وتدور وتغسل نفسها بنفسها ثم تعود فى نظام ، الطبق وراء الطبق ، والاتية الصغيرة فوق الاكبر منها، والكاس وراء الكاس، وجمعت نفسها فوق ظهر الحمارة ، ثم استدارت الحمارة ، وسارت فى الطريق الذى تبدو انها تعرفه .

نذهلت العجوز لما رات واستبد بها العجب ، وارادت ان تفهم الامر وتعرف السر ، فقامت وجمعت صوفها نصف مبلل ومشت وراء الحمارة وتبعتها .

ووصلت الحمارة الى قصر جميل يحيط به بستان ، وما ان اقتربت من الباب حتى انفتح الباب دون ان يفتحه انسان ، فدخلت الحمارة وتسللت المراة وراءها وانقفل الباب ، وظلت الحمارة تسير فوق المرات المعشوشبة والمنسقة باتقان بين الاشجار المحملة باشهى الثمار ، وانتشرت الورود فى كل مكان فى اتساق ونظام ترتاح لمرآها العيون ، وينعش عبيرها القلوب ، حتى وصلت الى باب القصر فانفتح الباب ولم يظهر انسان ، وطارت الاوانى والكؤوس والاطباق ، والصوانى بخفة فى الهواء ، ودخلت القصر ، فمشت العجوز وراءها



وأقبلت حمارة محملة بالاواني والاطباق والكؤوس ووقفت على مبعدة من العجوز

مندهشة لما يحدث أمامها ، ودخلت الاشياء الى غرفة متسعة فيها بعض الارائك المكسوة بالحرير الثمين ، وبعض المساند التى وضعت حول بساط فاخر ، وما ان دخلت الاشياء الحجرة حتى جاءت منضدة محمولة فى الهواء ، مثل الاوانى ، ووضعت المنضدة نفسها فى منتصف الحجرة ونزلت الصوانى والاطباق والاوانى والكؤوس فوقها ، ثم جاءت طائرة فى الهواء بخفة ونظام اصنافه فاخرة من المأكولات ، دجاج ولحوم ناضجة ، وخضروات وفطائر وكل ما لذ وطاب ووضع نفسه فى الاطباق حتى أصبحت مائدة الطعام معدة وجاهزة .

وسمعت المرأة العجوز شيئا خفيفا من الضوضاء شبيها بحفيف الطيور وهى تطير فى الهواء، فاختبأت وراء الباب ، ودخل الغرفة طائران كبيران لم تر العجوز لهما مثيلا من قبل ، فلم تعرف من اى انواع الطيور هما ، لانهما كانا على قدر كبير من الحسن والجمال والفتنه ، يلمع ريش كل منهما ويضيء فيخطف سناه الابصار . أحدهما أحمر اللون عيناه حمراوان ، ومنقاره وردى والاخر فى لون السماء ازرق العينين ، هبط الطائران فى هدوء فى الغرفة يرفرفان باجنحتهما ، فانتشر فى الحجرة عبير عطر أجمل من عبير الورود ، وما أن هدأت حركتهما حتى انتفض كل منهما فجاة وخلع ريشه ، وتحول الى انسان ، وأصبح الطائر الاحمر شابا جميلا فتانا له عينان حمروان ، لونهما كلون الياقوت النفيس ويلبس ملابس الامراء ، وفى أصابعه خواتم ثمينة وحول عنقه قلادة مطعمة بالاحجار الكريمة ، وصار الطائر السماوى أميرا اشد فتنة وأروع حسنا من صاحبه، تنبعث من عينيه الزرقاوين الجميلتين نظرات ساحرة ، وذهلت العجوز لما رأت فكتمت أنفاسها حتى لا يلحظان وجودها .

وجلس الاميران يتناولان الطعام ، وكان كل صنف ينتهيان منه يطير طبقه فى هدوء وينزل على مائدة مجاورة ، الى ان أتى طبق من البللور مليئا بالبرتقال الناضج المستوى الشكل ، الشبيه بكرات ذهبية؛ فتوقف الامير صاحب العينين الزرقاوين عن الطعام ثم مد يده وامسك برتقالة وأعطاها لاخيه الامير صاحب العينين الحمراوين وقال ، «هذا نصيبك يا أخى » ، وأخذ برتقالة أخرى ووضعها فى طبقه وقال ، «وهذا نصيبى» ، ثم تناول برتقالة ثالثة وأخذ ينظر اليها فى وجد ورقة وهيام وقال بصوت عذب مؤثر ، « وهذا نصيب حبيبتى الاميرة

عائشة الغائبة عن العيون الحاضرة دوما فى القلوب »، ويكى ، وبعد ان انتهيا من تناول الطعام ، أخذت الاواني والصواني والاطباق والكؤوس تطير فى الهواء بهدوء وتخرج من الغرفة ، حتى وصلت عند الحمارة ، ورصت نفسها فوق ظهرها ، وسارت الحمارة ، وتسللت العجوز وتبعتها ، وانفتح باب البستان ، ثم انتقل ، وسارت الحمارة الى شاطىء النهر ، أما العجوز فقد رجعت الى دارها .

اما الاميران فما ان انتهيا من الطعام حتى قاما ، ولبس كل منهما ريشه وانتفض وتحول الى هياة طائر ، هذا سماوى وذاك احمر ، وطارا بعيدا حتى هبطا على ربوة أمام شرفة قصر الاميرة عائشة ، وكانت الاميرة واقفة فى الشرفة تنتظر ، وما ان راتهما حتى رددت فى صوت حنون رقيق ، الطائر السماوى، الطائر السماوى حبيبى، كانت الاميرة عائشة قد رات الطائر السماوى منذ زمن لاول مرة ووقعت فى حبه، وكان يجيء كل يوم مع اخيه الطائر الاحمر وينزلان على الربوة ، ويتقدم الطائر السماوى قليلا فيفتن بسحره الاميرة ويعصف بقلبها ، كانت تحبه وتهواه ، لكن كيف تكلمه وهو طائر صامت ، اما هو فكان يعشقها ويهواها، ويجيء اليها كل يوم، لكنه كان غير قادر على الافصاح عن حبه، لكن عيونه الزرقاء كانت تقول لها اشياء وتهيم بها فى عالم مسحور مملىء بالبهجة واللذات ، ومضت ثلاث سنوات والحب ينمو ويشتعل فى القلوب .

وكانت الاميرة تتعذب فى حبها ، فهى لاتدرى شيئا عن قصة الامير ، انها تحب ذلك الطائر الفتان ، لان عينيه الانسانيتين تكلمانها وتعدانها بجنة الاحلام ، فهل هذا صحيح ؟ ، وهى تجهل الحقيقة ، ذلك لان الامير حولته هو واخاه ساحرة ، وكان عليهما ان يظلا على هيئة طيور مدة من الزمان قاربت الانتهاء ، ولم يستطع الامير ان يخبر حبيبته ، وعليها ان تصبر دون أن تعرف، فكان عذابها اكثر من عذابه وحبها اقوى من حبه ، ونظرت الاميرة الى الطائر السماوى ، فتناجيا بالعيون ، حتى فاضتا بالدموع ، فخلعت الاميرة عقدها المرصع بالجواهر ورمته الى الطائر السماوى فابتلع حباته وطار يتبعه الطائر الاحمر .

ولم تستطع الاميرة صبرا ، فقد اضناها الحب ، فجرت الى داخل قصرها ، ونادت جواريها وامرت واحدة منهن ان تلبس ثيابها

وتأخذ مكانها ، وأخبرتها أنها سترحل فان رجعت فستعود الامور الى مجراها ، وان لم ترجع فستظل تلبس ملابسها وتقوم بدورها .

وحملت معها شيئا من مجوهراتها وصرة من المال ولبست ملابس الجارية وخرجت من القصر تريد ان تبحث عن الطائر السماوى ، فهو يجىء من هناك ، من وراء الربوة ، ترى أين يعيش ، ولماذا يجىء دائما من هذه الناحية ؟ انها تحب ، وتريد أن تعرف كل شىء عن حبيبها .

وكان الوقت عصرا حين غادرت الاميرة قصرها وسارت فى طريقها دون ان تدرى الى أين تذهب ، فكل ما تعلمه ان حبيبها يجىء من هذه الناحية ، فاخذت تنظر الى الاشجار فلربما تراه أو الى السماء علها تلمحه ويلمحها ، ولم تجده ولم تسعد عيناها برؤياه او يخفق قلبها لوجوده .

وظلت تمشى حتى غابت الشمس وحل الظلام ، ورأت ضوء كوخ على بعد ، فاقتربتمنه ودقت الباب ، ففتحت الباب المراة العجوز، التى تبعت الجارة منذ ساعات .

ورحبت بها العجوز وادخلتها كوخها ، وجلست الاميرة ترتاح ، فقد كانت متعبة ، وسألت العجوز أن تقضى عندها ليلتها فاجابتها العجوز ، « مرحبا يا ابنتى ولتسامحينى لاننى فقيرة وليس لدى فراش وثير ، الا تلك الحشية التى أنام عليها ، فان اردت فلتنامى بجانبى »، فشكرتها الاميرة وقدمت العجوز لها عشاء بسيطا ، وبعد العشاء جهزت لها « أتاى » الشاى ، وشربتا بضعة اقداح ، وسألت الاميرة العجوز ان تحكى لها خرافة لتسليها قبل النوم ، فقالت العجوز ، « سأحكى لك يا ابنتى حكاية رأيتها بعينى وهى أغرب من الخيال ، فقد ذهبت اليوم الى شاطىء النهر لاغسل شيئا من الصوف ، وعلقته ليجف فوق الاغصان ، فجاءت حمارة محملة بالصوانى والاوانى والاطباق والكؤوس .. » ، ومضت العجوز تحكى ما جرى لها للاميرة ، حتى قالت ، « وهبط طائر سماوى له عينان زرقاوان ساحرتان وطائر احمر صاحب عينين حمراوين »، فخفق قلب الايمرة وجاشت عواطفها وامسكت بيد العجوز منفعلة ، واخذت تسألها اسئلة قصيرة سريعة حائرة ، والعجوز تجيب وتثير تشوق الاميرة ، التى تأكدت انه الطائر

السماوى حبيبها وحين قالت العجوز ، « وتحول الطائران الى بشر »، صرخت الاميرة ،« وما شكل الانسان الذى تحول اليه الطائر السماوى»، فوصفته العجوز ،« أمير فتان تشع عيناه الزرقاوان سحرا لا يقاوم ، وهو مفتول العضلات مستقيم العود وله شارب جذاب ولحية صغيرة تزيد وجهه الجميل اشراقا فوق اشراق ، ويفوح منه عبير أجمل من عبير الورود » .

وما أن قالت العجوز إن الامير ابقى برتقالة وقال ، « وهذا نصيب الاميرة عائشة الغائبه عن اعيون الحاضره دوما فى القلوب »، حتى كاد قلب الاميرة يكف عن الخفقان ، وغابت عن الوجود .

فرشت العجوز الماء على وجه الاميرة الى أن افاقت وهى تردد ، « يحبنى يحبنى ، يحبنى الامير ، ناشدتك الله ياعمتى أن تاخذينى معك فى الغد الى شاطىء النهر » ، فوعدتها العجوز .

ونامت الاميرة سعيدة فرحانة ، تحلم بالطائر السماوى صاحب العينين الزرقاوين الجميلتين ، ذلك الذى يتحول الى امير يشع من عينيه السحر وتملأ انفاسه العطرة كعبير الورود المكان حوله ، ولم تستطع العجوز أن تنام ، لان الاميرة كانت تناجى حبيبها فى الاحلام ، وبين الفينة والفينة تهتف ، « يحبنى ، يحبنى ، يحبنى الامير » .

وفى الصباح نهضت الاميرة مبكرة غير مصدقة أن ساعة اللقاء قد أقتربت ، وارادت ان تذهب الى شاطىء النهر فى الحال ، لكن العجوز بينت لها أن الحمارة لا تجىء الا ساعة الظهيرة ، فهتفت بها ترجوها أن تعيد عليها ما روته لها من قبل ، وان تصف مرة أخرى شكل الطائر السماوى ، وكانت العجوز تحكى فى طلاوة ورواء ، مسألتها التكرار ، وكانت لا تشبع ولا تهدأ ، ويسعدها أن تسمع العجوز تزيد وتعيد ، ذلك أن الحب اضناها منذ وقت بعيد فقد صبرت وعانت ، وعصفت بقلبها آلام العشق والهيام .

وقبل الظهر بساعة كانتا عند شاطىء النهر ، العجوز تغسل صوفها وتعلقه فوق الشجر ، والاميرة تحلم بلقاء الحبيب ، شاردة هائمة ، وتطلب بين الفينة والفينة من العجوز أن تعيد حديثها .

وابصرت الاميرة الحمارة مقبلة من بعيد تتهادى بحملها ، فهتفت

فى لهفة تخبر العجوز وهى تقفز فرحـــة ، « هاهى الحمارة » ، فأومأت العجوز براسـها وقالت ،« نعم يا ابنتى »، وكما حدث من قبل أقتربت الحمارة من شـاطىء النهر وبدأت الاوانى والكؤوس والاطباق تتحرك فى الهواء وهبطت الى ماء النهر فى خفة وهدوء وغسلت نفسـها فى نظام ثم عادت الى ظهر الحمارة التى اخذت تسير عائدة ألى القصر ، ومشت الاميرة تتبعها العجوز ، وانفتح الباب ، وسـارتا بين ممرات الحديقــة الغناء ودخلت الحمارة القصر ، وجاءت المائدة ، واختبات الاميرة خلف (دفة) مصراع الباب الايمن والعجوز خلف مصراع الباب الايسر ، وعطر العبير الجو ورفرف الطائران بجناحيهما وهبط الطائر السماوى الفتان يتبعه الطائر الاحمر ، ونفض كل منهما ريشه، وتحول الى امير جميل يلبس افخر الثياب ويتحلى بأنفس المجوهرات، وكادت الاميرة ان تغيب عن الوجود ويتوقف قلبها عن الخفقان، فقد كان الامير حبيبها صاحب العينين الزرقاوين اجمل الف مرة مما قالت العجوز، سـاحرا فتانا يشع وجوده ضياء ويشرق وجهه الصبوح كما تشـرق الشمس فى الصباح،وجلس الامير واخوه امام المائدة ، وجاء الطعام الفاخر وملئت الاطباق ، وأكل الاميران ما لـــذ وطاب ، ثم جـــاء البرتقال الذهبى واعطى الامير أخاه برتقالة ، قائلا ،« هذا نصيبك ياأخى »، ووضـع برتقالة فى طبقه وقال، « وهذا نصيبى » ، ثم تناول برتقالة ونظر اليها فى وجد ورقة وهيـــام وقال بصوت عذب مؤثر ، «وهذا نصيب حبيبتى الاميرة عائشة الغائبة عن العيون الحاضرة دوما فى القلـــوب » ، وبكى ، وكانت الاميرة تبكى معه ، وحين قال أخوه ، « اننى أشم رائحة حلوة غريبـــة هنا » ، كانت الاميرة قد سبقته قبل ان ينتهى مـــن كلمـــاته وهرعت الـــى الامير المحبوب وهتفت من قلبها ، « لا لسـت غائبة أبدا عن عينيـــك الجميلتين »، وبالرغم من دهشـته وذهوله فتح لها ذراعيه وأخذها بين احضـانه لحظات هى احلى لحظات العمر ، سـاعة اللقاء بعد الضنى والعذاب ، واخيرا قال لها ، « لا أستطيع أن أصف سـعادتى وفرحتى بلقائك ياحبيبتى ، ولكن سرنا وقصرنا المسحور وما نعيش فيه مـــن احوال غريبة لا يمكن أن يعرفه مخلوق ، فكيف جئــت الى هـــنا يـــا اميرتى ، ياحبيبتى ؟ » ، فضحكت الاميرة وذعرت قليلا ولم تخف لان الحبيب لا يخاف من حبيبه ، بل خافت على العجوز فاجابت ، «أحضـرتنى امراة طيبة عجوز » وحكت القصة ، وسألته ان لا يمس العجوز بسوء فهتف ، «ابدا بل أكافئها ، بل أكافئها بكنوز الارض ، لانها حققت لنا

الهناء والسعادة » ، فخرجت العجوز من مخبئها آمنة مطمئنة ، ورحب بها الاميران : وجلست ، وأبدى لها الامير صاحب العينين الجميلتين الزرقاوين الوانا من الشكر والعرفان بالجميل ، واعطتها الاميرة الكثير من مجوهراتها وشيئا من المال ، وانصرفت بعد ساعة مسرورة فرحانة .

وقبل مغيب الشمس قال الامير للاميرة ، « ياحبيبتي لابد أن أفارقك » ، فصاحت فزعة ، « تفارقنى هذا لن يكون أبدا » فمضى فى لطف وحنان يطمئن خاطرها ويبين لها أنه وأخاه قد سحرتهما ملكة من ملكات الجان وحكمت عليهما ان يتحولا الى هيأة الطيور لمدة ثلاثة أعوام ، وحزنت أمهما الملكة حزنا شديدا لهذا العقاب ، لكنها توسلت الى ملكة الجان أن تترفق بالاميرين فبنت هذا القصر وسمحت لهما أن يتحولا فى داخله ساعات قليلة كل يوم الى هيأة البشر ، أما الحمارة فاصلها جارية مسحورة الى هيأة حمارة ، وهى التى كانت تقوم بخدمتهما ، وما رأته من أعاجيب كالاطباق تغسل نفسها ، والطعام يجىء طائرا فى الهواء ليس الا شيئا يسيرا من قدرة ملكة الجان ، وأضاف الامير ، « لكن يشاء الحظ السعيد أن يجمعنى بك اليوم ، واليوم هو آخر يوم أبقى فيه طائرا مسحورا وغدا حين اعود وبعد تناول طعام الغذآء سأخلع ريش الطائر واحرقه وساظل انسانا ، واخى كذلك ، ولكن علينا أنا واخى ان نذهب الى ملكة الجان لتمنحنا الاذن وتعطينا العفو ، سنذهب ونقابلها ، كما يجب علينا كذلك أن نبيت هذه الليلة مع امنا التى كادت دموع الاحزان أن تعمى عينيها ، فلتبقى اذن يا أميرتى هنا فى القصر وسأعود اليك غدا ساعة الظهر ولن أفارقك حتى الموت ».

فارتجفت الاميرة وهلعت وهتفت ، « لا ، لا ، لا استطيع أن اسمح لك بالذهاب حرام عليك ، فقد أضنانى الحب وعذبنى البعاد ، لا، لا، لا أستطيع فراقك » ، فهدأ الامير من روعها وأوضح لها لزوم هذا الرحيل المؤقت ، وناشدها أن تصبر يوما واحدا ، لكن الحب يغلب العقل ، فارتمت الاميرة بين أحضانه وتوسلت اليه أن يبقى ، فمن يدرى المستقبل ، سيقضى الليل عند أمه ، وغدا سيرجع انسانا ، انه الان هنا معها ، ولا تريد أبدا أن يبعد عنها ، واخذت ترجوه أن لا يفارقها ، لكن الامير أعطى لها المواثيق ووعدها الوعد الاكيد بأنه

سيعود اليها دون تأخير ساعة الظهيرة فى الغد ، فسمحت له أن يطير ويغيب يوما واحدا كما قال .

وبقيت الاميرة وحيدة فى القصر ومضت طوال الليل تحلم احلاما لذيذة ولطيفة وعامرة بأطايب السعادة والهناء ، ذلك أن قلبها الملىء بالحب قال لها ان الامير يحبها وانه سيعود ، لابد أن يعود .

وفى الصباح هامت فى انحاء القصر داخل الحديقة الجميلة كما تهيم الفراشة حول الورود ، وابتسمت حين مرت بخاطرها فكرة ، انها تريد ان تلعب بقلب امير قليلا ، وتشاغله وتثق ، وهى الواثقة مرة اخرى من حبه الاكيد .

لذلك حاولت الخروج من القصر قبل الظهر بساعة ، لكن الباب كان مقفولا ، فزحفت وخرجت من فتحة « القادوس » القناة الى تدخل الى الحديقة وترويها ، ومشت قليلا ، فقابلت بائعا يبيع الملح على حماره، وطلبت منه ان يعطيها ملابسه والحمار ، ووهبته الكثير من المال ، ففرح فرحا شديدا، وشكرها وانصرف .

فأخذت ملابسه الرثة المقطعة، ولبستها وجلست خارج سور القصر، فقد أرادت أن تضنى قلب الامير قليلا ، لتثق من حبه تماما ، ولانه تركها ولو لامر هام ، ليلة واحدة ، وبعد ساعة رأت حبيبها الطائر السماوى والطائر الاحمر يقبلان من أعلى السماء ورفرفا بجناحيهما ، ونزلا داخل القصر .

كان الامير الطائر فرحا بخلاصه وكذلك اخوه ، فانتفض كل منهما وتحول الى انسان ، لكن أين الاميرة ؟ ، اين الاميرة ؟ ، وارتفع صوته يسأل اخاه الحائر ، أين الاميرة ؟ واخذ يبحث عنها فى انحاء القصر فلم يجدها ، وخرج يجرى هنا وهناك فى الحديقة دون فائدة ، ماذا جرى ياترى ، هل غضبت لانه تركها وانصرف ، أكان الامس حلما من الاحلام لكن لا ، لقد عانقها وارتمت بين أحضانه ولو للحظات ، واستنشق عبيرها الفواح ، لا، لم يكن حلما ، هل عادت الى قصرها ، وجرى الى خارج القصر ، فقابل بائع الملح الرث الثياب وسأله فى لهفة ، « هل رأيت احدا يخرج من القصر ؟ » ، فأجاب بائع الملح الواقف بجوار حماره ، « نعم رأيت امرأة تخرج من القصر » ، فهتف الامير يسأله ، « وما شكلها ؟ » : فقال بائع الملح ، « انها شابة لم ار فى حياتى مثيلا

لحسنها وروعة سحرها . عيناها سوداوان فتانتان آه من عينيهــا ؛ يبرق سوادهما فيطيح بالعقول ، وخداها تشع حمرتهما جمالا كتفاحــة ناضجة . وشفتاها وردة ترتعش في الفجر وقد انعشها نسيمه ، ونهداها كحبات رمان يداعبها الريح فترقصان في تثاقل وهما معلقتان في اغصانهما، وذراعاها بضتان غضتان طريتان كسمكتي بوري ، طويلتان ملفوفتان ورجراجتان ؛ اما ساقاها فكأنهما مصنوعتان من الزبــد الطــازج ، ان مشت نغزال : تخطو فتميل وتميل ، وتعصف بقلب العاشق الذليل »، كانت الاميرة المتنكرة في شكل بائع الملح تصف نفسها وتكتم ضحكاتها ، والامير يسمع ويريد ان ينطق فلا يقدر ؛ فقد اثاره الوصف وبعث به الى عالم حبه الجميل ، ورآها بعين الخيال ، وتحرق شوقا الى اللقاء ، كان الوصف يشبعه ولو قليلا ، لذلك ما ان انتهى بائع الملح من كلامه حتي هتف الامير من قلبه المعذب يسأله ، « ما شكلها ؟ ما شكلها ؟»، فأعاد بائع الملح كلامه مرة اخرى ، وطلب منه الامير ان يصحبه ليبحث عنها معه، لكن بائع الملح قال له ،«لقد اوصتني ان سأل عنها الامير..»، فقاطعه صائحا ،«أنا الامير، أنا الامير ماذا قالت لك، ماذا قالت ..».

فانحنى بائع الملح والتمس من الامير ان يسامحه لانه لم يعرفــه واضاف فقال ،« انها توصيك أن تصبر ولا تقلق لغيابها ، فهي ستعود ، ستعود بصفة مؤكدة بعد يوم واحد » ، فأخذ الامير يستفسره ويلح في السؤال ، لكن بائع الملح اكد انها لم تزد حرفا واحدا عن ما قاله له ، وانه أبلغ الرسالة بالتمام .

عندئذ توسل الامير الى بائع الملح أن يدخل معه القصر ، ويبقــى حتى تعود الاميرة ، لكن بائع الملح اعتذر واحتج بوجود الحمــار ، وأن الحمار عزيز عليه أثير لديه . ولا يمكنه ابدا ان يفارقه ، فقال لــه الامير ، « وما المانع ، فليبق الحمار معنا » ، وصحب الامير بائــع الملح الرث الثياب وحماره الى داخل القصر ، واجلس بائع الملــح بجانبه والحمار معهما .

ورجاه في لطف ولهفة ان يعيد مرة اخرى وصف الاميرة ، فقال بائع الملح ،« عيناها سوداوان فتانتان ؛ آه من عينيها ، يشع سوادهما بريقا يطيح بالعقول ، خداها تشع حمرتهما جمالا كتفاحة ناضجة ، وشفتاها وردة ترتعش في الفجر وقد انعشها نسيمه ، ونهداها كحبات رمان يداعبهما الريح فترقصان فيتثاقل وهي معلقة فيأغصانها، وذراعاها

نضتان غضتان ، طريتان كسمكتى بورى ، طويلتان مستـديرتـان ؛ ملفوفتان ورجراجتان ، وساقاها كأنها مصنوعـة من الزبد الطـازج ، وإن مشت فغزال، تخطو فتميل وتميل، وتعصف بقلب العاشق الذليل»، فجاشت عواطف الامير وعصف الحب بقلبه ، فتوسل وتوسل وناشد بائع الملح أن يعيد كلامه مرة ومرة ومرات ، وأخيرا اشفقت الاميرة على حبيبها ووثقت من حبه ، فخلعت ملابس بائع الملح واظهرت حقيقتهـا للامير ، وعاشا معا في افراح وليال ملاح .

مغامرات الذئب والقنفـد

كانت « القوبع » وهى طائر صغير ، تسكن فى شجرة عالية مع فراخها الصغيرة الثلاثة ، وفى يوم جاء اليها الذئب وناداها ،« ياقوبع ياقويــع » ، فنظرت اليه من اعلى الشجرة خائفة ترتعد وسألته : « ماذا تريد ياعمى الذئب ؟ » ، فاجابها مزمجرا ، « ارمى الى طـيرا من اولادك ، والا نحمر ونتمر واستـل صباطـى الاحمـر. (1) واجىء اليك فوق الشجرة ، وآكل اولادك الثلاثة كلهم ، ارمى لى واحدا ان اردت أن يبقى لك الاخران » ، فرمت القوبع للذئب أحد صغارها وهى تسكب الدموع واخذت تصرخ وتبكى وتولول .

وفى اليوم التالى ، جاء الذئب وكرر قوله ، فخافـت القوبـع وارتعدت ، ورمت له قوبعا صغيراً من أبنائها ، واخذت تبكى وتنوح حزينة على صغيرها ، واقبل بلارج ، وهو طائر كبير طويل الساقين، ووقف فوق الشجرة فسمع الصراخ والنواح والعويل ، فنظر ، وعرف ان القوبع هى مصدر تلك الاصوات فسألها ، « ماذا دهاك ايتهـا القوبع ، مالك تصرخين وتبكين وتثيرين ضجة ، وأنا أريد أن انـام قليلا .؟»، فحكت له ما حدث لها ، واوضحت انه لم يبق لها الا واحـد من صغارها ؛ فغضب بـلارج واظهر الحزن والاسف ، وقال للقوبع ، « ان الذئب يكذب عليك ويهول ، فالذئب لا يستطيع أن يطير أبـدا، فان جاء الذئب مرة اخرى وردد اكاذيبه وقال والا نحمر ونتمر واستل سباطى الاحمر واطير واجىء اليك فوق الشجرة ، وغير هذا من الكلام الذى لا معنى له ، فقولى له حمـر وتمر واستل سباطك الاحمـر ،

(1) ــ نحمـر ونتمر كلام تقصد به التخويف ، واستل سباطى الاحمر معناها اخلع حذائى الاحمـر .



وفي اليوم التالي جاء الذئب وزمجر وردد قوله فأجابته القوبع، « حمر وتمر واستك سباطك الأحمر... ».

فانا لا اخاف منك وانت لا تستطيع أن تطير او تصل الى عشى فــوق الشجــرة » .

وفى اليوم التالى جاء الذئب وزمجر وردد قوله ، فأجابته القوبع: « حمر ، وتمر واستثن سباطك الاحمر »، وضحكت وقالت له ،« أنت، كذاب مدع ، لاتستطيع ان تطير او تطلع الشجرة ، وانا لا اخاف منك»، فصاح الذئب مرتاعا ومندهشا ،« من قال لك هذا ؟ »، فردت القوبع ، « عمي بــلارج طويــل العوارج — السيقــان — » ؛ فانصــرف الذئب يائســا ؛ واخذ يبحث عن بلارج حتى وجده وقال له ، « لمــاذا تحاربنى ياعمى بلارج فى رزقى ، وتكشف حيلى للطيــور وتجعلــها لا تخشانى ؟ »، فضحك بلارج وقال للذئب ، « الحق لقد رثيت لحالك فكيف ترضى لنفسك أن تأكل صغار الطيور ؟ فاجابه الذئب ، «لان الاحوال ضاقت بى يا بلارج ، ولم اجد ما آكله واضطررت الى هذا » ، فقال له بلارج ،« اننى اصدقك فالامور صارت سيئة على الارض اما هناك فى الاعالى ، فى السماء حيث أطير ، فما أكثر الحملان والخرفان ذات اللحوم الشهية ، تعال معى وأنا أذهب بك الى أماكن فى السماء تجــد فيها الخراف السمان دون رعاة او كلاب تحرسها » ، فسال لعــاب الذئب وقال ، « بارك الله فيك ياعمى بلارج خذنى معــك » ، فقــال بلارج ، « ان شئت اخذتك ، لكن الامــاكن بعيدة » ، فرد الذئــب ، « لايهم لايهم »، وركب الذئب فوق ظهر بلارج وطار بلارج ، وصار يعلو ويعلو .

وسأل بلارج الذئب ، « كيف تظهر لك الارض الان ؟ »، فأجاب الذئب ،« اراها كمائدة الطعام المستديرة »، فاخذ بلارج يعلو ويعلو ، وسأل الذئب، «كيف تراها الان ؟»، فأجاب الذئب ،« اراها كالغربال »، فطار بلارج واخذ يعلو ويعلو ، وسأل الذئب « كيف ترى الارض الآن؟»، فأجاب ، « لا أراها يا عمى بلارج » ، فرماه بلارج من فوق ظهــره ، فسقط وهوى،ونظر فرأى نفسه قريبا من البحر ، وبينما هو يهوى فى طريقه الى الارض قال لنفسه ، « آه لو وقعت على الارض لحرثتهــا كسكين الحراث ولو سقطت فى البحر لنجوت وتصدقت على المساكــين بالكثير من المــال » .

ولحسن حظ الذئب وقع فى البحر ، ونجا ، وخرج الى شــاطــىء

البحــر سـالما ، ووجد الذئب شبكة صياد ، فأخذها ووضعها أمامه على الشاطيء ولخذ يعبث بها ويخطط في الرمال ، وكانت هناك غولة تمشى على شاطيء البحر ، فرأت الذئب وسألته ، « ماذا تفعل يا أخي الذئب ؟ » ، فأجابها ، « أقرا واكتب » ، فقالت له ، « اذن سأحضر لك أولادى لتعلمهم القراءة والكتابة »، فقال لها ، « احضريهم الى باكرا في الغار » ، ووصف لها مكان غاره في الجبل .

وفي الصباح ذهبت الغولة ومعها أبناؤها الى غار الذئب، فطلب منها أن تتركهم ثلاثة اشهر عنده حتى يحسن تعليمهم القراءة والكتابة ، وعليها أن تأتيه بالطعام كل يوم له ولاولادها .

أما الذئب فقد أكل أولاد الغولة وأحضر منحلا ملأه بالنحل ووضعه على باب الغار ، وكانت الغولة تأتى كل يوم لتعطيه الطعام ، ولا تستطيع أن تقترب من الغار لأنها تخاف النحل ، فتكتفى أن تسأله عن أولادها، فيطمئنها .

لكن الغولة قلقت بعد ثلاثة أسابيع ، فاقتربت من الغار ودخلته، فلم تجد أولادها ، فهجمت على الذئب ، فأعطاها الذئب لوحا من الخشب ، فعضته الغولة من غيظها وانغرست فيه أسنانها ، وجرى الذئب ، وأخذت الغولة تجرى وراءه واستطاع الهرب منها بصعوبة، وكانت الليلة باردة واحتار الذئب، أين يذهب وقد بعد كثيرا عن غاره ، وأخيرا وجد كومة من الحطب المتفحم فقد كان الحطب مشتعلا وانطفأ، فدخل الذئب داخل كومة الحطب ، ونام من شدة التعب ، لان الغولة ظلت تجرى وراءه وتطارده من الصباح حتى المساء ، لكن الحطب كان بعضه مازال مشتعلا تحت الرماد ، وحين هبت الريح في الليل اشتعل نارا مرة أخرى ، وأمسكت النار بالذئب فاستيقظ يصرخ والنار مشتعلة في فروته ، وجرى الذئب ووجد أمامه عجوزا تصلى وبجانبها كومة من الرمال ، فلم يخف العجوز لكبر سنها ولانشغالها في الصلاة، فقفز الى كومة الرمال وأخذ يتقلب فيها ليطفيء النار المشتعلة في فروته ، فقطعت العجوز صلاتها وأمسكت بعصاها وانتهزت فرصة انشغال الذئب في تقلبه ليطفيء النار ، وأخذت تضربه بقوة وعنف ، فجرى الذئب يعوى ويتألم والنار مشتعلة فيه ، حتى وجد عين ماء فقفز فيها ، وخرج منها

منهوك القوى واخذ يردد ويقول ، « هذا هو عذاب الدنيا الذى عرفته، فلا تثق بالليالي اذا بردت ولا بالنار اذا انطفأت ولا بالعجوز اذا صلت »، وصـــارت مثـــلا .

المنافقون

لم يرزق التاجر الغنى الا بابن واحد ، ففرح بمولده فرحا شديدا واحاطه بالرعاية والعطف ، وألوان من الرفاهية ورغد العيش ، وحين كبر الولد زادت فرحة الاب واخذ يدلله ويجيب كل رغباته ، فنشأ نشأة غير صالحة ، لا يعرف حقائق الحياة ، لذلك كانت الام دائما تعارض الاب وتحاول ان تعود ابنها ان يعيش كما يعيش سائر الناس ، ليعرف شيئا من مصاعب الحياة ومشاكلها وخدع الناس وحيلهم ، لكن دون فائدة ، لان الاب كان دائما يدلل ابنه ويسهل له الامور ، ويوافق على كل تصرفاته .

وما ان كبر الابن حتى عمل مع ابيه فى التجارة ، لكن لم تمض سنوات ثلاثل حتى مات الاب وورث الشاب ثروة ابيه التاجر الغنى الطائلة .

والتف حوله اصدقاء السوء ، يتملقونه دائما ويمدحونه ويطرون اى عمل ياتيه حتى وان كان قبيحا ، واخذ الشاب يبدد ماله ، ويقيم الولائم ، ويبتز منه الاصدقاء المال بشتى صنوف الحيل ، ويقترضون منه دائما ، ويوهمونه انه خير اخ وصديق ، وانهم كذلك يكنون له المحبة والاخلاص الاكيد .

وقلقت الام وامضها ما تراه من اسراف ابنها وتبذيره ، فنصحته كثيرا ونهرته ، وحاولت بكل وسيلة ان توقف اندفاعه الى الهاوية ، لكنها لم تقدر . وكانت فى الدار خادمة عجوز ربت الشاب ورعته منذ كان طفلا صغيرا ، وبعد ان فشلت الام والاقارب واصدقاء ابيه ، سالت الام المربية ان تنصحه وتؤثر عليه وترجعه الى طريق الصواب ، لكن

الشاب وقد احاط به أصدقاء لا هم لهم الا تملقه ونفاقه وخداعه وايهامه بأنه كريم وشهم ومخلص لاصحابه ، لم يسمع حتى لمربيته .

ومضت سنوات وبدت النهاية تقترب ، فقد ضاع اغلب الميراث، ولم يبق من المال الا الشيء القليل ، فاخذت الام مائة مثقال من الذهب وخبأتها ، ولما سألتها المربية مندهشة عن السبب ، أجابتها : « ان ولدى سيبدد كل الاموال ، لقد اسكره المنافقون والمداحون وجعلوه يعيش فى دوامة ، فاصبح لا يدرى من أمره شيئا ، وليس ادل على ذلك من انه لم يلاحظ اننى أخذت مائة مثقال من الذهب ، لكننى سأبقى هذا المال عندى وأخبئه حتى يرجع الى صوابه فى يوم من الايام ويصبح رجلا فاعطيه المال»، فصرخت المربية وهى غير مصدقة أن سيدها وابنها سيصبح فقيرا ، فشرحت لها الام وبينت لها مقدار ما اضاعه من المال ومقدار ما تبقى ، فأخذت المربية تبكى حزنا علي ما صارت اليه الاحوال ولم تبك الام وهي اشد حزنا منها ، لانها كانت قد بكت حتى جفت دموعهــا .

وصح ما توقعت الام ، وانتهى المال واقفلت الحوانيت ، وافلست التجارة ، وتبدد ما تبقى من دراهم قليلة ، فسأل الشاب امه شيئا من المال لانه خاوى الوفاض فأجابته الام ، « اننى يا بني لا امتلك شيئا وقد اصبحنا فقراء ، ولا استطيع ان اساعدك » فبهت الشاب ووجم ، لقد أصبح فقيرا ، بل لقد اصبحوا كلهم فقراء ، لكن الام طمانت خاطره وقالت له ، « لقد كنت دائما تقول لى ان لك اصدقاء مخلصين ، وكنت تقول أنهم اكثر من اصدقاء وأنهم اخوتك ، وكثيرا ما اقرضتهم ، والفقر ليس بعيب يابنى ، فاذهب اليهم واطلب ما لك عندهم من دين ، فانت على الاقل حتى الان لا تسألهم المعونة ، بل تسألهم ان يردوا لك ما اقترضوه منك وهو حق لك » .

فذهب الشاب الى أصدقائه واحدا بعد الاخر ، فاعتذروا كلهم بضيق ذات اليد بل ان بعضهم ادعى النسيان وعدم تذكر العين ، وآخرون أبدوا دهشتهم لان الشاب جاء يسأل رد نقوده الى ظنوها هديــة أهداها اليهم فى يوم من الايام .

ورجع الى أمه وحكي لها ما حدث فطلبت منه أن يذهب الى بعض أصدقائه الذين كان يقيم لهم الولائم ويهديهم الهدايا وينفق عليهم الاموال

الطائلة كل ليلة ، طلبت اليه ان يذهب اليهم ويقترض منهم ، وتألمت المربية فرجت الام ان تعطى الشاب ما خبأته من الذهب ، لكن الام قالت لهـا ، « انه لم يصبح رجلا بعد » ، ورجتها المربية كثيرا ، لكنها رفضت اجابـة طلبهـا .

وسار الشاب الى اصدقائه وطلب من أحدهم أن يقرضه مائة دينار فاعتذر بشتى الاعذار الواهية، فطلب من آخر ان يقرضه خمسين دينارا، فكانت الاجابة بالمثل ، حتى انه طلب من احدهم عشرة دنانير ، فرفض ان يعطيها له ، بل الاسوا من ذلك ، انهم قابلوه فى غلظة واهملوه ، فلم يعد أحد يهلل لمقدمه كما كان يحدث من قبل او يرحب به، بل انكر أحدهم وجوده مع أن الشاب سمع صوته داخل داره ، ولم يرض بعضهم ان يقابله ، فرجع الشاب الى امه وقد آلمه ما حدث ، وحكى لها مـا جـرى ، وعندما رأت المربية ما يقاسيه الشاب من محن وآلام ، توسلت الى الام ان تظهر الذهب وتعطيه للشاب ، فصاحت بها الام ، « صبرا انه لم يصبح رجـلا بعد » .

وفى يوم قالت الام لابنها ، « لقـد ذهبت يابنى الى من تسالهـم الديون فلم يردوها لك وتهربوا منك ، وذهبت تحاول الاقتراض مـن أصدقائك ، فرفضوا واساءوا معاملتك ، وقد آتتنى فكرة ، مـاذا لـو ذهبت الى مكان يجتمع فيه كل اصدقائك أو عدد كبير منهم ، واطلـب منهم جميعا أن يقرضوك شيئا من المال لتتاجر به من جديد ، وتحاول تعويض ما فقدت ، فربما خجلوا من بعضهم واعطاك كل منهم شيئا من المال، وخاصة وقد ساءت بك الاحوال وهم يعرفون انهم كانوا السبب».

وعرف الشاب انهم يجتمعون عند أحد الاصدقاء كل ليلة ليلعبوا بأوراق اللعب (الكارطة) ، فاتخذ طريقه بعد صلاة المغرب الـى دار ذلك الصديق ، وحين دخل الغرفة اقرأهم السلام ، فرد بعضهم فى فتور، وتجاهله البعض ، ولم يعره أى اهتمام آخـرون .

وتذكر الشاب الماضي، وكيف كانوا يقابلونه ، فدارت به الدنيا ، واخذ البعض منهم يقول له ، « جئت يامنحوس » ، وسخر آخر منـه حين رأى بلغته مقطعة ، قائلا ، « ما هذا ، البلغة قديمة جدا هـل ورثتها من جدك ؟ » ، وضحكوا ، ولكي ينقذ الموقف قال فى خجل وهو يتصنع الضحك ، « لا ، لا ، لقـد اكلها الفار » ، فسخروا منه وقـال



فاتخذ طريقه بعد صلاة المغرب الى دار ذلك الصديق، وحين دخل الغرفة أقرأهم السلام، فرد بعضهم في فتور، وتجاهله البعض، ولم يعره أي اهتمام آخرون

احدهم ،.« الفأر أكل البلغة ! أهى مصنوعة من السكر ؟ » ، وقال آخر انها مصنوعة من الجبن لان الفأر يحب الجبن » ، وضحكوا وقهقهوا ، ولم يقدر أن يطلب منهم قرضا كما اوصته امه ان يفعل .

ورجع الى امه يائسا حزينا يمتلىء قلبه بالغضب ، وقد احس غدر الاصدقاء ، وأخذ يقارن ما كان يجده بالامس من مديح ونفاق بما لاقاه اليوم من سخرية مريرة واحتقار وازدراء ، وحين رأته أمه ، سألته ، ماذا حدث ؟ »، وجاءت المربية وقد ذهلت حين رأته حزينا كئيبا متألما ، لكنه لم يجب امه ، وجلس مطرقا ، يتمتم ويكاد ينفجر من شدة ما يقاسيه من آلام ، وبعد ساعة تكلم ، واعترف لامه بخطئه الفادح وجرمه الكبير ، وصاح ، « لقد بددت مالا كثيرا وانفقته على حثالة من البشر محتالين خداعين منافقين ، منافقين ، منافقين يا أماه » ، وكان الندم ينبع من أعماق قلبه المتألم ، وحكى لها ما جرى له مع الاصدقاء ، وكيف سخروا من بلغته المقطعة ومنه عندما اخبرهم ان الفأر اكلها وكيف ضحكوا وقهقهوا دون اى اهتمام بأمره أو مراعاة لمشاعره ، وحكى لها كثيرا عن الماضى ، لقد صحا أخيرا ، لقد وعى الدرس ، فصرخت الام ، « هداك الله يابنى ، الان صرت رجلا ، لقد عرفت خطاك واعترفت به ، لقد عرفت حقيقة أصدقاء السوء ، الان عرفت الحياة وستنجح » ، واظهرت الذهب واعطته له ، وباركته الام ، ودعت له المربية . وجهز قافلة صغيرة ، ورحل الى بلاد بعيدة ليتاجر من جديد ليعوض ما فات .

لقد تغير ، فلم يعد ذلك الشاب العابث المستهتر المستسلم للنفاق والمديح ، لا ، لقد رأى الناس والاصدقاء فى صور مختلفة عن الماضى، وبدأ يربح وينجح ، ولم تمض ثلاث سنوات حتى كان قد عاد ومعه قافلة كبيرة وأموال كثيرة ، ففرحت به الام تاجرا ناجحا ، ورجلا يعتز به ويعتمد عليه ، أما المربية فكانت فرحتها لا توصف ، وأحاطته بألوان من الرعاية والحنان وطالبته أن يتزوج .

ولم يصدق أصحابه حين سمعوا بعودته ، وقد اصبح اكثر ثراء مما كان عليه ، لكنهم ما ان تأكدوا من صدق ما سمعوه ، حتى هرعوا اليه ، يرحبون به ، أحدهم يقول ، « لقد اشتقنا اليك » ، ويقسم الثانى أن البلدة كانت كئيبة بدونه ، ويهتف الثالث ،« والله لقد

قلت للناس انك لرجل ، وستعوض ما خسرت واكثر » ، فيبتسم الشاب، لان هذا المديح والنفاق كان قد شبع منه ، وعرف ضرره ، وظن اصدقاؤه انهم يستطيعون أن يعيدوا الكرة ويلعبوا به ويستغلوه مرة اخرى ، فبداوا يلتفون حوله ويظهرون له الوان الود والمحبة والعطف .

اما هو فكان يضحك ويبتسم ويحكى لامه ، ويبين لها انه واع وحذر ، ويطمئنها .

وقالت له الام يوما ، « لماذا لا تدعو اصدقاءك للعشاء ؟ » ، وكانوا نفس الجماعة او اغلبها التى سخرت من بلغته المقطعة يوما ، واقترحت الام ان تقدم لهم لبنا بالسكر مع الكسكس ، فقد مضى زمن الولائم الفاخرة والاسراف والتبذير ، فدعا الشاب اصدقاءه ، ففرحوا ورحبوا بالدعوة .

واسرعوا الى داره فى الميعاد المحدد ، وغسلوا ايديهم واستعدوا للاكل لكن الام لم ترسل الطعام ، فسكت الاصدقاء ساعة ، لكنهم بداوا يقلقون ، وضحك احدهم ، وقال « لقد تاخر الطعام » ، فنادى الشاب مربيته وطلب منها ان تسرع ، فاجابته ، « لتصبر قليلا يا سيدى » ، فقد اوصتها الام ان تتأخر ، واحس الاصدقاء بالجوع ، فقد تاخر الطعام كثيرا ، فقالوا له فى لطف ، انهم قد جاعوا وانتظروا كثيرا، فنادى المربية وقال لها ، « لقد طلبت عدة مرات أن تحضرى الطعام وتأخرت كثيرا » ، فردت ، « نعم لقد تأخرت ، لاننى اريد ان اسحق السكر فى المهراز ، فلا يمكن ان تأكلوا الكسكس باللبن من غير سكر ، ولكننى لا اقدر أن اسحق السكر فى المهراز (1)» فسألها عن السبب ، فأجابت « لان المهراز مثقوب ، أكله الفأر » ، فصاح الشاب متعجبا ، «المهراز مثقوب واكله الفأر » ، فردت بهدوء ، « نعم يا سيدى ، ان الفار قد اكل المهراز وثقبه » ، فأخذ الشاب يجادلها فى ضيق ودهشة ، « وهل من المعقول ان يأكل الفأر النحاس ؟ » ، وكان الاصدقاء جائعين ويريدون الطعام بسرعة ، فقال احدهم ، « كفى جدالا، نعم ان الفأر يأكل النحاس، انه يحفر الارض والجدران ويأكل الاحجار ، فلماذا لا يأكل النحاس ؟» ، وقال صديق آخر بسرعة ، « نعم نعم ، نعم ، الفأر يأكل النحاس ،

(1) — ويسمى فى مصر « الهون » وغالبا يصنع من النحاس وتدق وتسحق فيه التوابل وما يماثلها .

المهم انتهوا من الجدال واحضروا الطعام » ، واقسم الثالث ان الفيران قد ثقبت المهراز عندهم وانها تأكل النحاس والحديد ، حتى ينفى المشكلة وتحضر المربية الطعام ، فصرخ الشاب ، « اسمعى يا اماه اسمعـــى يا مربيتى ، انهم يقولون ويقسمون ان الفار يمكنه أن يثقب المهراز ويأكل النحاس والحديد والحجر ، اذن لماذا سخرتم مني وضحكتم حـــين اخبرتكم انه أكل البلغة ، والبلغة مصنوعة من الجلد » ، وثـــار الشاب وسبهم ،« اخرجوا من دارى أيها المنافقون ، أخرجوا ايها المنافقون ».

مهارة اللصوص

تعاهـد لصان على الوفاء والاخلاص كل لصاحبه ، واتفقـا اذا ضبط وامسك باحدهما أن لا يعترف ولا يقول شيئا عن الاخر ، وكانـا يسرقان بمهارة ويدبران الخطط والحيل ، وكثيرا ما سرقا الجمال والبقر والخيل ، ولم يكتشف أحد أمرهما ، وعاشـا سويا فى خيام متجـاورة مع زوجتيهما وأولادهما .

وفى يوم اراد اللصان سرقة حصان اصيل ، فتتبعا صاحبه ، وظلا متربصين له حتى رجع الرجل الى مضرب خيامـه ، ونزل مـن فـوق الحصان واطلقه الى داخل خيمة من خيامه ، عندئذ تسلل اللصان بخفة تحسدهما عليها الثعالب ، وركب احدهما الحصان بسرعة ، وجر الاخر الحصان من اللجام وأخرجه بهدوء من الخيمة ، لكن الحصان كان أصيلا، فما ان خرج من الخيمة حتى صهل ، فسمع صهيله صاحبه ، وتنبـه ، ونادى غلمانه ليروا ماذا دهى الحصان ، فوجد الغلمان اللص راكبـا الحصان والاخر يجره من اللجام ، وكان اللص ذكيا فجرى بالحصان ، لكن الغلمان احاطوا باللص الاخر وامسكوا به .

واخذوه الى القاضى ، فعذبوه ، لكنه وفى بعهده ولم يذكر شيئا عن صاحبه،بل زاد وانكر ، وقال انه لا دخل له فى الامر ، ولم يحاول سرقة الحصان ، وليس له شريك ، مع أنه عجز عن تفسير سبب وجوده فـى هـذا المكان ساعـة السرقة ، وابدى أوهى المعاذير ، لكن الغلمـان شهدوا انهم امسكوا به وهو يجر الحصان من اللجام .

ومضت الايام وهو محبوس فى سجنه ، أما اللـص الاخـر فقـد اخـذ الحصان وباعه وباع اللجام والسرج كذلك ، وأعطى نصف الثمن لزوجـة السجـين .



وفي يوم أراد سرقة حصان أصيل، فتتبعا صاحبه وظلوا ... متربصين حتى رجع الرجل الى مضرب خيامه، ونزل من فوق الحصان، وأطلقه..

وحين اطمأن ان الموضوع قد انتهى ، ذهب فى اليوم المخصص لزيارة المساجين ليرى صاحبه ، وقابله ، لكنه وجده محاطا بالحراس ، ونظر السجين اليه وكأنه يريد ان يقول له دون ان يتكلم ، « انا لم اعترف فاياك ان تلفت نظر الحراس الى سرقة الحصان » ، فقال اللص للسجين ليطمئنه ويحكى له ما حدث عن بيعه الحصان والسرج واللجام بطريقة ذكية ، ودون ان يلفت نظر الحراس ، قال :« مول الاربعة اربعين ، يقصد أنه باع صاحب الاربعة ارجل ــ الحصان ــ بأربعين دينارا ،« وشد واطلق بعشرة » ويقصد اللجام ، باعه بعشرة دنانير ، « وارند وحط » بعشرين ، يقصد بأنه باع السرج بعشرين دينارا ، وثلاثين وخمسة عند صاحبة « الكمة » ، يقصد اللص أنه اعطى زوجة السجين « صاحبة الكمة » خمسة وثلاثين دينارا .

وفهم اللص ان صاحبه باع الحصان باربعين دينارا واللجام بعشرة والسرج بعشرين ، واعطى نصف الثمن لزوجته ، وهو خمس وثلاثين دينارا ، لكن كان كل ما سمعه الحراس ، « مول الاربعة اربعين ، وشد واطلق عشرة ، وارند وحط عشرين ، وثلاثين وخمسة عند صاحبة الكمة » ، فلم يفهموا شيئا ، وأن فهم السجين ..

البـرق

كانت المراة جالسة فوق سطح دارها ، حزينة مهمومة لانها لم ترزق باطفال، وفجاة سمعت دوى الرعد ، وبعد قليل بدات السماء تمطر، وأبرق البرق يخطف سناه الابصار ، فتأثرت من لون البرق الساطع ونوره الوهاج ، وهتفت ، « يا برق اعطني بنتا كى افرح بها ولو قليلا ، ثم خذها حين تريـد » .

ولم تمض أيام حتى حملت المراة ، وبعد شهور وضعت بنتـا جميلـة . ونسيت المراة تماما ما حدث فوق السطح ذات ليلة ، فقد مضت سنوات وكبرت البنت حتى اصبحت شابة يطلبها الخطاب .

ونزل البرق من السماء فى صورة رجل ، وقابل الفتاة وقال لها ، « اذهبى الى امك وقولى لها ان صاحب الامانة جاء يطلب أمانته »، فاسرعت الفتاة الى امها واخبرتها بما حدث ، فذعرت الام وقالـت لابنتها ،« ان قابلت هذا الرجل مرة اخرى وأعاد عليك نفس الكلام ، فقولى له أنك نسيت ان تخبرينى بما حدث ».

وفى اليوم الثانى قابل البرق الشابة وسالها ، بماذا اجـابت امها ؟ ، فقالت له ،« لقد نسيت أن اخبرها » ، فاوصاها ان تقول لها ان صاحب الامانة جاء يطلب أمانته ، فذهبت البنت الى امها وحكـت لها ، فارتعشت الام وجفلت ، ورجت ابنتها أن تقول للرجل ان قابلته مرة أخرى انها نسيت ان تبلغ أمها كلامه .

وفى اليوم التالى قابل الرجل الفتاة وسالها عن اجابـة امها ، فقالت له الفتاة انها نسيت مرة ثانية ان تخبر امها ، فامسك الرجـل باصبع الشابة وربط لها فيه خيطا من الصوف وقال لها ، « هـذا

الخيط ربطته فى أصبعك لكى تتذكرى عندما ترينه ، متسرعين وتقولين لأمك أن صاحب الامانة جاء يطلب امانته » .

فهرعت الفتاة الى امها وحكت لها ما حدث ، عندئذ ، اطرقت المرأة برأسها وقد غلبها الحزن واضناها الالم ، وقالت للفتاة ، « ان قابلت هذا الرجل مرة أخرى فقولى له أن امى تقول لك خذ أمانتك » .

وقابل الرجل الفتاة ، وقبل أن يسألها قالت له ، « أمى تجيبك بقولها ليأخذ صاحب الامانة أمانته » ، فأخذها وطار بها الى السماء .

وبعد أيام افتقد القمر والشمس والنجوم صديقهم البرق ، لانهم لم يعودوا يرونه ، لانه حمل الفتاة الى قصره واقفل أبواب القصر السبعة ، وكان هذا سبب غيابه وعدم رؤية أصدقائه له .

فذهبوا الى البرق ورجوه مرة ومرات ، حتى رضى البرق بأن يروا الفتاة ، و حين راوها ، فتنهم حسنها و سحرهم جمالها ، فغاروا من البرق و ذهبوا الى اخيه الاكبر الرعد ، وشكوه اليه ، لانه احتجب عنهم بسبب الفتاة ، وانه ليس من حقه اخذها من أمها ، واحضارها الى قصره فى السماء .

فنادى الرعد أخاه البرق ، وامره أن يرد الفتاة الى أمها ، وان لا يتعرض لها مرة اخرى ، فسمع البرق امر اخيه الرعد واطاعه ووعد بتنفيذه .

وقبل أن يرجع البرق الفتاة الى امها، جلس فى قصره حزينا غاضبا مما فعله أصدقاؤه ، لكن القمر والشمس والنجوم ذهبوا للبرق يهدئون خاطره ، وقال له القمر ، « لا تحزن أيها البرق فان كلا منا سيعطي لهذه الفتاة شيئا ، فان كنت تحبها فلابد أن ذلك سيسعدك » ، واعطاها القمر شيئا من نوره الساحر الفتان ، فان دخلت الى أى مكان شع حسنها نورا مضيئا ساحرا ، اما الشمس فاعطتها اللؤلؤ ، والماس ، والزمرد ، والياقوت ، فان ضحكت الفتاة تساقط من فمها كل حجر كريم ، اما النجوم فاعطتها الرائحة العطرة الزكية التى ليس لها مثيل ، فان تكلمت الفتاة ، انبعثت من فمها رائحة الزهور ، وفاح عطرها من حولها .



وقابل الرجل الفتاة، وقبل أن يسألها قالت له :

« أمي تجيبك بقولها : ليأخذ صاحب الأمانة آمانته » فأخذها، وطار بها الى السماء.

وأرجع البرق البنت لامها ، ففرحت بها امها فرحا شديدا ، وكان كل من يمر بجانب دار الفتاة يشم الروائح الزكية التى لا تنبعث الا من بستان ملىء بالزهور ، واندهش الجيران واخذهم العجب حين راوها تضحك فتتساقط من فمها الاحجار الكريمة ، اما النور الوضاء الذى كان يشع من حسنها ، فقد دفع الناس الى الكلام ، حتى وصل الخبر الى مسامع الملك :

فأرسل الملك الوزير للتحقق من آلامر ، وعاد الوزير مبهورا ، وعندئذ أمر الملك أن تزف اليه الفتاة فى الحال ، وطلب من امها أن ترسلها الي قصره .

وكعادة المغاربة فقد رات الام أن ترسل مع ابنتها، ابنة أختها التى تماثل الفتاة فى العمر ؛ لتؤنسها وتصنف بها شعرها ، وخالتها لتعتني بها وتخدمها .

لكن الغيرة دبت فى قلب الخالة ، فهذه ابنتها ستذهب وتعيش مع الفتاة ، حقا ستعيش معها فى القصر ، لكن كوصيفة وما اقرب الوصيفة الى الخادمة ، حتي هى نفسها خالتها ستصبح تابعا من اتباعها ، وتمنت لو أن ابنتها كانت مكان الفتاة ، عندئذ دبرت خطة ، أتت بحبل وربطت قدمى الفتاة ويديها وراء ظهرها وهجمت عليها واقتلعت عينيها من محجريهما، واحتفظت بهما ، ووضعت الفتاة فى صندوق ورمته فى البحر ، والبست ابنتها الملابس الجديدة الخاصة بالعروس وزينتها وعطرتها ، واتخذت طريقها الى قصر الملك مع ابنتها مدعية انها العروس .

ورحب الملك بعروسه ، لكنه لم يشم روائح الزهور الزكية الفواحة التي حكوا له عنها ، وأن ضحكت العروس لم يتساقط من فمها كل جوهر كريم ، وأما حسنها فقد كان عاديا ، وليس هناك نور يشع منها ، وتساءل الملك عن فقدان هذه المميزات والصفات التى قيلت عن الفتاة فاجابته الام ،« هذه صفات لا تكون موجودة دائما ، واحيانا تفقدها الفتاة ؛ ثم تعود بالتدريج » ، واوصت الملك بالصبر .

أما الفتاة المسكينة فقد ظلت الامواج تتقاذفها وهى داخل الصندوق حتى التقطه صياد عجوز ، واصابته الدهشة حين فتحه ووجد فيه فتاة تفوح منها رائحة اخاذة قوية ، ولها شذى أجمل من شذى بستان كبير

مليء بالزهور والورود ، ويشع حسنها وجمالها نورا يضيء الدنيا حونها ، ونزع اذ وجدها دامية العينين تئن وتتوجع ، فداوى جراحها ، ومع مرور الايام شفيت عيناها ، لكنها صارت عمياء .

وحين احست بالراحة فى كوخ الصياد العجوز بدات تبتسم وتضحك فتتساقط من فمها أنفس الاحجار الكريمة ، من ماس وياقوت وزمرد ومرجان ، فتعجب الصياد ، واخذ بعضا من الجواهر وباعها، فأصبح غنيا ، وحمد الله على ما اعطاه من فضل ، وازداد حبه للفتاة وعنايته بها ، وكانت تضحك فتتساقط الجواهر من فمها ، مما زاد ثراء الصياد زيادة كبيرة .

وذات يوم قالت الفتاة للصياد :« انني أود ان أسالك معروفا»، فأجابها ، « لا تسأليني معروفا بل لك ان تأمرى فأطيعك ، فقد كان قدومك خيرا وبركة على ، فقد تغيرت حالى وأصبحت من الاثرياء ، وكل هذا بسببك أيتها الفتاة المباركة ، انك حورية من الفردوس ، ورائحتك من هناك »، فضحكت الفتاة فتساقطت من فمها الجواهر ، واستأنفت الفتاة حديثها :« اريد منك أن تحضر لى سلة مملوءة بالزهور الجميلة » ، فلبى الصياد العجوز رغبتها ، واشترى السلة وملأها بالزهور الجميلة .

فأخذت الفتاة السلة ، وظلت طول الليل ساهرة لا تنام ممسكة بالزهور والورود مقربة اياها من فمها تنفخ فيها عطرها الفواح ، وبقيت طوال الليل تنفخ أنفاسها الزكية فى الزهور .

وفى الصباح نادت الصياد وقالت له ، « ان اردت ان تكمل جميلك ... » ، فانحنى الصياد يقبل يديها ، ويبدى محبته واستعداده لبذل أى شيء فى سبيلها ، فاستطردت ، « عليك ان تأخذ هذه السلة المليئة بالزهور وتذهب بها الى قصر الملك ، وتنادى على سلعتك وكأنك بائع ورود ، فان نادتك سيدة من القصر أو الملكة وارادت احداهما أن تشترى منك الورود ، لا تقبل أن تبيع الورود مهما كان الثمن كبيرا، بل قل ، انى لا ابيع الورود الا بالعيون ، فان اعطوك عينين ، بع لهما الورود ، والا فارفض اى ثمن ولو كل مال الدنيا باجمعه » ، فوعدها الصياد بالطاعة وتنفيذ رغبتها .

وحمل الصياد السلة المليئة بالزهور وسار الى قصر الملك ،

وحين وصل تحت الاسوار بدا ينادى على سلعته ، ولم تمض دقائق حتى سمع صوتا نسائيا يناديه ، ذلك أن رائحة الزهور الفواحة سبقته قبل ان يصل الى القصر ، فشمتها ام العروس المزيفة ، فذهلت وجرت الى ابنتها الملكة وهتفت بها ، « يا ابنتى ، يالمصيبة ، أننى اشم رائحة بنت خالتك ، تعالى معى لنر ونعرف جلية الامر » .

وأسرعتا الى خارج القصر ، لكنهما وجدتا الصياد العجوز يحمل سلة الزهور وينادى كبائع ورود .

ففرحت المرأة وقالت ، « لقد نجونا ، هذا ليس الا بائع زهور»، واقتربتا من الصياد ورائحة الزهور تفوح زكية من السلة فتعطر الجو، وقالت الفتاة ،« حقا انها نفس الرائحة التى كانت تفوح من ابنة خالتى »، وفرحت الام وابنتها فرحا شديدا لانهما ستشتريان الورود وتوهمان الملك بأن الصفات التي فقدتها البنت بدأت تعود اليها .

واقتربت البنت وامها من الصياد العجوز ، وفى لهفة طلبت منه الام ان يبيعها الورود فسألها الصياد ، « وماذا تعطيننى كثمن لها يا سيدتى » ، فردت عليه ، « أعطيك ثمنا غاليا ، » وذكرت له الثمن ، لكن الصياد اجابها فى هدوء ، « ان هذه الورود لا ابيعها الا بالعيون » ، فضاعفت المرأة الثمن ، فرفض الصياد ، فذكرت الملكة ثمنا أكبر فامتنع الصياد .

عندئذ قالت الام ، «عندى العيون» ، وأحضرت عينى بنت أختها وأعطتها للصياد وأخذت منه الورود .

وعاد الصياد الى الفتاة العمياء الجميلة وأعطاها العينين ، فوضعتهما فى مكانهما ، فعادت تبصر وترى كل شيء .

وذهبت الي والديها يرافقها الصياد ، ففرحوا بعودتها ، وطلبت ان يذهبوا جميعا الى قصر الملك .

ولما مثلوا بين يديه حكت الفتاة للملك القصة من أولها ، وقدمت البرهان بل البراهين ، فهاهي رائحتها الزكية تفوح وتملأ القصر ، وهاهو نور حسنها البهى يضىء المكان ، فيكاد يخطف الابصار ، وضحكت الفتاة للملك فانتثر الماس والياقوت واللؤلؤ والزمرد والمرجان على الارض متساقطا من فمها .

فغضب الملك غضبا شديدا ، واحضر زوجته وأمها ، وأمر ان تحفر حفرة كبيرة وملأوها بالحطب واشعلوا فيها النيران ، وقال الملك للفتاة ، « اقسم بالله ثلاثا لابد أن تحرقيهما بيدك » ، فرمت الفتاة خالتها وابنتها فى حفرة النار . وفرحت الام بعودة ابنتها التى تزوجها الملك ، ورزق منها البنين والبنات ، وعاشوا جميعا سعداء .

مصائب الناس

كان الرجل يعمل صيادا ، وكان لديه ابن وحيد ، يحبه ويتمنى ان يصبح صيادا ماهرا مثله ، اما أمه فقد كانت تعبده وتخشى عليه مخاطر الصيد حين يصحبه ابوه معه كل يوم ، فهناك فى الغابة الكثير من الوحوش ، ومن يدرى فربما اصابه يوما سهم من سهام ابيه ، لذلك كانت تحاول دائما ان تبقيه الى جانبها ولا تريد ان يخرج مع ابيه ، لكن الاب بدد لها مخاوفها وصمم أن يعلم ابنه حرفته ، وان يصطحبه معه دائما ، اما الام فقد كانت قلقة ، واجفة القلب ، دائما تخاف على ولدها الوحيد .

وحدث ما خافته الام ، فقد افترس الغلام فى غفلة من ابيه احد الوحوش الضارية ، واحتار الصياد ، ماذا يفعل ؟ ، فهو يعرف مقدار حب الام لولدها ، فان اخذ اليها ما تبقى من جثة ابنها فستصدم صدمة كبيرة ، وربما تموت من هول الصدمة ، لذلك فضل الا يخبرها بموت ابنها ، فوضع الجثة فى قفة ، وحين دخل الدار قال لها : « لقد احضرت لك لحما كثيرا من لحوم الصيد ، لكننى لن اسمح لك بطبخه وانضاجه ، الا فى قدر تكون صاحبته لا تعرف الهموم ، فضحكت الزوجة وظنت الامر سهلا ، وان زوجها يسخر منها ، فاجابت ،« ساحضر اليك القدر الان من عند الجارة التى تسكن بجانبنا » .

وذهبت الام وسألت الجارة : « اريد ان استعير منك قدرا كبيرا لاطبخ فيه » ، فردت الجارة : « نعم سأحضره لك » ، فقالت الام لها، « لكن هل انت مهمومة او يحزنك امر من الامور » ، فتنهدت المرأة واجابت : « نعم اننى لحزينة ، ولدى من الهموم الشيء الكثير »، ومضت

تشرح ما يضنيها ويحزنها ، عندئذ سكتت الام وقالت لها : « اذن لا اريد القدر ، لا اريد القدر ».

واسرعت الام الي جارة اخرى واعادت عليها نفس السؤال ، اكن الجارة ألاخرى كانت اكثر عموما واحزانا .

وظنت الام أن هذا من سوء حظها لكنها حين تصدت الكثيرات من النساء وجدت أن كلا منهن لديها من الهموم والاحزان الشىء الكثير ، لكن قيل لها أن آمراة شيخ التجار (1) وحدها هى التى لا تعرف الحزن والهم ، نقررت ان تذهب اليها على الفور .

وقصدت دار شيخ التجار، وهى دار نخمة تقع على اطراف البلدة وادخلوها الي غرفة متسعة ، ودهشت حين جاء شيخ التجار بنفسه ورحب بهـا .

وحين سالته عن زوجته اجابها : « انى أود ان تشاهديها وتقابليها ف الحال »، وصحبها الي بهو متسع ، وهتف شيخ التجار : « هـا هى »، وصعقت الام لما رات ، فقد وجدت امراة شابة على قدر كبير من الحسن والجمال ، اكنها فى ثياب مقطعة والدماء تسيل من جروحها التى فى وجهها وذراعيها ، وفى كل مكان من جسدها ، وقد حملت فوق كتفيها عبدا اسود ، وحولها عبيد ممسكون بالسياط ، والمراة الشابة تسير بحملها الثقيل وتبذل جهدآ كبيرا لتتماسك فلا تقع على الارض، ذلك لانها كانت حين تقع يضربها العبيد بالسياط ويجبرونها على الوقوف ، فتسير بحملها وتدور فى البهو والعبيد وراءها يفرقعون السياط لتخويفها. فصرخت الام «اهذه زوجتك، غير معقول غير معقول كيف يحدث هذا ؟»، وصرخت به ، ماذا تعمل ، وكيف تسمح أن يضربوها بالسياط ؟»، فاجاب شيخ التجار ،« أن زوجتى غير أمينة على شرفى »، لكن الام لم تصدق ولم تستطع أن تحتمل ذلك المنظر المروع فقد كان الموت عندها اهون من رؤية هذا ، فخرجت نجرى من دار شيخ التجار ، وعلى بعد من الدار وجدت جارية تبكى وتولول ، وتصرخ : « يـا لظلم الرجال للنساء ، يا نصيبتك يـا سيدتـى ، لينتقم الله منك يـا شيخ التجار ».

---

(1) — ويسمى فى المغرب امين التجـار

فوقفت الام وقد اثار انتباهها ما سمعته واخذت تستفسر الجارية عن ما يحدث فى الدار من فضائح ، فحكت لها الجارية قصة غريبة وقالت : « تناولت سيدتى طعام الغذاء مع سيدى شيخ التجار ، وبعد ان أنتهت من الاكل ، جاء احد العبيد ليصب الماء من الابريق ليغسل لها يديها ، وكانت قد صبغت يديها بالحناء السوداء ، وزخرفت اصابعها وكفيها بالنقوش والرسوم الجميلة ، واعجبت بتناسق لون الحناء الاسود مع يديها البيضاوين ، فهتفت : « الله ! ماأجمل اللون الاسود مع اللون الابيض »، وكان شيخ التجار يكمل طعامه ، فتوقف عن الاكل ونظر ، فرأى العبد الاسود يصب الماء على يدى زوجته ، وكانت الزوجة تبتسم وتضحك وهى تتكلم كعادتها دائما ، وكان العبد شابا مكتمل الرجولة جميل القسمات مفتول العضلات ، فظن شيخ التجار الغيور ان هناك شيئا بين زوجته والعبد . وكان دائما يسىء الظن بالنساء ، لكن سيدتى كانت تتكلم عن الحناء » .

ومضت تبكى ، فسألتها الام فى لهفة ان تكمل قصتها ، فقالت الجارية : « عندئذ لست أدرى ماذا جرى لسيدى ، فقد قام واحضر سوطا وصار يضرب سيدتى ضربا يفتت الاكباد ، ولم يكتف بذلك ، بل أمر ان تعذب وأن تحمل ذلك العبد فوق كتفيها لتدور به فى انحاء البهو وان يحيط بها العبيد ويضربوها بالسياط » ، فصرخت الام نزعة مما سمعت ورات ، وجرت ، جرت بسرعة لتعود الى دارها ، حيث ظنته ان هناك الامان والسعادة .

وحين رات زوجها ، سألته : « لماذا طلبت منى أن استعير قدر امراة لا تعرف الهم والاحزان ، ان كل امراة حزينة ولديها من الهموم ما كنت اجهله ولا اتخيل وجوده ، لقد ادركت الان ان فى الدنيا مآسى ومصائب وفضائح ، وقصت عليه ما راته فى دار شيخ التجار ، عندئذ قال الصياد لزوجته : « ان فى هذه القفة جثة ولدنا الوحيد ، لقد خفت ان اخبرك واردت ان اخفف من وقع الصدمة والمصيبة عليك فسالتك هذا السؤال .

قال الصياد لزوجته : ان في هذه القفة جثة ولدنا الوحيد. لقد خفت أن اخبرك وأردت أن اخفف عن واقع الصدمة والمصيبة عليك فسألتك هنا السؤال



صرخت الام ، وبكت وظلت تبكى ، وحزنت حزنا صادقًا ، لكن آلامها كانت ستكون أفظع لو لم تر وتعرف الشيء الكثير عن هموم الناس وأحزانهم .

وقال زوجها فليرض كل منا بمصيبته (2) .

---

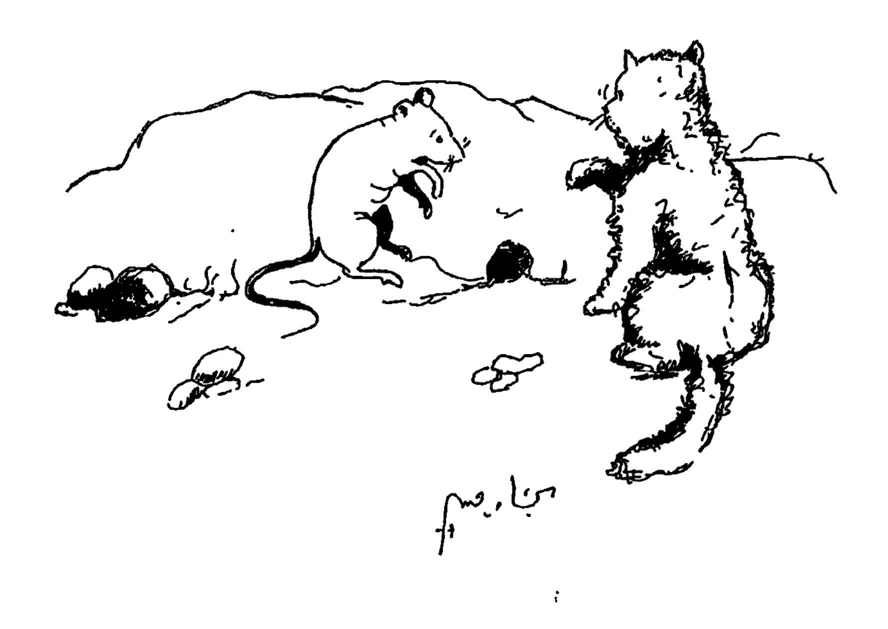
(1) — هناك مثل مصرى يقول « اللى يشوف بلاوى » (مصائب) الناس تهون عليه بلاويه » .

حكاية الفأر الذكي

كان الفأر صغيرا ساذجا ، لم يكن قد عرف بعد ان القطط تاكل الفيران ، وقابل يوما قطا صغيراً مثله أمام جحره ، فاخذا يلعبان سويا ، وكان القط هو الاخر لا يعرف ان القطط تاكل الفيران ، وصار يلعبان سويا كل يوم حتى الغروب ، يجيء القط الصغير ، ويخرج الفار الصغير من جحره ويجريان ، ويمرحان ويلعبان حتى مغيب الشمس .

وذات يوم انهمكا فى اللعب وبدلا من ان يعودا الى أهلهما عند المغيب ، ظلا يلعبان حتى منتصف الليل ، وحين رجع القط الصغير الى امه ، وجدها قلقة غضبانة ، وسألته ، « اين كنت ؟ » فاجابها ، « كنت العب مع صديقى » ، وحين استفسرت منه ، « من هو صديقك ؟ » ، اجابها ، « انه الفار الصغير » ، فهدأت وسألته ، « كيف ، وماذا فعلت به قبل ان تأكله ؟ » ، فهتف مندهشا ، « كنت العب معه ، وهو صديقى فكيف آكله » ، فصرخت القطة ، وأخذت تنهر ابنها على جهله وسذاجته ، وقالت له ، « ان الله قد خلق لنا الفأر لناكله ، ولحمه الذ من لحوم الدجاج والارانب ، وقد خلق الله لنا نحن القطط لحم الفار ليدفئنا فى الشتاء ويجعلنا خفافا وماهرين فى القفز والجرى ، ونستطيع أن نرى فى الليل بسهولة » ، فاعتذر القط الصغير عن جهله ، وطلبت منه امه ان يحضر فى الغد الفار الصغير ويأكله امامها ان اراد ان تسامحه ولا تعاقبه ، فوعدها بذلك .

ورجع الفأر الصغير الى جحره فلقى امه تبكى وتولول فقد ظنت أن مكروها أصاب فارها الصغير ، لكنها حين راته ، امسكت بـه ، وانهالت عليه تضربه ، وسألته ، « اين كنت ؟ » ، فاخبرها انه كان يلعب



وذات يوم انهمكا في اللعب وبدلا من أن يعودا الى أهلهما عند المغيب ظلا يلعبان حتى منتصف الليل.

مع صديقه ، فسألته ،« من هو صديقك الذى انساك أمك وقلقها عليك وظللت تلعب معه بعد مغيب الشمس ؟»، فرد عليها ،« انه القط »، فصرخت أمه غير مصدقة وصاحت ، « القط ، وكيف لم يأكلك ؟ » ، فأجاب ، « انني العب معه منذ مدة طويلة وهو صديقى ، فكيف يأكلنى ، وهل تاكل القطط الفيران ؟» ، فضمته الى صدرها وقالت ، « الحمد لله الذى ابقاك سليما حتى اليوم ، ان هذا القط يسمنك لياكلك ، الا فلتعلم يا بنى ان القط هو عدونا اللدود ، ان القطط تاكل الفيران ونحن الذ طعام لديهم ، انهم متوحشون لا يعرفون الرحمة ، انهم يفترسوننا فى كل لحظة ، فاياك ان تذهب للقط مرة اخرى ، واياك أن تخرج من الجحر ان رايته على قرب منه ، واوصته ونصحته كما أوصت ونصحت القطة ابنها القط الصغير ، ووعدها ايضا بتنفيذ ما أوصته به .

وفى الصباح ذهب القط للفار واندهش حين لم يجده فى انتظاره ، فأخذ يلعب حتى يجيء الفار ، ومضت ساعة ولم يخرج الفار من جحره، لكنه كان لصغر سنه يراقب القط ، ويود لو خرج ليلعب معه ، فاقترب قليلا من فتحة الجحر ، فرآه القط وناداه ، « تعال والعب معى»، فرد عليه الفار ،« لا لقد اوصتنى أمى »، فساله ،« بماذا اوصتك أمك ؟»، فأجاب الفار ،« اوصتنى بان لا العب معك ، لانك عدو لنا وانتم القطط تفترسوننا بغير رحمة ، وتأكلوننا نحن الفيران المساكين ، نحن اعداء ولا يصح أن نكون اصدقاء فى يوم من الايام ، وانت لابد ايضا ان تكون امك قد اوصتك باكلى وافتراسى »، فقال له القط ، « حقا ان القطط تاكل الفيران وهم أعداء لكم ولكننى صاحبك وصديقك والعب معك منذ أيام كثيرة ، وقد اوصتنى أمى ان آكلك ، لكننى لن انفذ رغبتها فانني احب اللعب واود أن نظل أصدقاء » .

ولم يجرؤ الفار علي الخروج ؛ فقال القط ،« ما رايك يا صديقى اذا عاهدتك بأن لا اخونك ولا آكلك وبذلك تضمن عدم خيانتى لك »، فسأل الفار وكيف يكون العهد ؟»، فاجاب القط ،« أمسك يدك فى يدى ونشبك أصابعنا فى بعضها ، ويقول كل منا للاخر انه سيظل صديقه طول الحياة ولا يخونه ابدا ».

وكان الفار الصغير يريد ان يلعب ، فقال ، « اذن ستعطينى

العهد ، هات يدك »، فادخل القط يده الى داخل جحر الفار وامسك بيد الفار وشبك كل منهما أصابعه بأصابع الاخر ، فقبض القط وأمسك بيد الفأر مسكة قوية وجذبه الى الخارج وسخر منه قائلا ، « الم توصيك امك ان لا تأمن جانبي ، ألم تحكى لك عن هذه الحيلة ؟»

فأخذ الفار يتضرع ويتوسل اليه ان يطلقه ، لكن القط قال ، « لا فائدة ياصاحبى ، فقد وعدت امى ان احضرك لها وآكلك أمامها، فلا تتعب نفسك ، ولا تفكر لحظة انني ساتركك ، فقد انتهت حياتك وسآخذك معي وآكلك امام أمي » ، فقال الفار ، « الامر لله ، وقد تأكدت الان من مصيرى ، وعلى اية حال ما دمت سأموت فلياكلني صاحبى احسن من أن يأكلني قط غريب ، لكنني أطلب منك معروفا صغيرا لن يغير من الامر شيئا ، فقبل ان تأخذني الي امك ، سأجلس في حجرك بين يديك ، وكل ما أريد هو أن نقرأ الفاتحة وندعو الله معى أن يلهم امى وابى الصبر بعد أن تأكلني ، حتى لا يبكيا كثيرا ويصابا بالعمي »، وقرأ القط مع الفار الفاتحة، وكان الفار فيجحر القط ، فرفع الفار يديه يدعو الله ويقول ،« اللهم امنح اهلى الصبر والسلوان على فقدى »، فرفع القط يديه وقال ، « آمين يارب » ، فانتهز الفأر الفرصة وجرى ودخل الجحر ونجا من الموت ، وسخر من القط وقال له ،« الم توصيك أمك أن لا تقرأ الفاتحة مع الفار »، فذهل القط وغضب وثار ، واخذ يروح ويجيء أمام الجحر وهو ينادى الفار مبينا له أنه كان يداعبه ، لكن الفأر الصغير الذى رأى الموت بعينيه التزم الصمت ، فانصرف القط غاضبا .

الرجل الذي يبيض

كان الرجل يعمل حطابا ولديه سبعة أولاد ، يذهب للغابة كل يوم فيقطع الاشجار ويحمل ما قطعه من خشب ، ليبيعه ويكسب قوت عياله .

وبينما كان يحتطب فى أحد الايام فى الغابة ، هبت ريح شديدة عاصفة ، فكان كل ما يقطعه من الخشب ويكومه ، توقمه الريح وتدحرجه بعيدا بعيدا ، حتى تعب الحطاب ولم يقدر أن يحافظ على الاخشاب ، فقال الرجل لنفسه ، « ان احسن شىء هو ان ابحث عن شجرة صغيرة واحفر حولها وانزع جذورها واخرجها من باطن الارض ، فيبدو أن رزق اليوم قليل » .

ووجد الحطاب شجرة صغيرة كما فكر وأراد ، وانحنى يحفر الارض حولها بفأسه لينتزعها من جذورها ، وقبل أن ينتهى من عمله اصطدمت فأسه بشيء صلب ، فتوقف عن العمل وازاح التراب بيديه ، فوجد قدرا من النحاس وكان مغلقا ، ففتحه ، وكم كانت دهشته حين وجد القدر مملوءا بالعملات الذهبية ، وصرخ الحطاب من الفرح كما كانت الرياح تصرخ من حوله ، لكنه كان رجلا عاقلا ففكر وقال لنفسه ، « لو أخذت الذهب معى الى دارى ، فلابد أن الامر سينفضح ، ستحكى زوجتى وتذيع السر ، وربما بنت او ابن من أولادى ، فيعرف القايد (1) وعندئذ يأمر بالقبض على ويأخذ الكنز منى ، لذلك سأجرب تجربة صغيرة ، واخذ الرجل شيئا قليلا من العملات الذهبية ، واقفل القدر مرة اخرى ، ودفنه فى مكان عرفه وعينه واتخذ طريقه الى داره .

(1) — حاكم أو رئيس لقرية صغيرة مثل العمدة فى مصر والمختار فى سوريا

وذهب الي السوق وباع هذا القدر القليل من الذهب ، واشترى دقيقا وزيتا وخضرا كما يفعل فى يوم وفير الرزق وليس أكثر ، واشترى كذلك ثلاث بيضات .

وحين وصل الحطاب الى داره ، أعطى زوجته الدقيق والزيت والخضر ، وادعى المرض بحجة انه اجهد نفسه فى العمل ، وقد هبت العاصفة فى ذلك اليوم ، وكانت الرياح شديدة ، ودخل الى غرفته ووضع البيضات الثلاث فى حزامه حول وسطه .

وبعد لحظات جاءت زوجته انيه ، فوجدته نائما على غير عادته، وقد تغطى بغطائه الصوفى ، يئن ويتوجع تألما ، فسألته فى لهفة ،« ما الخبر ؟ » ، فاجابها ، « أننى أشعر بآلام غريبة وعجيبة فى بطنى ومؤخرتى » ، ومضى يئن ويتوجع ويتأوه ، وبعد دقائق صرخ آه ، آه »، وغطى نفسه جيدا ، ومد يده الى اسفله ونفخ وقال متألما ، « آه » ، ثم اخرج يده من تحت الغطاء وصاح فزعا ، « ماهذا ! »، وقدم لزوجته بيضة كان قد اخذها من حزامه ، فصرخت المراة مذهولة وضربت بكفيها على فخذيها دليل الانفعال والاحساس بالعار ، وصرخت ، « بيضة ، بيضة ، ايها الرجل ، انت تبيض كالدجاج »، وامسكت المراة بالبيضة وكانت دافئة ، فقد اخرجها من حزامه الملتف حول وسطه ، ومضى الحطاب يتأوه وينفخ ويقول آه ، وكانه يبيض ويعسر عليه الامر ، واخرج لزوجته البيضة الثانية ، فجلست المراة بجانبه وقد الجمتها المفاجأة ، فلم تقو على الكلام ، فقال لها الحطاب، « انت زوجتى وأم اولادى ، وقد عشنا منذ عشرين عاما سويا ، فلا تفضحينى »، فاجابته ،« سأسترك ولا افضحك »، فطلب منها أن تعطيه وعدا بأن لا تحكى ماحدث أمامها لاى مخلوق ، فوعدته بذلك ، ثم اخذ يئن ويتوجع مرة اخرى مدعيا انه يبيض ، واخرج البيضة الثالثة ، واعطاها لزوجته المذهولة ! .

ولم تمض ساعات حتى جاءت أم الزوجة لتزورها ، فلاحظت سكوتها وشرودها ، فسألتها عن السبب فأجابت ، « ليس هناك شىء »، لكن الاجابة كانت غامضة وبعد تردد ، وكأنها تحرضها أن تعيد السؤال ، فالحت الام وسألت ، « هل ضايقك زوجك ؟ » لكن الزوجة تنهدت وكأن الامر اكبر من ذلك ، فغضبت الام وقالت لها ،



وقدم لزوجته بيضة كان قد آخذها من خرامه، فصرخت المرأة مذهولة، وضربت بكفيها على فخديها دليل الانفعال، والاحساس بالعار وصرخت بيضة، بيضة، أيها الرجل أنت تبيض كالدجاج.

« انا امك ولا تخبرينني بما حدث » ، فقالت الزوجة : « انها مصيبة يا امي لقد مرض زوجي مرضا خطيرا وباض كما يبيض الدجاج . هل سمعت بالرجل يبيض ، والله لقد باض امامي ثلاث بيضات ، أخرجها من مؤخرته وامسكت بها دافئه في يدي ، وهو مريض ونائم في غرفته الان »، فاندهشت آلام ، وكانت لا تحب الحطاب ، نهي حماته ، وقالت ، « والله كنت قادمه لازوركم واراه وارى الاولاد . لكنني الان لا أود رؤيته بعد اليوم ابدا ، يا للعار ، رجل يبيض » ، وقامت وغادرت الدار .

وحين وصلت الى منزلها وجدت ابنها وزوجته في البيت ، فقد كانت تعيش معهما ، فادعت الحزن والشرود ، وأخذت تتنهد وتقول ، « يالطيف ، يالطيف ، يالطيف يارب ، استرنا ولا تفضحنا يارب »، وكان هذا على غير عادتها، فاستفسرها ابنها عن سر تنهداتها وكلامها الغريب ، فقالت له ، « اسكت يابني فقد ذهبت اليوم لازور اختك ، فوجدت زوجها » ، وسكتت لتثير تشوقه ، فسألها ، « هل الم به مكروه ؟ » ، فأجابت ، « مكروه ! واي مكروه ، لقد وجدته مريضا بمرض غريب وعجيب لم نسمع به من قبل ، ان زوج اختك يبيض »، فاندهش الابن وصاح ساخرا ، « لا يا امي ، هذا غير معقول ، فالرجل لا يبيض أبدا » ، فأقسمت له انها رأته بعينها يبيض سبع بيضات ، وان اخته حزينة ومهمومة لما حدث ، وتحس بالعار وتتألم لان زوجها يبيض مثل الدجاج .

وبعد ساعات خرج الابن وذهب الى الحلاق ليقص شعره ، وكان هناك عدد من أصدقائه فقال لهم ، « هل تصدقون ان الرجل يبيض ؟ » فاندهشوا واجابوا ، « لا » ، لكن الابن أكد لهم انه يعرف رجلا — وخجل أن يقول انه زوج اخته — قد باض عشر بيضات .

اما الحلاق، فقد حكى لجاره البقال ، أنه قد سمع أن رجلا قد باض أربعين بيضة ، وأن هذا يحدث لاول مرة في البلدة ، وحكى البقال لاحد حراس الملك انه يوجد في البلدة رجل مريض بمرض غريب ، وقد باض سبعين بيضة .

وفي الصباح بينما كان الوزير يسير في طريقه الى القصر ليمثل بين يدي الملك ، حكى له الحارس انه حدث شيء غريب في البلاد ، فلما

استفسر الوزير الحارس ، حكى له أن هناك رجلا قد باض مائة بيضة ، فدخل الوزير وقابل الملك وأخبره بما سمعه من الحارس ، فكذب الملك الوزير وصاح غاضبا ، « انت وزير المملكة ، فكيف تصدق هذا الخبر وتردده علي مسامعى ، كان يجب ان تحتشم ؟ »، واراد الملك ان يثبت للوزير ان هذا الخبر كاذب ، فامر ان يحضروا له الحارس ، فاتوا به ، ومثل الحارس امام الملك ، وقبل الارض بين يديه ، واستفسره الملك وسأله عن الشخص الذى حكى له القصه ، فاجاب، « انه البقال فلان »، فأحضروا البقال ، واتوا به الى الملك ، وحين سأله ، أجاب ، انه سمع الخبر من الحلاق فلان فاحضروا الحلاق ، فقال انه سمع من فلان ، « وهو ابن حماه الحطاب »، فاحضروه للملك ، وحكى انه سمع الخبر من امه ، وان أمه عرفته من ابنتها ، اخته ، وأن الرجل الذى باض هو فلان الحطاب زوج اخته ، فامر الملك أن يحضروا اليه الحطاب فى الحال .

وجاء الحطاب ، وقبل الارض بين يدى الملك ، فسأله الملك ، « هل أنت الرجل الذى باض مائة بيضة ؟ » ، فضحك الحطاب وأجاب، « مائة بيضة ، وهل من المعقول أن يبيض الرجال يا مولاى ؟ »، فقال الملك ، « لكن هاهو زوج اختك يقول ان اخته زوجتك اخبرت امه انك بضت » ، فقال الحطاب ، « ان وراء هذا الامر سرا يا مولاى »، وحكى للملك عن قصة عثوره علي القدر المملوء بالعملات الذهبية وعن خوفه من أن تذيع زوجته وأولاده السر ، فيصل الى مسامع القايد ، فيأخذ الذهب منه ، فاخترع حكاية البيضات الثلاثة التى ادعى أنه باضها أمام زوجته ، وطلب منها ان تحفظ السر ، وكانت هذه تجربة ليتأكد بها من قدرة زوجته على الكتمان ، لكنها اذاعت السر وأصبحت الثلاث بيضات مائة بيضة .

فضحك الملك وسر من ذكاء الحطاب وحكمته ، وقال له ، « ايها الرجل ، انك عاقل وحكيم ، وظريف خفيف الروح ، اذهب الى الغابة واستخرج كنزك فهو حلال عليك ، ولن يمسك أحد بسوء ، رافقتك السلامة » .

(1)
حكاية اللص والمتسولين الثلاثة

تشاجر لص مع اصحابه اللصوص العشرة ، وتخاصموا معه وطردوه ، ربما لانهم يحسدونه على مهارته فى السرقة وعلى حيلـه العجيبـة .

ومشى اللص فى الشارع متضايقا لما حدث ، ولفت انتباهه نداء غريب لمتسول ، فنظر ، فراى متسولا اعمى يجلس بجوار جدار ، يطلب الاحسان ويدعو لمن يعطيه صدقة ان يقضى ليلته فى هناء كما يقضى هو لياليه ، فاندهش اللص واراد ان يعرف كيف يقضـى المتسول الاعمى لياليـه .

وجلس اللص على مقربة منه ، حتى غربت الشمس ، والاعمى يواصل طلب الاحسان والمعونة ، ويردد قوله الغريب دائما ، يدعو لمن يحسن اليه بقضاء ليالى سعيدة كلياليـه .

واشترى اللص رغيفين وقطعا من اللحم ، واعطى المتسـول نصفها ، ولم ياكلها الاعمى ، بل وضعها فى جرابه ، وبعد ساعة قام المتسول يدب بعصاه ليرجع الى داره ، فتبعه اللص .

وسار المتسول حتى وصل الى شارع يقع فى وسط البلـدة ، ووقف امام دار متوسطة لا باس بها ، واخرج مفتاحا من جيبه وفتح الباب ، ودخل الدار ، فتسلل اللص وراءه فى خفة القطط ، ودخـل الدار كذلك ، ورفع المتسول عصاه ودار بها دورة كاملة فى صحـن الدار وهو يرفعها ويهبط بها بسرعة للتأكـد من عـدم وجـود اى

(1) — كتبت لها سيناريو وحوار واخرجتها للتلفزة المغربية باسم « اللص والثلاثة عميان » عام 1976 .

انسان ، ولو لم يدر اللص مع الاعمى ، لاكتشف وجوده ، عندئذ اقفل الاعمى باب الدار بالمفتاح ، وصعد آلدرج ، وتبعه اللص بخفة، وفتح الاعمى بابا آخر ودخل ، وتبعه اللص ، وأقفل الباب ، وكانت هناك غرفة صغيرة بها بعض المقاعد البالية وحشية قديمة مهلهله ، وجلس الاعمى ، واللص على مقربة منه يراقبه ، واخرج الاعمي من جرابه الرغيف واللحم واكل نصفه وأعاد ما تبقى الى جرابه .

وكان هناك باب آخر تنسدل عليه ستارة رثة ، وقام الاعمى واتجه الى الباب ، وازاح الستارة واخرج مفتاحا كبيرا وفتح الباب ودخل الى الغرفة ، فتبعه اللص مسرعا ، واقفل الاعمى الباب ، ونظر اللص ، وانتابه الدوار لما راى ، فقد كانت الغرفة كبيرة واسعة ممتلئة بالطنافس الغالية والاثاث الفخم، فراش من الصوف مغطى بالمفارش الحريريه، وستائر فخمة، واوآني فضية وكثير من التحف الغالية ، وصناديق جميلة مزخرفة ، وفتح الاعمى احد الصناديق واخرج ملابس فخمة ، وقفاطين رائعة ، وخلع ملابسه ولبس الملابس الفخمة وتعمم بعمامة محلاة بالجواهر ، ولبس خواتم ذهبيه مرصعه بالاحجار الكريمة .

واتجه الى مقعد كبير فى خيلاء وجلس عليه ومد رجليه ثم اخذ يتحدث وكان حديثا عجيبا ، فهو يتخيل انه كبير من الكبراء او وزير من الوزراء وان هناك امامه عبيد وخدم وطلاب حاجات ، يمد يده فيقبلها هؤلاء الذين يتخيل وجودهم ، ثم يتحدث بلسانهم ، ويرد عليهم ، ويصبح هناك حوار ، الله يبارك فيك ، الله يبارك فيك ، نعم ، نعم سأجيب مطالبكم واحقق رغباتكم الخ ...

وبعد ذلك قام الاعمى واتجه الى صندوق آخر واخرج منه صرة مليئة بالعملات الذهبية ورجع الى مقعده وهو يقول ، « خذوا ذهبا»، واخذ يخرج حفنة من العملات الذهبية ويعطيها لاشخاص وهميين ، ويمد لهم يده ليقبلوها ، ويمضى الاعمى فى تمثيله ؛ يتكلم ويسأل ويرد ويحاور ، وكأنه ملك من الملوك ، عندئذ فهم اللص معنى كلام الاعمى حين يدعو لمن يعطيه صدقة أن يقضي ليلة كما يقضى هو لياليه .

وبعد ساعة خلع الاعمى الملابس الفخمة وأعادها الى الصندوق وارجع الصرة المليئة بالذهب الى مكانها ، وخرج من الغرفة يتبعه

اللص ، واقفل بابها ، واسدل الستارة ومضي الى الحشية المهلهلة ونام فوقها .

وذهل اللص لما رأى ، فهذا المتسول يملك المجوهرات والذهب والاثاث والتحف ، ومع ذلك يتسول وينام على حشية مهلهلة بل انه لا يرضى أن يأكل الرغيف بأكمله والجراب مليء بالطعام ، وقال اللص لنفسه ، « هذا الاعمى كتب عليه أن يعيش فقيرا ويموت فقيرا » . واقسم ان يسرق منه كل شيء ، وظل اللص ساهرا يراقب الاعمى وهو نائم ، وقبل الفجر بساعة قام اللص ونفخ البنج (1) على الاعمى فخدره ، واخذ المفتاح ودخل الحجرة واحضر ملاءة صوفية وملأها بكل نفيس وغال ، وغادر الدار بسرعة ، وذهب الى منزله ، ثم عاد الى دار الاعمى وجمع مرة ثانية ما تبقى من التحف والاثاث ، وسار الى داره ، ثم عاد مرة ثالثة ومعه عربة صغيرة ، واخذ كل ما تبقى وخباه . ورجع وجلس امام دار الاعمى ليرى النتيجة .

واستيقظ المتسول الاعمى متأخرا وليس كعادته ، واحس براسه ثقيلة ، وبتيار من الهواء يتخلل الدار ، لان اللص ترك الابواب مفتوحة ، فقام الاعمى وتناول عصاه وتحسس بها الباب ، فوجده مفتوحا ، فصرخ ، وجرى الى باب الغرفة الداخلية ، وكان مفتوحا ، ودخل الغرفة وتحسس بيديه ، فلم يجد شيئا ، لا الصناديق ولا البسط ولا التحف ، ولا المقعد .

وصرخ ، فقد تأكد انه فقد كل شيء ، كل شيء ، كل ما جمع ، كانت الغرفة خاوية ، فانكفأ الاعمى على وجهه وبكى كثيرا ، لكن ما فائدة البكاء ، فقام يترنح ، واستعان بعصاه ، وبذل مجهودا كبيرا كى يستطيع أن يتماسك لينزل الدرج ويخرج من داره .

سار فى خطوات ثقيلة ، فرآه اللص وتبعه ، وظل الاعمى يمشي حتى وصل الى منعطف فى الطريق يجلس فيه متسول اعمى عجوز ، يطلب الصدقات ويدعو للمحسنين بأن تشملهم بركة من بركات اولياء الله الصالحين .

اقترب الاعمى من المتسول العجوز وهتف باسمه فرحب الاخر

(1) — البنج مخدر يفترض ان يستعمله اللصوص لتخدير ضحاياهم .

به ودعاه للجلوس بجانبه ، فتهالك الاعمى وجلس وانفجر يبكي ، فاندهش المتسول العجوز وهدا خاطره وساله عن سر بكائه ، وبصعوبة بالغه حكي له قصته ، فقال له الاعمى العجوز :« ياأخي لقد تعديت ، لقد تعديت ، ما حاجتك الى الطنافس والملابس الفخمة وانتحف والمجوهرات ، وما حاجتك الى ادعاء العظمة وتخيل وجود خدم وعبيد وطلاب حاجات يقبلون يديك ، لقد تعديت » ، لكنه حين وجده غاية فى الحزن اخذ يواسيه ، وقال له ، « لو فعلت مثلي ، لما جرى لك ما جرى » ، فسأله الاعمى ، « وماذا تفعل بالمال الذى تحصل عليه ؟ »، فارهف اللص القريب منهما سمعه ، ورد العجوز ، « انني يا اخي اجمع المال ثم احوله الي عملات ذهبية واخبئه فى عكازي ، فقد احضرت عكازا غليظا » ، ومد له العكاز الذى يمسكه ، واستطرد ، « وقد حفرته لاخبيء فيه ألعملات الذهبية، ولا يمكن ان يخطر علي بال احد أن هذا العكاز القديم القذر الذى يساوى درهما فى داخله كنز » .

فتنهد المتسول الاعمى وقال ، « ولكنني أصبحت لا املك درهما ، فما فائدة نصيحتك »، فتعجب منه الاعمى العجوز واجابه ، « ولكن ياصديقى من اين اتيت بالمال الذى سرق منك ؟ » ، فرد الأعمى ، « من الناس » ، فقال له ، « اذن فاطلب من الناس مرة اخرى واعمل بنصيحتى ».

وانصرف الاعمى ليواصل مهنة التسول ، ويجمع المال مرة اخرى ، وبقى اللص علي مقربة من المتسول الاعمى العجوز يراقبه ، ويفكر كيف يسرقه ؛ وبعد ساعة قام واتجه الى السوق واشترى عكازا يماثل تماما العكاز المليء بالذهب ، وحفره وملاه بالملح ليصبح ثقيلا مثل عكاز المتسول ، ورجع ورأى الاعمى يضع عكازه بجانبه وقد لف ذراعه حوله ، فقرر اللص أن يسير ويدعى أنه تعثر فى العكاز ويركله برجله ، ويعطى الاعمى العكاز المزور .

وبالفعل سار مهرولا وركل العكاز وهو يتعثر فيه، لكن الاعمى تنبه وتشبث بالعكاز ولم يتركه ، وفشلت الحيلة .

فجلس اللص يفكر ، وهداه تفكيره الي أن الاعمى لابد وأن يذهب الى المرحاض ليقضى حاجته ، ولابد أن يحاول حل سرواله ، وعندئذ

تتاح له فرصة استبدال العكاز ، فظل ينتظر وينتظر ، وبعد ساعات قام الاعمى وتوجه ليقضى حاجته ، لكنه لم يترك العكاز ابدا ، ولم يستطع اللص ان يسرق العكاز بأية طريقة .

ومضى يتبع المتسول الاعمى ويراقبه ثلاثة ايام ، ولاحظ انه كثيرا ما يردد فى ندائه وهو يطلب الصدقات دعاءه للمحسنين بأن تشملهم بركة من اولياء الله الصالحين .

فاشترى اللص رغيفا كبيرا من الخبز وملاه بقطع كثيرة من اللحم الجيد المشوى ، وقدمه الى المتسول وقال له ، « انت دائما ايها الرجل الطيب تدعو للمحسنين بأن تشملهم بركة من بركات أولياء الله الصالحين ، لقد اعجبتني دعوتك ، وقررت ان اشملك ببركتى ، خذ »، وناوله الرغيف الكبير المملوء باللحم الشهى الساخن ، وانصرف ، وما أن ذاق المتسول الطعام حتى هتف ، « عد الى ايها الرجل الصالح ، عد الى » ، لكن اللص لم يجبه ، ومضى المتسول يأكل الطعام الشهى وهو غير مصدق ، ، وهيء له ان احد أولياء الله الصالحين قد شمله فعلا ببركته .

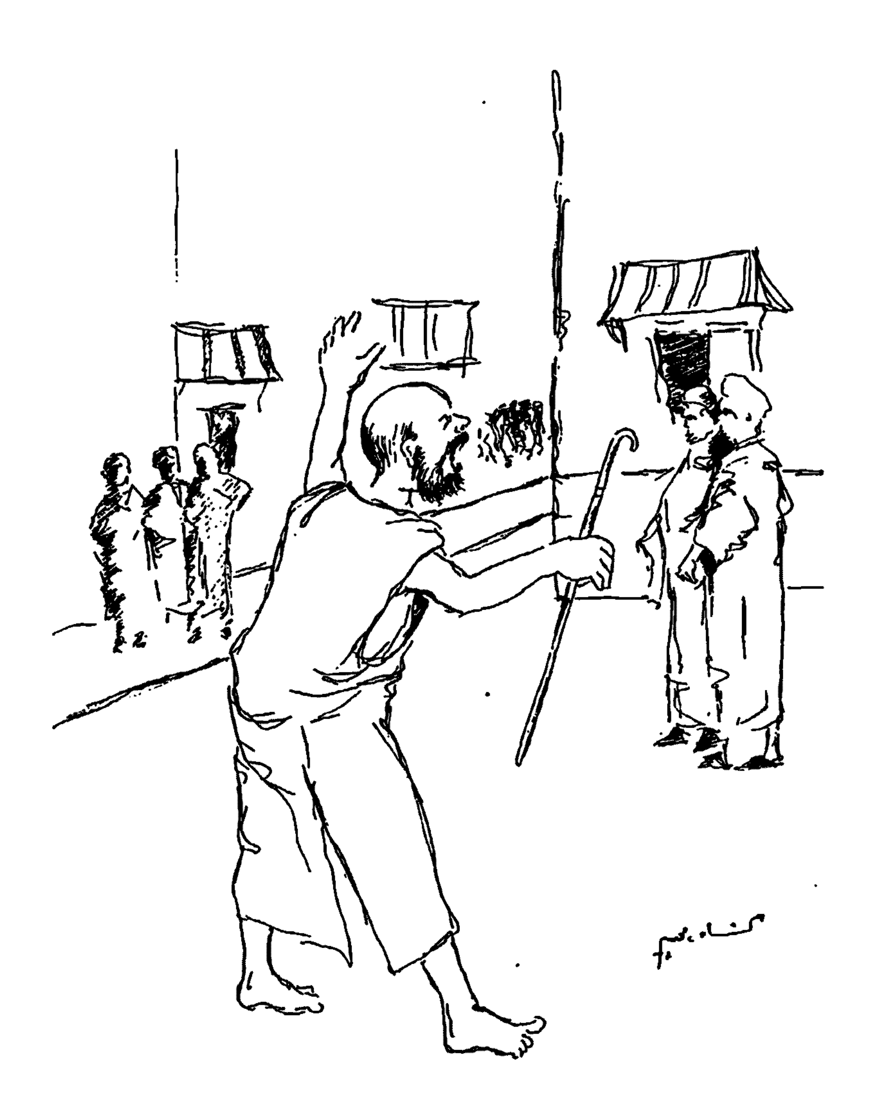
وفى اليوم التالى كرر اللص نفس الشيء ، وان كان قد زاد فى كمية اللحم وانتقى صنفا أجود واشهى ، وحين ناداه المتسول فى لهفة ليقبل يده وليمنحه مزيدا من بركاته لم يرد عليه .

وفى اليوم الثالث كرر اللص نفس الشيء فى وقت الظهيرة حين يخلو الشارع والاسواق من المارة ، وتمهل حتى امسك الاعمى بيده وقبلها وطلب منه ان يباركه ؛ فقال له اللص ،« ماذا تريد ايها الرجل الطيب ؟ » ، فأجاب المتسول ، « بركاتك ، بركاتك ، أريد ان أحج»، فقال له اللص ،« ان كنت على استعداد ، أطير بك الآن الى مكة لاننى من أصحاب الخطوة » ، يقصد اللص قدرة الاولياء على اتيان المعجزات ، فأخذ الاعمى يقبل يده ورجاه ان يأخذه الى مكة ، فقال اللص فى صوت قوى ، « اذن فثبت نفسك وامسك بى جيدا » ، وانحنى اللص وادخل راسه بين رجلى المتسول ، وحمله فوق كتفيه وهتف ، « سأطير بك » ، وسار به اللص وهو يتمايل ويردد ، « نحن الان فوق الجبال » ، وسار به الى سوق الغزل وكان السوق خاليا من الناس والتجار ، وسأله الاعمى ،« أين نحن الان ؟»، فأجاب ،

«فى مكة فى بيت الله الحرام ، وسأحضر لك ثوبا لتحرم به » ، وانزله من فوق ظهره وطلب منه ان يخلع ملابسه ، وترك الاعمى العكاز ، فاختطفه اللص منه فى غمضة عين ، وصرخ الاعمى ، «عكازى» ، فناوله اللص بسرعة العكاز المزور ، وقال له « يا لك من رجل طماع انا من الصالحين وتخاف منى ، انى أعرف سرك ، ان عكازك ملىء بالذهب ، ساتركك أنت وعكازك وذهبك » ، وتركه وانصرف .

فوجم المتسول العجوز وحزن كثيرا ، فقد كان يظن أن اللص من أولياء الله الصالحين ، والا فكيف عرف سره وطار به الى مكة ، وندم على عدم ثقته به ، واخذ يفكر كيف سيرجع الى بلاده ، ولبث الاعمى فى مكانه ، وبعد وقت قليل جاء الناس والتجار الى السوق ، ومن عادة الباعة والمشترين ان يقرأوا الفاتحة حين تتم الصفقة ، فقرا احدهم الفاتحة ، فرددها الباعة والمشترون من بعده ، فسمع الاعمى هذا ، فظن انه فى مكة ، ومضى يردد صائحا ، « لبيك اللهم لبيك » ، وازدحم السوق بالناس ولم يكف الاعمى عن الابتهال ، فاشار طفل اليه ، « انظروا الى الاعمى السكران » ، وقذفه طفل آخر بالاحجار ، وطارد احد التجار الطفل ، وسأل الاعمى عن أمره ، فاجابه «لقد احضرنى هنا الى مكة احد أولياء الصالحين » ، فضحك التاجر وقال له ، « أنت فى سوق الغزل فى بلدة كذا » ، فهتف الاعمى ، « أنا فى مكة » ، فالتف الناس به يضحكون ، وبدأ الاعمى يدرك الموقف ، وتحسس عكازه جيدا وحمله فى يده ليعرف وزنه ولاحظ الفرق ، واخذ يصيح « عكازى ، لقد سرق عكازى » ، فضحك الناس منه وقالوا ،« معك عكاز آخر ، وما قيمة عكاز ثمنه درهم ، ومضى يصرخ ويبكى ويندب ثروته الضائعة ويقول ، « ما يعرف المزود الا المضروب به » ، معناها (لا يدرك الالم الا المتألم .

اما اللص فحين وصل داره ورأى ما فى داخل العكاز من عملات ذهبية مرصوصة فوق بعضها ، تعجب وقال لنفسه ، « لقد كتب الفقر على هذا الاعمى ، ان معه هذا الذهب الكثير ويعيش متسولا هكذا » .



فقرأ أحدهم الفاتحة،فرددها الباعة والمشترون من بعده، فسمع الأعمى هذا وظن أنه في مكة ومضى يردد صائحاً لبيك اللهم لبيك ...

ورجع الى سوق الغزل وشهد ما جرى للمتسول الاعمى العجوز والناس ملتفون حوله ، وهو يصرخ ويبكى ، ولم تكن هناك فائدة من البكاء والصراخ ، وسار الاعمى مترنحا كما ترنح زميله من قبل ، ومشى اللص وراءه وتبعه حتى وصل الى مدخل سوق الخضر حيث وجد متسولا اعمي يطلب الاحسان ويقول ،« من اعطانى صدقة ردها له مولانا عبد القادر » ، فقرأه الاعمى العجوز السلام وهو يبكى، فهتف به الاعمى ، « ماذا بك يا اخى ؟ » ، فحكى له ما حدث ، وزاد فقص عليه ما جرى لصاحبهما كذلك ، فاخذ يواسيه ويهون عليه المصيبة ، ولكنه انبه قائلا ،« لو انكما انت وصاحبك فعلتما مثلى لما استطاع احد ان يسرق اموالكما فالمال عزيز ، ونحن نجمعه بصعوبة خلال سنوات طويلة ، فيجب ان نحتفظ به معنا ولانفارقه »، فسأله ، « وكيف يكون ذلك ؟ » ، وانتبه اللص ليسمع ، واستطرد الاعمى وقال لصاحبه ، « امدد يدك وتحسس هذه الصدرية (لباس داخلى) ، لقد وضعت فيها اموالى ، أجمع الصدقات واحولها الى عملة ذهبية ثم اخيطها بين قماش الصدرية واعمل فوقها رقعة ، وفى هذه الصدرية مئات القطع الذهبية وهى متسخة ومرقعة ولا يخطر على بال احد انها مملوءة بالذهب ، والبس فوقها الجلباب الممزق ولا اخلعه أبدا ».

فقال الاعمى العجوز ، « ليتنى فعلت مثلك لان العكاز ليس مثل الصدرية » ، وفرح اللص بما سمع ، ولكنه احتار ، فهذا المتسول الاعمى لا يفارق الصدرية ولا يخلعها أبدا ، واخذ يفكر .

وبعد ثلاثة أيام وجد الحل ، فذهب الى بائع نحاس واشترى منه آنية نحاسية بغطاء ، واخذ اللص الانية واشترى صينية مستديرة من النحاس يمكنه أن يضع فوقها الانية ، وذهب الى بائع السلال واشترى سلة تصلح لان تكون غطاء كبيرا يغطى الانية بأكملها فوق الصينية ، وذهب الى قرية اشتهرت بتربية النحل واشترى كمية كبيرة من النحل الشرس،وطلب من صاحبه ان يملأ الآنية بهذا النحل ، ووضع الانية فوق الصينية وغطاها بالسلة حتى لا يقدر النحل ان يهرب منها.

واخذ الانية وذهب الي المتسول الاعمى ، وكان ينادى بطلب الصدقات ويدعو للمحسنين أن يرد لهم مولانا عبد القادر صدقاتهم .

فقــراه اللص السلام ، وأجاب الاعمى كعادة المتسولين بمزيد من الاحترام الممزوج بالمذلة ، فقال له اللص ، « انك دائما تقــول مولانا عبد القادر يرد الحسنات ، فشكرا لك لقد جئت لاكافئــك ، خــذ » ، وناوله الصينية والاتية فوقها مملوءة بالنحل ومغطـــــاة بالسلـــة باحكام ، وتركه وانصرف .

فامسك المتسول الاعمى بالصينية وهو يرتجف غير مصـــدق اذنيه ، أيكون مولانا عبد القادر بنفسه هو الذى ناوله هذه العطية، ولم لا ، فليس من عادة المحسنين أن يتصدقوا على المتسولين بصينية فوقها شيء ثقيل مغطى ، وارتجف قلبه وهو يحمل الصينية الثقيلـة ويتحسس السلة التي تغطيها ، لم لا تكون ذهبا ، وخيلت له أطماعه انه رجل مبارك ، زاره مولانا عبد القادر واعطاه .

فقام وسار حذرا ، سار خطوات وخطوات ، تكاد الفرحة أن تقتله ، حتى ابتعد كثيرا عن سوق الخضر ووصل الى مشارف البلدة حيث يقل المارة ، ودخل فى شارع جانبى يعرفه جيدا ، وارهف اذنيه حتى تحقق من خلو المكان ، كل ذلك واللص يتبعه فى خفة ، ومد يده المرتعشة ولزاح الغطاء ، وفجاة دوى طنين النحل الذى كان محبوسا داخل الانية ، يمنعه الغطاء من الحركة ، هاج النحل واخذ يقــرص المتسول الاعمى فى وجهه ورقبته وذراعيه وبطنه وارجله ، فى كل مكان من جسده ، وقد دخل الكثير من النحل بين ثيابه وجسمه ، وقرصات النحل مؤلمة ، موجعة ، فصرخ المتسول من شدة الالم ، ولم يدر ما يفعـل ودون ان يشعــر أخذ بسرعة يخلع ملابسه ويضرب علـى جســده ، ودون أن يدرى خلع الصدرية ورماها ، فتلقفها اللص قبل أن تنزل الى الارض ومضى بها بعيدا .

وجاء الناس على صراخ الاعمى يسالونه ما الخبر وساعــدوه ليتخلص من النحل ، وان كان النحل قد لسع عددا كبيرا من الناس.

وحين عاد اللص الى داره اخذ يسترجع فى خاطره ما حدث ، ورأى أمامه اكواما من الذهب والمجوهرات والاثاث والتحف ، وتذكر هيأة المتسولين العمى الثلاثة وملابسهم الرثة المتسخة وتقتيرهم على أنفسهم وحياتهم المتقشفة وهم يملكون هذه الاموال .

فقرر ان يشكوهم الى الملك ، ولما مثل اللص امام الملك قبل الارض بين يديه ، وحكى له كل ما حدث ، فأمر الملك ان يحضروا المتسولين الثلاثة ، وأعطاهم الامان وطلب منهم ان يقصوا عليه الحقيقة ، فاعترفوا، وحكى كل منهم حكايته تماما كما رواها اللص .

فضحك الملك وقال لهم ، « كيف تطلبون الصدقات وعندكم كل هذه الاموال ؟ » ، وامر بأن يأخذ اللص نصف أموالهم ، وان يعيشوا فى أحد الملاجىء بنصف أموالهم الاخر ، حتى لا يطلبوا الصدقات مرة اخرى .

أشكون الحمار ؟ [1]
أو
من هوالحمار ؟

كان التاجر غنيا وجشعا واكثر من ذلك بخيلا لدرجة لا تصدق ، ويروى اهل القرية أنه ورث البخل عن ابيه ، فبالرغم من ثراء الاب لم يرسل ابنه حين كان صغيراً ليتعلم فى الجامع ، ليوفر نفقات تعليمه .

وحين مات الاب ورث الابن ثروته وصفاته ، وكان يقرض الفلاحين ويسترد دينه مضاعفا منهم ، وعمل فى تجارة الحبوب، وعرف كيف يضاعف امواله ، فزادت ثروته مع الايام ، وتزوج ، لكنه لم يرزق باولاد .

ومضت سنوات واقترب هو وزوجته من الشيخوخة ، لكنه لم يكف عن الجشع مع زيادة ثروته وظل بخيلا، تضرب ببخله الامثال .

وفى يوم جاء اليه احد الفلاحين وكان قد اخذ منه كيسين من الحبوب ليردها له بعد اشهر قليلة ثلاثة اكياس ، وكان العام قحطا والمحصول ضعيفا ، واراد الفلاح ان يعطى للتاجر كيسين ويبقى الكيس الثالث للعام المقبل، فلم يقبل التاجر، ونهر الفلاح وسبه وهدده بالشكوى لحاكم القرية « القايد » ولم تجد توسلات الفلاح .

وانصرف الفلاح حزينا وذهب الى فقيه الجامع الذى يعلم الصبية القراءة والكتابة ، وحكى له قصته ، فقال الفقيه : « مسكين انت يابنى،

(1) — كانت هذه أول تمثيلية اعددت لها السيناريو والحوار واخرجتها وقدمتها فى التلفزة المغربية عام 1971 بهذا الاسم .

فهذا الرجل بالرغم من ثرائه بخيل وجشع وانني لاكره أن اذهب اليه لارجوه ، لكن من اجلك ومن اجل اطفالك سأذهب اليه فى الصباح » ، وسكت الفقيه ثم هتف نجأة ، : « انه لامر عجيب، فقد لاحظت خلال الايام الثلاثة الماضية انه يجيء ويقف وراء النافذة ويستمع الى وأنا القى الدرس على الصبية » ، وشكره الفلاح وانصرف .

وكما قال الفقيه، كان التاجر يجيء فى الايام السابقة ويقف وراء النافذة ويستمع الى كلام الفقيه وهو يلقى الدروس على الصبية الصغار، وكان هناك سبب ، فقد حدث منذ ثلاثة ايام ، ان سمع التاجر اثناء سيره فى طريق عودته الى داره شيئا من كلام الفقيه أثار انتباهه ، فالفقيه فى ذلك اليوم ، وكان قد اتعبه الصغار ، وكما يفعل كل معلمى الصبية ان ثارت اعصابهم ، كان الفقيه ينهر الصبية ويسبهم قليلا ، وكان يقول ، « آه منكم يا شياطين ، كم أتعب معكم ، يرسلكم اهلكم انى حميرا واظل اؤدبكم واعلمكم واربيكم حتى تكبروا وتفلحوا ويصبح منكم التاجر والفقيه والقاضى ، فى البداية تاتون الى حميرا وانا اتعب وانتم لا تقدرون »، ولما كان التاجر جاهلا بالرغم من ثرائه ، فقد رفض ابوه ان يعلمه ، استرعى انتباهه قول الفقيه يرسلكم اهلكم الى حميرا واربيكم حتى تكبروا ويصبح منكم التاجر الخ ... عندئذ ظن ان الفقيه يقدر ان يحول الحمار الى بنى آدم ، فأسرع الى زوجته واخبرها وهو فرحان بما سمع ، وقال لها ، انه سيختار أحسن حمار عنده ويأخذه الى الفقيه ليحوله الى بنى آدم ويصبح ابنه لانه ليس لديهما أولاد .

وذهب التاجر مع حماره المختار ، وطرق دار الفقيه فى الليل ، ففرح الفقيه لانه وجدها فرصة ليرجوه كى يؤجل دين الفلاح . لكن التاجر لم يدع له فرصة للكلام ، وقال له منفعلا ، « لقد سمعتك تقول للصبية انهم ياتون اليك حميرا وانت تتعب معهم حتى يصبحوا تجارا مثلى فليس لدى اولاد ، وساعطيك ما تطلب » ، فلم يصدق الفقيه ما سمع وكتم ضحكته ، ثم تكلم الفقيه وطلب من التاجر ان يمهل الفلاح لسداد دينه ، فلم يوافق التاجر وغضب واتهم الفلاح بالطمع والخبث ، ورجا الفقيه ان لا يتكلم فى الموضوع لان هناك موضوعا اهم وهو حصوله على ابن ، وعاد الى حكاية الحمار ، عندئذ قال له الفقيه ،« ان الامر يحتاج الى وقت ، وطلب منه كيسا من القمح ، ففرح التاجر واحضر



وذهب التاجر مع حماره المختار وطرق دار الفقيه في الليل.

بسرعة كيسا من القمح وساله ،« ومتى يصير الحمار بنى آدم ؟ »، فرد الفقيه ، « بعد سنة » وجاء الفلاح الى الفقيه ، فأعطاه الكيس فأخذه الفلاح ورده الى التاجر .

وبعد ان مضى عام جاء التاجر وطرق باب الفقيه الذى لم يكن موجوداً ، فاستقبله خادمه ، وكان يعرف القصة ولايحب التاجر لجشعه. وسال التاجر عن الفقيه ، فاخبره الخادم بغيابه ، فسأل عن ابنه فكتم الخادم ضحكاته واجابه ساخراً « آه تقصد سي بوعزة ، آه لقد صار الحمار بنى آدم وسمي نفسه بوعزة » .

فهتف التاجر فرحا « واين هو ، اين هو ؟ » فاستطرد الخادم ، « الحق لقد أصبح شابا ذكيا ، لم يرض ان يبقى هنا فى هذه القرية الصغيرة ، وقد رحل الى مدينة الصويرة ، وفتح هناك فى السوق حانوتا واصبح تاجراً مشهورا ، اسأل اى شخص فى الصويرة عن بوعزة تاجر الصوف ، يعرفه »، فازداد انفعال التاجر من شدة الفرح وهتف ، «وكيف تتركونه يرحل دون اذنى »، فاجاب الخادم «لقد حاولنا منعه لكنه لم يقبل » ، فقال التاجر ، « سأسافر فى الحال الى الصويرة لاحضره ». فقال الخادم فى دهاء ، « لكننى اخاف ان لا يعرفك ، على اية حال خذ معك المخلاة ، (العلافة ، التى كان يأكل منها ، وسيعرفها بالطبع ، لكن عليك ان تحركها أمامه ، مرة ، بن مرات حتى يتذكرك » ، وكان هذا امعانا فى السخرية .

فانصرف التاجر مسرعا وجهز نفسه للرحيل الى الصويرة ، ووصلها بعد ايام ، وكان الخادم يعرف تاجراً مشهورا يبيع الصوف بالفعل فى الصويرة ، اسمه بوعزة ، لذلك عندما سأل التاجر عن بوعزة تاجر الصوف ارشدوه اليه ، فاقترب من الحانوت على مهل ، وكاد قلبه ان يتوقف من شدة الانفعال ، فقد كان بوعزة يبيع الصوف ، وهو رجل فى مقتبل عمره ، جميل الشكل ، مفتول العضلات ، ووقف التاجر يتأمل ابنه المزعوم فى فرحة وسعادة ، وقد اخفى المخلاة وراء ظهره .

ثم اقترب التاجر من بوعزة ببطء واظهر له المخلاة وقد بسط ذراعيه وامسك بالمخلاة ، وقربها منه ، فظن بوعزة أنه احد الزبائن فسأله عن حاجته فلم يجب التاجر وهز المخلاة قليلا أمام بوعزة ، فسأله

مرة اخرى ان كان يريد شراء شيء من الصوف ، فابتسم التاجر وهز المخلاة مرة أخرى . عندئذ هتف به بوعزة : « ماذا تريد أيها الرجل ؟ »، فابتسم التاجر وأجاب : « الا تعرفنى يا بنى ؟ » فهز التاجر راسه وبدا الغضب يتملكه وساله فى غلظة : « ماذا تريد أيها الرجل ابعد هذه المخلاة عنى يا أحمق ». فمضى التاجر يهز المخلاة ويبتعد ويقترب وهو يلوح بالمخلاة ويقربها من بوعزة ؛ فغضب بوعزة ونهره، فصاح التاجر «الا تعرفنى ياحمارى انا ابوك؟»، واقبل بعض الزبائن والجيران ، وحين كرر التاجر حركاته ، امسك به بوعزة وقال له ،«لابد انك رجل مجنون»، فغضب التاجر وصاح به ،« انا مجنون ، الست اباك يا حمار » ، عندئذ ضربه التاجر، واجتمع الناس ولولا تدخلهم لساءت العاقبة .

ورجع التاجر غاضبا الى قريته وذهب الى الفقيه ، وحين رآه هتف به مستنجدا ، « سيدى الفقيه لقد ضربنى ابني الحمار العاق ، وكل ما اريده منك الآن ان ترجعه حمارا كما كان ، وانا على استعداد ان ادفع لك ما تطلب » .

فضحك الفقيه ، ودخل الي ساحة الدار ، وعاد ومعه الحمار ، وما ان رآه التاجر حتى انهال عليه ضربا وهو يقول ، « ادعيت انك لاتعرفنى وسببتني وضربتنى، خذ، خذ »، وانهال عليه ضربا، وانصرف التاجر ومعه حماره .

حكاية فتاة من خشب

يروى انه كان فى قديم الزمان ملك من الملوك ، ماتت زوجته الحسناء التى كان يحبها حبا قويا صادقا ، وتركت له ابنة تشبهها تماما، جميلة وفاتنة مثلها .

وكان لدى الملك خاتم الحكمة الذى يخدمه جنى يلبى دائما اوامر صاحبه ويحقق له رغباته .

ومضت السنوات ولم ينس الملك زوجته الجميلة وظل وفيا لذكراها بالرغم من ثرائه وامتلاء قصره بالجوارى وحيازته للخاتم العجيب الذى يتيح له أن يحصل على ما يريد .

وكبرت الابنة واصبحت شابة حسناء ساحرة وفاتنة كأمها ، وتذكر الملك زوجته فى أول أيام زواجه بها ، لقد كانت شبيهة بها ، وهيئ له أنها زوجته وليست ابنته ، فقرر أن يتزوجها .

وعندما عرفت الاميرة الشابة رغبة أبيها ، وما اعتزم أن يفعله ، أخذت الخاتم خفية ، وصرة من المال،وخرجت من القصر الى بلاد الله الواسعة .

وذهبت الى نجار وطلبت منه ان يصنع لها تمثالا من الخشب ، فصنع لها النجار التمثال ، فدخلت فيه وأغلقته على نفسها .

وسارت فى طريقها ، ومرت ببلاد كثيرة وكانت تنادى وتقول ، « من يريد خادمة ، من يريد خادمة » ، فيضحك الناس ويرددون ، « خادمة من الخشب ، ما اعجب هذا ! » ، وتضايقت لانه ليس هناك من يريد أن يستخدمها .



ففتح الباب أحد الحراس ولم يجد أحداً

وسارت الى بلدة اخرى ولم تسأل احدا من الناس أن يستخدمها ، بل ذهبت الى قصر الملك وطرقت باب القصر ، ففتح الباب احد الحراس ولم يجد احدا فاغلق الباب ، فاعادت الطرق ، ففتح الحارس الباب مرة اخرى واغلقه فى ضيق لانه لم يجد احدا ، لكنها طرقت الباب للمرة الثالثة ، وحين فتحه الحارس ، قالت له ، « اريد ان اخدم في القصر » .

فاندهش الحارس واسرع الى الملك واخبره بأن هناك (خشبة) بنت خشبية بالباب ، وتتكلم كالبشر وتطلب أن تخدم في القصر ، فضحك الملك وامره ان يدخلها الى القصر وأن تخدم فى الحمام .

ولم يكد يمضى اسبوع حتى حان ميعاد زفاف الامير ابن الملك الى ابنة عمه ، واهتمت الملكة بتجهيز كل ما يلزم حفلة العرس ، وكلفت كل جارية وخادمة بعمل معين لكنها لم تكلف الخادمة الخشبية باى عمل لتقوم به .

فسألت الخادمة الخشبية الملكة أن تسمح لها بالخدمة فى المطبخ، ففرحت الملكة وكلفتهابانضاج اللحوم، لكن الفتاة الخشبية سألت الملكة أن تترك لها مهمة انضاج كل أصناف الطعام التى ستقدم فى العرس ، وبينت لها انها على استعداد بأن تنجز هذا العمل فى خلال سبع دقائق ، فان لم تفعل فليقطعوا رقبتها ، لكنها طلبت ان يخرج الخدم والجوارى من المطبخ، وتبقى هى وحدها، فوافقت الملكة وهى مندهشة، ونفذت رغبة الفتاة .

وما أن اقفلت ابواب المطبخ ، حتى حكت الفتاة خاتم الحكمة ، فجاء اليها الجنى خادم الخاتم ، فطلبت منه ان ينضج الطعام ويضعه فى الاطباق والاوانى فى خلال سبع دقائق ، وقبل ان تمضى السبع دقائق كان امرها قد نفذ ، ففتحت الابواب ، وخرجت الى الملكة ، وسألتها ان تقدم لتذوق الطعام ، فذهلت الملكة لما رات .

واقيمت الافراح ، وابتدا الضيوف يتوافدون ، واضيئت الانوار وصدحت الموسيقى ، وطلبت الفتاة الخشبية من الملكة ان تسمح لها بأن تلبس ثوبا من اثوابها كمكافاة لها على ما فعلت ، فتعجبت الملكة ، لكنها وافقت ان تلبس الفتاة احد اثوابها .

واختارت الفتاة ثوبا من اثواب الملكة ، لونه كلون الشمس المشرقة ، وكانت الفتاة الخشبية حسناء فاتنة رائعة الجمال ، وكانت اميرة تعرف كيف تتزين ، لذلك نوجىء المدعوون بفاتنة ناق جمالها جمال كل امراة فى الحفل ، تلبس ثوبا يضوى كما تضوى اشعة الشمس المشرقة ، حتى ان الملكة لم تدرك أن هذا الثوب هو ثوبها ، وحين اقبل الامير ، واقترب من العروس ومعه عقد من الجواهر الثمينة ، وسوار من الاحجار الكريمة ، وخاتم ثمين ، وكانت الاميرة الجميلة واقفة وراء العروس ، فصعق الامير جمالها ، فنسى عروسه ، واصابه الدوار ، ولم يدر ما يفعل فوضع الخاتم فى اصبع الاميرة الجميلة ، واحاط معصمها بالسوار ، والبسها العقد ، فغضبت العروس ، وخرجت من قاعة الاحتفال ، واختفت الاميرة الجميلة كذلك .

فوجىء الملك والملكة والضيوف بما حدث ، وعم القصر الهرج والمرج ، فكل ما حدث ، حدث فى لحظات قصيرة ، حتى ان اغلب الموجودين لم يعرفوا ماذا جرى ، لكن العروس صممت على مغادرة القصر ، وصاح الامير وافصح عن عدم رغبته فى اتمام الزواج .

ولم يكد يمضى اسبوع على الحادث ، حتى كان الامير يعانى مرضا قاسيا ، وحار الاطباء فى شفائه والسحرة كذلك .

وفى يوم تقدمت الفتاة الخشبية الى الملكة ، وبينت لها انها قادرة على شفاء الامير ، وانها تعرف دواءه ، ففرحت الملكة ورجتها ان تسرع بعلاج ابنها وشفائه .

فصنعت الفتاة سميدة (1) وقدمتها للامير ليشربها ، فرفض ، وكانت قد وضعت الخاتم الذى وضعه الامير فى اصبعها بجوار الطبق المحتوى على السميدة ، وعندما رفض الامير ، قالت له ، « انظر بجوار الطبق » ، فنظر ورأى الخاتم ، فشرب السميدة ، وابتسم ، وسألها عن صاحبة الخاتم ، فأجابته ، « ستجىء اليك ان شربت السميدة ثلاث مرات ، مرة كل يوم ، وها انت قد شربت مرة ، فبقى لك مرتان ، اى يومان، ثم تجىء اليك حبيبتك التى كانت تلبس ثوبا فى لون الشمس»، فصاح الامير ، « اين هى ؟ » ، وبدا يتماثل للشفاء .

---

(1) ـ حساء يصنع من الدقيق .

وفى اليوم التالى قدمت له السميدة مع السوار ، وفى اليوم الثالث قدمت له السميدة مع العقد ، وكان قد قارب الشفاء ، وسالها متذهنا ، « اين حبيبتى ؟ » ، فخرجت من التمثال الخشبى ، وحكت له قصتها ولكنها طلبت منه ان يكتم السر .

وذهب الامير الى أبيه الملك ، وطلب منه أن يزوجه الى الخادمة الخشبية ، فتضايق الملك ، وغضب ، وقال له ، « لقد زوجتك من ابنة عمك ، وهى اميرة جليلة ، لماذا سلكت سلوكا قبيحا ووضعت الخاتم فى اصبع فتاة اخرى وكذلك العقد والسوار ، حتى غضبت ابنة عمك وغادرت القصر ، وكانت فضيحة » ، لكن الامير صمم على طلبه .

وحين علمت الملكة بالامر ، اصابها المرض ، لكن حب الام لإبنها ، وما قاسته حين داهمه المرض اخيرا ، جعلها تــوافق على الزواج ، ورجت الملك أن يوافق على الزواج، ولما كان الملك يحب ابنه حباشديدا فقد قبل ان يزوجه الخادمة الخشبية .

وحكت الاميرة خاتم الحكمة ، فجاء خادمه الجنى ، فأمرته أن يبنى لها قصرا من البللور قبل أن تنتهى حفلة زفافها ، وأن يملاه بأفخر انواع الاثاث التى لم تر لها الناس مثيلا من قبل ، وأن تكون الكؤوس من الذهب والحشايا من ريش النعام ، والبسط مزخرفة بأروع الرسوم، وان يكون القصر أكبر من قصر الملك ، وله حديقة جميلة تسر القلوب وترتاح لرؤياها العيون ، وطلبت منه كذلك ثوبا فى لون القمر ، وقرطا به جوهرة نادرة فى شكل العين ، وحجرا كريما ثمينا فى شكــل الفــم لتضعه على جبهتها ، واحضر لها الجنى فى الحال ما طلبت من ثــوب وجواهر ، ووعد باقامة القصر قبل أن ينتهى حفل الزفاف .

واقيمت الافراح ، لكن الملك كان غضبانا ، والملكة كانت حزينة ، فالناس تكتم ضحكاتها ، والحاشية تسخر ، فالامير سيتزوج خادمــة مصنــوعة من الخشب .

لكن فوجىء الملك والملكة وكل الحاضرين بالامير يدخل صالة الاحتفال وبجانبه حورية حسناء ، لا يستطيع احد ان ينظر اليها ويطيل النظر ، لان جمالها يخطف الابصار ، ويتلألأ ثوبها الفضى ، ويتدلى القرط من اذنيها ، وبه عينان من الجواهر الكريمة تنظران الى الناس ، لتهنما عنها

حسد الحاسدين وتقيها شرهم ، وعلقت علي جبهتها جوهرة فى شكل الفم ، لكن شفتيها الحقيقيتين كان جمالهما يضارع جمال الجوهرة وسناها ، ان لم يكن اروع ، وعرف الملك الفتاة ، وأدرك انها هى نفس الفاتنة الحسناء التى اضاعت صواب الامير ، وقدم لها فى ليلة زفافه السابقة هدايا عروسه ، فاقبل اليها وسألها ، « من انت أيتها الفاتنة الساحرة ؟ » ، فحكت له قصتها .

وقبل ان ينتهى الحفل ، انتبه الجميع الى قصر من البللور مجاور لقصر الملك وقد ظهر فجأة تتلألأ منه الضياء ويشع منه نور ابيض عجيب لم يعرفه احد من قبل ، وضحكت الاميرة الجميلة وقالت للملك ، « هذا قصرى تعالوا اليه » ، واصطحبت الملك والملكة الى القصر البللورى العجيب، فدهشوا عندما راوا الحديقة الجميلة ؛ وحين دخلوا القصر صاحوا وصرخوا اعجابا بما شاهدوا ، وصممت الاميرة ان تقيم الافراح مرة اخرى فى قصرها البلورى ، اربعين ليلة ، ثم عاشت مع الامير فى سعادة غامرة ورزقوا بالبنين والبنات .

شراب الزبيب

مات الرجل ، فحزنت زوجته ، ولم يبق معها الا ابنها الصغير الذى لا يتجاوز عمره ست سنوات .

وقاست من شظف العيش بعد أن فقدت الاسرة عائلها ، لذلك فكرت فى طريقة لتحصل بها هى وابنها على رزقهما ، وكان الولد جميلا حسن الصورة ووهبه الله صوتا شجيا .

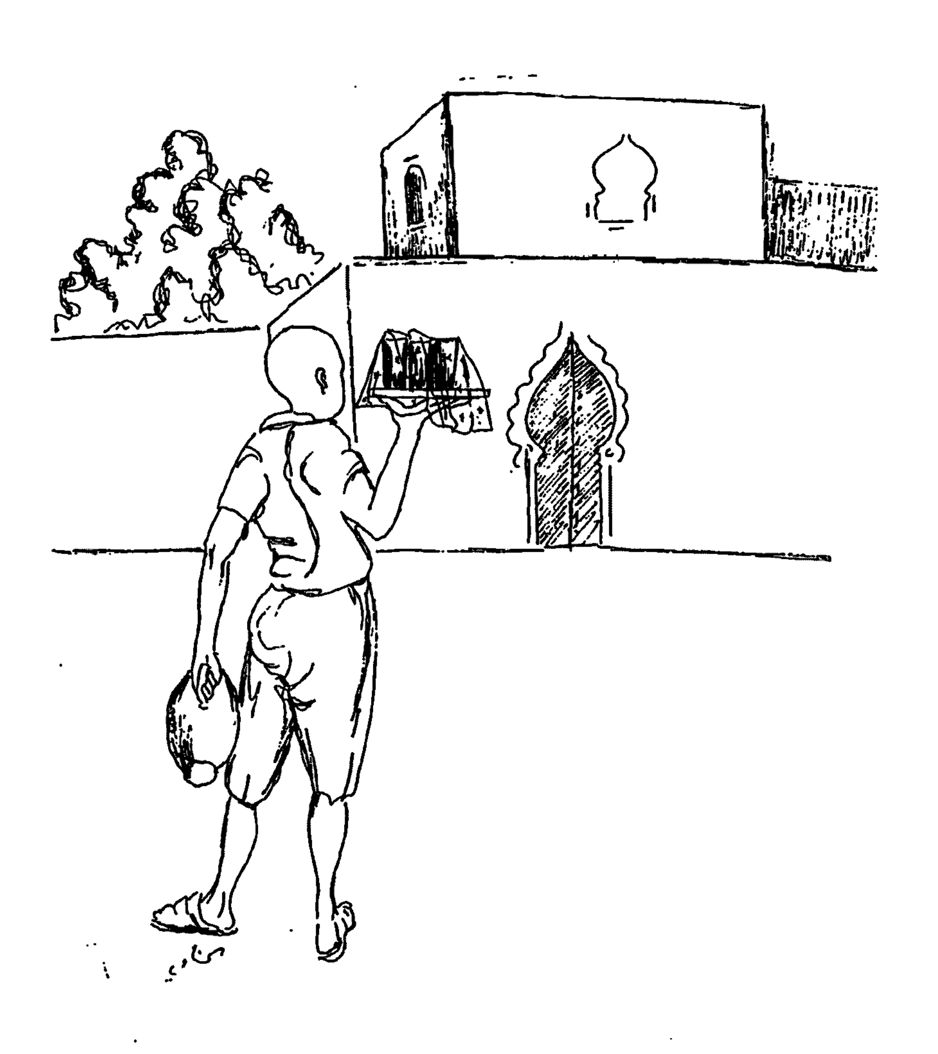
فصنعت الام شراب الزبيب ، ووضعته فى اناء حسن الشكل نظيف ، والبست ابنها جلبابا ابيض ، وطلبت منه ان يذهب الى المشور (1) حيث يبيع شراب الزبيب ، وطلبت منه ان ينادى ويقول ، «اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد الحبيب انا ابيع شراب الزبيب» .

وكان الغلام يذهب كل يوم الى باب المشور ، وينادى ليبيع ما يحمله من شراب ، ورآه الملك واعجبه أنه حسن الصوت جميل الصورة نظيف الثياب ، فناداه وطلب منه شيئا من شراب الزبيب ، فانحنى وقبل يد الملك ، وقدم له كوبا نظيفا ، فذاق الملك الشرآب واعجبه مذاقه وتأدب الغلام ، فكافأه .

ولما كان من عادة الملك ان يجىء الى المشور كل يوم فى الصباح ليتلقى شكايات الناس ويحكم بينهم بالعدل ويتفقد شؤون الرعية ، فقد تعود أن ينادى الغلام ويشرب من شرابه ويكافئه ، بل زاد عن ذلك فكان يقبل الغلام لما رآه من حسن ادبه وكمال سلوكه ، بالرغم من صغر سنه .

---

(1) — المشور ساحة امام قصر السلطان والمعنى رمزى لاتصاله بالحكاية الشعبية .



وكان الغلام يذهب كل يوم الى باب المشور وينادي ليبيع ما يحمله من تراب

وتضايق الوزير فربما كبر الولد والملك معجب به ، وكان الوزير حقودا ، نفكر فى خطة وحيلة ليبعد بها الطفل عن الملك ويتخلص منه .

فنادى الوزير الطفل فى يوم من الايام وساله عن اهله فاخبره الطفل بقصته ، فقال له الوزير ، « اطلب من امك ان تضع لك لثاما فوق وجهك لان الملك لا يعجبه شكلك وتضايقه رائحة فمك القبيحة ».

فأخبر الطفل امه بما قاله الوزير ، وسرعان ما أحضرت الام قطعة من القماش ووضعتها كلثام فوق وجه الطفل .

وحين راى الملك الغلام ملثما ، اندهش وعبر عن دهشته للوزير الذى كان بجانبه ، فقال له الوزير انه اندهش هو الآخر حين راى الغلام ملثما ، وقد ساله عن السبب ، وابدى الوزير شيئا من التردد والقلق ، وقال الملك ،« اخاف يا مولاى أن اخبرك بالحقيقة فتتضايق »، فتشوق الملك وأبدى لهفته لمعرفة الحقيقة ، فقال الوزير ، « لقد قال الطفل انه وضع اللثام حتى لا تقبله يا مولاى لان رائحة فمك قبيحة » ، وانصرف الوزير ، وتضايق الملك ونوى أمرا ، ونفذه فى الحال ، نادى الملك السياف وقال له ، « غدا فى الصباح عليك حين تفتح باب المشور ان تقطع رقبة أول شخص يجىء الى الباب » .

فاجاب السياف ، « سمعا وطاعة يا مولاى » ، وتذكر السياف ان اول من يجىء الى الباب هو ذلك الطفل النظيف الجميل ، الذى يبيع شراب الزبيب ، لكن كان عليه ان ينفذ أمر الملك .

وفى الليل جاءت الاخبار بان هناك قبيلة ثائرة ، فاسرع الوزير فى الصباح الباكر ليبلغ الملك بما حدث ، وحين وصل الى باب المشور تلقاه السياف وقطع راسه ، وبعد قليل جاء الملك ، واخبره السياف انه نفذ امره وقطع رقبة الوزير .

ولم تمض ساعة حتى سمع الملك الطفل ينادى ويقول ، « اللهم صل على سيدنا محمد الحبيب انا ابيع شراب الزبيب » ، فناداه الملك وساله ، « لماذا تأخرت ولم تجىء اليوم مبكرا كعادتك ؟ » ، فاجاب الطفل ، « الحق يا مولاى اني مريض لاننى لم اتعود ان أضع لثاما ، وقد سبب لى اللثام المرض فى أنفى والحرارة فى جسدى » ، فساله

الملك : « ولماذا وضعت اللثام ؟ » ، فأجاب الطفل ، « بسببك يا مولاى فقد أخبرني الوزير انك تتضايق من رؤية وجهى ومن رائحة فمى القبيحة » ، فأدرك الملك الحيلة ، وعرف أن الوزير كان حقودا فقال الغلام ، « ناد وقل اللهم صل علي سيدنا محمد الحبيب انا ابيع شراب الزبيب ، ومن يحفر حفرة لاخيه ، فيها يغيب » ، ففعل الطفل ، واصبح ينادى تماما كما امره الملك .

طائر الحكمة

كان محمد الحطاب رجلا تقيا صالحا ، وبعد أن ماتت زوجته الطيبة ازداد تدينه وكثرت صلواته وتسابيحه ، فكان يقضى النهار يحتطب ، وفى الليل يتزهد ويتعبد ولا ينام الا قليلا ، واعتبره الناس من عباد الله الصالحين .

واعتنى بتربية ولديه ، أحمد الذى لم يتجاوز عمره عشر سنوات ومحمد الاصغر منه بقليل ، وارسلهما الى الجامع (المسيد) وحثهما على حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف ومجاورة الفقهاء والعلماء . وشعر الحطاب بحاجته الى زوجة لترعى شؤون داره واولاده ، فتزوج .

وما ان مضت شهور قليلة حتى بدات زوجة الاب تقسو على الولدين وتعاملهما معاملة سيئة ، وكان لها من الحيل والدهاء الشىء الكثير ، فكانت تخفى كرهها لهما وتدعى امام الاب الاكاذيب وتتهم الولدين باتيان كل عمل قبيح .

وعجز الولدان ان يفضحا امرها او يحيطا الاب علما بما يقاسيانه من زوجته من الايذاء والحرمان من الطعام ، وشاءت المقادير أن يزداد الحطاب فقرا مع مرور الايام ، فقد شحت الغابة بالاشجار الصالحة للاحتطاب ، وقاست الاسرة من الفقر ، وحين اقبل الشتاء كان كوخ الحطاب يكاد ان يكون خاويا من الطعام .

وفى يوم ذهب الى الغابة ، وكان اليوم ممطرا ، وهبت العاصفة ولم يستطع ان يحتطب شيئا ، وانتابه الحزن ، فكيف يرجع لزوجته واولاده خاوى الوفاض ، فبكى الحطاب واشتكى لربه وابتهل اليه تعالى أن يرزقه ويغنيه .

وقبل أن ينتهى من دعائه ؛ جاء اليه طائر جميل الشكل ، ووقف على كتفه مستسلما ، فأمسكه الحطاب وابتسم واطلقه قائلا ، « اذهب وانت حر ، فما حاجتى بك » ؛ فطار الطائر وحوم حول الحطاب ورجع ونزل ووقف على كتفه ، فأطلقه الحطاب مرة أخرى ، لكن الطائر طار ودار دورة حول الحطاب وجاء ووقف على كتفه مستسلما ، فأمسكه ووضعه فى كيسه وقال للطائر ، « ساعطيك لاولادى ليلعبوا بك » .

وعندما رجع الى كوخه ، حكى لزوجته ما حدث ، وطلب منها ان تجهز شيئا من الحريرة (وهى حساء شعبى مغربى) لانه لم يرزق بشىء ؛ وقال لولديه انه قد احضر لهما طائرا جميلا ليلعبا به ، ففرح الولدان واخذا يلعبان بالطائر حتى نسيا جوعهما ولم يهتما حتى بالعشاء، واصر محمد ان ينام الطائر معه .

وفى الصباح ايقظ الحطاب ولديه ليذهبا الى الجامع ، ليتابعا دروسهما ، ونظر الحطاب فوجد بجوار محمد ياقوتة كبيرة تلمع وتتلالأ، فسأل ابنه من أين جاءت ؟ فأجابه محمد بأنه لا يعرف من أمرها شيئا ، فاستفسر منه ان كان قد اخذها من احد التلاميذ الذين يدرسون معه ، فأنكر محمد ذلك ، وقالت الزوجة ، « ان هذا لا يكون الا عند تجار الذهب والمجوهرات » ، وطلبت من زوجها أن يذهب الى السوق ليبيعها وابدى الحطاب ترددا ، وبين لها خوفه من ان يظنوه لصا ، لكنها شجعته ودفعته الى الذهاب .

وخرج ، ومشى الى السوق الذى يباع فيه الذهب ويشترى ، ولم يكن يعرف اى الحوانيت يدخل ، ورآه تاجر شاب ، عرف عنه الدهاء والتعامل مع اللصوص ، فقد كان يشترى منهم المسروقات بثمن بخس، فظنه لصا من اللصوص ، وناداه وسأله ان كان يريد ان يبيع شيئا ، فأخرج الحطاب الياقوتة وناولها له ، فأمسكها التاجر بين يديه ، واندهش لنقاوتها وكبر حجمها ، فقال له ، « اتبيعها بثلاثمائة دينار »، فهتف الحطاب مندهشا ، « ثلاثمائة دينار » ، فرد التاجر ، « اننى على استعداد ان ادفع لك خمسمائة دينار » ، فذهل الحطاب وسكت قليلا وقد ظن التاجر يسخر منه ، وقال له ، « اننى رجل كبير فهل تسخر منى ؟ »، فأجاب التاجر ، « سأدفع لك الف دينار ولن ازيدك فما رأيك ؟ » ،



جاء اليه طائر جميل الشكل ووقف على كتفيه مستسلما

ولم يصدق الحطاب ما سمعه ورد قائلا ، « لا مانع اننى اوافق » ؛ واخذ الالف دينار وعاد فرحا الى كوخه .

وحكي لزوجته ما حدث ، فقالت له ، « هذا رزقنا ، وكفاك تعبا ولا داعي أن تذهب للغابة لتحتطب » ، وامتلأ كوخ الحطاب بالطعام واحضر لاولاده ملابس جديدة ، وفى المساء كانت الفرحة تعم الجميع . ونام احمد ومحمد سعيدين ، فقد أكلا مالذ وطاب ، وفرحا بالملابس الكثيرة التى احضرها لهما ابوهما ، واصر احمد فى هذه الليلة ان ينام ومعه الطائر ، فلم يعارضه محمد .

وفى الصباح اسرع احمد وايقظ اباه ليخبره انه وجد هو الاخر ياقوتة كبيرة تلمع ويخطف سناها الابصار ، تماثل تماما تلك التى وجدها محمد فى اليوم السابق ، فشك الاب وزوجته فى ان يكون الطائر الجميل هو مصدر هذه الياقوتة ؛ واحتار الجميع فى الامر ، لكن ذلك لم يمنع الزوجة ان تحث الحطاب على الاسراع والذهاب الى سوق الذهب والجواهر ليبيع الياقوتة كما باع السابقة بالامس ، ولم تمض ساعة حتى رجع الحطاب ومعه الف دينار .

وراقبوا الطائر وغطوه بسلة ، وفى الصباح التالى وجدوا تحته : ياقوتة كبيرة نقية مماثلة للاخريتين ، فتاكدوا ان الطائر الجميل يبيض كل يوم ياقوتة غالية ثمينة ، وهرع الحطاب للسوق وباع الياقوتة بالف دينار ، وقال له التاجر الشاب ، « ارجوك ان لا تذهب الى تاجر آخر ». ذلك لانه كان يربح الف دينار ، فالياقوتة تساوى الفين .

ولم ينس الحطاب ان يحضر قفصا كبيرا فخما للطائر . ومضت الايام واشترى الحطاب دارا وملأها بالاثاث الجميل ، وطلبت زوجته ان يشترى لها جارية ، ففعل ، اما احمد ومحمد فكل ما تمنياه وجداه أمامهما .

وكان الحطاب يذهب كل يوم الى السوق ويبيع للتاجر ياقوتة ، وكاد التاجر ان يجن ، فالامر غريب ، واخذ يتساءل ، كيف يحصل الحطاب على هذه الجواهر الثمينة يوما بعد يوم ، أيكون قد عثر على كنز ؟» ، لكن الكنوز لا يوجد فيها هذا العدد الكبير من الياقوت بهذا الشكل الاخاذ، ترى أيسرق الرجل الياقوت من بيت المال ؟ حتى لو كان يفعل ، لفرغ

بيت المال ، وحاول التاجر أن يستفسر من الحطاب ، لكن الحطاب نهره وبين له انه لا يحب أن يسمع هذا الكلام مرة اخرى والا فلن يجيء اليه أو يبيعه الياقوت ، فسكت التاجر مضطرا وترك للايام أن تكشف له السر .

وحمد الحطاب ربه وشكره ، فقد ايقن أنه جل وتعالى قد استجاب لدعائه فى الغابة واغناه ، فكان يكثر من الصلاة وقراءة القرآن والتسابيح ويحمد الله على نعمته . لذلك حين مر المنادى ينادى المؤمنين ان يستعدوا للحج ، وقد اقترب ميعاده ، أسرع الحطاب وجهز ما يحتاج اليه ليزور الاراضى المقدسة .

وقبل الرحيل قال لزوجته ، « الطائر عندك وهو يبيض كل يوم ياقوتة فما عليك الا ان ترسليها مع الجارية ، وقد اتفقت مع التاجر ان يعطيها ألف دينار ، وعليك ان توصيها بالكتمان » ، فوعدته بتنفيذ رغبته .

وفى اليوم الموعود ، ودع الحطاب احمد ومحمدا ، وأوصى زوجته أن ترعاهما ، وتمنت الاسرة للحطاب حجا مباركا . وكانت الجارية تذهب كل يوم للتاجر وتناوله الياقوتة فيعطيها الف دينار ، وحاول التاجر مرات كثيرة أن يعرف من الجارية شيئا ، لكنها لم تجبه ، فقد كانت مطيعة لسيدتها ، لكن التاجر دبر خطة ، ففى يوم بعد أن اعطاها الالف دينار سار وراءها وتبعها وعرف الدار واستقصى الاخبار .

وذهب ليزور الزوجة ، ولما سألته الجارية عن سبب زيارته ، طلب منها ان تقول لسيدتها انه التاجر الذى يشترى الياقوت ويريد ان يقابلها لامر هام ، وما أن رآها حتى اعجبه حسنها ، أما هى فقد وقعت فى حبه، فقد كان شابا جميلا ، ونسى ما جاء لاجله ، وصارحته هى بالغرام . وصارا يتقابلان فى دارها و فى داره ، وأخذا يدبران الحيل لابعاد الولدين عن الدار ، ولاحظ الولدان كثرة مجيئه للدار ورايا اشياء لم تكن تخطر لهما على بال .

وفى يوم قال التاجر لزوجة الحطاب ، « ان الامور لا يمكن أن تسير على هذا المنوال » ، وقبل أن يتم حديثه فهمت المراة ما يريد قوله ، فصاحت به ، وكانت تعشقه بجنون ،« نعم ، لابد أن ندبر وسيلة

حتى لا نفترق فانا لا استطيع الابتعاد عنك » ، وفكر كثيرا ، وقال لها ، « انني اريد ان اعيش معك طول حياتي ، ولكنك متزوجة »، فردت عليه بأنها على استعداد ان تهرب خفية وتعيش معه ولن يعرف أحد مكانها ، ولما ذكر الاولاد وانهم يعرفون علاقته بها ، اجابته انه يمكن لها ان تقتلهم وتتخلص منهم وعندئذ طلب منها ان تذيع السر ، من اين ياتي الياقوت ؟ ، فحكت له كل شيء .

وعندما عرف التاجر أن الطائر يبيض ياقوتة كل يوم ، ذهب اني احد اليهود الذين عرف عنهم المهارة فى فنون السحر ، وادهشه ما قاله له اليهودى ، فقد اخبره اليهودى ان هذا الطائر يجيء مرة واحدة كل الف عام ، وهو طائر الحكمة والسعادة ، ومن اكل قلبه عرف كل حكمة الدنيا ، ومن اكل راسه اصبح ملكا ليس له مثيل بين كل ملوك الدنيا ، بل يخضعون له ويطيعون ، وبين له اليهودى ان كل ذلك مكتوب تحت ريش جناحى الطائر ، فما عليه الا ان يفرد الجناحين وينظر ، وسيجد الكتابة ، وعندئذ يكون اليقين .

فاسرع التاجر الى عشيقته وطلب الطائر ، فاحضرته له ، فامسك به ونشر جناحيه ونظر اسفلهما فوجد الكتابة منقوشة على الريش بلون الذهب ، فحكى لها ما سمعه من اليهودى ، واراد أن يذبح الطائر ، فقالت له ، « حذار لا تنس انه يبيض كل يوم ياقوتة ثمنها الف دينار » ، فاجابها ، « لا يهم ولو كان ثمنها عشرة آلاف دينار » ، واستل خنجره وذبح الطائر ، ونادت الخدم وامرتهم أن يطبخوا الطائر ، وقال لها ، « ساذهب الان لاحضر عبدى القوى الشديد لياخذ الولدين ويذبحهما فى الغابة ، وسارجع بعد ساعة لاصحبك معى الى دارى ، ولابد ان تبيعى هذه الدار حتى اذا رجع زوجك لا يجد هنا شيئا ولا يعثر لك على اثر » ، وانصرف،وقامت المراة ودخلت الحمام لتستحم وتتزين .

وجاء احمد ومحمد وهما لا يدريان شيئا مما دبر لهما ، وكانا قد لعبا كثيراً واحسا بالجوع وخاصة حين شما رائحة الطائر وهو يطبخ، فدخلا الى المطبخ ووجدا الجارية قد انضجت الطائر ، فاقترب احمد ورأى الطائر ناضجا وبجانبه قلبه وكبده وكليته ، وكان يحب هذه الاشياء

فأكلها : أما محمد فقد أكل راس الطائر ورقبته ، ولم تهتم الجارية طالما ان الطائر بقي سالما باكمله .

وحين عاد التاجر ومعه العبد ، تكلم مع الزوجة فى خلوة ، وهمس لها بأشياء ، فنادت المراة الولدين واخبرتهما أن اباهما قد رجع وان عليهما ان يذهبا مع العبد لاستقباله ، ففرح الولدان وخرجا مع العبد ، وجلس التاجر فى غرور فرحا ، وطلب ن تحضر له المراة الطائر ، وجاءوا له به ، لكنه لم يجد الراس ولا القلب ، فصرخ ، وسألت المراة الخادمة فاجابتها بأن محمدا واحمد اكلا القلب والراس والكبد كذلك ، ولم تكن هناك فائدة من الصياح والصراخ او الندم .

اما العبد فقد سار مع احمد ومحمد ، واخذهما الى الغابة وانقض عليهما واستعد ليذبحهما ، فلما ادركا الامر ، بكيا وسألاه فى براءة عن السبب الذى يدفعه لقتلهما ، فبين لهما ان هذه مشيئة سيده الذى لا يمكنه أن يعصيه ، لكن بكاء الولدين اثر عليه ، واشفق قلبه عليهما فقال لهما ، « انني على استعداد لمخالفة امر سيدى ، لكنه لو علم اننى لم اطعه اذبحنى ، فان وعدتمانى بان تتركا هذه البلاد وترحلا بعيداً ، فسأحل وثاقكما ولن اقتلكما ، فوعداه بالرحيل بعيداً وعدم الرجوع الى هذه البلدة مرة اخرى ، فحل العبد وثاقهما ، وسارا فى طريقهما ، واصطاد العبد غزالة وذبحها وملأ قنينة من دمائها ، وعاد الى سيده ، فشرب التاجر الدماء ، وباعت المراة الدار ، وذهبت مع التاجر واختفت فى منزله .

وسار الولدان فى الغابة حتى اخترقاها وخرجا منها ، ولم يكن احدهما يعرف الى أين يذهب ، فتابعا المسير حسب وعدهما للعبد ، يقطعان الوديان والقفار ، وفى اليوم الثالث بكى محمد الصغير فقد انهكه التعب واصابه العطش واضناه الجوع ، فطيب احمد خاطره وسأله الصبر والجلد ، فقد كانا وسط قفر موحش حيث لا يوجد انسان ، وبعد ساعات وصلا الى حافة بئر عميقة ، لكن الماء كان بعيدا لا يمكن أن يصلا اليه ، فلا يوجد حبل ولا اناء ، فوقفا بجانب البئر عاجزين حائرين ، وفجاة ظهر امامهما رجل يشع النور من وجهه وله لحية طويلة بيضاء ويلبس ملابس خضراء وفى يده اليمنى حربة وفى يده اليسرى مسبحة ، وقال لهما ،« مرحبا بسيدى احمد ، مرحبا بسيدى

محمد » ولما سألاه من هو ، وكيف عرف اسميهما أجاب وهو يبتسم، : انني شيخ أبيكما سيدى عبد القادر » ، فاخبراه انهما جوعانان وعطشانان ، فمد يده ووضعها فى جيبه ألذى كان يبدو خاويا ، واخرجها ممسكة بالخبز والطعام ، فاكلا ، ثم نظر الى البئر فأخذ ماؤها يرتفع حتى الفوهة ، فشربا ، وقال لهما : « ان اباكما مازال فى الحجاز يحج ويؤدى الفريضة وانا أعرف، ما فعلت زوجته ، لكن صبرا فسيدور الزمان ويجيىء الاوآن ، وان زمانكما لقادم ، لكن أوصيكما فانتبها لما أقول » ، واستطرد ، « ها هو الطريق أمامكما فسيرا فيه ، وبعد سبعة ايام ستجدان الطريق يتفرع الي طريقين فلابد عندئذ ان يودع كل منكما أخاه ، ويسير كل بمفرده فى طريق ، هذه وصيتى،حذار ، حذار ان لا تعملا بها » ، ولم يكد ينتهي من كلامه حتى اختفى .

فقال أحمد لاخيه محمد الصغير ، « لقد اوصانا سيدى عبد القادر ولا بد من تنفيذ وصيته » ، وسارا سبعة ايام ، وكما قال الشيخ فقد تفرعت الطريق الى طريقين ، فودعا بعضهما وهما يبكيان، وقال احمد ، « لا تبك يا أخي فالدنيا تفرق الابن واباه والاخ واخاه » ، فرد محمد ، « الى اللقاء ، الى اللقاء يوم القيامة » ، وتعانقا وافترقا ، ومشى سيدى محمد الصغير فى الطريق الايمن ، وظل يسير ويسير ، ومنذ تلك اللحظة التي قابل فيها سيدى عبد القادر وهو لا يحس بجوع او عطش ولا يتعبه المسير .

ظل يمشي اياما واياما حتي وصل الى مدينة بدت له من بعيد كبيرة عامرة ، وحين وصل الي اسوارها وجد ابوابها مغلقة ، فقد غابت الشمس، واعتاد اهل المدينة ان يغلقوا الابواب ، فتوسد أحجار الاحجار ونام خارج الاسوار .

وقبل أن تشرق الشمس ، هب من نومه مذعورا ، فقد ايقظته الجلبة والضوضاء واصوات الطبول ، ولم يصدق ما رأى ، فقد ابصر امامه أهل المدينة يتقدمهم الوزراء والقواد واكابر القوم ينحنون له ويحيونه فى احترام بالغ ، وقالوا له ، انهم قد اختاروه ملكا لان ملكهم قد مات ، وحسب تقاليدهم كانوا يغلقون ابواب المدينة وينتظرون عشرين يوما مجيء غريب ، ليتوجوه ملكا ، وفرحوا به عندما أخبرهم أنه قد حفظ القرآن والم بالسنة والحديث .

ولم تمض سنوات قليلة حتى علا شأنه وظهرت نجابته وعرف عنه العدل حتى سموه سيدى محمد سلطان الحق ، وجاءت اليه الملوك تستشيره وتطلب نصحه ، وتسأله أن يحكم فى قضاياهم ان استعصت عن الحل ، واصبح سيدى محمد سلطان الحق علما بين الملوك وارفعها شأنا واعظمها واعلاها مقامـــا .

اما سيدى أحمد الاخ الاكبر فقد سار فى الطريق اليسرى ، وبعد ايام كثيرة وصل الى غابة هى أكبر غابات الدنيا ، غـــابة ليس هناك مثيل لاتساعها ، الداخل اليها مفقود والخارج منها مولود . ظل سيدى أحمد تائها فى الغابة يسير ويسير ويقطع دروبها وممرأتها ويأكل من ثمرها واعشابها وطيورها سنوات ، قيل انها سبع سنوات (1) . وفى يوم لاح أمامه جبل كبير ، ففرح واسرع الخطى حتى وصل الى سفح الجبل ، ووجد فى اسفل الجبل كهفا كبيرا ، مظلما ، ويبدو أنه لا نهاية له ، فخاف أن يدخل فيه ، ورأى أن يدور حول الجبل وان طال به الوقت ، وفجاة خرج من الكهف عبد اسود ، اشد سوادا من ظـــلام الكهف ، خرج اليه وكأنه قطعة حية متحركة من الظلام ، وكان العبد جيد التكوين حلو القسمات ، وابتسم وانحنى لسيدى احمد ، واخذ يردد بصوت عميق جذاب ، « سيدى احمد ، ابن الحاج الحطاب التقى ، سيدى أحمد المظلوم ، لا تخف ، فانا مرصود لخدمتك كي أساعدك ، وتعرف الحكمة كلها وتصير حكيم الزمان ، ولن يكون ذلك الا اذا ملكت ملكة الحكمة ، وهى هنا داخل هذا الكهف ، يابني انا عبدك طول العمر ، لكن لابد أن تسمع لكلامى وتنفذ نصائحى فانتبه الي ما اقول » .

ففرح سيدى احمد وطلب من العبد أن يسمعه المزيد ، فاستطرد العبد ، « ادخل الي الكهف ولا تخف الظلام فسانير لك الطريق وستجد قصرا كبيرا تحيطه الحدائق الغناء ، فاطرق باب القصر ، وستفتح لك الباب فتاة جميلة لا مثيل لفتنتها وحسنها وستسألك ، من انت ؛ فأجبها ، بنى آدم ، قريب من الاقارب وحبيب من الاحباب » ، وقل

---

(1) — توضح الحكاية ، وتركز على هذه النقطة ، الغابة الواسعة الكبيرة ، ولابد ان هناك دلالة ومغزى لذلك ، كان تكون احداث الحكايه جرت فى مكان ملىء بالغابات ، ويبدو أن الحكاية قديمة وقد تطورت واضيفت اليها افكار دينيه تعد حديثة نسبيا تتعلق بسيدى عبد القادر .

لها ، انك كنت مسافرا وراكبا بغلة ، وقد تركت البغلة لتقضى حاجتك، وعندما عدت لم تجد بغلتك ، فتتبعت آثار حوافرها حتى باب القصر وتأكدت انها دخلت اليه ، واطلب منها ان ترد أليك بغلتك ، وستنكر الفتاة الجميلة وتقول لك ، « لا توجد هنا بغلة » ، فلتصر عندئذ على قولك ، وسترد عليك الفتاة ، « ادخل وابحث عنها » ، وستصحبك الى كل غرف القصر وبساتينه ، ولن تجد فيها البغلة بالطبع ، ثم ستأخذك الفتاة ألى غرفتها وتقول لك ، « هذه غرفتى ، وقد أخبرتك انه لا توجد هنا بغلة »، وسترى لجاما معلقا على الجدار فصح ، « هذا لجام بغلتى لقد سرقتها ، رديها الي » ، وستقول لك الفتاه ، « هذا اللجام له قصة اخرى ، لكنك معذور فيبدو انك جوعان ساجهز لك الطعام » .

وعندئذ ستحضر الفتاة الجميلة كومة صغيرة من الرمال وستلامسها وتسويها باصابعها الرقيقة ثم تضع فوق الرمل محراثا صغيرا لا يزيد حجمه عن اصبع ، ثم ستغرس فى الرمل شيئا من القمح وترشه بالماء فينبت القمح فى الحال وينضج أمامك وتتكون سنابله وتجف سيقانه ، وستحصده الفتاة الجميلة بحصادة صغيرة مثل حجم المحراث وتدرسه بنورج صغير وتطحنه بمطحنة مماثلة وتصنع الخبز وتنضجه فى فـرن صغير، وتقدم لك خبزا ناضجا ، وكل ذلك من فنون السحر والكهانة ، فحذار ، حذار ان تأكل من هذا الخبز ، فان رفضت الطعام ستدعوك للشراب وتحضر لك ماء صافيا نميرا ، فحذار ان تشرب منه كذلك، وعليك ان تهتف بها ، « ايتها اللصة ، لقد سرقت بغلتي ، اعيديها الي وها هو لجامها دليل على سرقتك لها » ، عندئذ ستشتعـل النـار فى الخبز ، وسترد عليك الفتاة قائلة ، « يا سيدى هذا لجام الحكمة وليس لجام بغلتك » ، فادع انك لم تفهم شيئا ، واسألها عن معنى كلامها ، وستجيبك انه لو وضع الانسان هذا اللجام فى فمه لامكنه ان يرى اى شيء يريده، فكذبها، وعندئذ ستضع لك اللجام فى فمك وان شئت أن ترى الصين أمامك لرايتها أو الهند لشاهدتها ، وستجد كتابا معلقا على الجدار فغافلها واخطف الكتاب ، واضربها به بين عينيها وقل لها ، « تحولى من هيئة بني آدم الي هيئة بغلة » ، وفى الحال ستتحول الى بغلة وستجد اللجام فى فمها ، فأمسك اللجام بشدة حتى اجيء اليك ، لكن حذار حذار ان تتغلب عليك ، ولن تقدر ان تغلبك ما دمت لا تأكل خبزها او تشرب ماءها ، وانها لعدوتك،وطريق الحكمة مفتوح امامك ،

فانتبه ونفذ كل ما قلته لك » ، فوعده سيدى احمد أن يفعل . وسار سيدى احمد ودخل الكهف المظلم وحدث كل ما قال له العبد ، الا أنه عندما البسته الفتاة الجميلة لجام الحكمة لم يطلب ان يرى الصين او يشاهد الهند ، بل طلب ان يرى اخاه وأباه وكم كانت دهشته عظيمة حين راى اخاه سيدى محمد سلطان الحق فى قصره المنيف ومعه ابوه هناك ، ثم خطف سيدى محمد الكتاب وضرب به الفتاة الجميلة بين عينيها فتحولت الى بغلة ، بغلة سوداء لم ير لها مثيلا فى حياته من قبل ، كان جلدها لامعا وعيناها براقتين وذيلها منتصبا وفوقها سرج فخم ، فاسرع وركبها ، فضحكت البغلة بصوت انسانى واستمرت تضحك ، وارتفعت ، وارتفعت بسرعة ، وانشق سقف الحجرة ، وارتفعت حتى جاوزت السحب وضحكت وقالت له ، « الا تعرفنى ، اننى عدوتك ، ولقد تغلبت علي وحولتنى الى بغلة ، وصرت فى إمكانك ، اكتك اخطات وركبتنى فاوردت نفسك مورد الهلاك ، لقد حانت ساعتك والان سانتقم منك ، وساقذف بك الى الارض وتمزقك الرياح » ، ومضت تعلو وابصر سيدى احمد العبد بجانبه فى اعالى السماء وقال له العبد ، « لقد اوصيتك ، لماذا لم تنتظر حتى أحضر اليك ، لماذا ركبت البغلة » ، واعطاه مخطافا وهمس فى أذنه « تظاهر أنك تأكل ، والبغلة جوعانة ، فان سالتك اعطنى مما تأكل فأجبها ، أنت عدوتى ولن اعطيك آلا شيئا قليلا ، سأناولك أياه بيدى لتذوقى منه فقط ، عندئذ ستدير راسها ناحيتك ، فادخل المخطاف فى فمها واجذبه ، وقل لها انخفضي والا قتلتك ، عندئذ ستهبط بك وستجدني معك » ، فتظاهر سيدى أحمد انه يأكل ، واستدارت البغلة وسألته ، واجابها ، ووضع المخطاف فى فمها وجذبه وهددها ، وهبطت به .

ونزل من فوق ظهرها ووجد العبد بجانبه ، وصرخ العبد قائلا ، « ايتها الاميرة ، لقد آن ميعاد خلاصك ، وسيزول مفعول سحرك ، وها هو سيدى احمد منقذك فلماذا تفعلين معه هذه الامور ؟ » ، فاجابت البغلة فى صوت انسانى ،« لكنه حولنى الى بغلة وركبنى »، فرد العبد ، « هذا سيدك وستكونين له وستطيعينه حتى يزيل السحر عنك » ، وساله العبد ، « سيدى احمد ماذا تريد ؟ » ، فاجاب سيدى أحمد ، « اريد أن اذهب عند اخى وابى » : فقال العبد ، « سيدى احمد هذه البغلة اميرة مسحورة ، وستكون نجاتها وعودتها الى هيئتها الانسانية

على يديك ، واليك ماحدث لابيك ، تبعد عودته من الحج وجد أن داره قد باعتها زوجته واختفت ، وحزن لانه لم يجدكما أنت وأخاك سيدى محمد ، فسلم أمره الي الله جل وتعالى وبنى كوخا على اطراف الغابة وعاش فيه يعبد ربه ، حتى سمع ذات يوم بوجود ملك عادل عظيم . هو سيدى محمد سلطان الحق ولم يكن يعرف أنه أبنه ، فسافر الى بلاده ليعرض مشكلته ويطلب منه المساعدة ، ففرح اخوك فرحا شديدا بلقاء ابيكما ، وقص عليه قصته ، حدث هذا منذ ثلاثة ايام وارسل سيدى محمد سلطان الحق رجاله ليحضروا له زوجة ابيك والتاجر ليقتص منهما ويعاقبهما شر عقاب ، فما عليك الا ان تركب البغلة وستطير بك الى دار التاجر ، فأمسك به وبزوجة ابيك واحملهما معك الى قصر اخيك وبذلك تسبق رجال أخيك ، وسيفرحون بعودتك ؛ وعندئذ اوصيك أن تنزع اللجام عن البغلة وأبقه معك فهو لجام الحكمة ودائما سيساعدك ويكشف لك الماضى والمستقبل والاسرار ، ثم بعد ان تتم فرحتك بلقاء أهلك ، قل للبغلة أن تتحول الى صورتها الانسانية وتزوجها » ، وما أن انتهى العبد من كلامه حتى اختفى تماما .

فركب سيدى احمد البغلة وطارت به ، وبعد لحظات نزلت الي دار التاجر ، وأمسك سيدى أحمد بزوجة ابيه والتاجر وحملهما معه فوق البغلة ، وطارت بهم الى قصر أخيه ، وفوجىء سيدى محمد سلطان الحق وابوه ببغلة تقف امامهما وينزل من فوق ظهرها شاب جميل ممسكا بالزوجة والتاجر وصاح سيدى أحمد ، « انا احمد يا أبى » ، فهرع الاب وعانقه وبكى ، واسرع سيدى محمد وأحتضنه ، وصاح سيدى احمد ، « ها هى زوجتك الخائنة يا ابى ، وها هو التاجر الغدار ، لقد هربت معه بعد ان حاولا ان يقتلانا ويتخلصا منى انا واخى» ، فأمر سيدى محمد ان تحفر حفرة كبيرة،ملأوها بالحطب واشعلوا فيها النيران ورموا الزوجة والتاجر فى اتونها المشتعل .

وجلس الحطاب فرحا بولديه ، لكن فجاة هتف سيدى احمد ، « لقد نسيت » ، وقام وخلع اللجام من فم البغلة وقال لها ، « عودى الى هيئتك الانسانية » ، فتحولت البغلة فى الحال الى فتاة جميلة فتانة رائعة الحسن ، وقالت الفتاة ، « هل تعرف يا سيدى أحمد من هو العبد ؟ » . ثم سألت سيدى محمد سلطان الحق « هل تعرف يا سيدى

محمد من هو الرجل الشائب ذو اللحية الطويلة صاحب الملابس الخضراء ؟ ». فأجاباها « لا: لا نعرف » ، فقالت ، « انه شيخ ابيكما سيدى عبد القادر (2) » ، وتزوج سيدى احمد الفتاة وعاشوا سعداء.

(2) — تقول الحكاية أن سيدى عبد القادر هو الذى غير شكله وبدا فى صورة هذين الشخصين ، ومن مميزات الفولكلور أن يلصق احداث الحكاية بشخصيات مشهورة سواء كانت شبه مقدسة كسيدى عبد القادر ، أو ذات شهرة وسلطة كالملوك .

ذئب بلا قلب

مرض السبع ملك الغــابة وطال مرضـه ، وذهبت الحيوانات تزوره وتعوده ، وتتمنى له الشفاء ، ذهب اليه الفيل ، والنمــر ، والثعلب ، والقرد ، والضبع ، والقنفد كذلك .

وحين زاره القنفد اقترب منه وسلم عليه وقبل يده ، ودعا لــه بالشفاء العاجل وطول العمر ، وسأل القنفد ملك الغاب عما يؤلمه فشكر السبــع القنفــد واجابه ، « اننــى احس بوجــع فى راســى ، وحرارة فى جسدى وثقل فى اطرافى »، فقال له القنفد ، « لقد عرفت مرضك ، واستطيع أن اداويك يا ملك الغابة » ، فسأل السبع القنفد فى لهفة عن الدواء ، فاجاب القنفد ، « ان دواءك هو ان تأكل قلب الذئب »، فامتعض السبع وقال ، « لكننى كثيرا ما أكلت الذئاب ومع ذلك مرضت » ، فأكد له القنفد خطأ ذلك الرأى وقال ،« حقا لقــد اكلت الذئاب لكنك لم تأكل قلب الذئب بمفرده ، وهذا هو دواؤك »، فنظر السبع هنا وهناك ، فوجد حيوانات كثيرة لكنه لم يــر ذئبــا بينها فقال للقنفد ، « لا يوجد ذئب الآن وانا مريض متعب ولا اقدر على الصيد ، فهون القنفد له الامر قائلا ، « أنا احضر اليك الذئب هنا فى عرينك » ، فشكره السبع ، وانصرف القنفد ليحضر الذئب .

وكان للقنفد غرض ، ذلك انه أحس بضعف واراد هو ان يأكل قلب الذئب ليسترد قواه ، ولم يكن يستطيع ان يصيد الذئب بالطبع، فانتهز فرصة مرض الاسد ودبر هذه الحيلة .

وبحث القنفد عن الذئب حتى وجده ، فسلم عليه واخذ يجاذبه الحديث قائلا ، « ماذا دهاك ايها الذئب ؟ انت انانى وابله ، تصيد

وتأكل كثيرا ولا تعمل حساب المستقبل » ، فاندهش الذئب وسأل القنفذ عما يقصده من هذا الكلام . فاجاب القنفذ . « الم تسمع أن السبع مريض ، وقد ذهبت الحيوانات كلها وزارته وتمنت له الشفاء ماعدا أنت ، الا تعرف قيمة هذه المجاملات ، انها لن تمضى أيام قليلة الا ويشفى السبع ويخرج للصيد ، وسيترك بالطبع من جامله وزاره اثناء مرضه »، فقال الذئب .« الحق لقد فكرت فى ذلك ، لكننى اخاف يا اخى القنفذ من السبع ،« فضحك القنفذ وقال ، « الم اقل لك أنك ابله ، ولم تخافه ، انه مريض وسيفرح بزيارتك ولن ينسى لك هذا الجميل ؟ » .

فوافق الذئب ، ومشى مع القنفذ ليزور السبع ، وحين اقترب من السبع الذى كان يرقد متكاسلا ، صاح القنفذ ، « لقد جاء الذئب يا ملك الغابة يسأل عنك ، ويتمنى لك الشفاء » ، لكن الذئب ظل خائفا مبتعدا عن السبع خاصة وانه راى فى نظرات السبع التوحش والغدر ، لكنه تماسك واقترب مسلما ، ولم يصدق السبع عينه لانه وجد الذئب فى متناول يديه ، فاسرع يريد أن يمسكه ويفتك به ، لكن الذئب كان اسرع منه فجرى من بين يديه وهرب الى الغابة ، وهنا صاح القنفذ حانقا مؤنبا السبع ، « يا ملك الغاب لقد أحضرت لك الذئب بين يديك واضعت الفرصة ، وتركته يهرب منك» ، فتضايق السبع وحزن حزنا شديداً لضياع الفرصة ، لكن القنفذ هوّن له الامر وقال ، « سأحضره لك مرة أخرى لكن اياك أن تجعله يفلت منك هذه المرة »، وذهب القنفذ يبحث عن الذئب حتى وجده ، وحين رآه بادره قائلا ، « لماذا جعلت الاسد يغضب منك ؟ » فأجاب الذئب ، « الم تر ما حدث يا اخى القنفذ ، لقد تنمر على الغادر يريد افتراسى ، وأنا ذهبت لازوره فى مرضه ، واتمنى له الشفاء » ، فكذب القنفذ بشدة هذا الرأى ، وقال ، « ابدآ ابدا أنك سيء الظن ، لقد كان السبع يريد أن يعانقك وانت مخطيء فى تفكيرك ، وهل من المعقول ان تذهب اليه وتزوره وهو مريض فيأكلك ، لقد ذهبت اليه جميع الحيوانات ولم نسمع انه اكل واحداً منها ، وهو يعانق كل الحيوانات هكذا ، وقد هيء لك أنه أراد ان يتنمر عليك » ، لكن الذئب ظل خائفا ، فمضى القنفذ يقنعه وأوضح له أنه يجب أن يزور السبع مرة اخرى لان السبع اندهش وتعجب حين رآه يجرى ويهرب ، وغضب غضبا شديداً ، لان الذئب



فأسرع يريد أن يمسكه ويفتك به، لكن الذئب كان أسرع منه فجرى..

ظن به ظنا سيئا ، واخيرا اقتنع الذئب ، وذهب فى صحبة القنفد ليزور السبع مرة أخرى .

وحين اقتربا من السبع ، قال القنفد للذئب ، « تقدم انه يريد ان يعانقك ، فلا تخف منه » ، فاقترب الذئب من السبع ، فضربه السبع بيده ضربة قوية قطعته نصفين ، فأسرع القنفد بخفة وتناول القلب واكله بسرعة وتشاغل كأنه يبحث عن قلب الذئب المقتول ويريد ان يخرجه ليعطيه للسبع ، ولما تأخر ، اقترب السبع من الذئب وازاح القنفد بعيدا عنه لانه يريد ان يأكل القلب ويشفى من مرضه ، كما قال له القنفد ، وبحث السبع عن قلب الذئب لكنه لم يجد للذئب قلبا ، فصاح ، « ياقنفد ان هذا الذئب الملعون ليس له قلب » ، فأجاب القنفد موافقا ، « حقا ما تقول يا ملك الوحوش ، لو كان له قلب (1) لرفض أن يرجع مرة ثانية اليك » .

(1) ــ كان قدماء المصريين يعتقدون أن القلب مصدر التفكير ، وقد دونت هذه الحكاية فى كتاب كليلة ودمنة وان اختلفت شخصيات الحيوانات فبدلا من الذئب نجد الحمار وبدلا من القنفد يوجد الثعلب .

(1)

المرأة الذكية

كان الرجل تاجرا غنيا وهبه الله ولدين آية فى الذكاء واللطف ، اما زوجته فكانت سيدة حكيمة عاقلة تؤدى فروض ربها .

وفى يوم مرض التاجر مرضا خطيرا ، ولم يفلح الاطباء فى شفائه ، ولما احس الرجل بدنو أجله نادى زوجته وقال لها : « ايتها المراة الطيبة ، سأموت قريبا اننى احس بذلك ، سأموت واكبر ولدى الصغيرين فى السادسة من عمره ، واخاف بعد موتى أن تتزوجى رجلا لا يحسن معاملة اولادى ، فهل تعاهديننى على عدم الزواج حتى يكبر الولدان ؛ وأنا سأجعل المال فى يدك ، والوصاية لك عليه » ، فعاهدته المراة على هذا .

ولم تمض ايام حتى مات . وكانت ثروته كبيرة واعماله واسعة فحاول التجار واقارب الرجل ان تترك الزوجة الوصاية ، لكن شيخ التجار قال ، « ما دامت المراة تقرأ وعاقلة فان من حقها الوصاية » .

وتحملت المراة مسؤولية الاعمال ، وحفظت الاموال ، ورعت تجارة زوجها ، فنمت وازدهرت ، واحسنت تربية ولديها ، وكانت تبيت الليل ساهرة تصلي الى وقت متأخر ، وازداد طمع التجار وأراد أحدهم ان يتزوجها ، فأرسل اليها احدى قريباته لتخطبها له وبين لها ان كل غرضه ان يرعى أولاد صاحبه وانه لا يطمع فى الاموال ، لكن الزوجة الوفية رفضت ، وتقدم تاجر آخر ورفضته كذلك ، وظلت ترفض الواحد بعد الآخر حتى تأكد التجار انها لا تريد الزواج .

ومضت ثلاث سنوات والمراة وفية بعهدها ؛ لكن احد التجار ، وكان

(1) — حولت هذه الحكاية الى تمثيلية تلفزيونية وكتبت لها سيناريو وحوار وتمت باخراجها وعرضتها التلفزة المغربية عام 1973 .

اكثرهم طمعا ، دبر خطة فقد كانت هناك عصـــابة من اللصوص ، عشرة لصوص وزعيمهم . كانت هذه العصابة يخشاها كـل التجــار ويدفعون رشوة لزعيمها لكى يتجنبوا اذاه . وكان زوج المرأة يدفـــع كذلك بدوره ، لكن الزوجة رفضت ان تدفع للعصابة ، بعد أن مـــات زوجها فتركوها دون أن يهتموا بأمرها ، فذهب التاجر الى زعيم العصابة وقال له ،« انى واثق من أن هذه المرأة عندها من المال الشيء الوفير ، فأريد ان تسرقها ، وعندئذ سترضى ان تتزوج بى ، فطالما هى تشعر أنها غنية فسترفض الزواج » ، ففرح زعيم العصابة وقرر سرقة المرأة .

وفى منتصف الليل كان اللصوص العشرة وزعيمهم قد صعدوا الى سطح المنزل ، فأحست المرأة بهم ، وكانت قائمة تصلى فى غرفة نومها ، وبجانبها ولداها ، فارتبكت وبكت ، وتوجهت الى الله تعالى وقالت ، « انى يارب أمرأة مسكينة ، فساعدني يا رب والهمنى الحيلة لاتغلب علي اللصوص »، وقرات الفاتحة، وحين انتهت من قراءتها، أيقظت ولديها وافهمتهما أن فى المنزل لصوصا فوق السطح ، وانهم كثيرون ، فخاف الولدان وشرعا فى البكاء لكنها طمأنت خاطريهما واوحت اليهما الثبـــات وبثت فيهما الشجاعة وقالت لهما ،« ساقعد امام باب الغرفة وأسالكما هل نمتما ، فاجيبانى لا لم ننم ، وسأسالكما عن السبب ، فأجيبانى ، لاننا نريد منك أن تحكى لنا حكاية .

وكان اللصوص يرغبون فى سرقة الاموال دون ضوضاء أو ضجيج، فنظروا الى داخل الدار فوجدوا الضوء فىغرفة المرأة وسمعوها تقول، هل نمتما يا ابنائى ، فأجاب الولدان ،« لا لم ننم بعد يا اماه »، فسألت المرأة « ولماذا لم تناما ؟»فرد الولدان ،« لاننا نريد أن نسمع منك حكاية»، فقال زعيم اللصوص لعصابته ،« أن المرأة مستيقظة ولم تنم بعد »، وسمع المرأة تقول ،« سأحكى لكما حكايتى أنا وماذا حدث يا ولديّ بينـــى وبين ابيكما ، ففى اليوم الذى تزوجنى أبوكما لم أكن هكذا ، بل كان لي سبعة أثداء،ثلاثة اثداء على يمين صدرى ، وثلاثة على الشمال ، وثدى فى الوسط »، فسأل الولدان ،« وهل انت كلبة ياأماه ؟»، فاجابت، « لا انا بنى آدم ، لكن الله يخلق ما يشاء ، فلتسمعا ما حدث لى مع ابيكما » ، فأثارت الحكاية اللصوص وأخذوا يستمعون هم بدورهم ، واستأنفت المرأة حكايتها وقالت ،« كنت اعيش عند ابى حين جاء ابوكما

وخطبنى ولم يكن يعلم بالطبع ان لى سبعة اثداء ، وحين تزوجنى واراد ان يدخل بى ليلة العرس ، خلعت ملابسى ، وما ان راى ابوكما اثدائى السبعة حتى خاف منى فلم يقربني . وفى الصباح قال لى ، آن الله امر بالستر وانا لا استطيع ان اتزوجك فهل انت وحشة ام غولة ، وساحفظ سرك ، لكننى ساطلقك ، فبكيت وناشدته ان يرجع عن رايه وقلت له ، لو طلقتنى تكن قد تسوت على ولم تسترنى لان الناس سيسالون عن السبب وانا لا ذنب لى ، فقد خلقنى ربي هكذاً ، واننى اعدك ان اصلح الامر ويكون لى ثديان فقط ، فهات سيفك ، وفى كل يوم تعال وانا اعرى لك صدرى واقطع ثديا من اثدائى ، فاحضر أبوكما سيفه وكان كل يوم يقطع ثديا من أثدائى » فسألها الولدان ،« الم يكن يؤلمك ثديك وهو يقطع بالسيف ؟»، فاجابت المراة « والله لقد كان يؤلمنى الما فظيعا وكنت اصرخ واه ، واه ، واه ، واه ،» ومضت المراة تصرخ واللصوص يستمعون ناسين كل شيء .

واستمع الجيران للصراخ ، فاتوا ودخلوا البيت واجتمعوا فى صحن الدار ، عندئذ قالت المراة يا جيرانى ، اغيثونى ، فان اللصوص فى اعلى الدار ، فامسكوهم جميعهم ، واخذوهم الى الملك ، ولما حكوا للملك عما حدث ضحك كثيرا واعجب بحكمة المراة وسعة حيلتها ، وانب اللصوص قائلا ،« هل ذهبتم للسرقة ام لسماع الحكايات ، وحكم أن يسجنوا لمدة ثلاث سنوات .

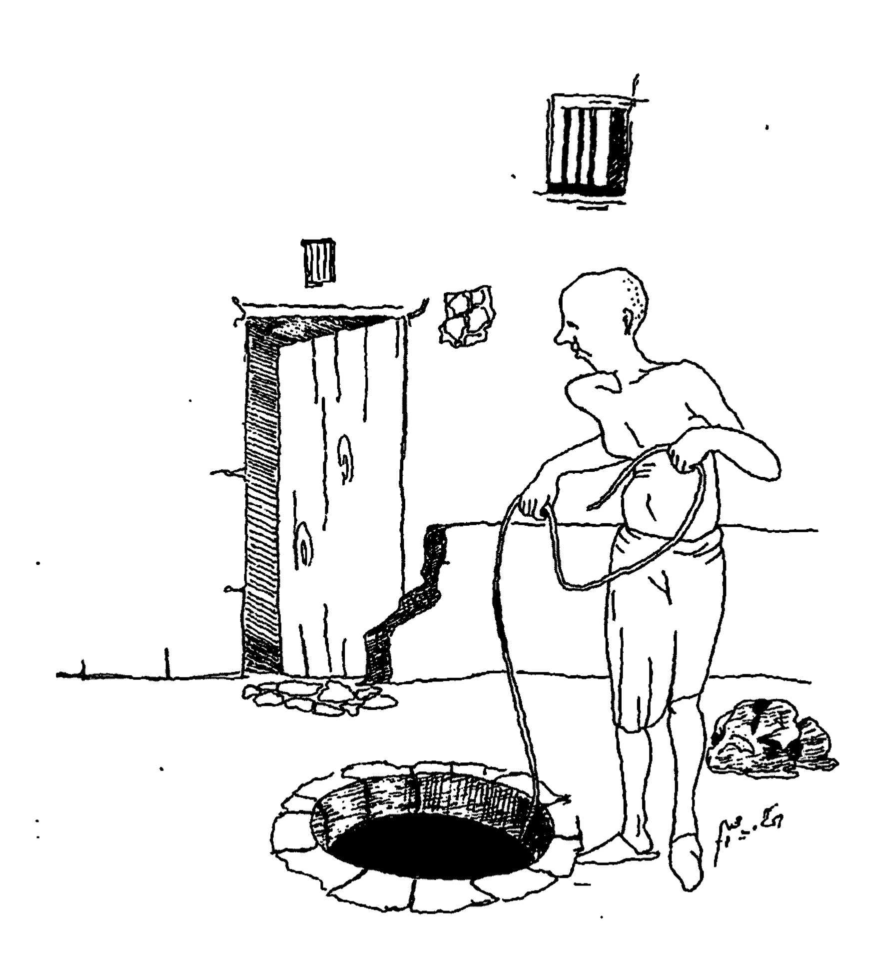
ومضت السنون ، وانهى اللصوص وزعيمهم مدة سجنهم ، وخرجوا من السجن لكنهم ارادوا الانتقام من المراة ، وتسللوا الى منزلها ، فاحست المراة بهم كما احست فى المرة السابقة ، وتضايق زعيم اللصوص حين وجد الضوء ينبعث من غرفة المراة ، فقد كانت تصلى ، وايقظت المراة ولديها ، وطمانتهما واوصتهما بما يقولان لها وكيف يجيبان على كلامها ، واستمع اللصوص وزعيمهم للمراة تسال ولديها ،« هل نمتما يا ولدى ؟»، فاجاب الولدان ،« لا لم ننم بعد يا أماه ، لاننا نريد ان نسمع منك حكاية »، فقالت ،« ساحكى لكما حكاية عن ابيكما قبل ان يعمل تاجرا ، فقد كان لصا قبل ان يشتغل بالتجارة ، لكنه كان امهر لص بين اللصوص وكانت لديه حيلة لدخول المنازل لا تخيب ابدا ، فلم يكن يكسر الاقفال او يقفز فوق السطوح او يستخدم الحبال » ، فانصت

13

اللصوص وارهفوا السمع ، يريدون ان يعرفوا تلك الحيلة الفريدة التى كان زوج المراة يستخدمها فى دخول المنازل ، واستأنفت المراة حديثها وقالت :« ان حيلة ابيكما كانت بسيطة وسهلة ، لكن لا يعرفها احد من اللصوص ، لقد كان يحضر الصابون ويدهن به ظهره، ويصعد الى المنزل الذى يريد سرقته ويلصق ظهره بالجدار وينزلق عليه بخفة »، فسأل زعيم اللصوص :« من منكم يذهب ويأتى لنا بالصابون »، فاسرع لص من اللصوص ليحضر الصابون ، واستمرت المراة تحكى عن سرقات زوجها ومغامراته ، وحين جاء اللص بالصابون والصق ظهره بالجدار وانزلق عليه ، وقع فوق الارض مكسر العظام واخذ يئن ويتوجع ، فسأل الولد امه ، « من الذى وقع من السطح ؟ »، فاجاب اللص وهو يصرخ أما ، « هذه حيلة ابيك ».

وخاف اللصوص مما حدث وهربوا ، وجاء الجيران واخذوا اللص الجريح الى الملك فعاقبه وسجنه بعد شفائه ، وحين انتهت مدة السجن، خرج اللص وذهب الى اللصوص وزعيمهم وقال :« والله آن الانتقام أمر لابد منه ، هيا بنا نسرق تلك المراة ونذبحها» ، لكن زعيمهم اجابه «اننى اخاف هذه المراة ، مرة تقول انه كان لها سبعة اثداء ومرة تحكى حكاية زوجها اللص ، انها ذكية ، ولن اجازف مرة اخرى بدخول بيتها » لكن اللص الذى كسرت عظامه ، وسجن اياما كثيرة ، اقسم بانه سيذهب بمفرده وانه سيقتل تلك المرأة ، وكانت المراة تنتظر خروج اللص من السجن . فما عرفت انه اوفى مدة سجنه حتى كانت فى انتظاره .

اخذ اللص سيفه وذهب ليسرق المرأة ويقتلها ، وكم كانت دهشته كبيرة حينما وجد الباب مفتوحا ، ورأى الضوء ينبعث من غرفة المراة ، فاقترب من الغرفة حذرا ، وكانت المراة تنتظره وقد اوصت ولديها بما يقولان بعد أن أيقظتهما فسمعها تقول لهما :« قبل أن تناما أريد منكما أن تعرفا أين خبأت مال ابيكما لاننى أخبئه كل يوم فى مكان مختلف ، فسألها ولداها ، « وأين خبأت الاموال اليوم يا اماه » ، فاجابت لقد وضعته فى ثلاثة قدور نحاسية وانزلتها فى البئر » ففرح اللص فرحا شديدا وخرج الى فناء الدار وخلع ملابسه ووضعها بجانب البئر ، وأدلى الحبل ، ونزل الي اعماق البئر ، وظل يبحث ويبحث لكنه لم يجد شيئا فاغتاظ ، وعرف أن المراة واسعة الحيلة وانها خدعته ،.



ففرح اللص فرحا شديدا، وخرج الى فناء الدار وخلع ملابسه، ووضعها بجانب البئر وأدلى الحبل

وتساق الحبل وخرج من البئر . لكنه لم يجد ملابســه ، فوقف عاريا لا يدرى ماذا يفعل . وسمع المرأة تقول من داخل غرفتها ،« مع السلامة لكن لا تنس أن تقفل الباب وراءك »، فأجاب اللص ،« سأمشى وأمرى الى الله لكننى لن اقفل الباب فربما يجىء اليك لص آخــر فتسـرقيــن ملابســه ».

« فرطت »
أو
الذنب ذنبك لانك لم تأخذ حذرك

كان شيخ التجار (1) حكيما ، يثق فيه التجار جميعهم ، ويستفتونه في مشاكلهم، وفي يوم من الايام هبطت الى البلدة من الجبال عصابة خطيرة من اللصوص ، وكانوا عشرة غير رئيسهم ، ولما كانت البلدة تعيش في امان ودعة ، فقد فوجيء الناس في الصباح بخبر السرقات التى حدثت في الليل ، فقد هاجمت العصابة منازل التجار الاغنياء وسرقتها .

فهرع التاجر الواحد تلو الاخر الى شيخهم ، يشكون له ما حدث ويسالونه المساعدة ، وما ان زاره أولهم ، وحكى له كيف سرق اللصوص ماله من داره ، حتى أنبه شيخ التجار قائلا : « الذنب ذنبك لانك لم تاخذ حذرك « فرطت ، فرطت ، فرطت » ، ولم ترض هده الاجابة التاجر فانصرف غاضبا، وجاء تاجر آخر، وآخر وآخرون. جاء اليه المسروقون جميعا وحكوا له كيف سرقوا ، لكن شيخ التجار بين لهم وفسر واوضح أن السبب هو الاهمال وعدم الحرص ، وترك ثغرة يستطيع اللص أن ينفذ منها ، ومهما حاول احدهم أن يقدم نوعا من الاعذار والمبررات كان شيخ التجار يجيب بقوله الذى لا يتغير ، «فرطت ، فرطت ، فرطت ».

وفي الايام التالية كان اللصوص العشرة ورئيسهم يمرون في اسواق البلدة وطرقها فسمعوا بما حدث وبما قاله شيخ التجار لكل من المسروقين ، فأخذ رئيس العصابة يتعجب وقال لاصحابه ، « أن

(1) — يقال في المغرب « امين التجار »، ولكن الغرض من هذا الكتاب نشر الحكايات المغربية والتعريف بها في مختلف الاقطار ، وكلمة شيخ التجار متداولة في اغلب انحاء العالم العربي .



فهرع التجار الواحد تلو الآخر ألى شيخهم يشكون له ما حدث

هذا الرجل يتعالى ويدعى الحكمة ، فما رأيكم لو سرقناه وسنرى كيف يحتاط ويحـــذر » .

وانتظروا شيخ التجار أمام حانوته ، وحين غابت الشمس واقفل الرجل الحانوت واتجه الى داره تبعه بعض اللصوص وعرفوا الـدار ووضعوا عليها علامة لكى يعودوا فى الليل وينفذوا جريمتهم .

واتخذوا للامر عدته ، فأحضروا الحبال وادواتهم التى يتسلقون بهـا الجدران ، وتسللوا بخفة حتى وصلوا الدار واعتلوها فى هدوء، وصاروا فوق السطح ، ونزلوا فوجدوا فى الطابق الاول ثلاث غرف ، تكاد تكون خاوية الا من أشياء تافهة لا قيمة لها ، فهبطوا الى صحـن الدار ، فوجدوا غرفتين مفتوحتين وليس فيهما شىء مهم كذلك ، لكنهم وجدوا غرفة مغلقة باحكام ، ولا يقدرون على فتحها ، فتركوها الى حين، وذهبوا الى المطبخ فلقوا جارية عجوزا سوداء ، وحين رأتهم خافـت وارتعدت فوضعوا السكين فوق عنقها وسألوها ، « أين سيدك ؟ » ، فأجابت وأسنانها تصطك من الهلع، «سيدى فى الغرفة المغلقة»، فسألوا، «وأين أمواله ؟»، فقالت ،«معه فى الغرفة المغلقة »، ففكر رئيس العصابة ماذا يفعل مع هذا الرجل الحذر ، وجاءته فكرة ، فقال للعجوز وهـو يضغط بنصل السكين على عنقها ، « ان لم تفعلى ما آمرك به ذبحتك فى الحال » ، فرددت الجارية العجوز ، « مرنى بما تشاء افعله ، مرنى بما تشاء افعله » ، فقال رئيس اللصوص ، « اصرخى مرة ومرات ، وان سألك سيدك ماذا دهاك أجيبيه بأنه قد عضتك عقرب ، عندئذ سيخرج ويفتح الباب »، لان من تلدغه العقرب ، يحتاج الى أن يجرح مكان اللدغة فيسيل السم مع الدم وتنقذ حياته .

فوقفت العجوز وصرخت وظلت تصرخ ، وكأن عقربا قد لدغتها حقيقة ، فاستيقظ شيخ التجار وزوجته وسألها ، « ماذا حـدث لـك يـا سعـدة ؟ » فأجابته ، « لقـد عضتنى عقرب ياسيدى » ، فسألها « وكيف كان ذلك ؟»، فأجابت ،« لقد كنت نائمة ووضعت رأسى على ذراعى لان الوسادة ممزقة ، فجاءت العقرب وعضت يدى » ، فقـال شيخ التجار ، لقد اهملت وكان يجب ان تخيطى الوسادة ، فالذنـب ذنبك لانك لم تأخذى حذرك ، فرطت ، فرطت ، فرطت ، فلتموتـى مسمومة » ، ولم تجد صرخات العجوز ، فضغط رئيس العصابة بنصل

السكين على رقبتها حتى كاد دمها ان يسيل ، وهمس قائلا لها ، « اطلبي منه ان يخرج السكين من فتحة الباب ، وعندئذ نمسك بذراعه ولا نتركها حتى يفتح ، واستمرى فى الولولة والصراخ » ، ولم تكن الجارية فى حاجة ابى التهديد والتوصية ، فقد مضت تصرخ وتبكى وتضرع لسيدها قائلة ، « فلتسامحنى يا سيدى كل ما اريده هو ان تجرح مكان العضة ، لاننى لا اقدر أن اجرحها بنفسى ، فلتخرج يدك فقط ياسيدى ابقاك الله واطال عمرك ، ونتجرح ذراعى ، لان السم يسرى فى دمائى ، ناشدتك الله ياسيدى فاننى اموت » ، ومضت تصرخ وتبكى ، عندئذ سمع اللصوص صوت زوجة شيخ التجار تقول، « هذه جاريتك العجوز التى خدمتك أربعين سنة تموت ، فاخرج لها يدك وانقذها » ، فرد شيخ التجار قائلا ، « دعيها فالذنب ذنبها لانها لم تاخذ حذرها ، فرطت ، فرطت ، فرطت ، دعيها تموت بسمها »، فتوسلت اليه زوجته أن يمد يده بالسكين ويجرح مكان العضة فاعاد عليها نفس القول .

فأحضرت الزوجة سكينا وقالت ، « اقتربى يا سعدة من الباب » ، واخرجت ذراعها من فتحة الباب ممسكة بالسكين فى يدها ، فأمسك اللصوص بذراعها بقوة ، وهتفوا نجاة فرحين ، « افتح ايها الرجل الحذر الباب والا قطعنا ذراع زوجتك » ، فذهل ووجم شيخ التجار ولم يرد ، لكن الزوجة الخائفة كادت أن تموت واخذت تناشد زوجها ان يفتح الباب ، ويعطيهم ما يشاءون ، واخيرا قال شيخ التجار : «ايها اللصوص أيكفيكم ثلاثة اكياس كبيرة من العملات الفضية ؟ » ، فرد رئيس العصابة ساخرا ، « نعم يكفينا ايها الرجل الحذر » ، فاستأنف شيخ التجار حديثه ، « اذن فلتصعدوا الدرج ، وبعد عشر درجات دقوا على الحائط وستسمعون صدى الصوت لان هناك بابا صغيرا من الخشب مختفيا فى الجدار ، افتحوا هذا الباب وستجدون قبوا به ثلاثة اكياس كبيرة ممتلئة بالعملات الفضية » ، فضحك رئيس العصابة وقال، « سنفعل لكننا لن نترك ذراع زوجتك قبل ان تجد العملات الفضية ايها الرجل الحذر ». وترك رجلين تويين ممسكين بذراع المرأة وصعد الدرج مع باقي اللصوص وعدوا عشر درجات ، ثم دقوا على الحائط وسمعوا رنينا لدقاتهم مما يدل على وجود فراغ وعثروا على الباب الخفى كما قال شيخ التجار ، وفتحوه

ونظروا فراوا امامهم قبوا مظلما فدخل الرئيس ، فوجد ثلاثة اكياس كبيرة فمزق احدها بالسكين فوجده مليئا بالعملات الفضية ، ومزق الاخر فوجده مليئا بالعملات الفضية كذلك ، فصاح من اعلى السلم « اتركوا ذراع المراة » ، فترك اللصان ذراعها ، وحمل اللصوص الاكياس الثلاثة ونزلوا الدرج ، لكنهم ما أن وصلوا الى صحن الدار حتى وقعت بعض العملات من الاكياس فكان رنينها مكتوما ، فامسك رئيس اللصوص بالعملات فاذا بها كلها مزيفة ، مصنوعة من المعدن الرخيص الذى يعاقب على وجوده مع اى شخص ، عملات مزورة لا قيمة لها ، جمعها شيخ التجار من مشترين وزبائن ارادوا أن يسرقوه فاكتشفها واخذ العملة المزورة وحفظها عنده ، فطرق رئيس اللصوص الغرفة الموصدة وصاح ،« لقد خدعتنا ايها الرجل الملعون » ، فضحك شيخ التجار وقال ، « ولماذا تركته ذراعها قبل ان تتأكد من جودة العملة ؟ الذنب ذنبك لانك لم تأخذ حذرك ، فرطت ، فرطت ، فرطت ، فانصرف اللصوص حانقين . (1) .

---

(1) ــ حكاية فرطت كانت من انجح التمثيليات التى اقتبستها من الفولكلور وقدمتها على شاشة التلفزة المغربية عام 1971 .

سيدي محمد بن عمر

يروى انه كان هناك سلطان لم يرزقه الله باطفال ، لذلك حين ولدت زوجته بنتا فرح بها فرحا شديداً ، وبنى لها قصراً فخما من الزجاج واحضر لها اجمل الجوارى والخدم ، ورباها فى العز والرفاهية ، وحين كبرت البنت كانوا لا يقدمون لها الا لحم الدجاج والحمام بعد ان يزيلوا منه العظام وكذلك كانوا يفعلون بلحم البقر والغنم ، حتى الخبز لم تعرف الفتاة الا لبابه وافخر أنواعه ، والخضروات كانت تقدم اليها مقشرة ، مصفاة ، والفواكه من غير بذور أو قشرة كذلك .

فترعرعت البنت ونشات فى احضان النعيم ، لكنها لم تر الدنيا ، ولم تعرف غير ما احاطها به أبوها من الوان الحياة السهلة الرغيدة الناعمة فقد كانت جدران القصر من الزجاج ، لكنه زجاج غير شفاف ، فلم تعرف أبدا ما هى الحياة ، فقد عزلها السلطان عنها واراد ان ينشئها ويربيها كما تربى الزهور .

وكبرت الفتاة وأصبحت شابة رائعة الحسن والجمال وكانت الجوارى تحطن بها تدللنها وتطرين حسنها وتقلن لها ، « ليس فى الدنيا جمال مثل جمالك »، فظنت الفتاة ان الحياة هكذا فى كل مكان ، دجاج ولحم بلا عظم ، وخضروات بلا قشور ، وفاكهة بلا بذور ، ورفاهية ونعيم ، فكل ما تطلبه تاتاه وما ترغب فيه وتتمناه تجده أمامها .

وفى يوم ماتت احدى جواريها ، واشترى لها أبوها السلطان جارية اخرى ، لم تكن قد ادركت وعرفت حياة القصر تماما ، لذلك قدمت لها فى يوم لحما بالعظم ، فصرخت الاميرة مرتاعة وكانها رات عفريتا ، وهتفت وهى تمسك قطعة العظم ، « ما هذا ؟ » ، فاجابت الجارية

« هذا عظم يا مولاتى »، فاندهشت الاميرة وسألت :« وما هو العظم انني لم اره ابدا ؟ » فأخذت الجارية تشرح لها :« ان اللحم يجيء من الحيوان ، وأن للحيوان لحما وعظاما مثل الانسان ، وأنه أحيانا فى داخل بعض عظام الحيوان يوجد المخ »، (المخاخ) .

واستمرت الجارية تشرح للاميرة وتقول :« نحن أن طرقنا العظم هكذا »، وطرقت العظم فسقط منه المخ ، واعطت للاميرة منه لتذوق ، فأعجب الاميرة ووجدته لذيذ الطعم ، وفرحت واخذت تطرق جدار القصر الزجاجى بالعظم ليتساقط منه المخ ، فانكسر الزجاج وانفتحت فيه فجوة دخل منها النسيم العليل ، ورات الاميرة ، ويا لحلاوة ما رات ، رات الدنيا التى لم تعرفها من قبل .

فقد امتدت امامها المراعى الخضراء ، وتناثرت الاشجار المورقة هنا وهناك ، وفوق الحشائش كان هناك مهر يرقد ويتقلب ، يغطيه شعر اصفر فى لون الذهب ، يخطف بريقه الابصار ، وكان المهر جميلا ، فظلت الاميرة تنظر اليه وقد سحرها جماله وفتنها شعره الذهبى ، فهتفت تترنم وتغنى :

من الجدع من الجدع (1)
ترعى فى الصن ولا البدع (2)

فرد عليها المهر وقال :

منا قصر منا تصر
يا بنت السلطان الاخضر
تمنيت لك يا لالا
بباقية ورد و ساقية زهر

ومشى المهر الى حال سبيله ، لكن الفتاة تغيرت حالها ، فلم تعد تقبل على الطعام والشراب ، فقد احبت المهر ، وعرفت الحزن الذى لم تعرفه من قبل ، فقد كانت تريد شيئا ولا تستطيع الحصول عليه ، فبكت وظلت تبكى ، فهرع العبيد والجوارى الى ابيها السلطان واخبروه

(1) الجدع : المهر
(2) — الصن والبدع : كلمتان لم استطع معرفة معناهما مع سؤالى للكثيرين . واظن ان المقصود ، اى مرعى بديع يرعى فيه المهر ، والمعنى سيتوضح فى سياق الحكاية .

ان ابنته تريد فى القصر قناة مليئة بماء الزهر واخرى بماء الورد ، ذلك لان الاميرة كانت تردد غناء المهر وكلامه .

فاسرع السلطان الى ابنته ووعدها بتلبية رغبتها وتحقيق امنيتها، وامر ان تحفر قناتان وتملا واحدة منها بماء الورد والاخرى بماء الزهر ، وكانت الاميرة تجلس على حافة قناة ماء الزهر ، ترشف منها رشفات وترش جواريها بمتها العطرى ، وقضت أوقاتا طويله كذلك بجانب قناة ماء الورد ، وتمتعت وفرحت وظنت أن الحياة جميلة .

لكن فى يوم نظرت من تلك الكوة التى فتحتها فى جدار القصر الزجاجى حين طرقت العظم ، فرات المهر الجميل يرقد فوق الحشائش الخضراء ، يتقلب ويغطيه شعر نفى فى لون الفضة فسحرها حسنه وفتنها بريقه ، فنادته وغنت له :

مـن الجـدع مـن الجـدع
ترعى فى الصـن ولا فى البـدع

فرد عليها المهر وغنى :

منـا قـصـر منـا قـصـر
يـا بنت السلطـان الاخضـر
تمنيـت لـك يـا لـلا
سـاقية ورد وسـاقية زهـر
تمنيـت لـك يـا لـلا
درجة فضـة ودرجة ذهـب
تمنيـت لـك يـا لـلا
ياقوتة حمراء ويـاقوتة خضراء
يزين بهـا القـصـر

كان المهر معجبا بالقصر ويتمنى زيادة عن القناتين المليئتين بماء الورد وبماء الزهر ، أن يصبح فيه درج (1)، درجة من فضة ودرجة من ذهب ، وأن تزين جدرانه بالياقوت ، ياقوتة خضراء وياقوتة حمراء .

فعادت الاميرة تتمنى شيئا جديدا ، وعرفت الحزن مرة اخرى ، واخذت تبكى وتقول للجوارى والعبيد ان الحياة ليست جميلة كما كانت

(1) ـ درج : سلم

تظن ، فهذا القصر تنقصه درجات ، واحدة من الفضة والاخرى من الذهب، وان يزين بالياقوت الاحمر والاخضر ، قالت هذا وبكت كثيرا.

فذهبوا الى ابيها السلطان ، واخبروه بما تطلبه ابنته وترغب فى تحقيقه ، فجاء اليها مسرعا وهدأ خاطرها ، ووعدها بتلبية رغبتها ، وامر ان تبني درجات القصر ، واحدة من الذهب والاخرى من الفضة، فاتوا بأمهر الصناع ، واحضروا كميات كبيرة من الذهب والفضة ، وبنوا درجات القصر كما تمنت الاميرة اما الياقوت الاحمر والاخضر فلم يجدوه الا عند اليهود ، فاحضروه ، وزينت به الجدران ، فصار القصر تحفة رائعة تسر العيون .

وعادت الأميرة ترى الحياة جميلة حلوة ، تصعد درجات القصر فتدوس فوق الذهب والفضة ويسعدها ان تتفرج على الياقوت الاحمر والاخضر وقد تناثر فوق الجدران يزينها ويجعلها تفتن الابصار .

لكن فى يوم من الايام ، نظرت الاميرة من الكوة التى فتحتها فى جدار القصر الزجاجى فرات ، ويا لحلاوة ما رات ، المهر الجميل يرقد ويتقلب فوق الحشائش الخضراء وقد تغطى بشعر اسود براق ، فسحرها وفتنها مرة أخرى فنادته وغنت .

من الجدع من الجدع
ترعى فى الصن ولا فى البدع

فرد عليها المهر وغنى :

منا قصر منا قصر
يا بنت السلطان الاخضر
تمنيت لك يا لالا
ساقية من ورد وساقية من زهر
تمنيت لك يالالا
درجة فضة ودرجة ذهب
تمنيت لك يا لالا
ياقوتة حمرا وياقوتة خضرا
يزين بها القصر
تمنيت لك يا لالا
سيدى محمد بن عمر
ملوى الشعر على الشعر
يدور لك فى القصر

لقد ظنت الاميرة أن الحياة حلوة .. وأنها سعيدة ، حين شق لها أبوها قناتين وملأهما بماء الورد ، وكان المهر الجميل صاحب الشعر الذهبى والفضى يتعجب من جمال القصر ثم قال : « ان ماء الزهر وماء الورد ينقصان القصر برغم كماله وفخامته ، وقال أن درجات من الفضة والذهب ، واحجاراً من الياقوت حمراء وخضراء تضفى على القصر جمالا وتملأه سحرا ، وقد سعدت الاميرة وانتشت بماء الزهر والورد . وفتنتها درجات القصر المصنوعة من الفضة والذهب ، والجدران المزينة بالياقوت .

وهكذا ظنت انها سعيدة فى يوم من الايام ، وان الحياة جميلة ، لكن لا ، فكل هذا لا يهم ، انها لحزينة ، وبكت وبكت ولم تعرف الا البكاء ، واصبحت لاتأكل ولاتشرب ، فمرضت ، ولازمت الفراش وهى تئن وتبكى وتصرخ ، وطلبت من جواريها أن يحضروا لها سيدى محمد بن عمر بشعره الطويل الغزير — ملوى الشعر — يتمشى فى القصر ويدور فى انحائه — ويدور لك فى القصر — انها تريده ان يكون هنا معها ، فهذه رغبتها وامنيتها وهذا ما تطلبه ، انها مريضة ، مريضة ، وستظل مريضة وستموت أن لم تره ، فاسرعوا وأخبروا اباها السلطان بمرضها وبما ترغب فيه وتتمناه .

لكن السلطان غضب هذه المرة غضبا شديدا وصاح : « لا ، الا هذا ، لقد حفرت لها القنوات وملأتها بماء الزهر والورد ، ثم بنيت لها درجات القصر من الذهب والفضة وزينت الجدران بالياقوت الاحمر والاخضر ، لما الرجل فلن احضره لها ، انها تخوننى وتطمعنى » ، وامر احد عبيده المخلصين ان يأخذها معه الى الغابة ويذبحها وان يملأ بدمائها قصبة من الغاب ويحضرها له .

فخدعوها فقد ذهب العبد اليها وقال : « ان السلطان قد امرنى أن اصحبك الى خارج القصر لترى الدنيا ، وسنذهب لنتريض فى الغابة » .

فلبست الاميرة ثوبا حريريا جميلا وتزينت باغلى مجوهراتها ، وخرجت مع العبد ، وفى أعماق الغابة اخبرها العبد ان اباها السلطان قد طلب منه ان يذبحها ويأتيه بدمائها فى قصبة من الغاب ، وعليه ان ينفذ الامر ، لكن قلبه لا يطاوعه فان أرادت النجاة فعليها ان تمشى

بعيدا ولا ترجع الي القصر ابدا ، نشكرته الاميرة واعطته بعض مجوهراتها ووعدته ان لا تعود الى بلاد ابيها .

وصاد العبد غزالا ونبحه ، وبدمائه ملأ قصبة غاب ، واخذهـا معه ، ورجع بها الى السلطان ، واخبره انه نفذ ما امره به ، فحزن السلطان حزنا شديدا ، لكنه ندم على ما فعل ، وامر ان يسجن العبد .

اما الاميرة ، فقد سارت وقد دبرت امرا ، وتقابلت فى طريقهـا امراة فقيرة وقالت لها ،« ايتها المراة ، اننى اود ان اعطيك ثيابى الفاخرة ، نظير ان تعطيني ثيابك » ، وكانت ثياب المراة قديمة وبالية فاندهشت المراة وفرحت ، وبادلتها ثيابها .

ولبست الاميرة الثياب المتسخة القديمة ووضعت مجوهراتها فى صرة، وسارت فى طريقها ، واخذت تسأل عن سيدى محمد بن عمر، ترى اين تكون بلاده ؟ واين يعيش ؟ ، وكل من سالته ، ضحك وسخر منها وقال لها :« سيدى محمد بن عمر ، ومن تكوني انت ايتها المتسولة ، لقد سالت عنه اجمل النساء واغناهن ، واعرقهن حسبا ونسبا ، ولم تفزن منه بطائل .

لكنها مضت تسأل ، وتسأل ، حتى وصلت الى بلاده ، واخبروها بان له سبع اخوات ، وانها ان ارادت ان تراه وتقابله ، فلن يكون هذا الا من طريق اخواته . وعرفت اين تعيش اخواته ، فذهبت الى واحدة منهن ، فقابلتها الجوارى وادخلنها الى اخت سيدى محمد بن عمر ، فسالتها وقد احتقرتها حين رات مظاهر الفقر بادية عليها ، وثيابها متسخة ومتقطعة ،« ماذا تريدين ايتها المراة ؟»، فهتفت الاميرة ،« اريد ان اراه ، ان اراه فقط ، وقبل ان تكمل كلامها ، امرت اخت سيدى محمد بن عمر جواريها وعبيدها ان يضربوها مائة جلدة ، فامسك بها العبيد وضربوها مائة جلدة ، وخرجت تئن وتتوجع وتبكى .

لكنها ذهبت الى الاخت الثانية ، وسالتها وطلبت ان ترى اخاها سيدى محمد بن عمر ، فامرت الاخت الثانية عبيدها ان يضربوها مائة جلدة ، وهكذا تكرر الامر . فما ان تسال اختا من اخواته الا وتكون مائة جلدة من نصيبها ، وقد زارت ستا منهن ولم تبق الا الاخت الكبيرة السابعة التي تعيش مع سيدى محمد بن عمر فى داره .

فذهبت اليها وطلبت من جواريها الاذن لمقابلتها ، فأخذنها اليها ، وحين رات الاميرة الاخت الكبرى ، اعطت لها جواهرها الثمينة ، وقبلت يديها وقالت لها ، « انني أريد ان ارى سيدى محمد بن عمر ، أريد ان اراه وان يرانى »، وحكت لها قصتها من أولها الى آخرها ، فأشفقت الاخت الكبرى عليها ، وقالت لها :« انني سأساعدك ، وادبر خطة ، واجعلك ترين اخي ، وكان سيدى محمد بن عمر شابا جميلا كالبدر ، تقيا وصالحا ، له الكثير من المريدين والاتباع الذين يعتقدون انه من اولياء الله والفقهاء المباركين ، وبجانب هذا كان قويا مكتمل الرجولة ؛ وقد سحر النساء ، وحاولت الكثيرات منهن التقرب اليه ، لكنه كان يمتنع ، ويتقرب الى الله بالصلاة والعبادة والعفة والطهر .

وذات يوم ذهبت اليه اخته الكبيرة ، واخبرته انها اشترت له جارية لتخدمه فقال لها ، « الحمد لله ان عندى من الجوارى ثلاثا ، لكن ما دمت قد اشتريتها فلتبق فى الدار »، وشكر لها صنيعها .

واحضرت الاخت صبغة سوداء وصبغت الاميرة باللون الاسود ، والبستها ملابس الجوارى ، وطلبت منها ان تصب الماء لتغسل يدى سيدى محمد بن عمر ساعة الغذاء ، وهكذا تستطيع أن تراه ويراها، ففرحت الاميرة ، وعندما حان وقت الغذاء ، تقدمت لتصب الماء فوق يديه ، لكنه غسل يديه ولم ينظر اليها ، فحزنت الاميرة وقالت لاخته ، « انه لم ينظر الى ولم يرنى »، ففكرت الاخت وقالت لها :« عليك ان تنتظرى حتي الغد وان تصبى الماء فوق ذراعه وعلى ملابسه ، وعندئذ لابد ان ينظر اليك ».

وفى اليوم التالى تقدمت الاميرة ممسكة بالابريق ، وصبت الماء فوق ذراع سيدى محمد بن عمر ، فنظر اليها ورآها ورآته ، اجمل من القمر ، وتذكرت المهر الجميل ، صاحب الشعر الاصفر كالذهب ، والفضي كلون القمر ، والاسود كالليل ، وكادت أن تقع مغشيا عليها .

وفى الصباح طلب سيدى محمد بن عمر من اخته ان تجهز له الجارية الجديدة الحمام ، وتدخل معه لتخدمه ، تناوله الصابون والمناشف وتحك له ظهره . وفى الحمام امرها أن تحضر الماء وتمزج الماء الساخن بالبارد وان تغسل له ظهره بالصابون ، وعندئذ ذاب لون الصبغة الاسود



وفي اليوم التالي تقدمت الأميرة ممسكة بالابريق، وصبت الماء فوق ذراع سيدي محمد بن عمر، فنظر اليها ورآها ورأته ....

وظهرت الصبغة وهى تتبدد ، ومن تحتها ظهر لون جلد الاميرة الحقيقى الابيض، فهتف سيدى محمد بن عمر « لقد عرفتك ايتها الاميرة الجميلة واردت أن اتحقق انك هى التى رايتها تنظر من الكوة فى جدار القصر الزجاجى ، لقد اردت أن افتنك بشعرى ، فحولت نفسى الى شكل مهر، وكنت اغير لون شعرى كل مرة ، وطلبت منك تنوات ماء الزهر والورد ودرجات الفضة والذهب ، والياقوت الاحمر والاخضر ، ثم طلبت ان اكون معك ، انه الحب ، انك الوحيدة الجديرة بحبى ، ذلك لانك وقعت فى حبي كما وقعت انا فى حبك » .

فبكت الاميرة من الفرح وحكت له كل ما جرى لها ، فامر اخته الكبرى ان ترجع للاميرة مجوهرآتها ، وشكرها لانها اتاحت لها فرصة اللقاء ، واراد سيدى محمد بن عمر ان يعاقب اخواته الست ، لكن الاميرة رجته أن يسامحهن ، فاكتفى بالتأنيب .

وجهز سيدى محمد بن عمر مائة ناقة حملها باثمن انواع الحرير والاقمشة وبالفضة والذهب والمجوهرات الكريمة ، وصحب مائة من العبيد والجوارى ورحلوا الى بلاد السلطان ليخطب منه الاميرة ، وفى الصباح رأى حراس القصر جموعا قادمة من بعيد ، فظنوا ان الاعداء قادمون ليهجموا عليهم ، فاستعدوا للقتال ، وذهب الفرسان ليقابلوا الفرسان ، لكنهم راوا موكبا يتقدمه سيدى محمد بن عمر فوق فرسه الاصيلة ، وحوله الاعوان والاتباع .

وحين تقابل مع السلطان احتضنه وعانقه وقال له ،« انا محمد بن عمر ، جئت أخطب منك الاميرة الجميلة ابنتك ، وها هو مهرها »، واشار الى القافلة المحملة بالفضة والذهب والحرائر ، والى العبيد والجوارى ، ففرح السلطان لان الاميرة ما زالت على قيد الحياة ، ولان سيدى محمد بن عمر قد حفظ الاميرة عفيفة طاهرة ، فاقام الافراح وعمت الفرحة البلاد ، وأمر السلطان أن يفرج عن العبد الذى كان قد سجنه ، لانه لم يذبح الاميرة ..

جحا قاضي الفيران

صنع جحا عجينة وتطعها الى تطع صغيرة مثل الحب ، ووقف فى السوق ينادى ، « حب الفهم والذكاء ، حب النباهة والفطنة » وادعى ان من يأكل من حبوبه يصبح من الاذكياء ويفهم كل شىء ، فاشترى الكثيرون منه ، لكن حالتهم لم تتغير .

وجاء يوما شاب ذكى واشترى حبة من حبوب الفهم واكلها ، وحاول أن يعرف ما تحتويه ، فلم يقدر ، فاشترى حبة ثانية واكلها، فلم يدرك من اى شىء صنعها جحا ، واشترى ثالثة ورابعة وخامسة ، وحين اكل الحبة السابعة ، عرف كيف صنع جحا الحبوب ، وكان جحا قد وضع قليلا من البراز فى عجينته ، فهتف الشاب ، « يا جحا انت تسخر من الناس ، وقد خلطت مواد من أصناف العطارة ومزجت بها شيئا من البراز وصنعت حبوبك وادعيت انها تجلب للناس الفهم والذكاء » ، فضحك جحا وقال ، « الحقيقة أن حبوبى تجلب الفهم والذكاء وها قد بدأت تفهم وتصبح ذكيا ، لانك اكلت سبعا منها».

فأراد الشاب أن يسخر من جحا كما سخر جحا منه ، فقال له ، « انك تبغى الحصول على المال ، وبدلا من هزلك ومحاولتك ان تسخر من الناس وتخدعهم ، هناك طريقة سهلة تكسب منها أموالا كثيرة »، فتساءل جحا مندهشا ،« ما هذه الطريقة ؟»، فأجاب الشاب ،« شاركنى فى تجارة رابحة ، فالحديد يكون غاليا فى الشتاء ورخيصا فى الصيف ، ونحن الان فى الصيف، فهات مائة دينار وانا مائة دينار، ونشترى حديدا، وفى الشتاء نبيع ما اشتريناه بسبعمائة دينار ، فنكسب انا وانت خمسمائة دينار»، ففرح جحا ودفع مائة دينار ، واشترى الشاب الحديد، وابقاه فى داره ، وفى أوائل الشتاء ذهب جحا اليه ، فاظهر الشاب



فأخذ جحا العمال وهم يحملون مطارقهم وفؤوسهم وذهب بهم الى دار القاضي وأمر بهدم الدار، وجاء القاضي....

الحزن وقال لجحا ، « لقد أكلت الفيران الحديد ، لم يبق منـــه شيء».

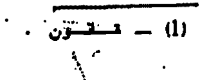
فعرف جحا أن الشاب قد خدعه ، فذهب وأشتكاه الى القاضي، لكن القاضي كان قد أخذ رشوة من الشاب فقال لجحا ، « ان الفيران يجــوز ان تأكل الحديـــد » .

فانصرف جحا غاضبا ، وذهب الي السلطان وطلب منه ان يعينه قاضيا على الفيران ، فضحك السلطان كثيرا ، وأصدر مرسومــا (1) عين فيه جحا قاضيا على الفيران ، وصحب جحا معه عمالا وذهب الى دار الشاب ، وأمرهم ان يهدموا الدار فجاء اليه الشاب مذعـــورا ، وسألــه ، « ماذا تفعل يا جحا ؟ » ، فأجابه ، « لقد عينت قاضيا على الفيران » ، وأراه المرسوم « ولما كانت الفيران قد ارتكبت جرما واكلت الحديد فانني قررت أن اقبض عليها ، واعاقبها بالسجن وهى تختبـــىء فى دارك لذلك سنهدم الدار ، ونقبض على الفيران » ، فعرف الشاب ان جحا ينوى الانتقام : فأعطاه المائة دينار .

واخذ جحا العمال وهم يحملون مطارقهم وفؤوسهم ، وذهب الى دار القاضى وأمرهم بهدم الدار ، وما أن بداوا فى الهدم حتى جاء القاضى غير مصدق ما يرى وسأل جحا ، « مــا الامـــر ؟ » ، فأجابه بــأن السلطان قد عينه قاضيا على الفيران وهناك بعض المجرمين من ألفيران، اختبأوا فى داره ، وهو يريد ان يقبض عليها . فاحتج القاضى غاضبا ، لكن جحا قال له ، « أنت قاضى وأنا قاضى ، انت قاضى بين الناس، وأنا قاضى بين الفيران ، وكل منا معين بمرسوم سلطانى » .

فعرف القاضى ان جحا يريد أن ينتقم منه لقبوله الرشوة مــــن الشاب وحكمه بأن الفيران يجوز ان تأكل الحديـــد .

فاعتذر لجحا ووعده ان يصبح شريفا ، وانصرف جحا مع عماله.



(1) ـ قانون .

دهاء امرأة

كانت المراة فاسدة الاخلاق ، لا تحب زوجها ولا تخلص له ، وهو لا يدرى من هذا الامر شيئا ، وزيادة على ذلك فقد كانت تسرقه ، فاذا احضر كمية من اللحم او الدقيق او البيض ، تسرق نصفها ، تبيعه او تأكله .

وفى يوم قال لها : « اننى احضر لك من الطعام الشىء الكثير ولا تقدمين لى الا شيئا قليلا » ، فشهقت المراة وولولت وضربت على فخذيها ، وصاحت به ، « يالك من رجل ظالم ، حرام عليك ، أتتهمنى بالسرقة ، فان كنت تعتقد ذلك فاثبته ، وآت بشهود » .

وفى اليوم التالى خرج الرجل فى الصباح وذهب الى السوق ، واشترى زوجا من الدجاج وملأ قفة بالخضروات والفاكهة ، واستاجر جماعة من الزمارين والطبالين ، وحمل القفة وسار وراء الزمارين والطبالين ، كما يحدث فى الافراح .

فسال الجيران الزوجة ، « هل عندكم عرس ؟ » ، فلما اجابتهم بالنفي ، اخبروها ان زوجها قادم فى موكب يضج بالتزمير والتطبيل ، فسكتت المراة ولم تجب ، وادركت ان زوجها يسخر منها ، واحضر الطعام ومعه شهود ليثبت سرقتها وجشعها .

وحين دخل الدار صاح بها ، « ها هم الناس يشهدون ، وها هو الطعام والخضروات والفاكهة ، والاهم يا زوجتى العزيزة دجاجتان كبيرتان لا واحدة »، فسكتت المراة على مضض ونوت امرا .

وحين رجع زوجها فى آخر الليل ليتناول العشاء الشهى ، هتفت

به حين سألها ان تجهز الطعام : « لا والله ، ما دمت قد احضرت الطعام بشهود فلابد أن تأكل ومعك شهود »، فضحك ولم يعبأ بقولها ، لكنها اصرت وقالت له : « لابد من اثنين يشهدان انك اكلت ، اى اثنين من اصدقائك »، فرجع الرجل الى المقهى فلم يجد الا واحدا ، فعرض عليه أن يذهب معه الى داره ليتناول معه العشاء ، وبالرغم من ان الدعوة جاءت متأخرة ، فقد قبل صاحبه ، ومشى معه الى داره ، وما ان رأت الزوجة زوجها وقد عاد ومعه صديق واحد ، حتى قالت له : « لا، واحد لا يكفي أبدا ، لقد اقسمت بالله ان لا اعطيك الطعام حتى تحضر صديقا ثانيا ، فليبق هذا الرجل هنا ، ولتأت بصديق آخر » .

فخرج الرجل ليبحث عن صديق ليتناول معه طعام العشاء ، فأيقظت المرأة ولدها الصغير ، وضربته ضربا مبرحا ، فأخذ الولد يبكي ويصرخ بشدة ، مما أثار شفقة الضيف ، فأنب المرأة قائلا : « لا يصح أن تضربي الولد الصغير بقسوة وتجعليه يبكي ويصرخ بهذا الشكل ، حرام عليك »، فادعت المرأة الحزن والضيق واجابت ، « لعنة الله على هذا الولد وعلى ابيه ، فقد عوده عادة سيئة ، فزوجي يخرج فى الليل ويخدع صديقا ويقول له تعال لتتناول العشاء ، وحين يجيء الى الدار يهجم عليه ويقطع خصيته ويعطيهما للولد ، فيأكلهما هذا الوحش الصغير الذى يبدو انه سيصير كأبيه حين يكبر ، وحشا كبيرا » .

فخاف الضيف ، وارتعدت اوصاله وتذكر دعوة صاحبه فجأة له فى وقت متأخر من الليل للعشاء ، فازداد خوفه وناشد المرأة ان تساعده لينجو بحياته، فادعت أنها ترغب فى ذلك؛ وسمعت خطوات زوجها مقبلا، فطلبت منه أن يقف خلف الباب ، وحين يفتح زوجها الباب ويدخل ، عليه ان يخرج ويجرى بسرعة ولا يرجع ابدا ان ناداه زوجها وحاول خداعه ، فشكرها الضيف وتأثر من طيبتها ومعاونتها له .

اما الزوج فلم يجد احدا يدعوه ، فرجع غاضبا ، وفتح الباب فى غلظة ودخل الدار ، فجرى الضيف المختبىء وراء الباب بسرعة ، وقالت الزوجة ازوجها ، « ايها الرجل الاحمق ، انت تحضر الى بيتي اللصوص، ها هو صديقك قد خطف الدجاجتين وجرى بهما » ، فهتف الرجل : الدجاجتين هذا غير معقول » ، وجرى وراء صاحبه ليلحق به ، لكن الضيف وقد تذكر المصير الرهيب ان امسك به صاحبه ، فقد كان

اسرع من الغزال ، ونادى الزوج : « سى احمـــد ، سى احمد » ، لكن الضيف سي احمد ، كان يجرى بسرعة كبيرة ، فصاح الزوج : « ولو واحدة ، يقصد أن يرجع له ولو دجاجة واحدة ، فرد الضيف من مسافة بعيدة وقد تأكد أن الزوج لن يلحقه : « أن أمسكت بى فخذهما معا »، يقصد الخصيتين ، فظن الزوج انهما الدجاجتان ، ورجع الى داره ، ولم تقدم له زوجته الا الخبز والخضر والكثير من التأنيب بسبب اصدقائه اللصوص ، سارقى الطعام وان دعوا اليـــه .

وفى اليوم التالى خرج زوجها، فأرسلت الي أحد عشاقها كى يزورها، فجاء اليها ورآه احد اصدقاء زوجها وهو يدخل الدار ، وكان يعرف عن هذا الرجل سوء السيرة ، فذهب الى زوجها وهمس فى أذنه بالخبر وانصرف .

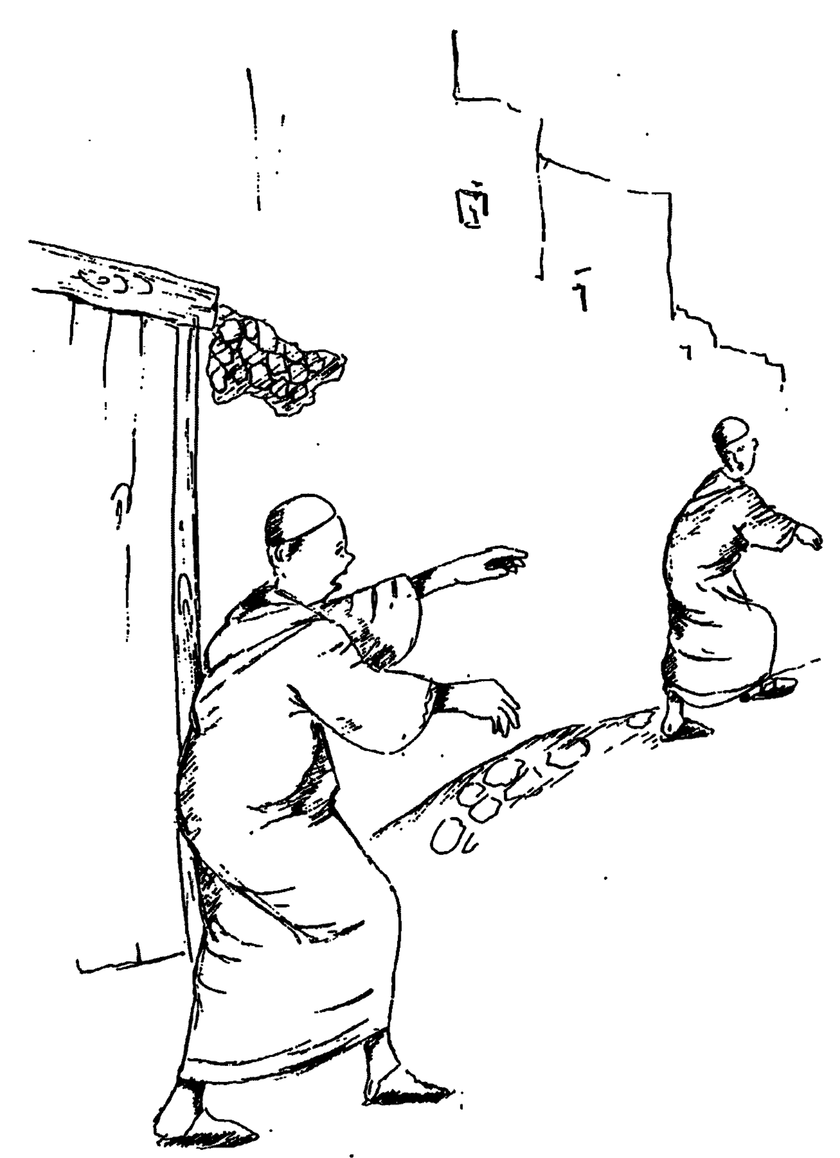
فاسرع الزوج الى داره ، فوجد الباب مغلقا ، فطرق بشدة ، فعرفت المراة ان زوجها قد عاد ، فخبأت بسرعة عشيقها فى البئر ، وادعت أنهـــا كانت نـــائمة ، وفتحت البـــاب وهى تحـــك عينيهـــا ، فدخل الزوج ثائرا يصيح « اين الرجل ، اين عشيقك ايتها الكافرة ؟ »، فصرخت المراة وولولت ، واخذت تبكي وتسبه ، وتقول : « لقد تحملت منك كل مصيبة ، الا هذا ، لاذهبن الى القاضى واشكو له حمقك » .

وزاد صراخها وعويلها ، فجاء الجيران يستطلعون الخبر ، فاخذت تصيح وتطالب الجيران أن يبحثوا فى الدار لان زوجها المجنون الاحمق ، يقول ان عندها رجلا ، وبحث الجيران ولم يجدوا احدا ، واراد الجيران ان يوفقوا بين الرجل وزوجته ، لكن الزوجة ادعت الحزن والالم وقالت : « والله انا لا اقدر على عشرته فقد صرت أخاف منه ، وكيف اثق فيه الان ، انه مجنون ومن يدريني ربما يذبحنى فى الليل ما دام يعتقد اننى اخونه »، وطلبت من الجيران ان يضعوه فى المطمورة (1)، حتى الصباح لتضمن سلامتها وتذهب عند أهلها أو تجد حلا .

ووجد الجيران ان هذا الحل معقول ، ووضعوا الزوج فى المطمورة وانصرفوا .

وبعد ساعة اخرجت المراة عشيقها ، ووقفت المراة وعشيقتها

(1) — حفرة فى الارض شبيهة بالبئر .



فصاح الزوج : « ولو واحدة » يقصد أن يرجع ولو دجاجة واحدة، فرد الضيف : « ان امسكت بي فخذهما معاً ».

ينظران الى أسفل ، حيث الزوج فى المطمورة ، وسخرا منه ، فصاح الرجل وصرخ ، وسمع الجيران ، لكنهم لم يهتموا وقالوا انــه لرجل احمق لا يكف عن الضجيج واقلاق راحة الناس ، وان زوجته لمظلومة، كان الله فى عونها، فقد احضر لها الطعام فى موكب يضج بالتزمير والتطبيل.

وانصرف العشيق ، فأحضرت المراة رحى الطــاحون وصــارت تديرها بالقرب من فوهة المطمورة فأحدثت ضجيجا هائلا ، فظن زوجها انه الرعد ، واخذت تصب الماء وترشه عليه ، فظن أنه المطر وكانت تدور بين الفينة والفينة بالمصباح حول فوهة المطمورة فظن أنه البرق ، ولم تكف المرأة عن الحركة طوال الليل ، تدير لرحي ، وترش الماء وتدور بالمصبــاح .

وفى الصباح جاء الجيران ، واخرجواالرجل من المطمورة ، فأراد ان يهجم على المراة ليقتلها ، فمنعه الجيران ، فأخذ يصيح ، « انهــا عاهرة ، لقد اخرجت عشيقها وسخرا منى بعد انصرافكم ، فاندهــش الجيران ، وصرخت المراة ، « ان زوجى لمجنون ، أحمق ، لقد فقد عقله تماما »، فصاح الرجل . « والله لاقتلنك ، ولن أنسي اللليلة الماضية ، لقد ظللت بسببك حبيسا فى المطموره طوال الليل ، والمطر يتساقط والرعد يصم الآذان ، والبرق يبعد عنى ألنوم » ؛ فهتفت المراة ، « ارايتم أ . يقول ، كان معى رجل ، وكان هناك مطر وبرق ورعد فى الليلة الماضية »، فرد الزوج ، « نعم كان معك رجل ورايته » ، فسأله الجيران وقــد تأكدوا من جنونه ، « وهل سمعت الرعد ورايت البــرق واحسســت المطر ؟ »، فأجاب آلرجل ،« نعم لقد كان المطر مستمرا طوال الليل ، مع الرعــد والبرق » .

فصرخت المراة ،« يالمصيبتى لقد جن زوجى ، اشهدوآ أيها الناس»، وشهد آلناس بما حدث واثبتوا جنون الرجل وحمقه ، ووضع فى مكان يحجز فيه المجانين ، هناك فى برشيــد (1) .

(1) — برشيد : المقصود بلدة « بئر رشيد » وفيها مستشفى للمصــابــين بالامراض العقلية ، ويبدو ان هذه اضافة حديثة للحكاية ، فلاشك أن آلحكاية رويت قبل انشاء مستشفى برشيــد بقرون طويلة ، واصل الحكاية هندى وهناك حكاية روسية مشابهــة .

ابناء اللص

يروى انه كان هناك لص ، انتابه المرض واحس باقتراب المـــوت منه ، فنادى زوجته ، وقال لها ، « أن لدينا ولدين ، وهما مازالا صغيرين ، فان مت فاكتمى عن ولدى السر ، فان سألاك ماذا كان يعمل ابونا ، فقولى لهما عن أى مهنة ، لكن اياك ان تخبريهما أننــى كنت لصا ، فلا اود أن يصبحا من اللصوص »، واوصاها ان تدفن ادواته التي كان يستخدمها فى الســـرقـــة .

ومات اللص وترك ولديه ، وكان احدهما اسمه « رطل » وهو الاكبر ويبلغ من العمر عشر سنوات ، والاخر اسمه « نصف الرطل » وله من العمر سبع سنوات .

ونفذت الام وصية زوجها ، فلم يعرف الولدان ماذا كان يعمل أبوهمـــا ، ودفنت ادواته .

ومضت السنوات، واشتغل الولدان، وزاولا مهنا كثيرة ، النجارة، الحدادة ، وغزل الصوف ، وصناعة السجاد ، فلم يستطيعا ان يتقنا أو ينجحا فى اى عمل من هذه الاعمـــال .

وبعد سبع سنوات من الفشل المتوالي ، ذهبا الي امهما وسألاها « آن المثل يقول يا اماه : صناعة ابيك او يغلبوك (صنعة ابوك ليغلبوك) فماذا كانت صناعة ابينا ؟ »، فلم تقل لهما الام الحقيقة ، واجـــابت ، « كان ابوكم يبيع الخضر » ، ففرحا وظنا ان التجارة هى المهنة المربحة وانهما قد ورثا مهارة ابيهما وحذقه ، فبحث رطل من حانوت واحضر نصف الرطل ما يحتاجه الحانوت من سلال وموازين ، وذهبـــا الـــي

السوق واشتريا الخضروات ، ومضت سنة وافلست الحانوت ، فذهب نصف الرطل مع اخيه ، وسأل تجار الخضروات عن أبيهما ، فأجاب التجار ، بأنهم لم يسمعوا به ، ولم يكن تاجرا للخضر في يوم من الايام .

وذهبا الى امهما مرة ثانية ، وسألاها عن صناعة ابيهما ، وحكيا لها ما اخبرهما به تجار الخضروات ، وعن عدم معرفتهم لابيهما ، فقالت الام وهي تحاول خداع ولديها ، « الحق ، ان اباكما عمل لفترة قصيرة كتاجر خضروات ، لكنه عمل بعد ذلك تاجر فواكه ، يبيع التمر واللوز والليمون والتفاح والبرتوق ؛ وكان يربح كثيراً ، فاشتغلا في مهنته وستكسبان المال الوفير » .

وظل الشابان يعملان في تجارة الفاكهة ، لكن لم تمض سنة حتى كانا قد افلسا ؛ لكن الام لم تيأس ، واخذت تشجعهما ، وتعمل بوصية ابيهما ، واعطتهما ما تملكه من المال ، وساعدتهما ، وعملا في مهنة الجزارة ، يشتريان البقر والغنم ويبيعان اللحم في حانوتهما ، لكن الاحوال كانت تسير من سيء الى اسوأ ، وبعد عام افلس الحانوت .

وسأل الشابان الكثير من تجار الفاكهة والجزارين ، « هل تعرفون ابانا ؟ » ، فلم يعرفه احد ، لانه لم يعمل في هذه المهن ، ذلك لان الام كانت تحاول دائما الكذب وتدعي ان اباهما اشتغل في هذه المهن .

ولكي يصل الاخوان الى حقيقة مهنة ابيهما فكرا في خطة ، احضرا شيئا من الذرة ، وطبخا (مزجور) وهو نوع من حساء الذرة ، وسخناه الى درجة كبيرة وامسكا بيد امهما ووضعاها في الحساء الساخن ، فصرخت وبكت ، فاقسما لها انهما لن يخرجا يدها من الوعاء الا اذا اخبرتهما عن مهنة ابيهما ، فاضطرت ان تتكلم وقالت ، « لقد كان أبوكما لصا ، وحكت ، لهما ما اوصاها به ، ودلتهما على المكان الذي دفنت فيه أدواته ، فاسرع الشابان واخرجا ادوات أبيهما زرواطة (1) وسلبة (2) ، وسكين ، والبنج (3) ، وضد البنج (4) ؛ وقرر الشابان

(1) — عصا كبيرة .
(2) — حبل متين .
(3) — مادة مخدرة .
(4) — مادة تبطل مفعول البنج



وأمسكا بيد أمهما ووضعاها في الحساء الساخن فصرخت وبكت، فاقسما لها انهما لن يخرجا يدها من الوعاء الا إذا أخبرتهما عن مهنة ابيهما.....!

أن يعملا كلصوص ، واراد كل منهما ان يتولى القيادة لكنهما اتفقا بعد جدال طويل ان يتباريا فى السرقة ويظهر كل منهما مقدرته ، والذى يتفوق يقــود .

وكان الاختبار ان يحاول كل منهما سرقة البيض من عش طائر ويكون الطائر راقدا على البيض ، ومن ينجح فى سرقة البيض دون ان يزعج الطائر او يجعله يحس يتولى القيادة .

وذهبا الي شجرة ، بنت حمامة فى اعلاها عشها ورقدت واحتضنت بيضها ، وتسلق رطل الشجرة حتى وصل الى العش ومد يده فى خفة وسرق بيضة من تحت الحمامة ووضع حجرا صغيرا بدلا منها ثم سرق بيضة ثانية ووضع حجرا ، فتسلق نصف الرطل اخوه الشجرة هو الاخر ، وكلما سرق رطل بيضة ووضعها فى جيبه سرقها نصف الرطل منه ، وما أن انتهى رطل من سرقة الخمس بيضات ووضع بدلا منها الاحجار حتى كان نصف الرطل قد سرقها منه ، وبخفة هبط قبله الى الارض ، وعندما نزل رطل من فوق الشجرة وصاح فى غرور ، « ها هى البيضات الخمس »، هتف به نصف الرطل ، «لا تبالغ اين البيض ؟» ، فمد رطل يده الي جيبه ليخرج البيض ، فلم يجد شيئا ، فتقدم له نصف رطل البيض ، وضحك وقال له ، « اننى لم ارك شيئا من مهارتى بعد » ، وتسلق الشجرة وبخفة تقدم الي العش واخرج الاحجار واحدة بعد أخرى من تحت الحمامة ووضع البيض مكانها ، ونزل من فوق الشجرة وقدم الاحجار الى اخيه ، فاعترف له رطل بالتفوق ورضى به كقائد ورئيس ، وأن كان اصغر منه فى العمر .

وبدا الشابان يعملان كلصوص ، فقال نصف الرطل ، « يا اخى انني اود ان نسرق سرقة كبيرة وليس هناك أحسن من بيت المال فى قصر السلطان » ، وتسللا الي القصر وثقبا فى سطح بيت المال ثقبا، ودخلا منه الى بيت المال ، وسرقا عشرة اكياس من الذهب .

وفى الصباح اكتشفت السرقة ، وتضايق السلطان وثار ، وقال ، « لقد ضاعت هيبتى مادام اللصوص يجرؤون على سرقة بيت المال » ، وكان المكلف ببيت المال رجلا يهوديا ، فعنفه الملك لانه لم يأخذ من الحيطة والحذر ما يمنع اللصوص من الوصول الى بيت المال ، فاقسم

اليهودى ان ما حدث شىء لا يصدق ، وان اللصوص مهرة ، لكنــه سيعرف كيف يمسك بهم ، ويحضرهم للسلطان ، لينالوا شر جزاء على على تعديهم وجراتهم ، فقال الملك ، « ان لم تحضر الى اللصوص ساقطع رقبتك »، فرد اليهودى ، « سمعا وطاعة يا مولاى » ، وساله الملك ماذا سيفعل ليمسك باللصوص ، فاجاب اليهودى ، « ارى ان نكتم ما حدث فلا يسمع به انسان ، وعندئذ سيحاول اللصوص العودة الى السرقة مرة اخرى ، وسادبر حيلة ومكيدة » ، واحضر اليهودى تزانا (1) كبيرا ملاه بالزفت والقطران ووضعه تحت الفتحة التى ثقبها اللصوص فى السقف ونزلوا منها ، وحدث ما توقعه اليهودى ، ذلك ان نصف رطل حين عاد فرحا مع رطل اخيه الى امه ، سالها ، « هل كان ابونا يسرق مثل هذا ؟ » ، وقدم لها العشرة اكياس المليئة بالذهب، فاجابت ، « ان اباكما كان يسرق اشياء بسيطة »، وفى الصباح لــم يسمع احد فى البلدة بأن سرقة حدثت فى القصر ، ولو اكتشفت سرقة بيت المال لسمعت بها البلدة كلها ، ولهذا ظن نصف الرطل ، ان من فى القصر لم يكتشفوا السرقة ، فقرر الذهاب مرة اخرى ، وسرقة بعض الاكياس المليئة بالذهب ، وخاصة انهما عرفا الطريق ، والثقب ما زال موجودا فى السقف .»

وفى الليل تسلل نصف الرطل واخوه مرة ثانية الى القصر ، وحين وقفا عند الفتحة التى فى سقف بيت المال ، اراد نصف الرطل ان ينزل كما فعل بالامس ، لكن رطل طلب منه ان يسبقه هذه المرة ، ووقع رطل فى تزان الزفت والقطران فصاح محذرآ اخاه ، « لقد دبروا مكيدة ووقعت فى تزان مملوء بالزفت والقطران » . فتدلى نصف الرطل بحــذر وقــد ربط نفسه فى حبل متين ، ونزلبجانب القزان ، وكان رطل قد غطس حتى عنقه فى الزفت والقطران السميك ، وحاول نصف الرطل انقاذ أخيه ، او اخراجه من الزفت فلم يقدر ، وفكر نصف الرطل ، ماذا يفعل ، انه ان ترك اخاه فى الزفت فسيعذبه السلطان حتى يعترف وعندئذ لابد ان يحضروه هو الاخر مع امه ، ويقطعوا رؤوسهم جميعا ، فــودع رطل وقد نوى امرا ، قبله واستل سكينه وقطع راسه ، واخذها معه وانصرف .

---

(1) ــ قدر كبير الحجم

وحين رجع الى امه قال لها ، « كان السلطان سيقتلنا جميعا رطل وانــا وانت ، ففضلت ان اقتل اخى بيدى حتى انقذك وانجو براسى .

وفى الصباح وجدوا جثة بلا راس فى قزان الزفت ، فثار السلطان وعنف اليهودى وقال له ،« هذه هى مكيدتك وخطتك التى وعدتنى ان تمسك بها اللصوص »، فاعتذر اليهودى وقال ،« هناك خطة ثانيــة ومكيدة سادبرها وستنجح هذه المرة ، وسنمسك اللصوص وتعاقبهــم علي وقاحتهم وتجرئهم »، فسأله الملك ،« وكيف يكون ذلك ؟ »، فاجاب اليهودى ، « ارى ان نشيع جنازة اللص ونعلن فى البلد ما حدث ، واننا وجدنا لصا مقطوع الراس وستشيع جنازته ، ولابد ان يكون له اب ، او ام ، او اخ ، وسيبكي حزنا عليه ولاشك ، وعندئذ نبــث العيون والحراس فى كل مكان ونمسك من يبكى ونعذبه ، وبذلك نتوصل الى اللصوص ، ومن ناحية اخرى لابد ان يحاول أهل اللص دفن راسه فى المقابر فعلينا ان نرسل الحراس ليمسكوا من يحاول دفن الراس »، فهدده الملك بالعقاب ان لم تنجح خطته هذه المرة ، ونادى المنادون ، واعلن فى البلدة ما حدث ، وعن ميعــاد سير جنازة اللص .

وصح ما توقعه اليهودى ، ذلك لان ام رطل قالت لنصف رطل ابنها ، « لابد ان أبكي اخاك حتى يخف حزني وتبرد نار قلبى ، هل يعقل ان يشيعوا جنازة ولدى ولا ابكيه »، ووعدها نصف رطل باجــابة رغبتهــا، واحضر الكثير من الاوعية والادوات الفخارية من اوانى واطباق واباريق ووضعها فوق حمار وقال لها ، « خذى هذا الحمار بما عليه وحين تظهر الجنازة ، سادفع حمل الحمار من الفخار ، وسيتكسر ، فتقعدين وتبكين كما تشائين وان جاءك الحراس وسالوك ، « ما يبكيك ؟ » ، قولى لهم ،« هذا مال ولدى الذى لا يملك غيره ، وقد حطمته فكيف لا أبكى »، واخذت الام الحمار بما عليه من فخار وجلست تنتظر قدوم الجنازة .

وحين ظهرت الجنازة اوقع نصف الرطل حمل الحمار ، فتحطــم الفخار وتكسر ، فاخذت المراة تولول وتصرخ ، وتبكي وتصيح ،« ماذا افعل ياولدى،ضاع ولدى وما يملكه»، فجاء اليها الحراس وسالوها «لماذا تبكين ، هل تعرفين الميت ؟ » ، فقالت ، « انا أبكى الفخار المكسور ، والاوانى المحطمة ، انها كل ما يملكه ولدى فى الدنيا وقد بددته وحطمته فماذا اقول له ؟ » ، فذهب الحراس واخبروا السلطان ان المراة تبكــى

الفخار الذى كسرته ، وحين عادت الى آلدار طلبت من ابنها ان يدفن راس اخيه ، فهى لا يمكنها أن تترك راس رطل للكلاب ، فوعدها نصف الرطل بدفن الراس .

وذهب الي المقابر فراى الحراس فى كل مكان ، فدبر خطة ، واشترى اثنى عشر معزة واربعة وعشرين شمعة وثمانية واربعين ناقوساصغيراً، وانتظر حلول الظلام ، ووضع شمعتين على راس كل معزة واشعلهما ، وربط فى رقبة كل معزة ناقوسا ، وفى ذيلها ناقوسا ، وفى رجليها ناقوسين واطلق الماعز ، ففوجىء آلحراس فى منتصف الليل بانوار غريبة شبيهة بعيون الجن مقبلة من بعيد ، وسمعوا رنين الاجراس مع ما تصدره الماعز من اصوات ، فخيل اليهم ان الشياطين هجمت على المقابر ، ففروا هاربين ، واستطاع نصف الرطل ان يدفن راس اخيه المقطوع، ورجع الى امه واخبرها بانه قد نفذ رغبتها .

وفى آلصباح ثار السلطان،ونادى اليهودى واغلظ له القول وسخر من خطته التى فشلت ، فلم يمسكوا اهل الميت اثناء تشييع الجنازة ، ولم يذهب احد الى المقابر ليدفن الراس ، ذلك لان الحراس لم يحكوا عن هجوم الشياطين ، واكتفوا بان قالوا للسلطان ، « لم يحضر احد للمقابر » ، فاخذ اليهودى يهدىء من غضب السلطان ، ووعده بتدبير خطة،ولابد ان تنجح ، ووعد السلطان بالقبض على اللصوص هذه المرة ، فقال له الملك ،« لقد وضعت الزفت والقطران ، ولم تفلح خطتك ، وشيعنا الجنازة ، وارسلنا الحراس الى آلمقابر دون فائدة ، اريد أن تحضر لي اللصوص وآلا قطعت راسك » ، فقال اليهودى ، « عندى حيلة لابد وان تنجح » ، فساله الملك عنها فاجاب اليهودى ، « ارى ان نبعثر المال فى الطرقات الوف العملات الذهبية ، نرمى اكواما فى اماكن معينة ويقف الحراس بجانب كل كومة وكل من تقدم وسرق امسكناه » ، ولم يستطع أو يتجرا احد من اللصوص فى البلدة أن يقترب من الذهب المنثور فى الطرقات ، خوفا من الحراس الواقفين يراقبون فى حذر وانتباه ، لكن نصف الرطل دبر أمرا : فأحضر ثلاثة جمال ، والصق فى اخفافها مادة لزجة ، وصبغ كل جمل بلونين ، فالجانب الايمن احمر والايسر اخضر ، والجمل الثاني نصفه آلايمن أبيض والأيسر اسود ، والجمل الثانى نصفه الايسر ازرق والايمن أصفر .

وكانوا قد رموا ونثروا على الارض مائة الف عملـة ، فلمـا عدوها وجدوها قد نقصت عشرة آلاف وقال الحراس عند أخذ الاكوام من امامنا جمل اسود ، فقال زملاؤهم لا بل ابيض »، وقال الاخرون « جمل اصفر » ، فقال زملاؤهم « لا بل كان جملا أزرق »، وقال آخرون « جملا أحمر »، فرد من معهم « بل اخضر »(1)، فاندهش الملك ، فقد اختلفت الآراء وغضب غضبا شديدا ، ونادى اليهودى ووبخه علـى فشل خطته ، وقال له ، « كل ما حدث كان بسبب اهمالك رعاية بيت المال ، وعدم الاهتمام بحراسته ، انك لا تفلح ولا تعرف كيف تدبر حيلة تمسك بها اللصوص ولابد من قطع رقبتك ، فقد ضاعت عشر الالف قطعة ذهبية بسببك »، فاعتذر اليهودى بأنه لم ير لصا بمثل هذه المهارة ، وبين انه لا ذنب له ، فان هذا اللص شيطان ، وانه سيحاول بأى شكل ان يدبر حيلة لا تخيب ، فسأله الملك عن حيلته الجديدة ، فأجاب اليهودى، « علينا ان نستعين بالنساء فهن امهر من الرجال وارى أن نحضـر عشرين نعامة ونطلقها ، واذا سرقت نعامة فسنكتشفها اذا ارسلنا العريفات (2) بطريقة مستترة ، فيسألن الناس عن شىء من دهن النعام، ومن وجد عنده الدهن نقبض عليه . »

واطلقوا عشرين نعامة فى البلدة ، وتجرا نصف رطل ، وسرق واحدة وادخلها الي داره وذبحها ، وطلب من أمه ان تطبـخ لحمها ، وتخبىء ريشها وشحمها ، وخرج لبعض حاجته ، فجاءت أحدى العريفات لامه ، وسألتها ان تعطيها شيئا من دهن النعام آن كان عندها ، فلم تفهم الام الحيلة ، واعطتها بعضا من دهن النعامة ، فأخذته العريفة ، وبينما هى خارجة ، دخل نصف رطل فسألها ماذا كانت تفعل فى دارهم، فاجابته ، انها جاءت لتأخذ شيئا من دهن النعام لولدها المريض ، فعرفها نصف الرطل فى الحال ، فامسك بها واخرج السكين ووضعه على رقبتها وقال لها ،« اما ان اقطع رقبتك أو اقطع لسانك، ولافائدة من الجدال »، فأخرجت العريفة لسانها ، وقطعه نصف الرطل ، وسمح لها بالخروج ، فملأت العريفة يدها من الدماء التى تسيل من فمها ، ورشت به باب

---

(1) — من الواضح ان هناك مبالغة فى ذكر الوان الجمال ، فلا توجد جمال لها هذه الالوان ، لكن المبالغة تكون احيانا من سمات الخيال الشعبى وربما كان الغرض منها حفظ الحكاية من الاندثار أو لاسباب اخرى يكتشفها المختصـون فى علـم الفولكلور .

(2) — العريفات نساء يعملن مع رجال الامن (الشرطة) .

الدار حتى تعرفه ، وذهبت الى السلطان ، وجاءوا اليها بمن يفهمون لغة ابكم الذين لا يتكلمون ، وذهب معها الحراس لترشدهم الى الدار التى فيها النعامة ، فان بابها مرشوش بالدماء .

لكن نصف الرطل كان قد راى العريفة وهى ترش بباب دارهم بالدماء فاتى بكبش وذبحه ورش أبواب كل الدور بالدماء ، وحين جاء الحراس وجدوا ابوابا كثيرة كلها مرشوشة بالدماء ، فقالوا ، أن المراة مخبولة لا تعرف ما تقول ، وفشلت خطتها وحيلة اليهودى .

عندئذ احضر السلطان اليهودى وقال له ، « لقد تركتك تدبر الحيل ولم تستطع ان تمسك اللصوص ، فلابد من قطع رقبتك »، فارتمى اليهودى على الارض وقبل اقدام السلطان ، وقال ، « بقيت حيلة واحدة لدى يامولاى ، فلنجربها فان لم تفلح فافعل بى ما تشاء » ، فسأله السلطان عن هذه الحيلة الاخيرة ، فأجاب اليهودى ، « لا يكون من فعل كل هذا الا شاب ، ومادام شابا فانه يحب ان يفاخر ولا يحل عقدة اللسان شىء مثل الخمر ، لذلك أرى أن نقيم وليمة تدعو اليها كل الشباب ونجعلهم يشربون الخمر ويسهرون حتى الصباح (1) ، وسيقع اللص هذه المرة ونمسكه .

فاقاموا وليمة ، ودعوا شباب البلد كلهم ، وقدموا لهم الكثير من الخمور حتى سكروا جميعهم ، وبقى اليهودى يستمع للاحاديث ، وسكر نصف الرطل هو الآخر ، وكما توقع اليهودى وقف متفاخرا وقال ، « انا امهر لص ، قطعت رأس أخى حين وجدت ان بقاءه سيؤدى الى موتنا انا وامى ، وقد حملت حمارا بالفخار وكسرته لابيح لامى البكاء وهى ترى جنازة اخى ، واستطعت ان ادفن راسه فى المقابر بالرغم من وجود الحراس ، فقد احضرت الماعز وربطت فى قرونها الشموع وعلقت فيها الاجراس ، فرآها الحراس وظنوها الشياطين » ومضى يقول ، « ولونت الجمال والصقت فى اخفافها العلك (2) وسرقت عشرة آلاف قطعة ذهبية ، وحين ارسلوا النعام اخذت واحدة ، وعندما خدعت العريفة أمى

---

(1) — من الواضح بالنسبة لموضوع الخمر ، انه هناك تناقض مع التعاليم الدينية الاسلامية ، لكن هذ «الحكاية تعتبر رواية من مئات الروايات لحكاية شعبية ترجع الى قدماء المصريين وقد رواها المؤرخ الكبير هيرودوت، انظر ص8

(2) — مصادة لـرجـة لاصقـة

واخذت منها دهن النعامة ، تطعمت لسانها ، نرشت العريفة بابنا بالدم ، مرششت أبواب كل آلدور بالدماء » ، نعرفه اليهودى ، وحين نــام نصف الرطل جاء اليهودى وحلق لنصف الرطل لحيته وآنصرف ليعود فى الصباح مع الحراس، وصحا نصف الرطل وتحسس لحيته نوجدها محلوقة، نقام وحلق لحى كل الشبان ، وحين جاء اليهودى فى الصباح ، لم يستطع ان يعرف الشاب ، نالكل محلوقة لحاهم ، وذهب اليهودى الى السلطان واخبره بما حدث ، وقال له ، « لقد نشلت وليس لدى حيلــة اخــرى ولتفعل بى ما تشاء يا مولاى »، ناندهش السلطان ، من مهارة هذا اللص الذى لم تجد معه مكيدة او تنفع معه حيلة .

نامر السلطان بقطع رأس آليهودى ، وارسل السلطان المنادى يقول ، « ان من نعل كذآ وكذا عليه الامان وليتقدم للسلطان » .

نذهب نصف الرطل الى القصر ، ولما مثل أمام السلطان قبــل الارض بين يديه واعترف له بكل ما نعله ، نعفا عنه السلطان ، وتاب نصف الرطل عن السرقة وعينه السلطان حارسا لبيت المال ، وظل يعمل فى القصــر الى ان مــات .

(1)

الأحمق لا يصلح لشيء

احتارت الام ماذا تفعل مع ابنها الاحمق ، لانه كـان دائمـا لا يحسن التصرف، وذات يوم ارسلته ليشترى قنطارا من القمح، فعاد اليها بعد ساعة منهوك القوى يلهث ، ويكاد ان يموت من التعب ، ذلك لانه قد حمل قنطار القمح فوق ظهره وقطع به الطريق الطويلة بين حانوت التاجر حتى دارهم ، فهتفت به الام ، « يا أحمق لماذا لـم تؤجر حمـالا بدراهم قليلة ليحمل القمح بدلا منك » ، فتمتم الاحمق ، «سأفعـل ، سأفعل فى المرة القادمة » .

وفى العصر طلبت منه أمه ان يشترى ابرة ، فعاد اليها مـع الحمال ، فقد اجر حمالا ليحمل له الابره ، فغضبت امه وتضايقت : لكنها انبهته أن الحمال يؤجر ليحمل الاشياء الثقيلة ، وظلت تشرح لـه وتفهمه ، فتمتم الاحمق ، « سأفعل ، سأفعل فى المرة القادمة » .

اما فى اليـوم التالى ، فقد ارسلته ليشترى لها تينا يابسا وحذرته ان يؤجر حمالا ، فعاد اليها خاوى الوفاض الا من بضع تينات ، فلمـا استفسرت منه ، « أين التين ؟ » ، اجابها، « وقع منـى فقد كان كثيرا وصغيرا ولم أعرف كيف احمله وقد حذرتني من أن اؤجر حمالا مادام التين غير ثقيل ، وانا ذكى واطيعك » ، فضحكت الام وسخرت منه وأخذت تفهمه ان التين المجفف يحمل بحبل يمر وسطه كما يحدث لحبات العقد ، فتمتم وقال ، « سأفعل سأفعل فى المرة القادمة » .

وحين طلبت منه أن يشترى لها زلايف « أوانى صغيرة شبيهـة بالاطباق لكنها أكثر تقعرا » ، عاد لها وقد ثقبها وجمعها فى حبل رفيع ،

(1) ـ ويسمونها فى فاس ونواحيها حكاية محمد البهل ، والبهل كلمة بالمحلية ومعناها الابلـه .



فعاد الى أمه منهوك القوة، لأنه قد حمل قنطار القمح فوق ظهره.

ودخل على امه فرحا يهز يده بالزلايف التى اتلفها وهو يبتسم ، فصرخت الام ، وانبته ، ومضت تشرح له وتبين الفرق بين ما أوصته أن يفعلـه بالتين وبين ما فعله بالاوانى ، وفى النهاية قالت له، «ان الزلايف توضع داخل بعضها هكذا » ، وأوضحت له ، فاعتذر واجـاب « سأفعـل ، فى المرة القادمـة » .

وعندما طلبت منه أن يشترى لها بيضا عاد اليها وقد كسر البيض ووضعه داخل بعضه كما أوصته أن يفعل بالزلايف ، فهتفت الام حين راته ، « الاحمق لا يصلح لشىء » .

اصدقاء الحطاب وعدوه

يروى ان حطابا ماتت زوجته ، وتركت له سبعة أولاد ، فكان الحطاب يذهب كل يوم الي الغابة ويعمل بجد واجتهاد ليحصل على قوت عياله ، لكنه قاسى كثيرا من الفقر ، لان الغابة وان اتسعت، فان الاشجار الصالحة للاحتطاب قد قلت مع مرور الايام وكثرة الحطابين .

وفي يوم بينما كان الحطاب عائدا من الغابة ، محملا حماره بما احتطبه من اخشاب قليلة ، اذ سمع على مقربة منه أصواتا تنبعث من تحت الارض ، فاندهش وتعجب واقترب من مصدر الصوت ، فوجد بئرا مهجورة تخرج منها الاصوات ، ونظر فرأى رجلا وأفعى وفأرا وأسدا في أسفل البئر ، وصاح الرجل :« انقذني ياأخي فالموت ينتظرني ان لم تخرجني من هنا ، انني أخوك الانسان اتمنى لك الخير فلا تتركني أموت » .

وقبل ان يجيب الحطاب هتفت الافعى ، « اياك ان تنقذ ابن آدم، فان سمه أكثر من سمي ، انقذني انا واعاهدك ان انفعك ، فان حاق بك الموت أنقذتك » ، فرد عليها الحطاب ، « وكيف يكون هذا ، أأترك ابن آدم أخي الذي هو من جنسي وأنقذك انت أيتها الافعى ، ثم كيف تنفعينني ؟ » ، فاجابت الافعى ، « نعم ان هذا الرجل أبن آدم مثلك، لكنه سيؤذيك ان انقذته ، أخرجني من هنا وسأعطيك بعضا من تشورى فان حاق بك الموت او ألم بك الخطر والضيق فاحرق تشورى فآتي اليك وانقذك » .

فضحك وقال لها ، « هذا عن المستقبل ، لكن من يدري انك

لا تخونيني ، فربما ان أخرجتك عضضتنى وقتلتني » ، فعاهدته الافعى ان لا تخونه ، وقالت ، « وكيف أخون من انقذنى من الموت ؟ قـــد يفعل هذا ابن آدم ، أما نحن الافاعى فلا نخـــون » .

فصاح الرجل ، « اياك ايها الحطاب أن تتركنى ، فلا يريد ابن آدم لاخيه الا الخير » ، فهتف الاسد ، « يا سيدى الخطاب ، خذ حذرك من ابن آدم فسيؤذيك ان انقذته ، واياك ان تخرجه ، بل اخرجنى انا وسانفعك ، ولا تخف مني فانني ملك الغاب ، واقوى الوحـــوش ولا اغدر ابدا. بس ساعدنى ، اننى اعاهدك أن لا اضرك ابدا بل انفعك وسانفعك » ، فسأله الحطاب ، وكيف تنفعني يا ملك الـــغاب » ، فاجاب الاسد ، « ساعطيك شعرات من لبدتى فان احاطت بـــك المصاعب أو خفت الموت والخطر فلتحرقها ، فاحضر اليك وانقذك ، لكننى احذرك من ابن آدم ، فلا تأمن له »، فصاح الرجل ،« لاتصدقه يا أخى الحطاب واخرجنى انا » ، فصرخ الفأر « اياك ان تخرج ابن آدم فلا فائدة منه ، ولا يجيء منه الا الضـرر ، اخرجنى انا وسانفعك »،

فضحك الحطاب وسأل الفأر : « وكيف ستنفعني انت الاخر ؟ »، فاجاب الفأر ، « ساعطيك زغبا من شعيراتى فان تاسيت من الفقر فاحرقها أجيء اليك واغنيك واملا بيتك بالمال ، وانت يا ابن آدم تحب المال وهو ينفعك ، اليس كذلك ؟ اخرجنى وانا سانفعك » ، فاجابهم الحطاب ، « ساخرجكم جميعا من هنا» .

وامسك بحبله ورماه للرجل واخرجه ، ومن بعده اخرج ملـــك الغاب الذى اعطـــاه شعرات من لبدته ، ومـــن بعده اخرج الافعـــى فاعطته القشور كما وعدته ، ثم أخرج الفأر فاعطاه زغبا من شعيراته، وشكروه جميعا على حسن صنيعه وانقاذه لحياتهم، وانصرفـــوا ، وعـــاد الحطاب الى داره .

ومضت الايام ، وخرج الحطاب يحتطب ، وتوغل فى اعمـــاق الغابة ، وحمل حماره بما قطعه من الاخشاب ، واراد ان يرجع الى كوخه لكنه ضل الطريق فى ذلك اليوم ، وبدأت الشمس تغيـــب ولم يعرف ما يفعل ، وفجأة سمع زئير الاســود ، وابصر ثلاثة من الاسود تقترب منه تبغى افتراسه ، فخاف الحطاب وارتعب واحتار ماذا يفعل، وتذكر شعيرات الاسد الذي انقذه ، فاخرجها من كيسه وحــرقها ،

فاذا به يسمع زئيرا يدوى فى انحاء الغابة ، ورأى الاسود تقف فى مكانها ولا تقترب منه .

وبعد لحظات جاء ذلك الاسد الذى أنقذه واخذ يدور حوله كالكلب الاليف ، وزار الاسد ، وكأنه يخاطب الاسود ، فانصرفت ، ثم غاب الاسد عن بصره لحظات قليلة ، وعاد وقد صاد غزالا ورماه أمام الحطاب ، فاشعل الحطاب نارا وشوى الغزال ، وجلس والاسد معه يأكل فى اطمئنان ، ثم نام الحطاب والاسد بجانبه يحرسه ويرعاه ، وفى الصباح ارشده الاسد الى الطريق حتى عاد الى داره .

ومضت الايام . وكان رزق الحطاب قليلا ، فان لديه سبعة اولاد ، والغابه ضنينة شحيحه بأخشابها ، ووهنت قوى الحطاب وأصابه المرض ، وفرغت الدار من الطعام ، وعض الجوع بأنيابه الحطاب وأولاده ، وقاسوا من الفقر ، فتذكر الحطاب زغيبات الفار ووعده بأن يغنيه بالمال ، فاحضر الزغيبات واحرقها ، فجاء اليه الفار ، وشكا له الحطاب سوء حاله ، وصرخ الفأر صرخة غريبه ، وفجاة امتلات دار الحطاب بالفئران ووقف الفار بينهم خطيبا وقال لهم : « اخوتى ، ان هذا الحطاب صنع معى معروفا ، واننى لادين بحياتى له ، فقد انقذنى من الموت ولابد لن ارد له الجميل » .

فصاحت الفيران نحن على استعداد أن نرد له المعروف ونساعده ، فأمرهم الفار أن يحفروا نفقا من دار الحطاب الى بيت المال فى قصر الملك ، فأخذت الفئران تحفر النفق ، وطلب الفأر من الحطاب أن يأتيه بشيء من العسل ، فأحضره له ، وبعد أن حفرت الفئران النفق من بيت المال الى دار الحطاب ، اخذ الفار يدهن لها ظهورها بالعسل ، وذهب كل فأر فى النفق الى بيت المال ، ولصق على ظهره كيسا من المال واتى به الى دار الحطاب ، ولم تمض ساعات قليلة حتى كان اغلب ما فى بيت المال من أكياس مليئة بالنقود قد انتقل الى دار الحطاب ، فشكر الحطاب للفأر صنيعه ، وانصرف الفأر مع اخوانه الفئران .

واكتشف امين بيت المال السرقة فابلغ الملك ، فغضب الملك وقال ، « كيف تجرأ اللصوص وسرقوا قصرى ؟ » ، واصدر الملك اوامره المشددة بالبحث عن اللصوص ، ووعد بمكافأة كبيرة لمن يرشده اليهم



.. وصرخ الفأر صرخة غريبة، وفجأة امتلأت دار الحطاب بالفيران، ووقف الفأر بينهم خطيبا وقال لهم « اخوتي ان هذا الحطاب صنع معي معروفا وانني لأدين بحياتي له، فقد انقذني من الموت، ولابد أن أرد له الجميل

ويكشف سرهم ، فذهب رجال الملك الى كل مكان يبحثون وينقبون ويتجسسون ويستقصون .

فخاف الحطاب لان اموال الملك كانت عملات ذهبية ، والحطاب رجل فقير ولا يستطيع ان يحمل الذهب ويذهب به الى الاسواق ، فربما شك بعض الناس فيه وابلغوا الامر للملك ، لذلك فرح فرحا شديدا حين قابل ذلك الرجل الذى انقذه من البئر فى يوم من الايام ، وحكى له ما حدث ، ورجاه أن يحفظ السر ، واعطاه بعض الاكياس وطلب منه ان يساعده ويشترى له بعض الاشياء ، فطمع الرجل فى المكافاة الكبيرة التى أعان عنها الملك وذهب الى القصر ووشى بالحطاب .

وسرعان ما احضروه للملك ، فلما مثل أمامه قبل الارض بين يديه ، واغلظ الملك له القول وصاح غاضبا ، « كيف تجرؤ أيها الرجل على سرقة أموال بيت المال من قصرى » ، فأجابه الحطاب « والله يا مولاى اننى لم أسرق شيئا طوال حياتى ، فانا رجل شريف اعمل وأتعب كثيرا لاكسب قوت عيالى » ، وثار الملك وقال له ، « انك تكذب ، فقد وشى هذا الرجل بك » ، واشار الى الرجل الذى انقذه الحطاب فى يوم من الايام . وقال ، « انك قد اعطيته بعض اكياس المال المليئة بالعملات الذهبية ليبيعها وهى مسروقة من عندى » ، فأجاب الحطاب ،« أقطع رقبتى يا مولاى ان كذبت عليك ، أو ثبت اننى سرقت شيئا من قصرك » ، فصاح الملك ، « اذا كيف حصلت على الاكياس والاموال » ، فرد الحطاب ، « الصدق اقوله لك يامولاى، فقد انقذت يوما فأرا من الموت وأعطانى زغيبات من شعره وسالنى ان أحرقها ان ضاق بى الحال ، ولما قاسيت من الفقر انا وعيالى حرقتها » ، وحكى الحطاب للملك عن حضور الفأر واخواته وعن حفر النفق ولصق الاكياس فوق ظهور الفيران ، فاندهش الملك ولكى يتحقق من صدق ما قاله الحطاب ، احضروا بعضا من الشجيرات والاعشاب الطرية الخضراء ، وحرقوها فى بيت المال ، فامتلات بالدخان وسرى الدخان فى النفق المحفور حتى خرج من بيت الحطاب، فعرف الملك وتأكد ان الحطاب روى الصدق ، لكن الملك قال ، « على اية حال ،« انا لا أريد أن يسرق بيت المال فى قصرى » وأمر ان يسجن الحطاب بدلا من قتلـه .

وفي السجن اخذ الحطاب يفكر في اولاده السبعة ، ماذا يفعلون، من اين ياتون بالطعام ؟ ولم تمض ثلاثة ايام حتى كاد الحطاب ان يجن ، وتذكر الافعى فان الخطر لجسيم ، واكثر من الموت ، فاولاده لا يجدون القوت ، فأخرج قشور الافعى واحرقها فجاءت اليه وقالت له، « الم احذرك من ابن آدم وقلت لك ان سمه اكثر من سمي ، وانه سيؤذيك فلا تخرجه ، لكنني حضرت الان لارد لك الجميل والمعروف واتتك » ، فهتف الحطاب في يأس ، « وكيف ستنقذينني ؟ » ، فقالت الافعى ، « ان للملك بنتا اعز لديه من عينيه ، وساذهب والتف على بطنها وصدرها وعنقها ومن يقترب مني ساقتله الا انت ، وعليك ان تقول لحارسك انك من اولئك الذين يعرفون كيف يتفاهمون مع الافاعي ، وانك لقادر على انقاذ الاميرة ، وعندما يحضرونك للملك قل له انني من الملكات ولن اترك الاميرة الا اذا ذبحوا رجلا خائنا ينكر المعروف ولا يحفظ السر ، واطلب ان يذبحوا الرجل الذي وشى بك للملك وسيأتون به ويذبحونه ، عندئذ ساترك الاميرة وتاخذ انت من الملك ما شئت من الاموال فتغنيك طول حياتك » ، فشكرها الحطاب .

وذهبت الافعى في الليل الى غرفة الاميرة ، وكانت نائمة ، والتفت على بطنها وصدرها وعنقها ، فرأتها جاريتها ، فذهلت لما رأت ، وهرعت مسرعة الي الملك وايقظته واخبرته بما حدث ، وجاء الملك والملكة والعبيد والجواري والحراس ، وما ان اقترب احد الحراس قليلا من السرير حتى نفخت الافعى فيه فوقع ميتا في الحال ، فخافوا جميعا من الاقتراب من الاميرة الاسيرة التي تلتف حولها الافعى ولا تقتلها !

وعم القصر حزن شديد ، واعلن الملك انه يعطي من ينقذ الاميرة من الافعى ما يشاء ويطلب ، فجاء بعض الرجال الذين بينهم وبين الافاعي عهود ومواثيق ، وما ان اقترب اولهم من الاميرة حتى نفخت فيه الافعى فوقع ميتا ، وانصرف الباقون .

ونادى الحطاب حارسه وقال له ، « اذهب الى الملك واخبره انني قادر على انقاذ الاميرة من الافعى ، فذهب الحارس واخبر الملك، فامر ان يحضر اليه الحطاب في الحال ، فلما مثل امامه قبل الارض

بين يديه وساله الملك فى لهفة ، « هل تستطيع أن تنقذ ابنتى ، اننى اهبك حريتك واعطي لك ما تشـــاء وترغب » ، نطلب الحطاب أن يرى الاميرة والافعـــى .

فأخذوه الى غرفتها ، ووقفوا جميعا ، الملك والملكة والحاشيـة والحراس بالباب ، لا يجرؤون علي الدخول ، لكن الحطاب دخـــل الغرفة واقترب من الافعى دون ان تنفخ فيه أو تؤذيه ، ومســـح الحطاب بيده على جسد ألافعى ، فلم يذن يخافها او يخشاها ، ومكث مع الافعى بعض الوقت ثم خرج الى الملك وقال له ، « أن هذه الافعى ملكة من الملكات وهن تريد أن يذبح رجل حتى تترك الاميره ، وترغب فى دماء رجل خائن ناكر لجميل ، لا يحفظ السر ، وهى تطلب أن تنبح الرجل الذى وشى بى اليك يامولاى » .

ولما كان الملك قد راى ان كل من يقترب من الافعى تنفخ فيـه فيموت ، وراى الحطاب يقترب منها فلا تؤذيه وتساله ، بل ان الحطاب تكلم مع الافعى وربت ومسح بيده على جسدها ، فقد أمر فى الحال ان يحضروا الرجل ، وما ان أتوا به حتى ذبحوه بأمر الملك أمام الحطاب والافعـــى ، وفـــى الحال تركت آلافعى الاميرة وانسابت تتلـــوى وتمشى على الارض وانصرفت .

وكافأ الملك الحطاب واطلق سراحه واعطاه من الاموال الشيء الكثير حتى صار غنيا هو وأولاده وأولاد أولاده من بعده .

حكاية بلارج

كانت الشابة تنزل من الجبل كل يوم وتجلس فوق حجر ، تشرف على الطريق الذى يمر امامها محيطا بسفح الجبل ، ومخترقا السهول ، وتظل فى مكانها ترقب الناس وتتفرج عليهم ، وتسخر منهم ، فهذا أعرج يتلوى وينحنى فى كل خطوة يخطوها ، فتضحك الفتاة وتشير اليه وتقلده وتتهكم ، ثم ها هى امراة عجوز تدب على الطريق بعصاها ، وتسير على مهل ، فتسخر منها الفتاة وتميل براسها مقلدة العجوز وهى تمشى ، ثم هذا صعلوك مقطع الثياب ، وهذا رجل غليظ بدين ، ينقل رجله فى صعوبة ليخطو خطوة واحدة ، وتسبقه بطنه الضخمة المنتفخة كبطن الثور ، فكانت تقلده وتضحك ، وتضحك ، وتسخر من كل الناس ، ودائما تذمهم وتهزا بهم .

وتذكرت نفسها فجاة ، الا يضحك الناس عليها ، ويسخرون منها، انها حامل وعلى وشك الوضع ، انها حامل وليس لها رجل ، ترى ماذا يقول الناس عنها ، لاشك الكثير ، فهل تضحك هى على نفسها ، ام على الناس ؟ .

وولدت ، لكنها وضعت طائرا ، وضعت بلارج (1) طويلة المنقار طويلة الساقين ، ايكون الله القدير قد أعطاها هذه المصيبة لانها تنقد وتسخر وتهزا من بنى آدم ، على اية حال لقد ولدت بلارج وعرف الناس الامر واعتادوا عليه وسموها ام بلارج .

وكبرت بلارج واصبحت (بجعة) بيضاء جميلة ، وكانت تذهب

(1) — بلارج : اللقلاق

فى الصباح الى حديقة السلطان ، وحين تطير الى الحديقة تمر بالحارس فتهتف بصوت انساني،« مولاى ربى جلت قدرتك، لتعمه ولتشل حركته»، وفى الحال يعمى الحارس ويصيبه الشلل ، فلا يقدر على الحركة ، ويصير اقرب الى الموت ، عندئذ تخلع بلارج ريشهـا الابيض وتصبح فتاة حسناء غاية فى الفتنة والجمال ، فتقطف أوراق الحنة ، وتدقها وتسحقها وتستحم فى عين ماء هناك ، ثم تصبغ أصابعها وقدميها بالحناء الذهبية وبعد ذلك تجمع بعض الفاكهة وشيئا من الخضر ، وتاخذها معها وتلبس ريشها ، وتهتف بالحارس فى صوت انساني ، « مولاى ربى جلت قدرتك ، لترد له بصره وتشفى جسده »، فترجع للحارس حيويته وقواه ، ويعود اليه بصره ، لكنه يجد الفاكهة قد نقصت ، وبعضا من الخضر قد أخذ ، وأوراقا من الحناء قد سرقت .

ومضت الايام ، وفى كل صباح كانت بلارج تذهب الى الحديقـة وتخلع ريشها وتستحم وتصبغ بالحناء اصابعها ، وتأخذ الفاكهة والخضر وتعمى وتشل الحارس ، ثم تشفيه بدعائها وتنصرف .

وفى يوم كان الامير ابن السلطان يتنزه فى الحديقة ، فلاحـظ ان الفاكهة قد نقصت والخضر اصبحت قليلة والحناء تكاد تكون غير موجودة، فنادى الحارس وانبه واتهمه بالسرقة ، فقال له الحارس « والله يـا مولاى تحضر كل يوم فى الصباح بلارج ، وانت تعرفها ، فان أمها ليس لديها غيرها ، وأنها المرأة الوحيدة التى ولدت طائرا فى بلدنا ، وحين ارى بلارج ، أسمع صوتا انسانيا يصدر منها ويقول ، مولاى ربى جلت قدرتك لتعمه ولتشل حركته ، وفى الحال يصيبنى العمي والشلل فلا ارى ولا احس شيئا ، ثم اسمع مجاة نفس الصوت يقول مولاى ربى جلت قدرتك ، فلترد له بصره وتشفي جسده ، فافيق واعود مبصرا احس وادرك كل شيء ، فأجد أوراق الدناء قد قطفت وشيئا من الفاكهة قد جمع وبعضا من الخضر قد اخذ ، واننى لامين لم اسرق فى حياتى وصادق فيما أخبرتك به » .

فجاء الامير فى الصباح الباكر واختبا خلف الاشجار ، وبعد برهة من الوقت اقبلت بلارج ، وهتفت بصوت انساني ، مولاى ربى جلت قدرتك ، فلتعمه ولتشل حركته »، فصار الحارس وكانه ميت ، فخلعت

بلارج ريشها وتحولت الى فتاة رائعة الحسن ، وما ان رآها الامير عارية ، ساحرة ، حتى وقع فى حبها ، واخذت تقطف أوراق الحناء وتدقها ثم استحمت فى العين ، وعندما انتهت ، صبغت كفوفها واصابعها وقدميها ، وجمعت بعض الفاكهة والخضر ، ولبست ريشها وردت تولها ، فأفاق الحارس وعاد حيا يبصر ويحس ، وانصرفت ، كل ذلك والامير صامت وساكن فى مكانه ، فصدق الحارس ، ووقع فى حبها .

وأسرع الامير الى امه ، وطلب منها أن تدعو كل نساء البلدة ليصنعن له سجادا ، وجهز لهن الكثير من الطعام ، الكسكس والخراف ، والدجاج .... وأحضرت الام المغنيات والراقصات « الشيخات » ، وجاءت النساء واخذن يصنعن السجاد ، وتناولن الطعام ، ولهون وتمتعن بالغناء والرقص فى ضيافة الملكة ،(ومن ضمن النساء اللائى حضرن ، ام بلارج)لكنها لم تحضر معها بلارج ، فذهب الامير اليها وسألها ، « لماذا لم تجىء بلارج معك »، فأجابته ، « ان بلارج لا تضر ولا تنفع، ولا تصنع السجاد وهى تجلس فى الشمس ولا شىء اكثر من ذلك » ، فقال الامير ، « فلتحضريها فى الغد وستجلس هنا فى الشمس كما ترغب » .

وفى اليوم التالي ملأ الامير غرفة فى القصر بالملابس الفخمة ، قفاطين نسائية موشاة بالذهب ، وشتى أنواع اللباس المغربى الفخمة، كثير من البدعيات (1) والدفينات (2) ، ووضع الكثير من الاقراط والعقود والاساور الذهبية والخواتم المرصعة بالاحجار الكريمة الجميلة، وحين جاءت بلارج مع امها ، لخذها الامير وادخلها الى الغرفة واقفل الباب .

وحين همت النساء بالانصراف افتقدت ام بلارج ابنتها ، لكنها ظنت أنها طارت وسبقتها الى الدار ، فانصرفت ، وأعد الامير فحما مشتعلا،وكانت بلارج قد وجدت نفسها بمفردها ، وحولها الكثير من اشكال اللباس المزخرف الجميل ، والكثير من الحلى المنوعة الساحرة ، فخلعت بلارج ريشها واخذت تجرب وتلبس القفاطين ، والملابس المنوعة،

(1) ــ لباس مثل القفطان لكنه بدون اكمام
(2) ــ الدفينة رداء يلبس فوق القفطان وهو مفتوح من امام



وخطف الأمير الريش ورماه في الفحم المشعل، وصاحت بلارج وهتفت، أعطنى ريشى ...

وتضع الاقراط والعقود والاساور، وفتح الأمير البـــاب نجاة وخطـــف الـــريـــش ورمـــاه فى الفحـــم المشتعـــل ، وصـــاحـــت بـــلارج وهتفت ، « أعطنى ريشى ، أعطني الريش »، لكن الامير كان قد رماه فى الفحم المشتعل فاحترق عن آخره ، فأخذت بلارج تبكي وتولول ، لكن الامير اخبرها أنه سيتزوجها ، فهتفت به ،« وكيف تتزوجنى وانت ابن السلطان ، ترى هل يوافق ابوك ؟ » ، لكنه قال لها ،« سأتزوجك مهما كان الامر »، ووقعت فى حبه ، لانها تذكرت انه قد دعا كل النساء وسأل امها ان تحضرها وملأ لها الغرفة بالملابس الفخمة والحلـــى الثمينة ، وجهز النار ، واحرق ريشها ، وانه لجميل وشاب ، وابن السلطان ، وقعت فى حبه ، فقالت له ، « اذا لم تتزوجنى فسيحدث لك من الضرر مالا تتصوره » .

وقدم الامير بلارج الى السلطان والى أمه فاعجـــب السلطـــان بجمالها الفتان ، ورضيت بها أمه عروسا له ، واقيمت الافراح ودعوا أم بلارج ، وحين رأت العروس وهنأتها قال لها الامير ، « هذه بلارج ابنتك » ، فاندهشت ، وفرحت لان الفتاة كانت جميلة وطيبة ولا تسخر من الناس مثل امها فى شبابها ، فعرفت أنها ستكون سعيـــدة وانهـــا لسعيدة ، فقد تزوجها الاميـــر .

القــزم

حدث فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان ، أن احد الملـــوك خرج مرة مع وزيره يتفقد احوال الرعية ، وبينما كانا يسيران فى أحـــد أزقة المدينة ، نظر الملك فرأى على بعد قليل منه قزما يتبعـــه بعـــض الاولاد ، يسخرون منه ويضحكون عليه ، لكن القزم لم يكن غاضبا ، بل كان يرد عليهم فى لطف ويضحك معهم ، فوقف الملك ليتمتع بالحـــوار اللطيف الذى يتبادله القزم مع الاولاد ، ولم يستطع الملك أن يكتم ضحكاته، ويبدو أن الاولاد تمادوا فى سخريتهم، فنهاهم القزم فى حـــزم وبـــأدب ، فانصرفوا طائعين ، مما أظهر حبهم للقزم وقوة شخصيته فى نفس الوقت.

وكان القزم يحمل قفة كبيرة وقد غطيت بغطاء نظيف فلا يستطيع أحد أن يعرف ما يوجد فيها ، فاعجب الملك بالقزم وقال للوزير ، « مـــا رايك ياوزيرى لو تبعناه لنعرف الي أين هو ذاهب وماذا يوجد فى القفة فيبدو انه شخصية غريبة وظريفة ؟ »، فأجاب الوزير ،« سمعا وطاعة يـــا مولاى » .

وسار القزم فى طريقه يتبعه الملك والوزير حتى وصل الى أحـــد البساتين ودخله ، لكن البستان كان مزدحما بالناس ، وسرعان ماغادره، وسار حتى وصل الى بستان آخر ودخله ، لكن يبدو أن البستان لـــم يعجبه كذلك ، فقد غادره بسرعة،كل ذلك والملك والوزير يتبعانه .

وسار القـــزم فى اتجاه قصر الملك حتى اقترب من اجمل بستان تابع للقصر ، ووقف تحت السور ، ونظر هنا وهناك وحتى اطمأن مـــن عدم وجود الحـــارس ، فاعتلى الســـور بصعوبة ودخـــل البستان ، فتعجب الملك وزادت دهشته وقال للوزير ، « غريب والله أمر هـــذا



وصار القزم في اتجاه قصر الملك حتى اقترب من أجمل بستان تابع للقصر

القـزم » واسـرع الملك يتبعه الوزير ، ودخلا البستان فى هـدوء دون ان يشعر بهما القزم وجاسا خلف الشجيرات يراقبانه .

أما القـزم فقد ازال غطاء القفة ، واخرج من القفة بساطا صغيرا فرشه على الارض ، وصرة مليئة بالفواكه الجافة اللذيذة الطعـم ، واخرج عودا جميلا ، وجلس يأكل من الفاكهة ، ثم أخذ يضبط أوتار العود بيـد خبيرة مدربـة .

ولم تمض لحظات حتى بدأ يعزف ، ثم ارتفع صوته بالغناء ، وكان صوته جميلا وشجيا وعزفه يؤثر فى الانسان ويأخذه معه الى عالـم الالحان والانغـام السـاحـرة .

ومضى القزم يعزف ويغنى ساعة من الزمان ، حتى كاد الملك ان يصرخ اعجابا وتقديرا ، ثم انتهى القزم من غنائه ، فقال الملك للوزير، « سأرجع الى القصر وعليك أن تتبع القزم وتعرف عنـه كل شـىء ، وتجىء الى وتخبرنى بما عرفت » .

ورجع الملك الى قصره ، أما القزم فحين انتهى من غنائه وقـف بهدوء وجمع ما تبقى من الفاكهة ، ووضعه فى الصرة وربطها ، ثم طوى البساط الصغير ووضع العود وكل الاشياء فى القفة وغطاها وحملها ، وسار على مهل وهو يغنى بصوت خفيض بعض الالحان التى غناها من قبـل ، وسار والوزير فى اثره .

سار القزم فى اتجاه المدينة ، ثم ذهب الى سوق الحدادين وهناك وقف أمام احد الحوانيت ، وأخرج مفتاحا كبيرا فتح به باب الحانـوت ودخل وهو يحمل قفته ، فسأل الوزير بعض الجيران وعرف عنه كـل شىء .

وحين رجع الملك الى قصره اخذ يفكر فيما رأى وسمع ، فقد كان غناء القزم جميلا ولم يطرب الملك من قبل كما حدث ذلك اليوم ، وعندما رأى الملك رئيس فرقة القصر المكونة من عدد كبير من العازفين والمطربين هتف به قائلا ، « لا ، لا ، لا، هناك من هو أفضل منكم جميعا ، لقـد سمعت اليوم قزما يعزف ويغنى أحسن من أى واحد فيكم » ، فقـال الرئيس ، « وهل يمكن يامولاى ان لا نصدقك وقد وهبك الله رهافـة الحس وموهبة التذوق ، لكن الله خلق المواهب درجات ، ونريـد ان

تحضره الينا لنتعلم منه ، وان شاء الله نمتعك بما اعجبت به واحسن منـــه » .

وجاء الوزير فسأله الملك فى لهفة عن اخبار القزم ، فاجاب الوزير بأن القزم يعمل مساعدا لاحد الحدادين ، لكنه كما يقول الجيران يجيد العزف على العود وقد وهبه الله صوتا جميلا ، لكنـــه لا يرضى أن يغيـر مهنتـــه .

فامر الملك الوزير ان يأخذ معه بعـــض الاعوان ، وعليهـــم ان يحضروا القزم دون أن يشعر واوصى الملك الوزير بما يفعل ، وانصرف الوزيـــر .

ذلك ان الملك قد اعجب بخفة روح القزم ونكاهاته المرحة التـــى تبادلها مع الاولاد عندما كانوا يعاكسونه فى لطف ومحبة ، واراد الملك ان يروح عن نفســه ويستمتع مرة اخرى بفكاهات القزم ومرحه ولطفه، فامر الملك الوزير ان يخدر القزم (بينجه) بأن يرش المخدر على وجهه وان يحضره غائبا عن الوعى .

وامر الملك الحراس والحاشية ان تختفى وراء ستائر ، وبين لهم الملـــك بأنه سيدّعي بأنه الوزير ، وسيوهم القزم بما سيبديه له مـــن الوان الاحترام والتبجيل بأنه هو الملك ، واوصى كل منهم بما يفعل ، واختفى العازفون والمغنيون وراء الستائر ليسمعوا ويروا كل شىء .

وذهب الوزير وبعض الاعوان الى سوق الحدادين وكان القزم قد نام واقفل عليه الحانوت ففتح الاعوان الحانوت ، ووجدوا القزم نائما ، فرشوا (البنج) المخدر على وجهه ، فتخدر القزم ، فحملوه واسرعوا بـــه الـــى القصـــر .

وما أن وصل الوزير الى القصر حتى امر ان يدخل القزم الحمام، وغسلوه وزينوه ، والبسوه كسوة ملكية ، وادخلوه الى الديوان واجلسوه على العرش ، ثم أمر الملك الوزير أن يفيقه ، فرش الوزير على وجه القزم عقارا مضادا للتخدير ، فعطس القزم ثلاث عطسات ، فأفاق ووجد نفسه معطرا لابسا كسوة ملكية وجالسا فوق العرش فى الديـــوان والحاشية حوله ، فضحك القزم وقال ، « ما هذه الاحلام الجميلة ؟» ، واخذ يفتح ويغمض عينيه ويحكهما ، ثم اخذ يضرب نفسه ، والحاشية

والملك ينحنون له ويقولون عبارات لا تقال الا للملوك ، وقال له الملك الذى ادعى انه الوزيـــر ، « لقـــد نمت قليلا يا مولانا » ، فصـــرخ القزم ، « مولانا من هو ملككم ؟ » ، وضحـــك وقال ، « هـــذا مـــن عمل الجن »، واخذ يتفرس ويفحص نفســه فوجد ملابسه فخمة ، وجسده نظيفا، فصرخ ،« هل انتم انس ام جن ؟ »، فضحك الملك ــ الوزير ــ وسأله ،« وكيف تعرف الانس من الجن ؟»، فرد القزم ،« بســهولة، احضروا كمية من الملح » ، فأحضروا الملح واعطى القزم كـــلا منهـــم شيئا من الملح وأمره أن يأكله ،فأكلوا الملح ، فصرخ القزم ، « اذن انتم بشـــر باللمنييـــة »، وضحكوا جميعا .

وكما رتب الملك الامور ، دخل احد افراد الحاشية يحمل صندوقا وقال ، « هذه قبيلة كذا تقدم هديتها لمولاى » ، وقدم الصندوق ، ففتحه القزم ووجده مليئا بالجوهرات الكريمة ، ودخل آخرون وقدموا بعض الهدايا ، ثم دخل أصحاب الشكايات ، فأصدر الملك الوزير احكامـــا بسرعة ، ثم اعطى اشارة ، فانصرف الجميع ولم يبق سواه مع القزم ، وقال له ،« يكفي هذا اليوم يا مولاى تصبح على خير » ، وانصرف .

وبقي القزم وحيدا ، وظل جالسا في مكانه مشدوها ومذهولا ، وبدا يشعر بالخوف واخذ يفكر ، ما هذه الاشياء الغريبة ؟ ، هذه امـــور لا يصدقها العقل ، ترى ماذا عليه أن يفعل ، لكنه سمع صوتا ودخلت أمراة جميلة فاندهش واضطرب ، لكنها قالت له بصوت حنون لطيف ، « لاتخف » ، فسألها ، « من انت ؟» ، فضحكت كثيرا ثم اجابت ،« انا زوجتك يامولاى»، فلم يستطع أن يكتم ضحكاته وهتف ،« أنت زوجتى ؟»، وكان الملك والوزير والحاشية والعازفون مختبئين خلف الستائر يشاهدون ويسمعون كل شيء .

. وادعت المراة الغضب وقالت ، « أتنكرني يا مولاى الا تعـــرف زوجتك ؟ » ، ثم اخذته من يده وســارت به الى غرفة وازالت بعض الستائر فظهر فراش فخم ، وسألها ، «ماذا تريديـــن ؟ » ، فأجابـــت مندهشـــة ، « لقـــد آن ميعاد النوم » ، فانفجر ضاحكا وسألهـــا ، « وهل ستنامين معي ؟»، فأجابته ،« بالطبع ، لكنك وعدتنى البارحة أن تغنى لى اليـــوم ، ولن انام معك قبل ان اسمع غناءك » ، فهتـــف القـــزم « هذا أمر سهل ، اين هو العود ؟ » فصفقت ، فجاءت جارية

جميلة ، فسألتها أن تحضر العود ، وبسرعة احضرت الجارية عودا ممتازا ، فامسك القزم بالعود ، وضبط أوتاره ثم عزف انغاما جميلة ، وغنى غناء شجيا ، واستمع المختبئون كلهم الملك والوزير والاخرون اليه ، وما أن انتهى من غنائه حتى هم بالمراة ، فابدت دهشتها ، وسألته عن سر تسرعه ، ونادت الجارية وامرتها ان تحضر الطعام ، وكانت مائدة حافلة بما لذ وطاب من طعام وشراب ، فاكل القزم حتى شبع ، وكانت المراة تأكل أصنافا وتترك اصنافا ، لانهم وضعوا للقزم مخدرا في الطعام ، وسرعان ما تخدر، فحملوه، وخلعوا عنه ملابسه، والبسوه ملابسه القديمة ، واسرعوا به الى سوق الحدادين وادخلوه الحانوت واقفلوا الباب وانصرفوا .

وظل القزم نائما ، ولم يستيقظ في الصباح الباكر كعادته ، لذلك حين جاء الحداد صاحب الحانوت ، دهش كثيراً عندما راى كل الحوانيت مفتوحة ماعدا حانوته ، فطرق الباب وبعد مدة طويلة فتح له القزم وهو ما زال يغمض العينين وآثار النوم في وجهه ، وكان الحداد يحمل عصا ، فانهال بها ضربا على القزم وهو يصيح ، « أكلت الانيون يا ابن الحرام وشربت الخمر ، يا فاسق » ، ومضى يضربه والقزم يصرخ ويقول ، « كنت ملكا بالامس ، لا تضربني » ، ومضى يحكي قصته والحداد يكاد ينفجر من الغيظ وقال القزم ، « لقد أكلت طاجنا ما الذ مذاقه، وهاهي رائحة الطعام مازالت في يدي »، فقال له الحداد ،« لقد حلمت يابني ولعب بك الجن ، فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، واشعل النار حتى نبدا العمل »، وبدأ القزم يشعل النار لكنه لم يكف طوال اليوم عن الكلام ، وكان يحكي تفاصيل ما حدث له ، حتى نصحه الحداد بأن يذهب الى أحد الفقهاء ليبعد عنه الجن ويشفيه مما جرى له .

وقد أعجب غناء القزم وعزفه الحاشية ، فالتمس العازفون والمغنون من الملك أن يحضر لهم القزم مرة ثانية ليتعلمون منه ويقلدونه في عزفه وغنائه .

فأمر الملك الوزير ان يحضر القزم ، وعندما ذهبوا اليه ليحضروه وجدوه مستيقظا لان القزم لم تكن له رغبة في النوم في هذه الليلة خوفا من تلك الاحلام الغريبة ، وعندما دخل الاعوان الى الحانوت ، صاح

فرحا ، « اذن انتم الذين تلعبون بي تسخرون منى » ، وقبل ان يصرخ طالبا النجدة أمر الوزير الاعوان ان يخدروه ، فرشوا المخدر على وجهه وحملوه الى القصر ، وادخلوه الحمام ، ثم البسوه كسوة ملكية ، واجلسوه على العرش ، ووقف الملك في لباس الوزير ، وبعض الحاشية واختبأ الباقون ، ورشوا وجهه بالعقار المضاد للمخدر فعطس ثلاث مرات وافاق .

وبدأوا ينحنون له ويبدون له الطاعة،لكنه هتف وقال ، « اسمعوا لعن الله النفاق ، الان تقولون انني ملك ، وفي الصباح يضربني الحداد، اسمع ياهذا من انت ؟» فاجاب الملك «أنا الوزير»، فسأله ، «وانا ؟»، فاجابه ، « انت مولانا الملك » ، فهتف ، « اذن اريد ان تحضر لي الحداد فالان الان » .

فامر الملك بعض الاعوان ، ان يسرعوا ويحضروا الحداد مخدرا بسرعة واجاب الوزير، «لن تمضى ساعة حتى يكون الحداد هنا » .

ومضى القزم يسخر من الحاضرين ، وقال لهم ، « انا لا يهمني ان كنتم انسا أم جنا ، لكنني اريد ان اتاكد » ، وأمرهم أن يحضروا الملح مرة ثانية ، فأحضروه ، فأمر كل واحد منهم ان يأكل كمية من الملح ، ففعلوا ، فهتف القزم ، « بشر هذا غير معقول » .

وادخلوا الحداد مخدرا الى القصر ، واحضروه أمام القزم ، ورشوا على وجهه العقار المضاد للبنج ، وما ان رأى الحداد القزم في ملابس الملك وحوله الحاشية حتى صرخ مندهشا ، فنظر اليه القزم مذهولا وصاح ، « لا، لا، لا، هذا غير معقول غير معقول » ، وسأله « هل انا ملك أم لا » ، فاجاب الحداد ، « نعم انت ملك يامولاى » ، فاقترب منه القزم وانبه قائلا ، « ولماذا ضربتني بالعصا في الصباح ، هه ، سأنتقم منك ، اضربوه خمسمائة ضربة بالعصا » ، ودون أن يشعر القزم أصدر الملك اوامره بان توضع مخدة تحت ملابس الحداد حتى لا يتألم .

ونفذ الامر ، واخذ القزم يفكر ثم قال ، « وما الفائدة من ضرب الحداد » ، وسأل الوزير أن يعطيه خمسمائة دينار ، فأحضرها له الوزير ، فقال القزم للحداد ، « اسمع هذه خمسمائة دينار خذ منها

مائتين واعط القزم ثلاثمائة دينار ، عليك ان تفعل هذا فى صباح الغـد وانصرف الان بسلام » . فاخذ الاعوان الحداد وخدروه وحملوه الى داره.

اما القزم فقد بقى فى القصر ، وجاءت الهدايا مرة اخرى، ثم انصرف الموجودون واستأذن الوزير من القزم ، وانصرف ، وبقي القزم وحيدا، ودخلت اليه امراة اجمل من السابقة وانحنت وقبلت الارض بين يديه ، فسالها ،« من انت ؟ »، فضحكت واجابت ،« زوجتك ألا تعرفني ؟ »، فهتف القزم ،« ومن تكون المراة الاخرى التى رايتها بالامس ؟»، فأجابته، «ان لديك زوجات كثيرات يا مولاى » ، فصاح القزم وهتف بها ، «هيا بنا ، هيا بنا »، وأخذها من يدها اتجاه الغرفة ، فتبعته لكنها قالت ، « الن نتناول العشاء ؟ »، فاجاب ،« من بعد ، من بعد »، لكنها قالت فى اصرار ، « لا . . لابد أن اسمع غناءك فلست أقل من الزوجة الاخرى جمالا ولابد أن نشرب سويا ولو كاسا واحدة »، فهتف ،« أين العود؟ »، واحضرت جارية العود للقزم ، فعزف وغنى انغاما والحانا اجمل مما سمعوه فى الليلة البارحة ، وما أن انتهي من غنائه حتى ناولته المـراة كاسا وشرب قليلا ، فغاب عن وعيه ، فحملوه ، وخلعوا عنه ملابسه، واخذوه الي حانوت الحداد ، وتركوه وانصرفوا .

وفى الصباح افاق الحداد مصدع الراس وظن ما جرى له حلما ، لكنه وجد بجانبه المال ، الخمسمائة دينار ، فصرخ وجاءت زوجته فزعة تحكى لها ما حدث ، وظنت الزوجة أن للجن دخلا فى الامر ، لكـن الحداد امسك بالدنانير الذهبية ، وقال لها ، « الجن لا يمكنها أن تفعل هذا » ، وكان الحداد طماعا ، وكما يقـال « الطمـع طاعـون » ، فقد قرر ان يخفي امر الدنانير عن القزم ، وكان عليه أن يعطيه ثلاثمائة دينـار .

وتوجه الحداد الى الحانوت ووجده مغلقا ، فاخذ يطرق بـاب الحانوت حتى ايقظ القزم ، وما أن فتح القزم الباب حتى انهال عليـه الحداد ضربا بالعصا فصرخ القزم ، « حرام عليك لقد اعطيتك مائتـى دينار »، فرد الحداد متجاهلا ،« ها انت قد عدت مرة ثانية للاثنين ؟» وكاد القزم أن يجن ، وقال للحداد ، « لقد أمرت بضربك خمسمائـة ضربة بالعصا حتى لا تضربني » ، فانهال الحداد عليه بالضرب وسبه، واخيرا قال له القزم ، وأين الثلاثمائة دينار التى أعطيتها لك لتعطيهـا

لي في الصباح ؟ » فقال الحداد ، « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، يبدو ان الجن قد لعبوا بك مرة اخرى » ، وصاح القزم ، « حرام عليك ،لا تخجل لماذا تسرق الدنانير الذهبية ؟»، لكن عصا الحداد كان لها القــول الفصل ، وانتهت المناقشـــة واشـــعل القزم النار وبدأ يعمـــل.

وكان الملك قد زاد اعجابه وتقديره للقزم ، فامر الوزير ان يذهب ويحضر القزم بسرعة وفرح المغنون والعازفون وانتظروا جميعا وصول القـــزم .

وجاءوا بالقزم وأدخلوه الحمام والبسوه الملابس الملكية واقاتوه ، وابدوا له الوان الاحترام والتبجيل ، لكن القزم كان في حالة متغيرة فقد قـــال للوزيـــر (الملك) « لا هذه الامور لم تعد تعجبني ، انا ملك ، هه، ملك في الليل فقط وفي الصباح ينهال على الحداد بالعصا ، هه ، هنا ، هنـــا ، هنـــا » ، وكشـــف عن ذراعيـــه وبدت آثار الضـــرب واضحة، واسـترسل في حديثه ، « لا.. لا .. لا ، انا لا اريد أن يضربني الحداد احضروه الى بسـرعة » ، واصدر الملك الامر باحضار الحداد ، وذهبوا ليحضروه ، ونادى القزم الوزير (الملك) وساله ، الم اعط الحداد خمسمائة دينار بالامس ؟ » فاجاب الوزير ، « نعم يامولاى » فرد القزم « لكـــن الحداد انكر في الصباح ، وضربني ضربا مبرحا » ، فضحك الوزير وقال «يبدو يامولاى انك حلمت حلما مزعجا »، فهتف به القزم ،« انا الان احلم، وانت تقول لي انني حلمت ، فكانني احلم انني في حلم هاهاها ما هذا ؟»، فقال الوزير ،«عفوا يا مولاى» فصاح القزم ،«انا ملك وانت تخدعني»، فرد الوزير ، « حاش الله يامولاى » ، فسكت القزم ..

ووصل الحداد الى القصر ، فاقاتوه وادخلوه الديوان ، وحين راى القزم جالسا على العرش صرخ فقال له القزم ، « هه تعال يا لص الـــم اعطك بالامس خمسمائة دينار، وقلت لك خذ مائتتين واعط القزم ثلاثمائة»، فتوســـل الحداد اليه قائـــلا ، « اعـــف عنى يا مولاى لقـــد طمعـــت والطمع طاعون ، سامحني »، فسخر منه القزم قائلا ، « وما الفائدة ، اسامحك الان وستضربني فى الصباح، هل تعرف أن ضرب العصا مؤلما»، فرد الحداد ، « ســامحني لن اضربك ما حييت »، فقال له القزم ،« ان ضرب العصا مؤلم ، ولذلك امرت بالامس ان يضربوك خمسمائة ضربة بالعصا ، لكنك لم ترتدع وضربتني مرة اخرى صباح اليوم .. انظر » ،

وكشف عن ساعديه ، فظهرت آثار ضرب العصا واضحة ، جروح وقروح زرقاء مختلطة ببقايا الدماء ، وكان المنظر مفزعا ، واسترسل القزم في حديثه باكيا ، « لذلك سآمر ان يقطعوا راسك في الحال ، اقطعوا راسه »، فاخذ الحداد يتوسل اليه ان يعفو عنه اويكتفي بضربه اوسجنه، لكن القزم صمم على قراره ، وقال الوزير ، «سننفذ امرك يامولاي وامر الاعوان ان ياخذوا الحداد ويدعوا انهم قطعوا راسه ، وعليهم ان يقطعوا راس كبش ويغطوها بثوب ، وكأنها راس الحداد المقطوعه ، ولم تمض دقائق حتى دخل الوزير يحمل صرة تقطر بالدماء ، وقال للقزم ، « هاهي راس الحداد يامولاى » .

فصرخ القزم ، واشاح بوجهه وردد في ألم ، « غير مقتول ، غير مقتول »، فرد الوزير مدعيا انه احرج ، وقال ،« لقد نفذت امرك يامولاي ولم اكن اظن ان هذا يضايقك » ، وامر الوزير الموجودين ان ينصرفوا ، وترك القزم وحيدا بعد ان تمني له ليلة هادئه .

وجاءت الى القزم امراة اجمل من السابقتين ، لكن القزم لم يسألها اى سؤال او يكلمها ، فاقتربت منه في رقة وقالت له ، « ان مزاجك اليوم ..»، وقاطعها صائحا ،« مزاجي ، انا مهموم ، انا حزين ، كيف حدث هذا ، لقد قطعت راس الحداد ، ما هذه الامور ؟» ، ولم تنجح المراة ابدا في تغيير حالته ، فذهبت الى الملك المختبيء خلف الستارة ، فامرها ان تحاول مرة اخرى ، لكن دون فائدة ، فلم يقبل القزم ان يغنى او ان ياكل او يشرب ، ولم يرد حتى ان ينظر الى المراة او يستجيب لتوسلاتها ، فخرج الملك والوزير والحاشية والمغنون من مخابئهم ، ففوجيء القزم وذهل وسأل ، « ما هذا ؟ » ، ووجد ان الحاشية لا تهتم به ، والموجودين يهملونه ، ورأى الكل ينحنون للوزير ويكلمونه على انه الملك ، فسأله القزم « من انت » فاجاب ، « انا الملك » ، فضحك القزم في مرارة ، « ومن انا اذن ؟ » فاجابه الوزير الحقيقي ، « انت فلان صبي الحداد فلان وهذا مولانا الملك »، فتنهد القزم وقال ، اذن هذه هي الحقيقة ، فانا لست ملكا »، فضحك الحاضرون ، لكن القزم انحنى للملك وقبل الارض بين يديه ، وقال في جدية غريبة ، « يامولاى لماذا نفذت امرى وقطعت راس الحداد ؟ » ، فضحك الملك وقال له ، «لا يابني لم ينفذ امرك احد ، وقد قطعنا راس كبش ووضعناه في الصرة ، ان الحداد ينام الان سليما في داره » ، فهتف القزم ، « لا تسخر مني وتضحك

على يامولاى » فرد الملك : « انني اقول الصدق » ، وحكى الوزير للقزم عن كل شيء ، لكن القزم اراد ان يذهب ليرى الحداد سليما بعينيه ، فقال لـه الملك ، « ستبقى هنا فى القصر وستكون مغنيا وعازفا فى فرقـة القصر ، وفى الصباح سآمـر ان يحضر الحداد لتراه وتطمئن » .

ولم تغمض للقزم جفن هذه الليلة ، بالرغم من أنه ينام فى القصر ولن يضربه أحد فى الصباح ، وحين احضروا الحداد ، فرح القزم واخذ يقبله ، فقال له الحداد ، لكنك امرت بقطع راسى » ، فضحك القزم وقال ، « وانت سرقت الدنانير وكنت تضربنى كل يوم ، بالله اوصيك ان لا تضرب من سيعمل عندك مكانى » ، وعاش القزم مغنيا وعازفة فى القصر ولم يعـد الحداد يضرب مساعده ابدا .

لاتكثر من الأصدقاء

يروى انه كان هناك تاجر غنى ، رزقه الله فى اواخر سنواته بولد ، وبذل الرجل كل جهوده لتربيته احسن تربية .

وحين كبر الولد وصار شابا التف حوله عدد كبير من الاصدقاء ، ذلك انهم توقعوا أن يموت التاجر ويرث الشاب ثروته الطائلة ، وكان الاب ينصح ابنه دائما بان يقلل من اصدقائه ويختار منهم الوفى المخلص ؛ وما اقل الاوفياء والمخلصين ، بل ما أندرهم ، لكن الشاب الذى أطربه الثناء والمديح ، وأسكره التملق والنفاق ، لم يكن يسمع لكلام ابيه ونصائحه ، بل نعل العكس ، وكان يظن أن كثرة الاصدقاء دليل حب الناس له ، وتكسبه مهابة وتجعله عظيما .

واحس التاجر الثرى باقتراب ملاك الموت منه ، فنادى ابنه وقال له ، « لقد نصحتك كثيرا فلم تسمع لكلامى ، ولن أكرر عليك القول ، بل كل ما اطلبه منك هو أن تدبر معى خطة ، ونجرى تجربة ، وعندئذ ستفهم ما اقصد اليه وما اريده لك من خير » .

ولم يسترسل الاب فى حديثه ، واحضر كبشا وذبحه ، واحضر ثوبا يستخدم ككفن للموتى ، ووضع حول الكبش بعض الحشيات ولف الكبش والحشيات بالكفن ، فكان الناظر اليه يظنه آنسانا ميتا مكفنا .

وسأل التاجر ابنه ان يدعى حين يجىء اليه اصدقاؤه بأن هناك ضيفا جاء لابيه وانه مات فجاة ، وقد كفنه الاب وعليه ان يطلب من اصدقائه أن يساعدوه ليدفنه فى حديقة الدار ، وان يسالهم الكتمان وعدم اخبار اى احد بما حدث .



فذهب الحراس وحفروا وأخرجوا الجثة المزعومة ، وقبضوا على التاجر وابنه واصطحبوه الى السلطان والجثة المكفنة معهم.

وحين جاء الاصدقاء وتناولوا العشاء وقضوا سهرة ممتعة ، قال لهم الابن ،« لقد جاء ضيف عند أبي ومات فجاة ، وقد كفناه ، وأرجوكم ان تساعدونى لندفنه فى الحديقة » ، وطلب منهم كتمان السر وعدم اذاعته .

فساعدوه ودفنوا الكبش المكفن ، لكن ما ان انصرفوا ، حتى قال واحد منهم ، « ماذا يظن هذا الشاب الابله ، ألانه قدم لنا العشاء يجبرنا ان ندفن معه القتيل » ، وقال آخر ،« ان اباه هذا قاتل » ، وسرعان ما ابلغوا الامر للسلطان وبينوا الموضع الذى دفنت فيه الجثة .

فارسل السلطان جنوده ، وأمرهم ان يحفروا الحديقة ويخرجوا الجثة ويحضروا التاجر وابنه اليه .

فذهب الحراس ، وحفروا واخرجوا الجثة المزعومة ، وقبضوا على التاجر وابنه واصطحبوهما الى السلطان والجثة المكفنة معهم .

وما ان مثل التاجر أمام السلطان حتى قبل الارض بين يديه ، وازال الكفن وظهر الكبش المذبوح ، فاندهش السلطان ، وحكى التاجر قصته ، فضحك السلطان وقال له ،« انك لرجل حكيم » ، ونهر الشاب وأمره ان يستمع لنصائح ابيه وان لا يكثر من الاصدقاء .

الفتاة والصندوق

كانت المرأة حاملا، وهي امرأة جميلة ، معجبة بنفسها ومغرورة ، تظن انه ليس فى الدنيا حسن يفوق حسنها او فتنة تضارع فتنتها .

وفى يوم بينما كانت نائمة مستلقية على ظهرها فوق سطح دارها ، بزغ القمر بنوره الفضى الاخاذ ، فسألته المرأة ، « هل انا اجمل من المولودة التى فى بطنى أم هى اجمل ؟ » ، فرد القمــــر ، «ان كانت اجمل منك اقتليها وان كنت اجمل منها ابقيها ».

ومضت الايام وولدت المرأة بنتا جميلة الى درجة لا تصدق ، ولا يمكن أن تقول انها اجمل منها ، فسألت المرأة الجميلة القمر ، « كيف يمكن أن اقتل ابنتي ؟ » ، فأجابها القمر ، « ابقيها حتى تتعلم الابتسام والضحك » ، ومرت سبعة شهور والطفلة لا تضحك ولا تبتسم ، لكنها ابتسمت وضحكت فى يوم من الايام ، وسألت الام القمــــر ، « كيــف يمكنني أن اقتل ابنتى ؟ » ، فأجابها القمــــر ، « اذن ابقيها حتى تتعلم المشي » ، ومضى عام وتعلمت الطفلة المشى ، فصعــــدت الى سطــــح الدار وسألت للقمر ، « لقد تعلمت ابنتي المشى ، هل اقتلهــــا ؟ » ، فاجابهــــا ، « لا بل ابقيهــــا حتى تتعلم كيف تتكلم » ، فلم تقتلهــــا ، وتعلمت البنت الكلام بعد ثلاثة سنوات ، فســــألت الام القمر ، هــــل تقتل ابنتها ، واجابها القمر ،« لا ، ابقيها حتى تتعلم القراءة والكتابة »، ومضت سبع سنوات استطاعت خلالها الطفلة أن تتعلم القراءة والكتابة، عندئذ سألت الام القمــــر ، « هل أقتل ابنتى ؟ » فاجابها ، « لا ، ابقيها حتى تتعلم كيف توقد النار وتطهو الطعام » ، فلم تقتلها وأبقتها .

ومرت ثلاث سنوات واصبحت البنت قادرة على اشعــــال النــــار

وطهى كل أصناف الطعام من لحوم وطيور وخضر ، وصعدت المرأة الى سطح الدار وسألت القمر هل آن الاوان وحان الميعاد لتقتل إبنتها ، فأجابها القمر ، « بل ابقيها حتى تتقن التطريز وتعرف كيف تصنع الملابس » ، ومضى عام وتعلمت الفتاة ان تصنع الملابس واتقنت التطريز ، فسألت الام القمر ، « هل اقتلها الان ؟ » ، فاجابها ، « لا ، ابقيها حتى تكتمل انوثتها وتتحول الى امرأة صالحة للحمل و الزواج » .

ولم تمض شهور حتى كانت الفتاة شابة ناضجة ، اجمل من امها وصالحة للزواج وكانت تفوق امها لا بجمالها فحسب بل بحلاوة صوتها المغرد كذلك .

وغارت الام من ابنتها وحقدت عليها بسبب حسنها وفتنتها وصوتها الجميل ، وصعدت الى سطح الدار ، وسألت القمر ، « هل اقتلها ألان ؟ » ، فاجابها القمر ، « اقتليها وإن لم تقتليها ستقتلك » .

فاصطحبت المرأة ابنتها الى الغابة ، وسارت الى مكان بعيد تتشابك حوله الاشجار وتضيق الممرات ويحتاج الدخول اليه والخروج منه الى معرفة جيدة بمسالك الغابة ودروبها ، وكان المكان خطرا ، فعلى قرب منه تزار الاسود ، ويخشى حتى الصيادون الاقتراب من هذا المكان ، وهربت الام وتركت ابنتها وحيدة ، لكن الفتاة الجميلة استطاعت بذكائها وتتبعها لاثار أقدام امها ، وتذكرها لبعض المعالم ، استطاعت ان تنجو وترجع الى الدار، فذهلت الام حين رأتها وادعت انها ضلت الطريق وافتقدتها .

وفي اليوم التالى صحبتها معها الى الغابة لتحتطبا ، وظلتا تكسران الاغصان والفروع ، وتجمعان الحطب حتى غابت الشمس، فحملت الام ابنتها حطبا كثيرا وربطته بها ثم زادت عليه وربطت الحطب كله ربطا متينا مع جسد الفتاة ، فاعترضت الابنة لكن الام نهرتها وزادتها حطبا وربطته بها ، أما الام فقد حملت شيئا بسيطا من الحطب، ومشت وتركت ابنتها وراءها لا تستطيع الحركة الا بصعوبة ، فصرخت البنت ونادت الام كي ترجع وتحل وثاقها ، لكن دون فائدة ، وظلت تصيح وتصيح ، لكن الام مشت بعيدا ،

ولم تلتفت وراءها ، وخافت الفتاة ، فقد اقبل الليل ، وما اخطر الغابة في الليل .

وكانت الفتاة صحيحة البدن قوية ،فأمكنها بعد جهود كبيرة أن تخلص نفسها من حملها المربوط بها بعد أن تسلخت ذراعاها وساقاها واصابتها جروح كثيرة ، وهرعت الى الدار فلم تصدق امها عينيها ، وأدعت انها كانت تظن أن الابنة تسير وراءها ، وعندما قالت لها الابنة ، « لقد صرخت وصحت وناديتك يا اماه » ، اجابتها ، « لم أسمعك » .

وفي اليوم التالي جهزت الام خبزا عجنته بالملح ، وماء وضعت فيه ملحا كثيرا وايقظت ابنتها في الصباح الباكر وقالت لها ، « ان البنات صديقاتك ، ينتظرنك في الغابة لتجمعن الحطب سويا » ، ووصفت لها المكان بطريقة خاطئة حتي تضل الطريق ، وهذا ما حدث ، وبالطبع لم تكن هناك صديقات ينتظرنها ، وجاعت البنت ، فأكلت من الخبز المالح ، فعطشت ، فشربت ، ووجدت الماء مملحا كذلك ، فجلست البنت تبكي ، فقد ضلت الطريق ولم تدر ما تفعل ، وحاولت الرجوع ، فتاهت في مجاهل الغابة واحست بالتعب والانهاك ، وبدأ الليل يقترب ، وبينما هي سائرة أذ قابلت غولا رهيبا ، جلس على الارض يأكل جملا ويتناول طسامه بعظام اسد ، فتراجعت الفتاة وتسلقت شجرة كبيرة ، لكن الغول شم رائحتها فقال، « انني اشم رائحة بني آدم » وجاء ووقف تحت الشجرة وقال ، « انزل ايها البنى آدم وانا لا آكلك » ، فطلبت منه الفتاة أن يقسم علي ذلك ، فقال الغول ، « أقسم بالبقرة التى تأكل الزيتون انني لن آكلك » ، فرفضت الفتاة ان تنزل من فوق الشجرة ، فقال الغول ، « اقسم بالقطة التى تأكل الاعشاب الخضراء » ، فرفضت الفتاة ان تنزل من فوق الشجرة ، فقال الغول ، « اقسم بالثعبان الذي يشرب الماء انني لن آكلك » ، فلم تنزل اليه أو تطمئن الي قسمه ، فقال الغول ، « اقسم بالله تعالي وبرسوله محمد أنني لن آكلك » ، فنزلت الفتاة من فوق الشجرة ، واعتبرها الغول ابنته ، واحضر لها طعام الانسان ، الخضر والفواكه والخبز ، لانه كان لا يأكل الا لحوم البشر ، لكنه لم يستطع ان يداوم على ذلك طويلاً ، فقال لها ، « انا لا اقدر أن أتولى رعايتك والعناية بك دائما ، واحضر صندوقا

من الخشب ووضع فيه ملابس كثيرة وطلب منها ان تدخل الصندوق وتغلقه على نفسها ، وحمل الغول الصندوق وبداخله الفتاة وذهب الى قصر السلطان ، وطلب منها أن لا تخرج من الصندوق عندما يدخلوه الى القصر ، واذا سألوها ، ما هو العمل الذى تتقنه ؟ عليها أن تجيبهم ، بأنها تستطيع ان ترعى الجمال ، ولكن جملا واحدا .

وطرق الغول باب القصر ومشي وترك الصندوق أمام الباب ، فجاء حارس وفتح الباب واقفله لانه لم يجد احدا . فطرق الغول الباب مرة ثانية ومشى ، وجاء الحارس لكنه اغلق الباب بعد ان تحركه ، لانه لم ير احدا ، لكنه وجد صندوقا بجوار الباب ولم يكن قد انتبه لذلك فى اول مرة ، فرجع الغول وطرق الباب للمرة الثالثة ، وجاء الحارس واندهش ، وذهب الى السلطان واخبره بالامر ، فتعجب السلطان وطلب منه أن يحضر له الصندوق . وكان الصندوق عاديا لا يلفت النظر ، فأمر الملك ان يضعوه فى الحظيرة التى تربى فيها الماشية والدواب .

وفى اليوم التالى جلست احد الجوارى فوق الصندوق لتحلب بقرة ، فتكلم الصندوق وقال للجارية ، « حرام عليك أن تجلسى فوقي وتؤلمينى وتعذبينى » ، وكان الامير ابن السلطان يسير بالقرب من الحظيرة فنادته الجارية وقالت له ، « ان لهذه الخشبة — تقصد الصندوق — صوتا جميلا والخشبة تتكلم مثلنا » ، فاقترب الامير من الصندوق مندهشا وسأله ، « أيها الصندوق هل تستطيع أن تمشى ؟ » فرد الصندوق بصوت جميل ، « أستطيع ان أمشى » ، وتحركت الفتاة داخل الصندوق ، فتدحرج على الارض، فضحك الامير وسأل ، « وماذا تستطيع ان تعمل ايها الصندوق ؟ » ، فأجاب ، « يمكنني ان ارعى الجمال ، ولكن جملا واحدا » ، فأمر الامير أن يعطوا للصندوق جملا من جمال السلطان ليرعاه ويهتم به .

واعطوا الصندوق جملا ، وكان الصندوق يتدحرج كل يوم من الحظيرة حتى المرعي خارج البلدة وجمله وراءه . وكانت الفتاة حين تتأكد انه لاأحد هناك تفتح الصندوق وتخرج منه وتحلب النوق وتشرب من لبنها وتبحث عن شيء من الفاكهة او الخضر لتاكله ثم تضع فى اذنى



وحمل الغول الصندوق وبداخله الفتاة وذهب الى قصر السلطان

جملها قطعتين من القطن ، وتغنى بصوتها الجميل الساحر ، فتكف الجمال ماعدا جملها عن الرعى والحركه حين تسمعها تغنى وتقول .

يا جمال يا جمال يا طيبة
شوفى عيشة المسكينة
خليتها (1) أمها فى الغابة معذبة
مع الغول فى الركينة (2)

وكانت الجمال لا تأكل حين تغنى الفتاة ، فضعفت وهزل جسمها ، ماعدا جمل الصندوق . وبعد شهر لاحظ الامير ذلك ، فسأل الصندوق عن السبب ، فأجاب الصندوق ، « أنا لا اعرف السبب فالجمال ترعى فى نفس المكان الذى يرعي فيه جملى » .

ومضت الايام والجمال تزداد ضعفا ونحولا ، اما جملها فقد كان فى حالة حسنة ، واراد الامير ان يعرف السبب ، فاستيقظ مبكرا ، وانتظر حتى ندحرج الصندوق يتبعه جمله ، وسار وراءها ، واختبأ الامير خلف شجرة وجلس يراقب الجمال وهى ترعى، وبعد ساعة، فتحت الفتاة الصندوق وخرجت منه ، فذهل الامير لما راى ، فقد كانت الفتاة فاتنة ساحرة ، رائعة الجمال ، كانت تسير فوق الارض المعشوشبة تتمايل وتتهادى وتلتقط الفاكهة من الشجر وكأنها حورية من الجنة تخطو فوق العشب الاخضر النضير ، ثم وضعت فى أذنى جملها قطعتين من القطن واخذت تغنى ، فكاد الامير أن يصرخ اعجابا بصوتها الرنان ، وغنت :

يا جمال ، يا جمال ، يا جمال ، يا طيبة
شوفى عيشة المسكينة
خليتها أمها فى الغابة معذبة
مع الغول فى الركينة

وكاد الامير ان يغمى عليه ، ثم دخلت الفتاة الصندوق وأغلقته، فاسرع الى الصندوق وجلس عليه ، وقال ، « ليتها الفتاة الجميلة الحسناء ذات الصوت الشجعى المؤثر ، انني احبك ، احبك ، ولابد أن

---

(1) ـ خليتها : تركتها
(2) ـ الركينة : المكان المهجور

تتزوجينى ، لن اقوم من فوق الصندوق حتى تقسمى لى انك رضيت ان تتزوجينى » ، فردت عليه ، « اقسم لك بالبقرة التى تأكل الزيتون ، سأتزوجك » ، فلم يقتنع واجاب ، « لا ، هذا ليس بقسم » ، فقالت ، «اقسم لك بالقطة التى تأكل الاعشاب الخضراء سأتزوجك » ، فهز راسه واجابها ، « لا، ولا هذا »، فقالت ، « اقسم لك بالثعبان الذى يشرب الماء سأتزوجك » ، فلم يوافق وهتف بها ، « لا ، لا ، هذه كلها ليست بألفاظ قسم » ، فقالت ، « أقسم لك بالله تعالى وبرسوله محمد أن اتزوجك » ، فقام من فوق الصندوق وفتحه ، وخرجت منه وسارت معه الى القصر .

وحين اخبر الامير اباه أنه سيتزوج الصندوق ، خجل السلطان وقال ، « يا للعار ! » ، أما أمه فقد عارضت معارضة شديدة ، حتى الجوارى والعبيد سخروا من الامير وصاروا يضحكون خفية ، لكن الامير صمم ان يتزوج الصندوق .

وفى يوم الفرح دحرج الامير الصندوق والجميع مندهشون ومذهولون ، لكن الصندوق كان فارغا ، واقبلت الفتاة الجميلة يفتن حسنها العيون ويسحر جمالها العقول ، وتزوجها الامير ، وفرح السلطان وضحكت امه وعاشوا سعداء .

أخدم ياالتاعس للناعس

كان الرجل غنيا ، لديه المئات من الابل والبقر والاغنام ، وبالرغم من ثرائه فقد كان غاية فى البخل والشح ، يأكل خبز الشعير ، ويلبس رداء رخيصا ، وقد قاست زوجته من بخله كثيرا .

وبالرغم من مرور سنوات طويلة على زواجه لم يرزق بابنـــاء ، وصبرت المراة علي حرمانها من الاطفال ، كما صبرت على تلك الحياة المتقشفة التى عاشتها مع زوجها البخيل .

وحملت المراة فجاة ، ففرحت فرحا شديدا لذلك ، ومرت شهور ، ووضعت ولدا ، ثم أرادت أن تحتفل بمرور اسبوع علي ولادته ، كمـــا يفعل الناس ، فقالت لزوجها ،« لقد من الله علينا ، ورزقنا طفلا ، بعد أن حرمنا سنوات طوال ، وانه لذكر وبه فرحنا ، وهو خير من ان نرزق بنتا ، لهذا اود احتفالا يليق بفرحتنا ، ونقيم وليمة ندعو اليها الاهل والاصدقاء »، لكن البخيل صاح وصرخ فى وجهها ،« والله ان الخير لا يجيء عن طريق النساء ،انك تريدين لى الضـــرر والاذى ، انـــك تريدين لى الضرر والاذى ، انك تريدين لى الفقر والخراب عندمـــا تطلبين منى ان ابدد اموالى فى التوافه » .

لكن المراة اصرت ولاول مرة عارضته فى قوة ، وقالت ،« والله لتقيمن الوليمة وندعو اليها الناس ولابد لى ان افرح بطفلي » .

ولما وجد الرجل انه لا فائدة من الجدال مع زوجته ، قال لها ، « ما دمت مصممة ، فليكن ، ولندع عددا من الاهل لا يزيد على سبعة ونذبح ثلاثة ازواج من الدجاج »، فصرخت المراة « ياللك من رجل بخيل،

إعطاك الله ولدا ، وأعطاك المئات من الابل والبقر والاغنام ، ثم تريد ان تذبح دجاجا فى حفلة العمر »، فصاح الرجل « ماذا تبغين ايتهـا المرأة ؟ »، فاصرت على ذبح كبش حتى لا يعيبها الناس ، فقال لها ، « انت مجنونة ، لكننى ساوافقك مضطرا »، ونادى رعاة ماشيته . واخذ يبحث عن حمل صغير، او شاة عجوز ليذبحها فىحفلة مرور اسبوع على ميلاد ابنه فلم يجد ما يرغب ، لان اكثر الخراف كانت فى حـالة جيدة ، فأخذ يبحث بين الماعز ليختار معزة يذبحها ، ووجد معزة عجفاء فاقترب منها وقال ،« انت أيتها المعزة تصلحين للذبح، وتوافقين غرضى»، فاذا بالمعزة تتكلم بلسان فصيح وتقول ،« هاهاها ليس لك أن تذبحنى ، انا لست ملكك ، ونحن الماعز والغنم والابل والبقر ، لسنا ماشيتك . انك لا تملك شيئا ، لسنا رزقك اننا رزق الناعس ، رزق الناعس » . وكررت قولها عشرات المـرات .

فوجم البخيل واندهش ، وابتعد عن قطيعه ورجع الى خيمته غاضبا وقال لامراته ،« والله لاغادرن هذا المكان ولن اعيش هنا ابدا ، سأبيع كل ما املك من ماشية ، وآخذ اموالى واذهب الى المدينة ، واعمل فى التجـارة » ، فاندهشت المراة لكن البخيل كان قد قرر أمرا وبدا فى تنفيـذه .

واخذ البخيل يبيع ابقاره واغنامه ويذهب الى الاسـواق بابله ، فلم تمض ثلاثة اشهر حتى كان قد انتهى من بيع كل ما يمتلك ، واحضر سبعة قدور من النحاس وملأها بأمواله من الذهب والفضـة ، وتاهب للرحيل الى بلدة بعيدة ، وكان لابد له ان يسافر اليها عن طريق البحر ، وبالقرب من بلدته كان يقع الميناء الذى سيسافر منه .

فاتخذ طريقه الى الميناء ووجد مركبا سيبحر بعد ايام ، واتفق مع ربانها ان يسافر معه هو واسرته نظير قدر بسيط من المال ، وان يأخذ معه ايضا سبعة قدور نحاسية ، قال البخيل انها مليئة بالملح ، وبعض المتاع ، واخذ يساوم الربان فى اجر نقلها مدعيا الفقر ، وحين تم الاتفاق طلب البخيل من الربان ان يرسل معه بحارين من رجاله ، واستأجر حمارين لحمل القدور وما عنده من متاع .

وحمل البخيل القدور فوق الحمارين وذهب يصحبهما الى الميناء ،

ووضعوا القدور فى المركب ، واراد ان يرسل الحمارين ليحملا زوجته وطفله وما تبقى من متاع ، وبينما هو يتكلم مع البحارين ، وكانا فى عجلة من امرهما لان المركب كانت ستبحر بعد ساعات قليلة ، بينما هو يتكلم معهما ويجادلهما فى الاجر ، وقع مغشيا عليه ، ولم تمض دقائق حتى لفظ آخر انفاسه ، فحمله البحاران فوق حمار وذهبا به الى زوجته ، وارتاعت الزوجة واخذت تبكى وتولول ، ورجع البحاران بسرعة ليلحقا بالمركب .

ولم تصدق الزوجة ما حدث ، فقد كان زوجها فى صحة جيدة ، واحتضنت طفلها ، وارسلت الى اهله ليقوموا بدفنه وتقبل العزاء فيه ، وبعد ساعات ، تذكرت الزوجة التى اطارت المصيبة صوابها ، تذكرت الاموال والقدور النحاسية ، فهرعت الى الميناء لتحضر القدور ، لكن المركب كان قد غادر الميناء فى طريقه الى عدد كبير من المدن ولن يعود قبل سنة ان لم يكن اكثر ، فعرفت ان المال قد ضاع، ذلك لان القدور كانت مليئة بالذهب والفضة ، واذا طالبت بها ، فلن يصدقها أحد ، وهل يعقل ان من يجد الذهب يحفظه ويرده ؟ على اية حال ، فقد ذهب المركب ، وذهبت الاموال ، فقالت المراة ، « فليعوض الله خيرا ».

اما المركب فقد سار فى طريقه ، ومر بمدن كثيرة حتى وصل الى البلدة التى اراد البخيل ان يذهب اليها ، عندئذ تذكر الربان الرجل ، وافتقده ولم يجده ، فاندهش لكن الامر لم يهمه ، لانه قبض أجره ، ولم يكن احد يعرف ان فى القدور ثروة طائلة .

ونزل الربان ، وذهب الى مقهى فى الميناء ، اعتاد البحارة الذهاب اليه، وكان يملك المقهى رجل كسلان، يجلس دائما فوق كرسيه لايتحرك، فالزبائن يجيئون ويخدمون انفسهم ، فان اراد زبون كوبا من الشاى ، فامامه النار والسكر والشاى والوعاء ، فعليه أن يجهز الشاى ، وان اراد زبون شيئا من القهوة فعليه أن يجهزها بنفسه ، وكل من اراد شيئا عليه أن يخدم نفسه ، حتى من يريد ان يدفع ثمن ما اخذ ، فان صاحب المقهى كان يقول له ،« هناك الوعاء ضع فيه ثمن ما اخذت »، لذلك سموه التاعس ، دائما كسلان ودائما «نعسان» ، لكنه كان حلو الحديث، طيبا لطيف المعشر ، فاحبه الناس ، وكان البحارة



فارسل الربان بحارا واحضر القدور ووضعها في ركن منعزل من المقهى.

يحبونه لحلو حديثه وظرفه ، وكان للناعس زوجـة وسبعـة أولاد ، وبالرغم من كسله فقد كانت المقهى رائجة تضمن له حياة رغيدة سهلة .

جلس الريان مع الناعس وتحدثا حديثا شجيا ، وبعد أيام رحل . وكان كل سنة يعود ويمكث أياما معه ، ومضت ثلاث سنوات ، وذات يوم كان الريان يجلس مع الناعس وبعض البحارة نتحدث وقال لهم ، « لقد اعطانا رجل سبعة قدور نحاسية مليئة بالملح وهى تشغل حيزا بمكانا فى المركب ، ولولا ان الرجل دفع لنا الاجر لرميناها فى البحر »، ضحك الناعس وقال ، « ولماذا ترميها فى البحر ، ها هى المقهى واسعة هاتها وضعها هنا »، فارسل الريان بحارا واحضر القدور ووضعها فى ركن منعزل من المقهى ، وضحك الريان وقال للناعس ، « لقد مضت ثلاث سنوات وقد سألت كثيرا عن الرجل لكننى لم استطع ان اجده ، لعدم معرفتى باسمه ، وعلى اية حال فان ظهر صاحبها ، سارسله اليك ليأخذها »، وضحك الريان كثيرا ثم استطرد ، « وان لم اجـده يمكنك ان تأخذ القدور والملح ، وتكون حلالا لك ، فى السنة القادمة »، ذلك لان الريان كان يزور بلدة الناعس مرة كل سنة .

ولم تمض سنة واحدة ، بل مضت ثلاث سنوات والقدور متروكة فى ركن من المقهى ، وكان الريان عندما يزور الناعس يضحك ويقول له ، « يارجل ابعث بالقدور الى بيتك وخذ الملح »، لكن الناعس كان يضحك بدوره ويقول ، « حين احتاج الى الملح سآخذه » .

وذات يوم ارسلت زوجة الناعس ابنته الصغيرة اليه ، واقتربت منه وهمست فى اذنه ، « ان امى تريد شيئا من النقود لتشترى ملحا » ، فتذكر القدور ، فقال لها ، خذى قدرا من هذه القدور الى المنزل ، فهى مليئة بالملح » .

فحملت البنت قدرا من القدور واخذتها الى البيت ، وهناك فتحت لها القدر لتأخذ الملح ، فاذهلها ان تجد القدر مليئة بالذهب ، فأسرعت بالذهاب الى مقهى زوجها ، فاندهش الناعس لقدوم زوجته ، ونادته الزوجة ليقوم اليها،لكنه رفض وقال متكاسلا لها ، « اقتربى منى واخبرينى بسبب حضورك »، فهزت الزوجة راسها واشارت اليه ان يتقدم منها، لكنه رفض وطلب منها ان تقترب منه ، فاقتربت وهمست فى اذنه قائلة،

« أتعرف ماذا حدث ؟ لقد وجدت القدر التى أرسلتها الي مع ابنتنا مليئة بالذهب »، فصرخ الناعس ،« غير معقول »، وسار لاول مرة منذ سبع سنوات الي ركن المقهى حيث توجد الست قدور ، واخذوا القدور الى المنزل .

كان الناعس كريما ، فاستأجر حانوتين مجاورين لمقهاه ، وافتتح الناعس مطعما ، وكتب على لافتة المطعم ،« من معه نقود ياكل ومن ليس معه ياكل ، مال الله ، يأكله عباد الله »، فاخذ الفقراء يجيئون الى مطعم الناعس ويأكلون مجانا دون ان يدفعوا شيئا ، والناعس ياخذ من القدور ويحسن الى الفقراء .

ومضت الايام وجاء الربان صديقه يزوره ، فاحتضنه الناعس،وساله الربان ، « من أين لك هذه الاموال يا صاحبى ؟ »، فرد الناعس ضاحكا، « والله انت السبب »، وحكى له حكاية القدور ، وتصادف أن سمعهم أحد زبائن المقهى ، وهو رجل اشيب الشعر ومن بلدة البخيل ، فصاح، « والله عرفت السر »، وقص عليهم قصة لم يسمعوها من قبل ، فقد كانت بلدة البخيل بعيدة ، وحكى لهم عن موت البخيل وانتقاد زوجته للقدور ، ورحيل المركب قبل أن تذهب اليها الزوجة ، عند ذلك قال الناعس ،« على ان ارد ما بقى من المال الى زوجة الرجل وابنه » ، فقال الرجل العجوز ،« لقد ماتت المراة وابنها منذ سنوات »، فقال الربان للناعس ،« ان المال مالك ، حلال لك »، فقال العجوز ،« اخدم يا الناعس للناعس »، وصارت مثلا .

الذئب والقنفد

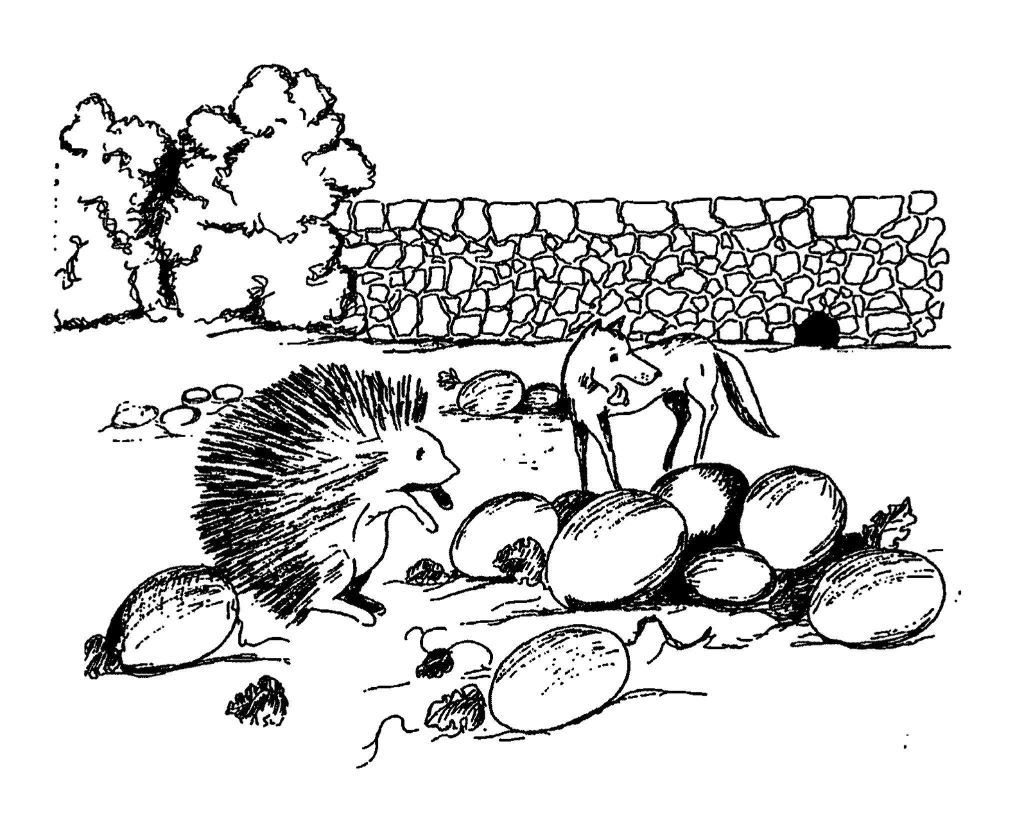
كان الذئب والقنفد صديقين بالرغم من اختلاف طباعهما ، فالذئب طماع جشع وغدار ، والقنفد ذكـي واسـع الحيلـة ، وكان كل منهما يعيش فى غار تحت الارض بجانب الاخـر .

وفـى يوم اتفق الذئب مع القنفد أن يتعاونا سويـا فـى الصيد والحصول على رزقهما ، فذهب القنفد الى أولاد كانوا يرعون الغنم : فامسكوا به وبدأوا يلعبون معه ، وانشغلوا بذلـك ، فأتى الذئـب واختطف خروفا وفر به ، وحين ادرك الاولاد ما حدث رموا القنفـد وضربوه بالاحجار ، لانه كان السبب فيما حدث .

وذهب القنفد وعظامه توجعه الى الذئب الذى كان قد وضع الخروف امامه ، وقد سال لعابه ، وسأل الذئب ان يعطيه شيئا من اللحـم ، لانه لو لم يله الرعاة ويلاعبهم لما استطاع الذئب ان يخطف الخروف، لكن الذئب الجشع رفض أن يعطى القنفد شيئا من اللحم ، فطلب القنفد مصرانا من مصارين الخروف ، فاعطاه الذئب المصران .

فأخذ القنفد المصران ونفخه ، ووقف خلف شجرة واخذ يضرب بيده على المصران المنفوخ فأحدث صوتا شبيها بضربـات الاقـدام ، وصرخ القنفد وقال ، « اننى لم آكل شيئا وليس لى دخل فى الامـر فالذئب هو الذى خطف الخروف ، وهاهو الذئب يأكله هناك خلـف الشجـرة ، حرام عليكم اتركوني أنا لم افعل شيئا » ، ومضـى يصرخ، فخاف الذئب وهرب، فذهب القنفذ وأكل من الخروف حتى شبع.

وحين رجـع الى جحـره ، اخبره الذئب ان الرعـاة أمسكـوا به وضربوه ضربا مبرحا ، فقال الذئب ، « نعم لقد سمعتك وأنـت



وكان للبستان سورعال ، وفي أسفل السور (ثقبا) صغيرا لقناة تروى البستان..

ترشدهم الى مكانى ولو لم اهرب لامسكونى انا الاخر »، وسأل الذئب التنفد ان يخرجا سويا للصيد مرة أخرى فرفض التنفد وانب الذئب على جشعه ، لكن الذئب اقسم على التوبة .

ومضت أيام ، وتصالحا وخرجا سويا مرة اخرى للصيد ، وفى الطريق وجدا بستانا مليئا بالبطيخ ، وكان للبستان سور عال ، وفى اسفل السور ثقبا صغيراً لقناة تروى البستان ، فدخل الذئب والتنفد من هذا الثقب ، وقال التنفد للذئب ينصحه ، « لا تأكل كثيرا حتى لا تنتفخ بطنك فلا تستطيع أن تخرج من الثقب ، وكان البطيخ لذيذ الطعم حلوا ، فأكل التنفذ منه ولكنه كان حريصا بين الحين والحين على الذهاب الى المخرج الثقب ليتأكد من عدم انتفاخ بطنه وقدرته على الخروج بسهولة . أما الذئب فقد كان طماعا ، فاكل كثيرا ولم يقلد التنفد او عمل حتى بنصائحه ، وحين شبع الذئب أراد الخروج ، لكن بطنه المنتفخة لم تسمح له بالمرور من الثقب »، أما التنفد فقد امكنه ان يخرج ، عندئذ صرخ الذئب ،« يا اخى التنفد ماذا أفعل ؟ دبر لى حيلة ، فان بقيت هنا حتى الصباح سيجيء صاحب البستان ويقتلنى حين يراني ويدرك اننى اكلت من البطيخ » ، فاخذ التنفد يفكر ، ثم قال للذئب ، « عليك أن تتظاهر بالموت، تمدد على الارض ، وان ضربك صاحب البستان ، فتحمل واياك ان تتحرك ، عندئذ سيرميك خارج البستان خوفا من تعفن جثتك » ، فشكره الذئب .

وفى الصباح، حين جاء صاحب البستان ، تمدد الذئب على الارض وتظاهر بالموت ، فلكزه صاحب البستان بالفاس ، فآلمت الذئب اللكزة ، لكنه تحملها ولم يتحرك ، فامسكه صاحب البستان من ذيله ورماه خارج السور تماما كما قال التنفد .

وخرجا سويا مرة اخرى ، وبينما هما فى طريقهما ، وجدا مطمورة فول ،« مخزن للفول على هيئة بئر مملوءة بالفول »، وكانت هناك سلة كبيرة تستخدم لاخراج الفول ، ونزل التنفد فى المطمورة وادلى الذئب له السلة ، واخذ التنفد يملاها ، فيخرجها الذئب ، واكل الذئب حتى شبع أما التنفد فلم يأكل شيئا لانه كان منهمكا فى ملء السلة بالفول ، وفجاة نظر الذئب من اعلى فوهة المطمورة وتسال

القنفد ، « سامحني ياصديقي لانني مستعجل ، وساتركك هنا في مطمورة الفول » ، فرجاه القنفد أن يخرجه من المطمورة ، لكن الذئب لم يرض ، واخذ يضحك ، عندئذ قال له القنفد ، « فلتفعل ما تشاء يا اخي فهذا أمر الله كتب على ، لكنك تعرف ان عندي أطفالا تتاقد صغارا فكل ما ارجوه منك ان تعطي صغارى ملء سلة من الفول وسأملا السلة الان ، فوافق الذئب ، وانهمك القنفد في العمل وملا السلة لصغاره ، واخرج الذئب السلة ممتلئة بالفول ، وحملهاالي البيت ، وكان القنفد قد وضع نفسه في السلة وتغطى بالفول ، فأخرج راسه وسأل الذئب ، « لماذا أردت ان تتركني في المطمورة ياعمى الذئب ؟»، ففزع الذئب من المفاجأة ، وتقفز مرتعبا ، فوقعت السلة على الارض وانتشر الفول في كل مكان ، فأخذ القنفد يجمع الفول ويضعه في السلة ، ومضى يؤنب الذئب ، فاعتذر الذئب للقنفد بأنه كان يضحك معه ويلاعبه ، وانه كان في نيته ان يعود اليه ليخرجه ، واخذ يساعده في جمع الفول .

وعلى حين بغتة سمعا زئير الاسد ، ونظرا فوجدا ملك الغاب يتقدم مكشرا عن أنيابه ، ينوى افتراسهما ، فارتعش الذئب واصطكت ركبتاه ، وتهاوى على الارض من هول المفاجأة ، وتوسل الى القنفد ان ينقده وسأله ، « أليس لديك حيلة تنقذنا وتحفظ أرواحنا ؟»، فأجاب القنفد ،« لدى حيلة واحدة وانت ؟ »، فقال الذئب ، « لدى مائة حيلة لكنها جميعها لا تنفع في الوقت الحاضر»، فأجاب القنفد ، « ان لدى حيلة واحدة نافعة » ، وكان الاسد يتقدم والارض تهتز تحت اقدامه ، فاستجمع القنفد كل ما لديه من الشجاعة وأسرع يجرى نحو الاسد ، فتمهل ملك الغاب غير مصدق عينيه ، لكن القنفد تقدم حتى أصبح امامه ، وامسك بيد الاسد وقبلها وقال له، « صباح الخير ياملك الوحوش ، ناشدتك الله أن تحكم بيني وبين الذئب » ، وكان السبع قد نوى أن يأكل الاثنين ، وبما أنه يعرف انهما لا يستطيعان الافلات منه ، فقد تمهل ليستمتع بالفريسة وسأل، « وماهي المشكلة يا قنفد ؟»، فأجاب القنفد ،« ان لدى أولادا كثيرون، ولدى الذئب اولادا كثيرون ايضا ، ونحن نعيش معا في غباريين متجاورين ، وقد اختلطت أولادى مع اولاد الذئب ، وقد أصبحنا الان نواجه مشكلة ، فأنا لا اعرف أولادى من أولاد الذئب ، والذئب يقول

ان اكثرهم أولاده ، فلو تفضلت وحكمت بيننا بأن تجعل أولاد الذئب فى ناحية واولادى فى ناحية أخرى فاننا سنرتاح » ، نفرح الاسد وقال لنفسه ، لاذهب معهما وآكلهم جميعا مع أولادهم ، فوافق الاســـد أن يقوم بدور الحكم ليفصل فى النزاع .

وحين وصلوا الى الغار قال القنفد للذئب ، « ادخل الى غارك وهات ما عندك من الاولاد » ، فدخل الذئب الغار ، غير مصدق انه نجــا من الاسد بحيلة القنفد الواحدة .

ووقف القنفد مع الاسد ينتظران الذئب ، ومضى وقت ، ولــم يعد الذئب بالطبع ، فتســاءل الاسـد ،« لماذا غاب الذئب ؟ »، فقال القنفد ، « لتسمح لى يا مولاى ان ادخل وراءه لاننى اخاف ان يخبىء بعضا من أولادى » ، فاستحثه الاسد ان يســرع ويخــرج الاولاد جميعهم ، فأجاب القنفد ، « سمعا وطاعة يامولاى » ، ودخل الغار، ووقف الاسد ينتظر ، وغاب القنفد كثيرا ، فنادى الاسد الذئب والقنفد ليسرعا ويخرجا الاولاد ، فأجاب القنفد من داخل الغار ، « مــولاى الاسد فلتسمح لنا ، فقد عرفه كل منا أولاده ، أولادى لهم شوك واولاد الذئب ليس لهم شوك وقد انتهت المشكلة ولا داعى لاتعابك يامولاى، نشكرك يا مولاى » ، فزأر الاسد غاضبا وانصرف .

أولاد الحاكم افلاطون

تتضمن هذه الحكاية بعض الاشعار ، لكنها لا تروى بالشعر ، وأصلها حكاية خرافية نمقها الخيال الشعبى الجميل ، ونسبها الى الحاكم افلاطون ، وقال انه من « الرتوت » ويبدأ انشادها هكذا :

ما الحاكم من الرتوت ،

نهار مرض وبغى يموت ، « يوم مرض واحس بالموت يقترب منه »
عيط على ولاده من لبيوت ، « نادى أولاده من غرفهم »
قال ليهم ها بيت الخزين ، « قال لهم هذا مخزن الطعام فى الدار »
اللى يحله سخطي عليه ،« من يفتحه (مخزن الطعام) العنه »

لكننا نحب ان نعرف الحكاية ، فهى تقول :

كان فى قديم الزمان حاكم اسمه افلاطون ، اعطاه الله ثلاثة أولاد ، الاكبر حفظ القرآن ، وتبحر فى علوم الدين ، وأصبح فقيها مثل ابيه ، والاوسط تاجر يبيع ويشترى ويربح ، فيه كل صفات التجار الحسنة والسيئة ، وصار غنيا ، والاصغر ، وكان فى صغره ذكيا وطيب القلب ومحبوبا، لكنه حين اصبح شابا التف حوله أصدقاء السوء ، واصبح لاهيا عابثا ، وكان يدخن المخدرات ولا يهتم بشيء فى الدنيا .

ومرض الاب واحس بانه سيموت ، فنادى اولاده الثلاثة وقال لهم ، « لقد تركت لكم الكثير من الاموال ، فاقتسموها ، وستجدون فى وسط هذه الدار غرفة ، وهي موصدة ، فاياكم أن تفتحوها او تدخلوها، ومن يفعل هذا فانني العنه واسخط عليه » ، وما أن لفظ هذه الكلمات حتى مات ..

يقــول الشــاعــر :
اللــى يحلــه سخطــى عليــه ،
ما هو ولدى ما نرض عليه ، « ليس ولدى ولا أرضى عنه »
وصــى ولــده ذاك الفقيــه ،

ودفن الابناء آباهم ، وعادوا الى دارهم وقسموا أمواله الوفيرة ، واخذ الفقيه الابن الاكبر نصيبه واقتصد وعاش ميسور الحال ، واحبه الناس واحترموه ، اما التاجر فقد زاد ماله بما ورث ، فنمّى تجارته وكسب واغتنى : واصبح من أكثر التجار ثراء وجاها ، اما الابن الصغير فقد سار فى طريق الفساد ، يشرب ويسكر ، ويدخن المخدرات ويخالط اصدقاء يدفعونه الى الهاوية .

ولم تمض ثلاث سنوات حتى كان الابن الاصغر قد بدد كل امواله التى ورثها من ابيه ، واصبح صعلوكا ، مقطع الثياب ، متسخا ، لا يملك شيئا ، فكان يذهب الى اخويه ، فاحيانا يعطيانه بعض المال ، فيبدده فى الشراب والمخدرات والفساد، واحيانا يطردانه ، فقد سئما وتضايقا من فساده ، وحاولا اصلاحه ومساعدته مرات كثيرة دون فائدة، ثم اصيب بالقــرع ، فاصبــح اقــرع .
ومات أبوهم وهزوه ، « حملوه »
ورجع الاقرع عند اخوه ،
ارى الورث نفرقوه ، « اريد الميراث لنقتسمه »
فرقوا المال بلا عداد ، « بلا عداد : بلا عدد »
ها القرع شرع فى الفساد ،
والتاجر ارى مالــه ازداد ،
والفقيه مــن الصــالحين ،

وذات يوم حين ازدادت حالته سوءا ، فذهب الى اخيه التاجر وقال له، « ان ابى قد ترك غرفة فى وسط الدار ، فهيا لنفتحها ، فربما كان فيها شىء من المال ، وانا محتاج اليوم ، فان كنتما انت واخى الفقيه من الاغنياء ، فانا فقيــر » ، فغضب التاجر وصاح به يزجره وينهــاه مذكرا اياه ان اباهم قد حذرهم من فتح هذه الغرفة ، وان من فتحها فعليه اللعنة وسينال سخط الاب ، فلم يهتم الاقرع ، وقال فى غير مبالاة ، « فلاتحمل انا مسؤولية فتح الغرفة واصبح ملعونــا ومسخوط

الوالدين »، فصحبه التاجر وذهبا الى اخيهما الفقيه ، فحذره الفقيه من سخط الوالدين ، فلم يسمع وقال لهما : « والله ان لم تجيئا معي فساذهب بمفردي وافتح الغرفة وآخذ ما فيها »، فاضطرا ازاء تهديده ان يذهبا معه ، وفتح الاقرع الغرفة ودخل التاجر والفقيه مترددين ، ودهشوا جميعا ، فقد كانت الغرفة خالية تماما ، رطبة الجو ، تنضح جدرانها ماء ، وعلى ارضها الكثير من المياه الآسنة وليس بها شيء ، ونظر الابن الاصغر هنا وهناك ، فابصر في السقف قفة معلقة ، فصاح ، « هنا الكنز ، هنا الكنز » ، وانزلوا القفة ، فوجدوا فيها عمامة من القماش الرقيق قديمة و (هيدورة) فروة خروف كاملة ، وقصبة صغيرة للتدخين ، جديدة وفي حالة حسنة.

وجه يكمسى ما صابشى ، « اراد ان يدخن فلم يجد ثمن الدخان »

الاقرع تعب في كل شيء ، « قاسى كثيــرا »

رجع لاخــوته بالمشــى ،

وقال لهم انا كانحب ،

تمشــوا معــايــا بالغصب ،

راه البيت معمر بالذهب ، « ان الغرفة مملوءة بالذهب »

قالوا له يا مسخوط بـــوه ،

زاد الاقرع والصحيـــح ، (زاد : ذهب او مشى)

ولاقو البيت كايسيح ، « وجدوا على ارض الغرفة الكثير من الماء »

الشاشية غـــاملـــة ، « العمامة بالية »

ولاقو هيدورة كاملة ، « وجدو فروة خروف كاملـــة »

والسبسى والمطوى زين ، (السبسى قصبة التدخين والمطوى كيــس يحتفظ فيه المخدر)

فصاح الفقيه « أهذا ما اردت يا مسخوط الوالدين ليس هنا شيء له قيمة ، ليتك ما فتحت الغرفة » ، فهتف الاقرع ساخرا ، « بل انها بركة الوالدين ، فلنقتسم ما وجدناه ، انت فقيه تخذ الفروة ، وانت تاجر تخــذ العمـــامة ، امـــا انا فاتركو لى السبســـى و المطـــوى ، فهذا يصلح لي وانا اصلح له ، وسادخن فيه المخدرات ، فاسمعـــوه مـــن التوبيخ والتأنيب والسب الشيء الكثيــر .



وانزلوا القفة فوجدوا فيها عمامة من القماش الرقيق قديمة، وهيدورة (فروة خروف كاملة) وقصبة صغيرة للتدخين (سبسي)

يقول الشـــاعـــر :

نفرق ليكم هذا الحبوس ، « نقسم بينكم هذا الارث »
خذ الشاشية للبوس ، « خذ العامة لتلبسها »
وخذ الهيدورة للجلوس ، « خذ الفروة للجلوس عليها »
وانا والسبسي ناضين ، « أنا وقصبة التدخين مناسبين لبعضنا »
ارى الاقرع عمت أيه ، « عمت بصيرته »

واخذ الاقرع القصبة والكيس الصغير ، « السبسى والمطوى » ، وذهب الي المقهى حيث يخالط الصعاليك أصحابه ، وحشـــا القصبـــة بالمخدر واخذ يدخن ، وحين أراد أن يرمي الرماد وقعت كرة ذهبية صغيرة من السبسى، فامسكها غير مصدق ، ودخن ونفض الرماد فوقعت كرة ذهبية صغيرة ثانية ، فانتحي ركنا بعيدا ، واخذ يدخن ، فتساقطت بدلا من الرماد كرات ذهبية صغيرة ، فباع بعضها واشترى كســـوة كاملة ، ورآه اخواه فسألاه وقد ظنا به الخير وانه قد غير طريقه المعوج في الحياة ، فاجابهما ، « كل ما حدث هو أن الله قد رزقنى » ، ولم يقل لهمـــا الســـر .

وفي يوم ذهب وجلس تحت أسوار قصر السلطان يدخن قصبته ، وتساقطت الكرات الذهبية بدلا من الرماد ، فرأته الاميرة بنت السلطان فدهشت واسرعت وارسلت اليه جاريتها لتناديه ، فذهبت اليه وقالت ، « تعالى كلم اللالة » فدخل القصر .

ويقـــول الشـــاعـــر :

مشى المشور وضل فيه ، « مشى في المشور وهو مكان متسع أمام القصـر وبقى فيه »
بنت السلطان تشوف فيه ، « تنظر اليـــه »
داير يكمى وريوكه سايلين ، « مضى يدخن وقد سال لعابه »
عيطت للخادم مسعدة ، « نادت للخادم ، مسعدة »
قالت لها هذا احكيم الفايدة ، « هذا حكيم ممكن نستفيد منه »
سيرى ناديه يا مسعدة ،
قالت له تكلـــم اللالـــة ،
بنت السلطان بها وزين ، « ذات بهاء وجمال »

وضحكت له بنت السلطان ، وكعادة النســـاء ان أردن شيئـا خدعن ، وقالت له ، « لقد اعجبتني فانت شاب جميل » ، وسألته عن سر القصبة ، وهل يتساقط الذهب منها بقدرته ام ان السر موجود فيها ، فاجابها ، « ليس لي دخل فيما تعطيه القصبة من ذهب جربى »، فتناولت القصبة ، ودخنت ، فتساقطت كرات الذهب الصغيرة بدلا من الرماد ، فطمعت وقالت له ، « هل تعطيني هذه القصبة كصـــداق لي ، وانا اتزوج بك واعطيك الف دينار ، وستذهب وتخطبني من ابى وان سالنى رايي وافقت » .

ففرح فرحا شديداً ، واخذ منها المال وانصرف ، وذهب الـــى اخيه التاجر واخبره ان لديه مالا وهو يرغب ان يشترى له التاجر بغلة وهدايا وملابس لانه سيذهب للسلطان ويخطب منه ابنته ، فحذره التاجر ، لانه لا يصح منه ان يذهب ويخطب بنت السلطان ، فهـــذا حمق ، ولن يقبل السلطان ان يزوجه ابنته ، لكن الاقرع اصر وصمم علي رايه وفكرته ، فقال التاجر لنفســه ، « آخذ منه المال واشترى له ما شاء وآخذ جزءا من المال لنفسى فهو لا يعرف الاسعار »، واشترى له التاجر ما طلبه بعد ان اخذ الكثير من المال لنفسه .

ولبس الاقرع ثيابه الجديدة ، وركب بغلته وحملها بالهدايـــا ، وذهب الى السلطان ، واثار جلبة وصاح وتشاجر مع الحراس ، فسمع السلطان ضجيجه وسأل ما الخبر ، وطلب منهم ان يحضروا من أحدث الضجيج اليه ، وعندما جاءوه به،لم يرض أن ينزل عن بغلته ، ومثل امام السلطان راكبا اياها ، فدهش السلطان وسأله ماذا تريد ، وفى وقاحة قال الاقرع ، « اريد ان أتزوج ابنتك » ،

فامر السلطان ان ينزلوه عن بغلته ، ويأخذوها بما عليها ، وان يخلعوا ثيابه ويضربوه مائة ضربة بالعصا ثم يرموه خارج الاسوار، ونفذ الحراس امر السلطان .

وظل ملقى على الارض حتى خفت آلامه وقلت اوجاعه ، وامكنه بصعوبة أن يقوم ، وذهب الى اخيه التاجر ، وحكى له ما حدث ، فانبه التاجر وذكره انه قد حذره ونهاه عن الذهاب ، وخطبة ابنة السلطان ، وعالجه وسأله ، « ماذا ستفعل ؟ » ، فقال له ، « ان الضرب تلقى

فاعطنى العمامة التي اخذتها من الغرفة المقفلة فربما كان فيها بركة من بركات أبى فتشفينى » ، فوافق التاجر لتفاهة قيمتها ، وقام ليحضر له العمامة ، وذلك لأن الاقرع ظن ان فى العمامة سرا ما دامت القصبة قد تساقطت منها الكرات الذهبية .

واخذ العمامة وانصرف ، وقلبها وحكها وشدها وبحث فى نسيجها لانه لم يجد شيئا ، ويئس وظن انها عمامة قديمة عادية ، فلفها حول رأسه ومشى ، فقابل احد اصدقائه وناداه ، فظهرت الدهشة على وجه صديقه ، ونظر حوله فى كل مكان مذهولا وهتف « من ينادى ؟ »، وكان من الواضح أنه لا يراه ، فعرف الاقرع أنها طاقية الاخفاء ، من لبسها اختفى عن الانظار .

فاسرع الى بنت السلطان ، ومر امام الحراس دون ان يروه ، ودخل القصر ولم يمنعه احد وذهب الى غرفة الاميرة ، وحين أصبح امامها وهى لا تراه ، قال « مـــومـــو » كأنه قطة ، فصـــرخـــت، سأل ، « أانسى أم جنى ؟ » ، فأجابها ، « أنـــا الاقرع ابن الحـــاكم السلطـــون » ، وأرادت أن تخدعه مرة أخرى ، فضحكت وتصنعت الدلال وقالت ، « اظهر يا حبيبى فاننى اريد ان اراك » : فقال لها ، انه ذهب لابيها وحكى لها ما جرى له معه ؛ فقالت ، « سانادى ابى واجعله يعتذر اليك ويصالحك » ، وهتفت ، « لكن كيف تكلمنى وأنا لا أراك »، فخلع العمامة وظهر أمامها ؛ فاندهشت وسألته عن السر فبين لها انها طاقية الاخفاء من يلبسها يختفى عن الانظار، فسألته ،« هل استطيع ان اجربها ؟ »، فاعطاها العمامة ولبستها فلم يعد يراها امامه ، وخرجت ونادت العبيد وامرتهم ان يمسكوه ويضربوه ويرموه الى الخـــارج ، فامسك به العبيد ونفذوا ما أمرتهم به بنت السلطان .

وظل ثلاثة ايام مريضا يئن من الالام والاوجاع ويقاسى من الجوع، وقال لنفسه ، « لابد أن فروة الخروف فيها سر ».، فذهب الى اخيه الفقيه ، وطرق باب الدار ، ففتحت له الجارية ، وما أن لمحه الفقيه حتى هتف ، « ماذا بك يا اخى » ، فقد راعه ما وجده فيه من تعب ومرض وانهاك ، فرد عليه وهو يرتعش ، « اننى لم آكل منذ ثلاثـــة ايام » ، فأمر ، فاحضروا له أصنافا من الطعام واعطاه كسوة ، وقال له الاقرع ، « الحق يا اخى لقد انهكنى المرض ، فاردت أن أنام فوق

الفروة التي اخذتها من الغرفة المغلقة ، فربما كانت بها بركة من بركات ابى ، ان نمت عليها شفتني »، فاحضر له الفقيه الفروة واعطاها له ، فأخذها ومشي ، وبعد ذلك اخذ يقلبها ويتفحصها فلم يجد فيها شيئا غير عادى ، فيئس وغضب وحزن ، وقال ، « لا فائدة من الفروة »، عندئذ هداه الله وقال لنفسه ، « ان ابى كان فقيها يصلى عليها ، فماذا لو قمت وتوضأت وصليت ركعتين لله ، وابتهلت اليه تعالى ، ان يشفينى ويهدينى سواء السبيل »، وقام وتوضأ ووقف فوق الفروة وبدا بالصلاة وصاح :« الله اكبر »، وما ان انتهى من التكبيرة الاولى حتى ظهر امامه عفريت ، انحنى له وقبل الارض وقال :

اطلب منى ما تشاء احققه لك
فانني طوع امرك ، اجيب رغبتك
ما تريد يكون بين يديك
مال الشرق يجيء لك ومال الغرب ياتى اليك

فقال للعفريت :« خذني عند بنت الملك » ، فطارت فروة الخروف وعليها الاقرع ووجد نفسه فى غرفة بنت السلطان ، وحين راته مضت فى خدأعه مرة ثالثة ، فهتفت متصنعة الفرح ، « يا حبيب القلب ، اخيرا جئت يا حبيبى ، لكن كيف جئت ؟ »، فاجابها :« وقفت على هذه الفروة وصحت ، « الله اكبر » فظهر العفريت خادمها وانحنى وقبل الارض وطلب منى ان ابدى له اى رغبة فيحققها فى الحال ، فسالته ان ان يحضرني اليك » ، فقالت له ، « غير معقول » ، وابتسمت له ووقفت فوق الفورة وصاحت :« الله اكبر » فظهر العفريت وانحني لها وقبل الارض وقال :

اطلبى ما تشائين احققه لك
فاننى طوع امرك اجيب رغبتك
ما تريدين ، يكون بين يديك
مال الشرق يجيء لك ومال الغرب يأتى اليك

فقالت للعفريت « خذ هذا الاقرع وارمه بعيدا فى ربع الدنيا المهجور »، فوجد الاقرع نفسه فى صحراء واسعة قفراء ، موحشة كئيبة ، حيث لا شيء امامه على الاطلاق ، ومر يوم ويومان ، وفى اليوم

الثالث ، ابصر الاقرع ثلاث حمامات ، اقبلن طائرات فى الهواء ، ونزلت الحمامة الاولى ، وما أن لمست الارض حتى تحولت الى فتاة جميلة ، ونزلت الحمامة الثانية والثالثة ، فاذا امامه ثلاث فتيات جميلات ، ابتسمن له وقبلن الارض بين يديه ، وقالت واحدة منهن ، « مولاتنا وسيدنا ، اننا مرصودات لخدمتك ، لان اباك الفقيه الصالح الحاكم افلاطون ، كان يعرفه قبل أن يموت انك ستحضر الي هذا المكان ، ومن هنا يبدا سعدك ، سناخذك الى مكان حيث الكنوز والخير ، وقد اعد لك الطريق لتسير فيه ونأخذ ما تستحقه من الدنيا » .

واستمرت فى الكلام ، وقالت : « ستأخذك اختى »» واشارت الى احدى الفتاتين وستوصلك الى قصر ، وهذا القصر مسدود وليس له باب ظاهر ، لكن در حوله ثلاث مرات وسينفتح لك بابه المختفى فادخل القصر ، وستجد شيخا كبيرا مكبلا بالاغلال والسلاسل الحديدية ، وسيسألك ، هل أنت ابن الحاكم افلاطون ؟ فاجبه ، نعم ، وسيسالك هل انت جوعان ؟ فاجبه نعم ، وسيقول لك ، كل ، وحين تنتهى من الطعام عد الى وستجدني قد مت ، فاغسل جثتى وكفني وادفني فى هذا القبر ، وسيشير الى قبر محفور امامه وسيقول ، وسيجيء اناس ليصلوا صلاة الجنازة ، وبعد الصلاة سينصرفون ، وبعد ذلك اخرج من القصر وستجد بجوار الباب حديقة فادخلها ، وتوجد هناك فى الحديقة شجرتان من اشجار التين ، واحدة فيها تين ابيض والاخرى تينها اسود، فخذ ثلاث تينات بيضاء وثلاث تينات سوداء ، ومن يأكل تينة سوداء ينبت له قرن فى راسه ، فان اكل تينة بيضاء يختفى القرن فى الحال ، واذهب الي قصر السلطان وارم التينات السوداء فى القناة التى تروى الحديقة وسياكل السلطان وزوجته وابنته التينات ، وستنبت لهم قرون، فاذهب وعالجهم بالتينات البيضاء بعد أن يعدك السلطان بالزواج من الاميرة .

وحملته الجارية ووجد نفسه أمام القصر ، الذى ليس له باب ، فدار حول القصر ثلاث مرات ، فظهر امامه فجاة باب كبير فى سور القصر فدخل منه ووجد شيخا مكبلا بالاغلال والقيود الحديدية فى يديه ورجليه ، وساله الشيخ ، « هل أنت ابن الحاكم افلاطون ؟ » فأجابه ، « نعم » ، فساله الشيخ ، « هل اخذت منك بنت السلطان

القصبة والعمامة والفروة ؟ » فأجابه ، « نعم » ، فسأله ،« وهل أنت جوعان ؟ » ، فأجابه ،« نعم »، فقال له ، ادخل هذه الغرفة وستجد الطعام ، فكل ، وحين تنتهي اخرج ، وستجدني قد مت ، فاغسل جثتي وكفني » ، واشار الى قبر محفور امامه واستطرد ، « ثم سيحضر الناس فصل معهم صلاة الجنازة ، وادفني هنا ، واخرج بعد ذلك من القصر وستجد حديقة ، فادخلها ، ان فيها شجرتين من أشجار التين ، واحدة تينها ابيض ، وواحدة تينها اسود ، ومن يأكل تينة سوداء ينبت لـه قرن في راسه ، فان اكل تينة بيضاء اختفى القرن في الحال ، وستأخذك جارية وتوصلك الى قصر الملك فارم في قناة الحديقة التينات السود ، وسيأكل الملك والملكة والاميرة التي عذبتك التينات السوداء فتنبت لهم القرون ، عندئذ يمكنك أن تشفيهم ان اعطيتهم التينات البيضاء ، واكلوها ، لكن لا تعطها لهم قبل ان يعدك السلطان بالزواج من ابنته الاميرة .

فدخل الاقرع الغرفة التى أمره الشيخ بالذهاب اليها ، فوجد مائدة عامرة بانواع الطعام ، فأكل حتى شبع ، ورجع الى الشيخ فوجده قد فارق الحياة ، فغسل جثته وكفنه ، وحضر اناس كثيرون ، وصلوا ، وصلى الاقرع معهم صلاة الجنازة ، ثم قام ودفن الشيخ في قبره المحفور، وخرج من القصر ، فوجد حديقة فيها صفين من أشجار التين ، صف اشجاره تينها اسود والآخر اشجاره تينها أبيض ، فأخذ ثلاث تينات بيضاء ، وثلاث تينات سوداء ، وجاءت اليه الجارية الثالثة ، فالاولى كلمته والثانية حملته الى القصر الذى ليس له بواب ، اما الثالثة فقد حملته على ظهرها ، ووجد نفسه فجاة امام قصر السلطان فرمي في القناة التي تروى مياهها حديقة السلطان ، الثلاث تينات السوداء ، فحملتها المياه الى داخل الحديقة ، ورآها البستانى ، وكان ميعاد نضج التين فوق أشجاره لم يأت بعد ، بل بقيت له ثلاثة اشهر لينضج ويوجد ، ففرح البستانى بالتينات الثلاث السوداء التى وجدها في غير اوانهـا وميعادها فأخذها بسرعة الى السلطان .

فأكل السلطان واحدة ، واعطى تينة لزوجته فأكلتها ، وتينة لابنته ، وفي صباح اليوم التالى نبت للسلطان قرن في راسه ، ونبت

لكل من زوجته وابنته قرن فى راسها ، فاحضروا الاطباء ، لكن احدا منهم لم يستطع ان يشفيهم أو يزيل القرون من رؤوسهم .

فلبس الاقرع عمامة ، وذهب الى القصر وادعي انه يستطيع ان يداويهم ، فاخذه الحراس آلى السلطان فى الحال ، ولما مثل امامه ، قبل الارض بين يديه ، وقال ، « يمكننى ان اشفيك انت والملكة والاميرة يامولاى » ، فاجابه السلطان فرحا ، « ان فعلت أعطيك ما تشاء واحقق ان اية رغبة تبديهـا » ، فقال الاقرع ، « لى رغبة وحيدة يا مولاى ، ان تزوجنى الاميرة » ، فوعد السلطان بذلك ، فاعطاهم الثلاث تينات البيضاء ، واكلوها ، واختفت القرون من رؤوسهم فى الحال ، ففرحوا بالشفاء ، وحكى الاقرع السلطان قصته من أولها ، فتعجب السلطان من أمره ؛ ونفذ وعده ، وزوجه الاميرة وعاشوا سعداء .

كل يغني على ليلاه

استيقظ الرجل من النوم مبكرا وصلى الفجر ، وذهب الى الحمام، ورجع الى داره قبل ان تشرق الشمس ، وبينما هو يهم بدخول الدار قابل مالكها ، واتفق أن كان اليوم لول الشهر ، وبادره صاحب الدار بقوله ، « صباح الخير » ، ولم يقل كلمة غيرها ، لكن الرجل عندما راى صاحب الدار ظن أنه قد جاء ليطالبه بالايجار ، طاف بذهنه كل هـذا، فاجاب صاحب الدار ، « ما أن تمضى ساعة من النهار حتى أحضر اليك الدراهم ، نعم ساحضرها لك » . ودخل الرجل الى داره ، وكانت زوجته جالسة تفكر فى حاجتها الى غطاء لراسها « سبنية »، فحكى لها الرجل ما حدث وهي شاردة الذهن وقال ،« لقد قابلنى صاحب الدار وقلت له ما أن تمضى ساعة من النهار حتي احضر اليك الدراهم ، نعم سأحضرها، لـك » فلم تنتبه الزوجة الا لكلمة سأحضرها لك ، فظنت وهى التـى كانت تفكر فى غطاء راسها ، أن زوجها سيحضر لها الغطاء ، فأجابته، « احضرها سوداء او حمراء ، المهم ان اغطى بها راسى » ، تقصد لون « السبنية » غطاء الراس . وبعد لحظات ، جاءت الابنة ، وكانت شابة حسناء تأخر زواجها قليلا ، وكانت تفكر فى الزوج المقبل ، والخاطـب المنتظـر .

وحكت لها امها ، ان اباها سيحضر لها غطاء راس ، وسيأتى به اليها ، فهيء للابنة التى كانت تفكر فى الزواج أن اباها سيأتى لها بزوج، وسيحضر لها خطيبا ، فأجابت، ،« آن آتى بشريف « تقصد رجلا من نسل الرسول ، او برجل من عامة الناس سارضى به زوجا » .

وبعد قليل دخلت الفتاة الى مطبخ الدار حيـث كانـت الخادمـة تجهز الطعام وقد انتهت من اعداد الخضر ، وتنتظر أن يحضروا لهـا



وبادره صاحب الدار بقوله « صباح الخير، فظن أنه جاء ليطالبه بالايجار.
فأجابه، ما أن تمضي ساعة من النهار حتى أحضر اليك الدراهم.

اللحم ، وقد ذهب خادم ليأتى به ، فقالت لها الفتاة ، « ان أبى سباتى الى بعريس وسيحضره معه بعد قليل ، ولست أعرف ان كان شريفا أم لا »، لكن الخادمة قاطعتها ولم تنتبه الا لكلمات «سيحضره بعد قليل»، وكانت تفكر فى أن يحضروا لها اللحم الذى تنتظره منذ ساعة ولم يأتوا به اليها بعد ، فقالت ،« يحضروا لى لحم بقر ، أو لحم غنم ، سأطبخه اين هو اللحم لقد تأخروا » .

المقدر والمكتوب

كان الرجل يعمل تاجرا ، ولم يكن عنده من الابناء سوى ولـــد وحيد ، يحبه ويعتنى به عناية شديدة .

وذات يوم احضر التاجر لابنه كتابا فيه لغة الطيور ، وطلب منه ان يحفظ لغة الطيور ، ووعده ان حفظ الكتاب أن يأخذه معه فى رحلته المقبلة ، فجد الولد واجتهد وحفظ لغة الطيور وعرفها معرفـــة جيـــدة .

ولمـــا حـــان ميعاد سفر الاب أراد ان يصحب ابنه معه ، لكن الام عارضت لان الاب سيسافر لبلاد بعيدة ، وسيغيب مدة طويلة ، فقال لها الرجل انه وعد ابنه ولا يستطيع ان ينقض بوعده .

وسافرا ، ومضت أيام كثيرة ، وذات يوم بينما كانا يسيران فى الصحراء ، اذا بغرابين يقفان قريبا منهما ويتكلمان بلغة الغربان ، فسأل الاب ابنه ،« ماذا يقول الغراب لصاحبه ؟» فأشاح الابن بوجهه وصمت ، ولم يرد على ابيه ، لكن الاب اصر على معرفة حديث الغربـــان ، فقال له الابن »، ان هذا الغراب يقول للاخر ، اننى سأصبح سلطانا وستكون أنت خادمـــا عنـــدى » .

ومشت القافلة فى طريقها ، وتضايق الاب مما سمعه من ولده واصابته الهموم والاحزان ، فدبر خطة ونوى امرا ، فبعد ايام حين وصلوا الى شاطىء البحر ، احضر الاب صندوقا ووضع فيه ابنه ورماه فى البحر حتى لا يكون سلطانا ويصبح هو خادما عنـــده .

وحين رجع التاجر بعد مدة طويلة من رحلته ، أخبـر زوجته أن ابنهما قد مات أثناء السفر ، فحزنت الام حزنا شديدا .

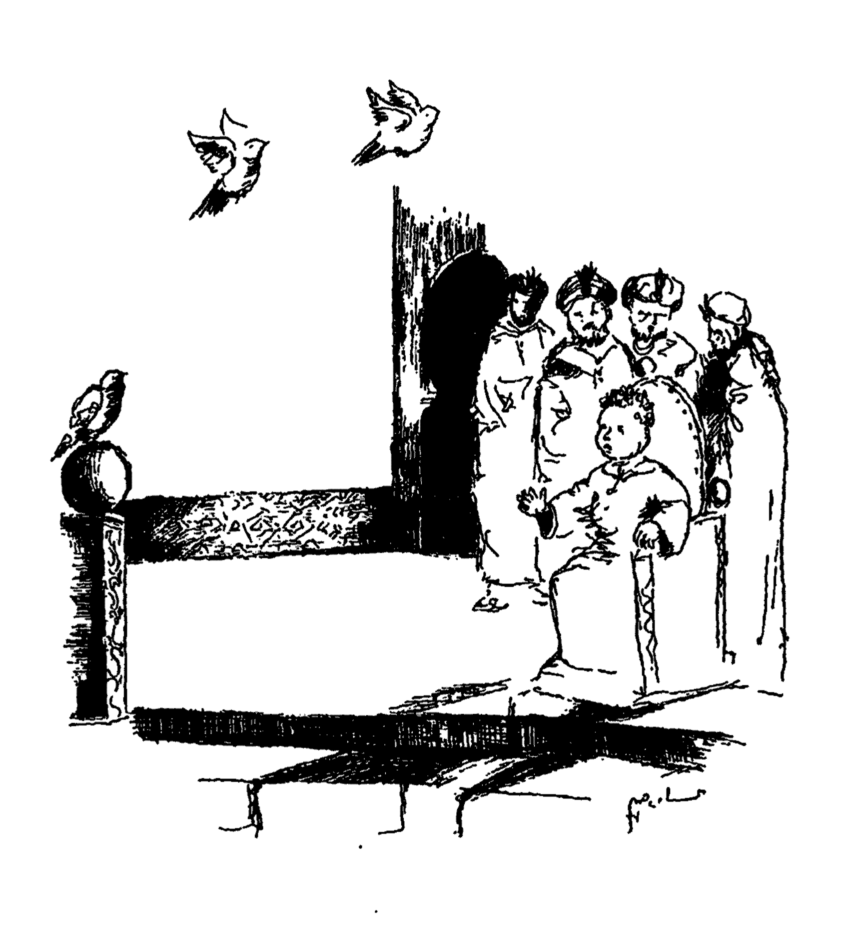
أما الولد فقد ظل داخل الصندوق ، تتقاذفه الامواج حتى رمته على شاطىء جزيرة بعيدة فى البحر .

وكان لهذه الجزيرة سلطان حدثت له احداث غريبة منذ اربعين يوما قبل أن تقذف الامواج بالصندوق الى جزيرته ، ذلك أنه جاءت اليه ثلاث حمامات ، ووقفت امامه وكلمته بلغة الحمام كلاما كثيرا ، فقال لها السلطان تعالوا فى الغد ، لانه لم يفهم شيئا من كلامها ، وكان أهل الجزيرة كلهم لا يعرفون لغة الحمام، وقد غضب السلطان غضبـا شديدا لانه لم يعرف ماذا يريد الحمـام .

وكان السلطان يستدعى رجلا من اهل الجزيرة كل يوم ويسأله، ماذا يقصد الحمام وماذا يقول ؟ ، فلا يعرف الرجل كيف يجيب السلطان لجهله بلغة الحمام ، فيصدر السلطان أمرا بموته ، ويصلون عليـه صلاة الجنازة ، لكن السلطان كان يؤجل تنفيذ الحكم مؤقتا . ويجيء بشخص آخر ويسأله ، فلا يعرف لغة الحمام ، فيصدر حكما بموتـه ويعتبر الرجل نفسه ميتا ، وهكذا أصبح اهل الجزيرة كلهم فى عداد الموتى وهم احياء ، ولم يبق الا شخص واحد ليسأل .

وفى هذا اليوم قذفت أمواج البحر الى شاطىء الجزيرة بالصندوق فانتشلوه واخرجوا الولد منه وسألوه ، « أ انسى أنت أم جنـي ؟ »، فأجابهم ، « انا انسى »، وحكوا له حكاية الحمامات الثلاث ، وقالوا ، اننا كلنا اموات ، فالسلطان سينفذ فينا الحكم بالموت جميعا فى الغد »، فطلب الغلام أن يذهبوا به الى السلطـان .

وفى الصباح جاءت الحمامات الثلاث وانحنت وحيت السطـان وكلمته ، فخاطبها الغلام بلغتها ، وظل يتكلم معها وفهم مشكلتهـا ، فسأله السلطان ،« ماذا يقول الحمام ؟ »، فطلب الغلام من السلطان أن ينزل عن العرش اذا أراد الجواب ، فنزل السلطان عن العرش فقال له الغلام ، « ان الحمامات الثلاث ذكران اولاد عم وأنثى ، وكل من الذكرين يحب الحمامة الانثى ، ويريد أن يتزوجها ، وقد سألاني أن احكم بينهما ، فانتظر قليلا يا مولاى حتى اصدر حكمـي » .



فطلب الغلام من السلطان أن ينزل عن العرش اذا أراد الجواب وأخذ الغلام يكلم الحمام

واخذ الغلام يكلم الحمام ، والحمام يكلمه ، وبعد مدة من الزمن ذهبت حمامة الى ناحية اليمين ، وحمامة الى ناحية اليسار ، ووقفت حمامة بينهما فى الوسط ، واخذت هذه الحمامة تنظر تارة الي اليمين وتارة الي اليسار ، ثم سارت الى اليمين وطارت مع الحمامة الواقفة هناك ، وبقيت حمامة واحدة ناحية اليسار ، فخاطبها الغلام بلغة الحمام ، فبكت بكاء كثيرا ، وردت عليه ، وتكلمت معه ، لكن الغلام قال لها فى حزن كلاما بلغتها لم يفهمه احد ، فطارت فى اتجاه مخالف لناحية التى طارت اليها الحمامتان .

فاندهش الملك واهل الجزيرة كلهم ، وسال الملك الغلام ان يشرح له ما حدث بينه وبين الحمام ، ولماذا طارت الحمامتان وبكت الحمامة ، فاجاب الغلام ، « لقد حكمت أن يقف كل ذكر من الحمام فى ناحية ، لان كلا منهما يحب الحمامة ، وقال لى أنه يحبها اكثر من ابن عمه ، وسالت الحمامة الانثى ان تقف فى الوسط ، وان تختار من تحبه وترغب فيه ، لان هذا هو المهم ، حب الانثي ، فلا يكفى حب الذكر ، فاختارت احدهما واتجهت الي ناحيته ، وطارت معه ، فقلت للآخر ، أن الانثي اختارت ابن عمه ، فأجابني « اننى ساظل احبها الى أن اموت » ، فقلت له ، هذا لايهم ، انها تحب غيرك ، وعليك ان تذهب الي بلاد بعيدة عن بلادها ، وليس لك الا ان ترحل ، فبكى وطار فى اتجاه مخالف ؛ وقد قسوت عليه فى الكلام حتى ينسى حبه ، فاجلس السلطان الغلام على العرش وقال له ، « ستصبح انت السلطان وانا وزيرك » ، وعاش اهل الجزيرة فرحين بسلطانهم الجديد .

أما التاجر الاب ، فقد خسرت تجارته ، وفقد ماله ، وساءت به الاحوال حتى أصبح فقيراً وهاجر من بلدته مرة ومرات ، حتى رمت به المقادير الى تلك الجزيرة ، فاشتغل هو وزوجته كخدم فى قصر السلطان .

وفى يوم ماتت طباخة السلطان ، وعينت امه طباخة فى القصر ، كل ذلك دون أن يعرف السلطان ان اباه وامه يخدمان عنده فى القصر ، وفى ذلك اليوم قدموا الطعام للسلطان ، وكان اول طعام تطبخه امه ، وذاق الطعام وتذكر طعام امه ، وسال ، « من طبخ الطعام ؟ » ، فاجابوه ، طباخة جديدة ، فطلب ان يجيئوا بها اليه ، فاحضروها ،

وتبلت ارض بين يديه ، نعرفها لكنها لم تعرفه ، ولم يقل لها انها امه، وسألها ، « اين زوجك » ، فاجابت ، « يخدم هنا معى فى القصر يا مولاى » ، فسألها ، « اليس عندك اولاد ؟ » ، نقالت ، « كان عندى ولد ذكى وجميل ، وكان يعرف لغة الطيور لكنه رحل مع ابيه ومات اثناء السفر » .

فأمر ان يحضروا زوجها ، وساله وطلب منه ان يقول الصدق ويخبره بما حدث لابنه ، فبكى الاب ، وحكى حكاية الغراب ، وكيف خاف ان يصبح خادما عند ابنه الذى سيصير سلطانا ، ولذلك وضعه فى صندوق ورماه فى البحر ، فقال الابن السلطان ، « أننى يا ابى ابنك وقد رمانى الموج الى شاطىء هذه الجزيرة » ، وحكى له حكاية الحمامات وما حدث له وتوليه العرش ، وقال هذا هو القدر والمكتوب ، لا نقدر على منعه أبدا .

الحمقى الثلاثة

كان ثلاثة من الحمقى متزوجين من ثلاث نساء حمقاوات كذلك ، ودورهم تجاور بعضها، وقد اعتاد الرجال ان يجلسوا امام دار واحد منهم ، وهى تقع على ناصية الطريق .

وفى يوم كان الملك يزور احد اصدقائه وهو فى مرض الموت ، فمر امام الحمقى الثلاثة وهم جالسون وقال لهم :« السلام عليكم »، فوقفوا تأدبا وردوا السلام بأحسن منه ، وبعد ان مشى الملك قال احدهم « أعرفتما من هذا ؟» فأجاباه :« انه ملك البلاد »، فقال مفتخراً « لقد حيانى وقال لى السلام عليكم » فقال له احد صاحبيه :« لا، ياصديقى »، ان الملك حيانى انا واقرانى السلام »، فصاح الثالث متعجبا :« والله ان الملك لم يحيك انت ولا هو بل قصدنى أنا بتحيته وسلامه »، وتشاجروا ، وكل منهم يقول ان الملك خصه بسلامه وتحيته، وافترقوا غاضبين، ورجع كل منهم الى داره وحكى ما حدث لزوجته ، فأيدته فى رأيه بأن الملك كان يعنيه بالتحية .

وفى الليل كانت الزوجات تصعدن الى سطوح الدور وتتجاذبن الاحاديث لتأتنسن ببعضهن ، اما فى هذه الليلة فقد اخذت كل زوجة تؤنب الاخرى على سلوك زوجها وتقول :« ان الملك حيا زوجى أنا ، واقراه السلام »، فترد الثانية وتنفى هذا ، وتدعى ان الملك حيا زوجها هى ، فتصيح الثالثة وتتهم صاحبتيها بالكذب ، لان الملك لا يعرف الا زوجها ، فدب الشجار بين الزوجات الثلاث ، وكانت معركة رهيبة ، فقد التحمن فى الشجار واستخدمن فيه الايادى والضرب وشد الشعر والعض وعلا الصراخ ، وجاء الازواج واشتركوا فى المعركة وعاون كل .



وتشاجروا، كل منهم يقول أن الملك خصه ببلام وتحيته

منهم زوجته ، وتجمع الناس وهم مندهشون لهذه المشاجرة الحامية التى حدثت فى هداة الليل بين الرجال والنساء كما اصيب بعضهم بجروح ، واخذوهم الى الملك .

فمثلوا امام الملك وقبلوا الارض بين يديه ، فسأل الملك واحدا منهم عن سبب العراك ، فقال ، « نحن يا مولانا من كنا جالسين امام دارى ، وقد مررت بنا ، وانني لاود ان اسألك يا مولانا من الذى حييته واقرأته السلام ، ولمن وجهت يا مولانا تحيتك السلام عليكم ؟» فاندهش الملك وعرف انه احمق فابتسم ساخرا وقال له ،« ولماذا تسأل هذا السؤال ؟» فاجاب ،« لان هذا هو سبب العراك » فاندفع الاخر قائلا ، « الم تعننى انا بتحيتك وسلامك يا مولاى ؟» وهتف الثالث « هذا هو مولانا الملك ؛ اسألوه ، لقد كان يوجه تحيته وسلامه الى انا ، لا اليكما » .

فادرك الملك ، وعرف انهم جميعا حمقى ، فقال لهم ،« لن اجيبكم عنى سؤالكم قبل ان يحكى لى كل منكم احسن حكاية وقعت له فى حياته » فتقدم واحد منهم ليحكي حكايته ، فسأله الملك ،« قبل أن تحكى لى حكايتك اريد ان اعرف مهنتك ؟» فاجاب ،« اننى اعمل نساجا للصوف يامولاى » فامره الملك بالكلام ، وقال النساج ،« اننى يامولاى احب الضيوف وزوجتى تكرههم ، فكل يوم احضر معى ضيفا او ضيفين للغذاء او العشاء ، فتتشاجر معي زوجتى وتقول ،« اننا فى اشد الحاجة الي ما نعطيه للضيوف لاننا لسنا اغنياء » وحدث مرة ، وكان يوم جمعة وهو يوم عطلتي ، ان احضرت فى الصباح دجاجة لامراتي ، وطلبت منها ان تذبحها وتقليها لناكلها فى الغذاء مع الكسكس واللفت ، فاشترطت على ان لا احضر ضيفا فى هذا اليوم حتى ناكل الدجاجة سويا ، انا وهى ، فوافقت ، وتركتها فى المنزل تطبخ الدجاجة ، واخذت الخبز وذهبت به الى الفران ، وانتظرت حتى نضج ورجعت الي دارى .

وجهزت زوجتي مائدة الطعام وجلسنا لناكل ، لكنها نظرت ناحية الباب وقالت ،« لقد نسيت الباب مفتوحا ، فقم واقفله » فقلت لها ، « لا انت التى نسيت الباب مفتوحا ، ذلك اننى عندما جئت من الفران ومعى الخبز ، طرقت الباب ففتحت لى ، ونسيت ان تقفليه ، فانت

التى نسيت الباب مفتوحا ولست أنا ، فتومى واقفلى الباب » ، فاحتدت زوجتى وغضبت وقالت :« والله لن اقرب الطعام الا اذا قمت واقفلت انت الباب »، فتضايقت من عنادها واقسمت بالله ان لا اقرب الطعام الا اذا قامت واقفلت الباب ، ولم يعد هناك حل ، فقد اقسم كل منـــا على أن لا يأكل الا اذا قام الآخر واقفل الباب ، فاتفقنا ان لا نتكلم ومن نطق بكلمة واحدة عليه ان يقوم ويقفل الباب .

ومضت ســاعة ولم يتكلم احدنا ، ومضت ســاعة اخرى ، وثالثة ، وجاء العصر ومر الوقت ولم يتكلم واحد منا ، وغربت الشمس وبدأت الدار تظلم ، وقامت زوجتى واشعلت القنديل ، وجاءت الى جانبى امام المائدة ، كل ذلك ونحن لم نقرب الطعام ولم نتكلم .

- ومر متسول بالباب فرآه مفتوحا والضـوء ظاهرا داخل الدار ، فطرق الباب فلم يرد عليه احد منا ، وكنا نراه امامنا ويرانا ، واندهش المتسول لسكوتنا لاننى خفت ان اقول له يعطيك الله ـــ كلمـــة تقـــال للمتسولين لصرفهم حين لا ينوى المسؤول ان يعطى المتسول صدقة ـــ فاضطر ان أقوم واقفل الباب ، وكذلك خافت زوجتى ان تتكلم وتقول له الله يعطيك فتقوم وتقفل الباب ، ونظر المتسول فوجد المائدة عامرة بالكسكس واللفت والدجاجة المقلية ، فاخذ يشير بيده ويردد ما اعتاد المتسولون ان يقولوه من كلمات ، لكننا لم ننهره ، فتقدم خطوة اخرى وهو يردد بانه جوعان ، ويطلب ولو كسرة من الخبز ، فلم نرد عليه بالطبع، فخطا خطوة واحدة الى داخل الدار لكننا لم ننهره ، فتقدم خطوة اخرى وهو يردد بانه جوعان ، ويطلب ولو كسرة من الخبز ، فلم نرد عليه بالطبع ، فتقدم خطوة ، فخطوة ، واخذ يلح فى السؤال ولم يجبه احدنا، فتقدم خطوة حتى اصبح امامنا ، ونحن صامتان لا نقدر ان ننهره ، وكان منظر الطعام مغريا ، الخبز والمشهيات والكسكس باللفت والدجاجة المقليـــة .

فاخذ المتسول يشير الى الطعام ويطلب شيئا منه وليس كســـرة خبز فى هذه المرة فقد شجعه سكوتنا وعدم نهرنا له ، وجلس المتسول امام المائدة وسالنا هل نسمح له بتناول قليل من الطعام لانه جوعان ولم ياكل منذ ثلاثة ايام ، مبالغا فى القول كعادة المتسولين ، فلم نرد عليه وظللنا صامتين ، فمد يده فى حذر وتناول رغيفا وقطع منه قطعة ،

فلم نكلمه ، فاكل لقمة من الخبز ثم لقمة اخرى ولم ينطق احدنا بكلمة ، فتشجع واخذ شيئا من الكسكس ونظر الينا خائفا متوقعا أن ننهره ، لكننا ظللنا صامتين، فمد يدا مرتعشة الى جناح الدجاجة وقطعه ، فلم نتكلم معه ، فاكل الجناح ، ثم مد يده واخذ رقبة وراس الدجاجة واكلهما ، وكانت الدجاجة ولا شك لذيذة الطعم ، فاخذ المتسول قطعة من صدرها واكله ، ولما وجدنا لا نكلمه ولا ننهره ، اكل الدجاجة كلها واكل الكسكس واللفت ، وشكرنا فلم نرد عليه ، فقام وانصرف .

وجاء كلب من الشارع ودخل الدار ، وتقدم الى ما تبقى فوق المائدة وما تركه المتسول من عظام وفتات ، واخذ الكلب ياكل عظام الدجاجة ويلعق وعاء الكسكس ونحن لا نتكلم ، وقلب الكلب المائدة فلم اقدر على السكوت وتناولت عصا لاضربه ، فجرى الكلب ، فقمت وجريت وراءه ، فخرج الكلب من الباب ، واصبحت بجانب الباب ، فقالت زوجتي ، « اقفل الباب فانت بجانبه » ، ففرحت فرحا شديدا لانها تكلمت وتعجبت من حمقها وقلت لها ، « وكيف اقفل الباب ياحمقاء ، انك انت التي تكلمت ، فعليك ان تقومي وتقفلي الباب » .

فضحك الملك وقال « حقا هذا دليل الحمق » ، ثم اعطى الملك الاذن للاحمق الثاني ليتكلم ويحكي حكايته ، فتكلم وقال ، « انني يامولاي اعمل جزارا وزوجتي طماعة شرهة ، تأكل كثيرا ، فالطعام الذي أعطيه لها تاكل نصفه قبل أن تقدمه الي ، والله لو أعطيتها فولتين لاكلت واحدة منهما ، وذات يوم دعيت لجد اصدقائي لتناول الغذاء معي ، وطلبت من جاري وهو جزار مثلي ، زوجين من « الكوارع »(1) فاعطاهما لي ، فاحضرت زوجي « الكوارع » لزوجتي وقلت لها ، « انني ارجو منك ان لاتاكلي شيئا من « الكوارع » هذه المرة ، وزوجان من «الكوارع» ليسا بالشيء الكثير ولن نتقدم من الطعام الى الضيف غيرهما ، اياك ان تمسي «الكوارع» قبل ان تقدميها لنا » ، فغضبت زوجتي وصاحت ونكت وقالت ، « انت دائما تتهمني بما ليس في ، انني امرأة تنوعة وانت لا تحضر من الطعام ما يكفينا وتتهمني بسرقته » فطيبت خاطرها وقلت لها، « سامحيني ، لكنني أريد ان تقدمي لي ولصديقي زوجي « الكوارع » »

(1) — كوارع جمع كارع ، والكارع باللهجة العامية ، نهاية رجل الخروف او البقرة .

وفى ميعاد الغذاء جاء صديقى فرحبت به ودعوته للطعام ، وكم كانت دهشتى عظيمة حين وجدت زوجتى تقدم لنــا ثلاثة « كوارع » ولبس زوجين ، فصبرت على بلواى حتى انتهت الوليمة ، وانصرف الضيف ، فذهبت لزوجتى وقلت لها ، « ايها المراة الجشعة الطماعة ، لقد احضرت لك زوجين من « الكوارع » واوصيتك أن لا تمسيها ، ومع ذلك اكلت « كارعا » وقدمت لى وللضيف ثلاثة « كوارع » فشهقت زوجتى وولولت وصرخت واقسمت باننى لم احضر الا ثلاثة «كوارع»، فتضايقت من كذبها وغضبت ، واردت ان اؤدبهــا ، فادعيت اننى مت ووقعت على الارض ، ولم اتحرك ، فصرخت زوجتى وتقدمت منى ، فلم اتنفس واسبلت جفونى كالميت تماما ، فاخذت زوجتى تصيح وتصرخ وتولول ، فجاء الجيران يستفسرون ما الخبر فاجابتهم امراتى اننى قد مت، فحملوني ووضعونى فوق الحاشية وغطونى كالموتى .

وفى الصباح جاء اهلى واحضروا العمال، فغسلوا جثتى ولفوني فى الكفن ، فسأل الملك مندهشا ،« كل هذا وانت صابر لا تتحرك »، فاجاب ،« نعم يامولاى حتى اؤدب المراة »، واستأنف الجزار حديثه وقال ،«ووضعونى فى النعش وخرجت الجنازة يشيعها الاهل والاصدقاء ومعهم امراتى تصرخ وتولول حزينة على فقدى ، ومرت الجنازة امام دكان جارى الجزار الذى اخذت منه « الكوارع »، فسأل « جنازة من هذه ؟»، فأجابوه ، فلان الجزار ، وذكروا اسمى ، ودهش الرجل وذهل وقال ،« لاحول ولاقوة الا بالله لقد اعطيته امس زوجين من «الكوارع» ليطبخها لضيف دعاه »، فقمت من النعش ورفعت غطاءه فجرى الناس مذعورين وقلت لجارى ،« قل لزوجتي ، فانها تدعى اننى اعطيتها ثلاثة « كوارع »، ورجعت الى دارى وانا فرحان، وضحكت وقلت لزوجتى ، « اقسمى على بالتوبة وعدم اكل الطعام قبل ان اذوقه معك ، وان تكفى عن الشراهة وتصبحي قنوعة »، فقالت لى ،« تبت ، ولن اسرق الطعام بعد اليوم » .

فضحك الملك وقال « هذا دليل الحمق » ، واعطي الملك الاذن للاحمق الثالث ، فقال ،« اننى يامولاى اعمل بناء وقد وقعت لى حادثة مع نسيبتي ، « حماتى » فمرة كنت ابنى دارا لتاجر من التجار ، وكان التاجر بخيلا ، لكنه كان يدفع فى النهاية ما عليه من واجبات ، وكان

يعطيني المال فاشترى المواد اللازمة واعطى العمال اجورهم ، وفى يوم كان هناك ما يزيد على عشرين عاملا يشتغلون فى البناء ، وانتهى اليوم وجلست مع العمال انتظر حضور التاجر ليعطيني النقود ، فاعطى للعمال أجرهم ، لكنه تاخر، واذن المؤذن لصلاة العشاء ، فقمنا وصلينا وانتظرنا بعدها ساعة ، لكن التاجر لم يجيء ، ولم تكن معنا جميعا اية نقود ، والعمال لا يعرفون التاجر ولا يتعاملون معه فانا المسؤول امامهم ، واخذ العمال يبدون تذمرهم وضيقهم ويشرحون كيف ان اسرهم واولادهم ينتظرونهم وينتظرون ما يحضرونه من طعام ، وان الوقت قد تاخر، وانا الاخر يا مولاى كانت حالتى مثلهم .

واخيراً بعد صلاة العشاء بساعتين ، جاء التاجر واعتذر بحادثة وقعت لابنه ، واعطاني النقود ، فاعطيت العمال اجورهم وبقى معى شيء من المال ، وسرت الى دارى ، وفى الطريق لم اجد حانوتا مفتوحا فقد اقفل التجار كلهم ، ولم استطع ان اشترى شيئا من الطعام لاهلى، وحين وصلت الى دارى أخذت زوجتى تؤنبنى ، وشكت من اهمالى ، لان اولادى السبعة جائعون ولم يستطيعوا النوم ، وينتظرون العشاء ، فحكيت لها ما حدث وقلت لها : « هاهي النقود ، فخذى ما تشائين واحضرى الطعام » ، فغضبت ، لان الوقت متاخر ولم يكن هناك حانوت مفتوح ، وتجمع الاولاد حولنا يطلبون الطعام ، فقلت لزوجتى : « ماذا لو ذهبت وسألت الجيران أن يبيعوك شيئا من الطعام » ، فأخذت بعض النقود وقالت انها ستذهب لجارة عندها دجاج ، وتحاول ان تشترى منها بيضا .

وخرجت زوجتى وغابت قليلا ثم عادت وقالت : « لم أجد عندها الا تسع بيضات ورغيفا من الخبز » ، فسلقت زوجتى البيض واعطت كلا من اولادها بيضة وكسرة خبز واخذت هى بيضة واعطتنى بيضة وكسرة خبز ، والتهم كل من الاولاد بيضته بسرعة ، وكذلك زوجتى ، اما انا فقد اخذت اضحك ، لانني بعد يوم ملىء بالعمل الشاق تعبت فيه كثيراً ، وقد انتظرت التاجر ساعات طويلة ، وبحثت كثيرا فى السوق عن اى حانوت لاشترى منه طعاما ، ثم فى منتصف الليل لا اجد الا بيضة مسلوقة وقطعة صغيرة من الخبز لا تكفى طفلا ، فوضعت البيضة امامى انظر اليها وافكر فى ما حدث لى فى هذا اليوم ، واذا بالباب يطرق ،

سالنا : « من بالباب ؟» فرد صوت نسائي عرفنا انه صوت نسيبتى أم زوجتى ، وهي تعيش فى بلدة اخرى ، واسرعت بتقشير البيضة ، وما أن وضعتها فى فمي حتى دخلت نسيبتي فلم يعد هناك متسع من الوقت لمضغها وبلعها ، فابقيت البيضة صحيحة فى فمى ناحية شدقي الايمن، وسلمت على نسيبتى ، وتعجبت وسالتنى عن سر هذا الورم فى خدى، فقلت لها انه ورم اصابني ولا ادرى كيف اعالجه ، فردت ، انها تعرف العلاج الوحيد وهو الكي بالنار ، واحضرت قضيبا من الحديد واشعلت النار ووضعت فيها القضيب حتى صار لونه احمر ، واقتربت منى ممسكة بالقضيب الساخن لتكوى خدى ولم اقدر ان اقول لها ان فى فمى بيضة فتعرف اننى كذبت عليها حتى لا اقدم لها البيضة لتاكلها ، فصبرت ورضيت ان اتحمل الآلام واقتربت المراة وكوت خدى المتورم كذبا بالنار، وكان الالم لا يطاق ، فشهقت وصرخت « آه » فوقعت البيضة من فمي فخطفتها نسيبتى واكلتها فى الحال » .

فضحك الملك كثيرا وقال « هذا دليل الحمق » ، لكن الحمقى الثلاثة عادوا يسألون الملك عن الذى قصده بتحيته وسلامه ، ذلك لانهم حكوا له ما طلب ، فاجاب الملك :« ان التحية والسلام لله ، ولم اقصد اى واحد منكم » . وانصرفوا ، وحين عادوا الى دورهم اخذوا يتجادلون مرة أخرى ويدعي كل منهم انه كان المقصود ، وأن الملك وجه التحية والسلام اليه .

يا أبا خذ معلمتي

كان الرجل يعيش سعيدا مع زوجته وابنته الوحيدة ، وذات يوم احضر لابنته جارية لتهتم بها وتعلمها التطريز والخياطة ، لان زوجته لم تكن تتقن هذه الاعمال .

ومضت الايام ولم تتعلم البنت شيئا يذكر ، ويرجع ذلك لعدم مهارة الجارية ، فرءى الاب أن يبعث بابنته الى معلمة ماهرة فى الخياطة والتطريز لتلقن ابنته الصنعة ، واظهرت البنت نبوغا ، فلم تكد تمضى عدة شهور ، حتى كانت قد اتقنت الكثير من فنون التطريز ، وتعلمت كيف تصنع القفاطين والملابس النسائية ، البدعيات (1) والدفينات (2) وكانت المعلمة امرأة مطلقة لديها ابنة تماثل الفتاة فى العمر وتساعدها فى العمل، وقد اقتضت الظروف أن تمكث الفتاة فى دار معلمتها أوقاتا كثيرة ، وبالطبع تتكلم النساء ، وخاصة اذا كان العمل الذى تقمن به الخياطة والتطريز ، ومن ثم عرفت المعلمة كل شىء عن حياة الفتاة واسرتها ، وعن الاب وحياته المرفهة ، وعرفت كذلك ان زوجة الرجل لا تتقن شيئا من اعمال الخياطة والتطريز ، وكانت المعلمة مغرورة ، وتظن أن اتقانها للتطريز ومعرفتها للخياطة اشياء هامة لدرجة كبيرة ، لذلك حسدت أم تلميذتها وتمنت لو كانت مكانها ، لذلك دبرت خطة .

احضرت المعلمة افعى ووضعتها فى منديل وربطت المنديل رباطا محكما وقالت للفتاة :« اذهبى الى داركم ، واياك ان تفكى هذه الربطة ، وحين تصلين داركم ، ادخلى غرفة الخزين وافتحى قدر

(1) — البدعية لباس مغربى يشبه القفطان ، لكنه بدون اكمام .
(2) — لباس يلبس فوق القفطان وهو مفتوح من الامام والجانبين ويضع من نسيج رقيق.



فحِين همت الأم باحضار العسل صرخت صرخة مفزعة

انغسل وفكى الربطة من هنا واتركيها على فوهة القدر »، وبينت للفتاة كيف تفك الربطة وكيف تضعها فوق فوهة القدر ، واستطردت « ثم اطلبى من ابيك ان يحضر لك عسلا فان قال لك ، دعى الجارية تحضره لك، قولى له، لا، ان يدها سوداء ، وان قام ليحضر لك العسل ، قولى لـه ، لا يا ابـى ان يدك بها شعـر ، وتوسلى اليه أن يطلب من امك ان تحضر لك العسل بنفسها »، فوعدتها الفتاة أن تفعل كما بينت لها.

وذهبت الفتاة الى دارها ونفذت ما قيل لها ، وحدث تماما كل ما توقعته المعلمة ، فحين همت الام باحضار العسل صرخت صرخة مفزعة، فجرى الاب والجارية والفتاة ، ليعرفوا ما حدث، فوجدوا الام ميتة، فقد لذغتها الافعى ونفثت فيها سمها .

ورأت البنت الافعي ، لكنها لم تقدر أن تعترف لابيها خوفا منه ، فسيقول لها انت السبب فى موت امك ، فسكتت .

ومرت ايام الاحزان ، وزادت عناية الاب بابنته ، واصر على ان تتعلم مزيدا من فنـون التطريز واعمال الخياطة ، ورفضت البنت فى اول الامـر ، لكن اصرار الاب ورغبته الشديدة جعلا البنت ترضخ لمشيئته ، فقد كانت لا تتجاوز العاشرة من عمرها .

وبدأت المعلمة تحيط البنت بالوان العطف والرعاية ، وتعلمها اسرار الصنعة ومعجزاتها ، وتتفانى فى تلقينهااصول التطريز ، لانها عرفت اهتمام الاب وتتبعه المستمر لتقدم ابنته ، ثم بدأت تزورها فـى الدار وتقابل الاب وتظهر الحنان والمحبة للبنت الصغيرة أمامه ، حتى أصبحت زيارة المعلمة للدار من الاشياء المألوفة ، ثم أخذت المعلمة تؤثر على البنت وتطلب منها أن تسأل أباها وترجوه أن يتزوجها ، كانت تقول لها ، « توسلى اليه وقولى له ، يا أبي تزوج معلمتى » ، واول مـرة قالت البنت لابيها ذلك ، أجاب الاب ، « لكن يا ابنتى ، لم يمض عام على موت امك » ، وعرفت المعلمة أن هناك أملا ، فداومت على الاهتمام بالبنت والعطف عليها ، وموالاة زيارتها ، وكانت تكلمها وتطلب منها أن تعاود سؤال ابيها وترجوه وتتوسل اليه دائما كى يتزوجها .

فكان لا يمضى أسبوع الا وتقول البنت لابيها ، « يا ابـا خذ معلمتى » ، وحين سمع الاب مرة ابنته تردد هذا الكلام ، ضحك وقال

لها ، « سأتزوجها لو انك اتقنت طهو الطعام » ، فأسرعت المعلمة الى الدار ، واخذت تعلم الفتاة الطهو ، ولم تمض أسابيع حتى كانت الفتاة بالرغم من صغر سنها تتقن طهو الطعام .

وفى يوم طلبت البنت من ابيها كعادتها ان يتزوج معلمتها، فقال لم « اتزوجها لو انك عرفت كيف تغسلين الملابس » وسمعت المعلمة بالذى حدث ، فعلمتها كيف تغسل الملابس .

ومرة سألت البنت اباها ، فأجابها ، « اتزوجها لو انك كسرت واستطعت أن تقفلى الابواب » فكانت المعلمة تجىء كل يوم وتقفل الابواب ، وتطلب من البنت أن تخبر اباها انها هي — اى البنت — التى اقفلت الابواب .

وبعد ثلاث سنوات وافق الاب وتزوج المعلمة ، ورزق منها بطفلة كذلك ، وبدت المعلمة منذ دخلت الدار فى صورة مخالفة ، فلم تعد تهتم او تعطف علي البنت ، ووجهت عطفها واهتمامها الى ابنتها ، ومع الايام اخذت تسىء معاملة البنت و تنهرها و تسبها و تضربها و لا تعطيها الطعام ، و تشكوها دائما الى ابيها ، حتى أن ابنتها الصغيرة ان بالت أو تبرزت على نفسها تدعى أن البنت هى التى فعلت هذا وتضربها .

واخيرا بعد ثلاث سنوات ، وكانت البنت قد أصبحت شابة جميلا غضبت المرأة فى يوم غضبا شديدا ، وصرخت وولولت ، وطلبت من الاب أن يخلصها من ابنته ، فهى لا تستطيع الحياة معها أبدا ، ولم تجد اعتراضات الاب أو توسلاته ، فقد بيتت زوجته واوضحت انها لا تود رؤية الفتاة أبدا ، وقالت له ،« انك لغنى ، اجر لها دارا ودعها تقيم فيها»، فقال الرجل،«الامر لله»، واستأجر دارا لابنته واشترى لها سريرا واحضر لها زيتا وفحما وسمكا ومكنسة وسطلا ، واخذها الى البيت وودعها وتركها هناك ، ووعدها ان يزورها ، فنظفت البنت الدار ورتبتها واشعلت الفحم وجلست تقلى السمك ، وكان الوقت ليلا ، فجاء اليها طفل صغير وناداها بصوت جميل ، « ماما حويتة اعطينى حويتة (1)، ماما حويتة أعطينى حويتة »، فأعطته سمكة وقطعة من

(1) — اى السمكة الصغيرة ، اعطنى سمكة صغيرة .

الخبز فأكلها، وطلب سمكة اخرى ، فأكلها ، وثالثة فأعطته ، واكل حتى شبع ، ثم قال لها فى طفولة ، « ماما حويته ، أريد أن انام »، فحملته على ظهرها الى الغرفة العليا وانامته معها فى سريرها ، وعندما افاقت فى الصباح لم تجد الطفل الصغير ، ووجدت أثاثا كثيرا فى الدار، ستائر وبسطا وفراشا وأرائك ، لا تدرى من أين جاءت ، ووجدت ذهبا متناثرا فى انحاء الدار ، فأخذت تجمعه غير مصدقة ما ترى .

وفى اليوم الثانى جاء اليها فى الليل ثلاثة أولاد سود ، وطلبوا منها أن تضيفهم لانهم غرباء ويودون النوم لانهم يحسون بالتعب ، وتهالكوا على الارض أمامها ، وقالوا لها ، « نرجوك أن تحملينا الى المكان الذى ستنامين فيه »، فحملتهم على ظهرها واحدا بعد الاخر وتركت لهم الفراش ينامون فيه ، ونامت هى على الارض ، وفى الصباح لم تجدهم ، ووجدت أشهى واحسن أنواع الطعام فى الدار، وكانت الدار تنظف وترتب والطعام يوجد بدون سبب ، وهى لا تكاد تصدق ما ترى .

وفى اليوم الثالث ، جاءت اليها ثلاث بنات صغيرات ، وطلبن منها ان يغتسلن ، فاعتذرت لهن لانه لا يوجد فى الدار حمام ، فضحكت البنات الصغيرات ، وفتحن بابا فى الجدار فوجدت الفتاة أمامها حماما مجهزا ، فدخلت البنات واغتسلن جميعا ، وفى الصباح قالت لها البنات الصغيرات « سنبقى معك نعزف الموسيقى ونغنى ونرقص لك ، ونسليك ونؤنس وحدتك » ، وجاء الاب فى الليل فذهل لما راى، فالدار مليئة بالاثاث الفخم ، والذهب متناثر فى كل مكان والطعام الشهى كثير وموجود والبنات الثلاث الصغيرات يضحكن ويغنين ويرقصن ، ولم تحك البنت لابيها عن مجيء الطفل الصغير ، او الاولاد السود ، والبنات الثلاث ، لانهم كانوا قد طلبوا منها أن لا نتكلم وتبقى ما حدث سرا ، فقالت لابيها ، « انى لا ادرى شيئا يا ابى ، كل ما اعرفه أن الدار أصبحت مليئة بالاثاث ، وتنظف وترتب ، والطعام والذهب يتناثر فى كل مكان ، ولا اعلم السبب » .

وعندما عاد الرجل الى زوجته وحكى لها عما رآه ، ذهلت المراة وانتابتها الغيرة وكادت ان تجن ، واتهمت الرجل بانه هو الذى أعطى لابنته الذهب وأحضر لها الطعام والبنات لتسليها وتؤنس وحدتها ،

فنفى الرجل وأنكر ، وأكد لها أنه ليس له دخل فيما حدث ، فطلبت منه فى الحال أن يؤجر دارا لابنتها ويحضر لها نفس الاشياء التى احضرها لابنته .

فنفذ الرجل طلب زوجته ، وذهبت ابنتها لتعيش فى الدار التى استاجرها لها، تماما كما فعلت البنت الاخرى من قبل ، وجلست تقلى السمك فى الليل ، فأقبل عليها الطفل الصغير وقال لها ، « ماما حويتة ، اعطينى حويتة ، ماما حويتة اعطينى حويتة » ، فضربت البنت الطفل الصغير على يده بالمقلاة فاحرقتها ، وفجاة امتلات الدار باهله واخذوا يعذبونها ويضربونها .

وفى اليوم الثانى جاء اليها الاولاد الثلاثة السود ، وقالوا لها انهم يشعرون بالتعب والانهاك ، ورجوها ان تحملهم الى الفراش لينامو ، وتهالكوا ووقعوا على الارض امامها ، فاخذت تركلهم وتدحرجهم وتطردهم من الدار ، فامتلات الدار باهلهم السود ، وانهالوا عليها بالضرب ، حتى كادت أن تموت .

وفى اليوم الثالث جاءت اليها الثلاث بنات الصغيرات وطلبن منها ان يغتسلن ، فصاحت بهن ، « ليس لدى حمام » ، وطردتهن ، فضحكت البنات ، وفتحن بابا فى الجدار ، واندهشت الفتاة اذ رات امامها حماما ، ممتلئا باهل البنت ، فامسكوا بها وانهالوا عليها ضربا، وعذبوها حتى ماتت .

وجاءت امها وابوها ايزوراها بعد ثلاثة ايام ، فطرقا الباب ، فلم يرد أحد ، فاضطر الاب ان يكسر الباب ، ودخلا ، فوجدت الام ابنتها ميتة ، فارتاعت وصرخت وانتابها الجنون ، فهاهى ابنتها التى توقعت أن تراها ترفل فى النعيم ، وحولها الذهب واطاييب الطعام والجوارى الصغيرات ، ها هى ابنتها امامها ميتة ، فاتهمت الرجل بانه لم يحضر من الاشياء لابنتها كما أحضر لابنته ، وانه تسبب فى موتها ، وطلبت منه أن يذهب معها فى الحال الى دار ابنته ، لانها لا تصدقه . فاتجها الى الدار .

أما البنت فقد اخبرها الطفل الصغير بما حدث له مع البنت الاخرى واخبرها كذلك الأولاد السود والبنات الثلاث بكل الذى جرى.

وطرقت الام الملتاعة الباب ، ماسرعت البنت ونتحته ، نصاحت المراة بها ، « أنت تعيشين وابنتى قد ماتت ، قولى لي ، لماذا ماتت ابنتى » ، ناجابت ، « ان ابنتك جاء أليها فى اليوم الاول طفل صغير، كما جاء الى وطلب منها سمكة ، فلم تعطيه واحرقت يده بالمقلاة ، اما أنا فقد اعطيته وعطفت عليه ، وفى اليوم الثانى جاء اليها اولاد سود متعبون ، نطردتهم وركلتهم ، اما أنا فقد حملتهم فوق ظهرى واعطيتهم فراشى، وفى اليوم الثالث جاءت اليها ثلاث بنات وطلبن الاغتسال فلم تقبل رجاءهن ، أما أنا فاجبت طلبهن ، فاوجدن لى حماما فى الدار. وقد ضرب أهل الطفل المحروق ابنتك ، وعذبها أهل الاولاد السود ، أما أهل البنات فقد قتلوها ».

فصرخت المراة ، « ولماذا لم تقولى هذا من قبل لابيك ؟ » ، فاجابت البنت ، « وهل قلت انت لى أنه كانت فى المنديل افعى يا معلمتى حين طلبت مني أن اضعها فى العسل ؟ » .

أين القطة؟

اشترى جحا مرة ثلاثة أرطال من اللحم ولم يكن قد أحضر لزوجته لحمـــا منذ مدة طويلة ، فانتهزت المرأة فرصة غياب جحا وأكلت اللحم كله ، وخافت أن يؤنبها حين يرجع ولا يجد اللحــــم .

وفكرت فى حيلة ، فأحضرت القطة ، وحين طرق جحا الباب أخذت تضربها ، فدخل جحا الدار ، وسأل زوجته عن سبب ضربها للقطة ، فادعت المرأة أن القطة أكلت اللحم كله .

فأسرع جحا وأمسك بالقطة ووضعها فى الميزان ، فإذا بوزنهـــا يبلغ ثلاثة أرطال ، فصرخ جحا « يا امرأة ، هذه هى اللحمة فأين القطة ؟»



فاسرع جحا وأمسك بالقطة ووضعها في الميزان فاذا بوزنها يبلغ ثلاثة أرطال، فصرخ جحا « يا أمرة هذه هي اللحمة فأين القطة »

حكاية مولاى أحمد القنديل

كان للرجل سبع بنات ، تركهن فى الدار وذهب ليحج ، وكانت البنات ماهرات كلهن يعملن ، واحدة تخيط ، والاخرى تغزل الصوف، وثالثة تطرز ، وكان لكل بنت غرفة فى الدار تعمل فيها وتكسب رزقها ، ولكى يتغلبن على الوحدة والملل ، ويسلين انفسهن ، اتفقن على أن تجهز العشاء كل ليلة واحدة منهن ، تشتريه وتدفع ثمنه وتطبخه ، وتقضى اخواتها معها الليلة ، ساهرات يغنين ويمرحن ويرتصن ، حتى تمر أيام غياب أبيهن ويعود من الحج سالما .

ومضت الايام ، وكانت كل بنت تتكفل بالعشاء يوما ويسهرن معها ، حتى جاء دور البنت الصغيرة ، وكان عليها أن تجهز العشاء ، لكنها كانت قد صنعت منديلا مطرزا وذهبت الى السوق ولم تبعه ، فلم تستطع أن تشترى طعاما وباتت ومعها أخواتها الست بدون عشاء ، وغضبت البنات ، لقد ضايقهن أن أختهن الصغيرة لم تف بوعدها ، ونمن جائعات ، ودون أن تقضى السهرة فى اللهو والغناء ، ودخلت البنت الصغيرة غرفتها مهمومة حزينة ، فقد كانت الوحيدة بين اخواتها التى عجزت عن تقديم العشاء والسبب سوء حظها .

وأخذت الاخت الصغيرة تطرز منديلا آخر ، علها تبيع المنديلين فى الصباح وتعوض سوء حظها ، فتدعو أخواتها للعشاء من جديد، وبدأت تطرز فى نشاط وتتقن عملها غاية الاتقان ، لكن فجاة بدأ نور القنديل الذى يضىء الغرفة فى الخفوت ، فقد انقضى زيت القنديل ، وانطفأ ، وملأ الغرفة الظلام فجأة ، فتألمت البنت وبكت وهى تردد : « حتى القنديل قد فرغ من الزيت ولا يمكننى العمل » ، وبلغ ضيقها



ثروته ، فقد سارت الامور من سيء الى أسوأ ، فهتفت البنت فى غمرة احزانها ، « ناشدتك الله ياقنديل امتلىء بالزيت ، وليضىء نورك الغرفة ، فان فعلت تزوجتك » .

ولم تمض لحظات حتى أضاء نور القنديل غرفتها مرة أخرى ، ونظرت فابصرت القنديل مملوءا بالزيت ، فابتسمت وأسرعت الى منسجها تطرز المنديل ، لكن فجاءة ويا لغرابة ما حدث ! انفتحت كوة فى الجدار وخرج منها رجل صبوح الوجه ، مشرق النظرات له شعر طويل يسدله فى ضفيرة خلف راسه ، يلبس ملابس خضراء ، ويشع وجوده مهابة وجلالا ، وقال لها بصوت عميق مؤثر ، « لقد ملات لك القنديل بالزيت ، وأضاء نوره غرفتك كما تمنيت ، وقد جئت اطالبك بتنفيذ وعدك ، فتزوجينى » ، فرددت فى دهشة ،« انفذ وعدى !»، فقال لها ،« انت لا تعرفين مقامى وتدرى »، فسالته ، « ومن انت ؟ » ، فاجابها ، « انا مولاى احمد القنديل » ، فهتفت ، « ومن اين جئت ؟ » فاجابها ، « لا تسالى اكثر من ذلك اريد أن اعرف هل ستنفذين وعدك ام لا ؟ » فاطرقت واومات براسها موافقة .

فأحضر العدول وتزوج بها على سنة الله ورسوله ، وبين لها انه سيمضى الليل دائما معها ، اما فى النهار فعليه أن يفارقها ، وسيحضر لها من الطعام ما لذ وطاب ، وكل ما عليها حين يجىء الليل ان تقفل باب غرفتها وتسدل الستائر وتشعل القنديل ، وما ان يضيء نور القنديل الغرفة ، حتى يحضر اليها ، فهذه هى الاشارة ، ان اشعلت القنديل جاء اليها ، ونام معها هذه الليلة ودخل بها .

وفى الصباح لم تجده بجانبها ولقيت تحت الوسادة عملتين من الذهب . ومضت الايام ، يجيء اليها مولاى احمد القنديل فى الليل ، ويفارقها فى الصباح ، وكانت تجد دائما تحت الوسادة عملتين من الذهب ، وطلب منها ان لا تخبر احدا من اخوتها بالامر ، فوعدته بالكتمان .

وكانت تشترى بعض الاشياء وتنفق عن سعة ، مما جعل اخواتها تتساءلن ، « من اين تاتى اختنا الصغيرة بهذه النقود الكثيرة ؟ » ، وذات يوم سالتها اختها الكبيرة فى غلظة ، « هل

تخرجين فى الليل وتعاشرين الرجال ، من أين لك هذه النقود ؟. » ، وكان الاتهام نظيعا ، فنسيت وعدها لمولاى احمد القنديل وحكت لاختها ، « أتذكرين يا اختاه تلك الليلة التى لم نتناول فيها طعام العشاء ، لقد دخلت غرفتى وأنا حزينة ، وبدات أطرز ، فانطفأ القنديل لفراغه من الزيت ، فازددت حزنا وتوقفت عن العمل ، فقلت ، « ناشدتك الله ياقنديل ، امتلىء بالزيت وليضىء نورك الغرفة وانا اتزوجك » ، فتحقق ما تمنيت ، وخرج من كوة الجدار رجل مهيب جليل ، جميل الصورة له ضفيرة يعقد بها شعره الطويل خلف راسه، عريض الكتفين مستقيم العود ، يلبس ملابس خضراء ، وقال ان اسمه مولاى احمد القنديل ، وطلب منى تنفيذ وعدى وان اتزوجه ، وقد أحضر العدول وتزوجته على سنة الله ورسوله »، واوضحت بانه يحضر لها ما لذ وطاب من الاطعمة ، ويترك كل يوم عملتين ذهبيتين تحت الوسادة ، ويبيت معها ويفارقها فى النهار .

وقصت الاخت الكبرى الحكاية على اخواتها محرفة ، فقد غارت منها ، فقالت لهن ، « ان الاخت الصغرى تعاشر رجلا ياتى اليها فى الليل عن طريق كوة فى الجدار ، ويترك لها كل يوم عملتين ذهبيتين تحت الوسادة » .

ولما كانت الاخت الصغيرة قد اشترت ملابس جميلة ، والكثير من الحلى ، وأدوات الزينة ، فقد امتلات قلوب الاخوات غيرة وحسدا وحقدن عليها ، لقد اصبحت احسن منهن ، واغنى منهن ، ولديها افخر الملابس ولها رجل يعطيها الذهب ، فكانت الاخوات أو بعضهن ، يسرعن فى الصباح ويسرقن الذهب من تحت الوسادة ، ودفعهن الحقد والمرارة أن يفكرن فى قتلها ، لكن بأية وسيلة ؟ .

ودبرت الاخت الكبرى خطة ، وهى ان يصحبنها معهن الى الحمام ، وفى الحمام يمكنهن أن يهجمن عليها ، ويغرقنها ، ويدعين انها ماتت قضاء وقدرا وهي تغتسل .

واتفقن معها على الذهاب الى الحمام ، وفى هذه الليلة اقفلت الاخت الصغيرة باب غرفتها واسدلت الستائر ثم اضاءت القنديل ، وجاء مولاى احمد ، واخبرته بعزمها على الذهاب الى الحمام مع اخواتها فى الغد ، فطلب منها ان لا تذهب معهن ، لكنها

امرت ، فسألها ، « هل تثقين فى اختك الكبرى ؟ » ، فاجابته بانها تثق فى الاخت الكبرى وفى اخواتها كلهن ، فانصرف فى الصباح وترك لها المملتين الذهبيتين تحت الوسادة كعادتـــه .

وذهبت الي الحمام مع اخواتها ، ودخلن الي قــاعة الاغتسال ، وهمن بتنفيذ الجريمة ، لكن الاخت الكبرى تراجعت وخافــت مـــن هول ما سيفعلن ، وقالت ، « انني أخاف أن يلعننا ابونا ويغضـــب علينــا » ، ونكرت فى خطة أخرى ، فادعين نسيان المشط ، وذهبت الاخت الكبرى مع اثنتين من اخواتها ليحضرن المشط ، وفى الــدار كسرت الاخت كمية كبيرة من الزجاج ، وغرزن الزجاج فى جدار الكوة ورمين به على ارضـها ، وحاولن سد فتحة الكوة بالاحجار .

وفى الليل اغلقت الاخت الصـغرى الباب ، واسدلت الستائــر ، واشعلت القنديل ، فجاء مولاى أحمد ، لكن ما أن وصل الى الكوة ، حتى انغرز الزجاج المكسور فى جسده واصيب بالجراح ، فكان كلما تحرك انغرز الزجاج المكسر من جديد فى جسده ، ووجد فتحة الكوة فى الغرفة مسدودة بالاحجار ، فرجع مثخنا بالجراح الى امه ، التــى ارتاعت لهول ما حدث له ، وانبته لانها كانت قد توسلت اليه أن لا يتزوج من بنات الدنيا الفانية ، وارادت أن تنتقم له من الفتاة ، لكن مولاى احمــد القنديل اجابها ، « لا يا اماه ، عندما تشفى جراحى سأنتقم انــا بنفسى منهــا » .

أما الاخت الصغرى فقد اندهشت ، فهذه اول مرة تضـيء فيها القنديل ولا يحضر مولاى أحمد القنديل ، فجلست وقد انتابها الضيق وألم بها الحزن ، وبكت ، فقال لها المشـط ، « حين كنت فى الحمام ، جاءت بعض أخواتك وكسرن الزجاج ونثرنه على أرض الكوة وجدرانها وسددن فتحة الكوة بالاحجار » ، فعرفت سر ما حدث ، لكن مـــا العمل وكيف تجد مولاى أحمد القنديل ؟ ، انها لا تعرف مكانـــــه ، بل كل ما تعرفه انها تشعل القنديل فيخرج اليها من الجدار ، لكنها لم تستطع السكوت ، ولبست ملابسها وخرجت الى الدنيا الواسعة ، هائمـــة على وجهها لتبحث عنه فى كل مكان .

وظلت تسير وتسير ، وتسأل كل من يقابلها لكن لا احد يجيبها ،

ومضت تزور وتسأل « الشوافات » الساحرات هنا وهناك ، دون فـــائــدة .

وذات يوم ، وقد تعبت من المشي ، جلست تحت كرمة وارفة الظلال لتستريح وتسترد أنفاسها ، فسمعت حمامتين تتكلمان وقالت الحمامة لصاحبتها ، « واه يا أختاه ، يعز على ما يقاسيه مـــولاى أحمـــد التنديل ، لقد تزوج بنتا من بنات الدنيا الفانية ، وقد حسدتها أخواتها وكدن لها ، فملأن طريق مولاى احمد بالزجاج المكسر وسددن الفتحة التي يدخل منها ، وقد أصيب بالجراح وهو مريض ، ولا احـــد يعرف دواءه » ، فضحكت الحمـــامة الاخـــرى وقـــالت : « أن دواءه سهل ، سبعة اغصان من هذا الكرم، ويضرب بها، ويذبحوننى ويذبحونك ويأخذوا دمائنا ويرشـوها على جراحه ، ولابد من ذبح كبش كذلك ، ويبللوا فروته بشيء من دمائنا ويلبسـها مولاى أحمد فيشفى »، فردت الحمامة ، « اذن علينا أن نموت ليشفى مولاى أحمد ، » فأجابتهـــا الاخرى ، « لا يهم أن لحياة مولاى احمـــد قيمة كبيرة » .

فأمسكت الفتاة بالحمامتين ونبحتهما ، وملأت قصبة بدمائهما ، واخذت معها سـبعة اغصـان من الكرم ، وبدلت ملابسـها بملابس رجل وغيرت هيأتها ، وسارت في طريقها ، سارت وهي تنـــادى ، « دواء العشاق لكل من أصـــابه العشق بالجـــراح ، دواء العشـــاق ، دواء العشاق » ، حتى سمع ذلك النداء في يوم مولاى أحمـــد التنديـــل ، وكانت جراحه قد زادت سوءا، ومرضـه قد طال ، ولم يشـف بعد أن جرب كل دواء ، فأرسل أحد خدمه ليحضر ذلك الطبيب ، ولما رأته يعانى الالام وقد استبد به المرض والضعف ، كادت أن يغمى عليها، لكنها تمالكت نفسـها ، وسالها ، « هل دواؤك ناجح أيها الطبيب فقد عز الدواء ؟ »، فأجابه الطبيب ،« نعم وسأشـفيك باذن الله ، لكن لى شـرطا واحدا »، فسأل مولاى احمد التنديل ، « وما هو الشرط ؟ »، فأجاب الطبيب ،« أن انا شـفيتك فكل ما أطلبه منك ، أنــه ان قـــال لك احـــد أتوسل اليـــك بالطبيب الذى داواك ، فـــلا تؤذه ، مهمـــا كانت الظروف والاحوال » .

فوعد مولاى أحمد التنديل الطبيب بذلك ، وطلب الطبيـــب أن يذبحوا كبشـا ويسخنوا الحمام ، وادخلته معها ، وصبت المياه الساخنة

على جراحه ، وغسلتها ورشت فوقها دماء الحماتين ، واخـــذت تضربه بأغصان الكرم ، فيتألم ، فتتألم اكثر منه وتناشده الصبـــر ، وانتثرت قطع الزجاج على الارض وهى تتساقط من جسده ، ودهنت فروة الخروف بشيء من دماء الحمامتين والبستها لمولاى احمـــد ، فشفيت جراحه وبدأ يحس الراحة والشفـــاء ، وقـــال الطبيـــب ، « ستشفى تماما بعد ثلاثة أيـــام » ، وحاول مولاى احمد ان يكافىء الطبيب،فلم يقبل الا شيئا بسيطا من المال وكسوة من أم مولاى أحمد ، لكنه ذكره مرة اخرى قبل انصرافه بالوعد .

ورجعت الاخت الصغيرة الى دارها واصلحت فتحة الكوة التى فى الجدار ، وأرجعتها الى حالتها السابقة ، ونظفـــت ارض الكـــوة وجدرانها من الزجاج ، وفى الليل اقفلت الباب واسدلت الستائـــــر واشعلت القنديل ، فأحس مولاى احمد بالاستدعاء ، فامتلا غضبا ، وقال لنفسه ، « انها ما زالت تريد خداعى وتسخر منى وتستدعينى »، وظهر مولاى أحمد فى الغرفة وقد شهر سيفه فى يده ، فهتفت الاخت الصغرى ، « اتوسل اليك بالطبيب الذى داواك » ، فاغمد مـــولاى احمـــد القنديل سيفه فى جرابه ، وصاح ، « كيف عرفت هذا ؟ »، فناشدته أن يهدأ ويستمع اليها ، فجلس واخذت تحكى له ما حدث ، وحين انتهت كان قد سامحها وعرف أنها تحبه وتخلص له ، فبنـــى جدارا بينها وبين اخواتها ، وعندما رجع أبوها من الحج اندهش حين راى هذا الجدار فى داره ، واسرعت الاخوات تخبرنه أن أختهـــن الصغيرة تزوجت دون مشورتهن ، ورفضت أن تعلمهن بالخبـــر .

لكن مولاى احمد القنديل ما أن سمع بقدوم الاب ، حتى فتـــح باب غرفـــة زوجته وخرج اليه ، وقال للاب انه تزوج ابنته على سنة الله ورسوله .

فأبدى الاب موافقته ومباركته لهذا الزواج فقد عرف قدر مولاى احمد القنديل ومقامه ، وجاءت البنت الصغرى واحتضنـــت أبـــاهـــا وبكت كثيرا ، وقصت عليه كل ما فعلته إخواتها معها ، فهدأ خاطرها ووعدها بمعاقبهن عقابا شديدا ونفذ وعـــده .

للا فوفويا
أو
للاغنــــو (1)

اراد محمد العروسي ان يتزوج ، فطلب من أمه أن تبحث له عن عروسة،وبين لها انه يريد فتاة لا تعرف شيئا من أمور الدنيا ، وظلت طول حياتها لا تغادر دارها ، ولم تطل من نـافذة أو تزور أصدقاء أو جيرانا ، ولم يرها أحد ، ويجب ان تكون جاهلة لا تقرأ ولا تكتب ، وتكون مطيعة تسمع كلامه وتنفذ أوامره دون نقاش او جدال ، فاندهشت الام دهشة شديدة لكلام ابنها العجيب وقالت له ، « لكن يا بنى ، امراة هذه صفاتها ، تكون حمقاء لا تصلح للحياة ، فالجهل وانعدام الخبـرة والتجارب لا يتصف بها الا الحماق والبلهاء ، الحياة يابنى تتطلب خبرة وتجربة ، ويستحسن أن تعرف زوجتك المقبلة القراءة والكتابة ، امـا المراة التى تطلبها فلا تصلح للحياة أبدا وتسبب لك المتاعب والشقاء »، لكنها لم تقدر أن تغير أفكاره وآراءه ، فقد أصر وغضب وناشدها ان تساعده ليجد العروسة التي تعجبه .

ولما كانت الام قد كبرت فى السن ومات زوجها منذ زمان طويل ، وتأخر ولدها محمد العروسي عن الزواج ، بالاضافة الى ما تعرفه عنه من طيبة وسلامة طوية وشيئا من السذاجة كذلك ، لهذا كله رات الام أن تجيب طلب ابنها وتحقق له رغبته .

وبحثت الام العجوز حتى وجدت فتاة فيها كل الصفات التى طلبها

(1) — كتبت سيناريو وحوار لهذه الحكاية واخرجتها وقدمتها فى التلفزة المغربية باسم للاغنو

ابنها ، وكان اسمها فوفويا (1)، الا أن هذه الفتاة كانت حمقاء ، وحين اخبرت محمدا بذلك فرح فرحا شديدا وهتف :« لا يهم ان تكون حمقاء ما دامت قد ظلت قابعة فى دارها طول حياتها ولم تقابل الناس ولم يرها انسان ».

وتزوج محمد العروس للافوفويا(2) وعاشت مع امه فى الدار، لكن الام تعبت كثيرا وقاست من زوجة ابنها ، فكثيرا ما كانت للافوفويا تتصرف تصرفات حمقاء نتيجة جهلها وعدم معرفتها لكثير من الامور وقلة خبرتها فى الحياة . وكانت الام تكتم عن ابنها كل هذا وتحاول ارشاد للافوفويا وتعليمها وافهامها ما يجب عليها ان تفعله ، ولولا وجود الام واصلاحها لكل خطأ ترتكبه للافوفويا ؛ لقاسى محمد العروس كثيرا واحس بالشقاء بدلا من السعادة التي وفرتها له امه دون أن يدرى .

ومضت الايام وشعرت الام بملاك الموت يقترب منها ، فنادت ابنها وقالت له ، « يا بنى انني احس بدنو اجلى واريد ان اوصيك ، لقد زوجتك يا محمد بامرأة بلهاء (غشيمة) لا تعرف من أمور الدنيا شيئا مما أردت ، وهى لا تصلح للحياة ، لكن لا فائدة من الندم الآن ، فان كنت تحبنى ارعها واحرسها واهتم بها ، فانها حمقاء ، ولابد أن تكون حمقاء »، ولفظت الام آخر انفاسها .

ومضت الأيام ، ولم يقتنع محمد ويقدر كلام امه ، بل لم يصدقه فى الحقيقة ، لانه كان سعيداً مع زوجته ، لكن فى يوم جاء اليه بعض الضيوف ، نساء تريباته ، وازواجهن ، وقبل ان يصل الضيوف ، ناداها وقال لها ، « سيحضر فى العصر بعض الضيوف ، بنت خالتى وبنت عمتى وزوجاهما ، وقد احرجت لاننى لا احب ان يراك مخلوق ، فعليك أن تقدمى لهم الشاى وشيئا من الحلوى ، لكنني انبهك الى شيء هام وهو ان تغطى وجهك وراسك ولا احب أن تظهر منك شعرة ، غطى راسك جيداً »، فردت عليه وأبدت استعدادها لتلبية رغبته واطاعة امره .

وجاء الضيوف ، وجلسوا يستريحون ، ونجاة دخلت للافوفويا

(1) — من الواضح ان هذا الاسم اطلق على المرأة الحمقاء بعد حادثة القاء الصوف فى النار ، لكن هذا الاسم التصق بالمرأة فى الحكاية بل أصبح الاسم عنوان الحكاية ايضا .

(2) — للافوفويا : السيدة فوفويا .

وقد رفعت كل ملابسها ووضعتها فوق راسها ، وعرت باقى جسمها، ذذهل الضيوف وصاحوا مندهشين وصرخ محمد ، ودفعها الى داخل الدار يؤنبها ويعنفها ، لكنها اجابته فى سذاجة ، بأنها قد سمعت كلامه ونفذته ووضعت كل ملابسها فوق راسها تماما كما قال ، وكانت فضيحة خجل منها ، واصبح اضحوكة فى اعين قريباته وازواجهن .

وصمم محمد العروس ان لا يجعل زوجته تقابل اى انسان حتى ولو كانت امراة من قريباته ، وبعد اسابيع أحضر ثلاث دجاجات وقال لزوجته :« لقد دعوت بعض اصدقائى يوم الجمعة للغذاء ، فخذى هذه الدجاجات الثلاث واعتنى بها لاقدمها لضيوفى ، اعطيها الحب والماء ، واعتنى بها جيدا ».

وكان من عادة النساء ان يذهبن الي الحمام ، وتؤجر المراة الحمام بمفردها حتي لا يراها مخلوق ، فاستأجر محمد العروس الحمام لئلا فونويا ، فوضعت الدجاج فى كيس وحملته معها الى الحمام وهناك غسلت الدجاج بالماء الساخن ودعكته بالصابون فمات بين يديها ، ولم تفطن للامر ، بل ظنت الدجاج نائما ، وعندما رجعت الي الدار صحبت الدجاج معها الي غرفة النوم ، وانامته على سريرها وغطته .

وحين جاء محمد العروس حكت له فى براءة وسذاجة كيف غسلت الدجاج بالصابون وحكت له جسمه وبينت له انها تعبت كثيرا و كذلك الدجاج حتى أنه نام بسرعة ، واشارت الى السرير ، فصرخ محمد حين راى الدجاج ميتا وممددا علي فراشه ، ولم تكن هناك فائدة من التانيب ، ففى براءة وسذاجة بينت له انها قد سمعت كلامه ونفذت اوامره ، لانه قد طلب منها ان تعتني بالدجاج جيدا وقد وضعت له الحب والماء وزادت بأن اصطحبته معها وغسلته فى الحمام ، واخذ يشرح لها انه لم يقصد ذلك ، وانها اخطات ولم تفهم كلامه ، فاعتذرت له ضاحكة وكان ما فعلته ليس الا شيئا عاديا .

واحضر محمد ثلاث دجاجات اخرى صباح يوم الجمعة ، وطلب منها ان تعتني بطهيها وتكثر من الزعفران حتى انه قال :« أريد زعفرانا لن اكرر اريد زعفرانا ».

وعندما جاء الضيوف وحان وقت تقديم الطعام ، لم يكن الدجاج قد نضج بعد ، فانب « العروس » زوجته وسالها عن سر تأخيرها ،

فأجابته انها ظلت ساعات طويلة تجرى وراء القط زعفران ، حتى أمسكته وذبحته ، ثم طهته مع الدجاج فى وعاء الطبخ ، فرمى محمد الوعاء من فوق النار ، وذهل وصاح بها ،« وهل طلبت منك أن تذبحى القط وتطهيه مع الدجاج »، فأجابته فى سذاجة ، « نعم لقد فعلت ، وقلت لى اريد زعفرانا ، وهل يوجد عندنا قط آخر »، فهتف فى يأس ، «آه يا حمقاء لقد قصدت زعفرانا ، وهو من مواد العطارة »، وصاح ، « رحمك الله يا أمى ، الآن فهمت ووعيت معنى كلامك » .

ومضت الايام ، وأصبح محمد العروس اكثر حذرا ، وزاد اهتماما بها حتى لا تاتى فعلا قبيحا ، واشترى بقرة لتمدهم باللبن والجبن والزبد ، وكانت زوجته فرحة بها ، الا أنها فى يوم ،وكانت تحب الكبد ، وتذكرت ان للبقرة كبدا ، فماذا لو شقت جنبها واخذت قطعة صغيرة منها ، وحين يرجع زوجها ستطلب منه ان يشترى لها قطعة كبيرة وتردها للبقرة ، انها ستقترض من البقرة قطعة ، وتردها لها عندما يجيء سي محمد ، واحضرت السكين وشقت جنب البقرة وتعبت حتى وجدت الكبد ، واخذت قطعة منه وقلتها وأكلتها ، ووقعت البقرة ميتة .

ورجع محمد واخبرته بما حدث ، فاخذ يندب حظه ، ويؤنبها على جهلها وحمقها فاعتذرت اليه فى سذاجة وبراءة كعادتها واخذ يصيح ، « رحمك الله يا أماه ليتنى سمعت كلامك ، لقد اخطأت ، لقد اخطأت ».

وخرج سى محمد مهموما حزينا ، وسهر فى هذه الليلة مع بعض اصدقائه ، وعاد بعد منتصف الليل ، واخذ يطرق الباب ، لكن زوجته لم تسمعه ، فتضايق ، وظل يطرق ، ولا احد يجيب ، وبعد مدة طويلة فتحت له الباب ، فدخل الدار ونهرها قائلا ، « ما هذا ، أيجب على ان اطرق الباب ساعة من الزمان حتى تفتحى لى ، يجب أن تكون اذنك علي الباب »، (يقصد أن تستجيب لاول طرقة ، وتفتح الباب بسرعة)، ومضى يؤنبها ، واعتذرت له بأنها لم تسمع ، وكانت غارقة فى النوم ، فاعاد عليها القول ،« يجب ان تكون اذنك على الباب » .

وفى اليوم التالى حين دخل محمد العروس الى داره ، صرخ لما رآه ، فقد قطعت فوفويا اذنها والصقتها على الباب ، ولولا ان اغاثها الجيران لماتت .



ظلت ساعات طويلة تجري وراء القط زعفران، حتى امسكته وذبحته ...

لم يؤنبها هذه المرة ، ومضى يشرح لها برفق انه لم يقصد ذلك ، وسامحها وغفر لها كل ما اتته من تباشح ، فهل هناك سذاجة وغفلة اكثر من هذا، لقد قطعت اذنها واخذ يكلم نفسه « ما اصدقك يا امى، المراة آلتى لا تعرف شيئا من امور الدنيا ولم يرها مخلوق ، لا تصلح للحياة ، نعم لا تصلح للحياة » .

ومضت الايام وفى صبيحة يوم عيد الضحية ، ذهب العروس الى المسجد ليصلى صلاة العيد ؛ وبقيت نوفويا تنتظره فى الدار حتى يرجع ويذبح الكبش ، وجلست بالقرب من الكبش وسمعته يثغو «باء، باء»(1) ، فهيىء اليها انه يكلمها ويطلب منها الاذن للخروج ليزور اصحابه واحبابه، فسالته ، « احقا تريد ان تزور اصدقاءك واهلك بمناسبة العيد ؟ »، فرد الكبش باء ، باء ، فقالت له ، « والله لقد تأثرت وساساعدك واعطف عليك »، وقامت واحضرت ملابس زوجها الجديدة والبستها للكبش وفتحت له الباب وقالت له ،« اذهب لكن ارجع بسرعة » ، فثغا الكبش « باء ، باء »، فظنت انه يعدها بالرجوع بسرعة .

وعندما عاد محمد العروس ، وسال ، « اين الكبش لاذبحه » ، اجابته فى بساطة « لقد خرج ليزور اهله واصدقاءه بمناسبة العيد سيرجع بسرعة »، فصاح مذهولا « وكيف تتركين الكبش يخرج من الدار ، اى اصدقاء ، واى اهل يا حمقاء !» ، ولم تعتذر نوفويا هذه المرة بل انبته قائلة ،« الا توجد فى الدنيا رحمة وشفقة ، والله لقد اثر فى نفسى كلامه، مسكين ، اشتاق الى اهله واصدقائه » ، فصرخ العروس، « ماذا اقول لك،لا فائدة ، انت حمقاء تماما ، لقد صدقت امى ، ان المراة التى لم تغادر دارها طول حياتها ولم تطل من نافذة وليس لها اصدقاء ولا جيران ولم يرها احد لا تصلح للحياة ، لا تصلح للحياة »، ولم يكن هناك داع للجدال او النقاش ، ولا فائدة من التأنيب والعتاب ، لذلك امسك محمد العروس بيد زوجته واجلسها بجانبه وقال لها فى هدوء ، « ارجو أن تنتبهى لما ساقول لك ، اننى احبك ولا اريد لك الا الخير ، لذلك اطلب منك ان ترتاحى ولا تؤدى اى عمل ، ساحضر لك الطعام ناضجا ، كل ما عليك أن توقدى النار وتضعى وعاء الشاى فوقه ، وساحضر لك صوفا فاغزليه ، وليكن هذا عملك فقط »، واعاد عليها مرة ومرات ،

---

(1) وفى مصر يعتبرون ثغاء الكبش (ماء ... ماء)

وجاء اليها بالصوف وأصبحت نونويا لا تفعل شيئا الا تجهيز الشاى وغزل الصوف .

وفى يوم وقعت منها قطعة من الصوف فى المجمر (1) ، فاحترقت محدثة صوتا،طق، طق، فأعجبها هذا الصوت فظنت ان النار تكلمها، فرمت قطعة اخرى من الصوف فسمعت ، طق ، طق ، طق طق ، فهتفت تكلم النار ، « اتبغين الصوف ؟ » ورمت قطعة كبيرة من الصوف فسمعت طق طق طق طق ، ففرحت وقالت ، « انت فرحانة مثلى ايتها النار ، فرحانة بالصوف ، اتحبين الصوف كثيرا » ورمت قطعة اكبر وسمعت الصوت طق طق طق طق طق ، فزاد فرحها وقالت للنار ، تدللهـا ، « انت العافية (2) نو ، نو نونو لابد أن ادللك ، أنت فونو ، فونو نو نونويا فونويا (3)»، وبعد أن انطفأت النار ، لاحظت أن الصوف المحروق قد تحول الى قشور رمان ، فوضعته فى طبق وانتظرت حتى جاء زوجها وسألته مندهشة ، « لماذا تحول الصوف فى المجمر الى قشور رمان ؟» فلم يفهم شيئا ورد مندهشا « الصوف فى المجمر !»، فقالت له « نعم ، اليوم رميت الصوف فى المجمر ، وكانت النار جميلة وتقول طق طق طق ، ولقد احببت النار ودللتها وسميتها للانونويا ، ولكن يا سيدى محمد ، بعد ان انطفأت النار تحول الصوف المحروق الى قشور رمان »، فوجم محمد ، ومن شدة ذهوله فتح فمه ، ولم يقل شيئا ، وظن أنها قد جنت تماما ، وأسرعت وأحضرت الطبق وفيه قشور الرمان كما هيىء لها ، فأبصر قطعا من الذهب فى الطبق ، فهتف « اهذه قشور الرمان ، التى تتكلمين عنها ؟ » ، فأجابته ، « نعم » .

عندئذ قام محمد العروس واحتضن زوجته وربت بيده فى حنان على ظهرها وقال لها ، « مباركة مباركة أنت يا مسكينة ، الخير فيك ويجيء عنك ، مباركة ، مباركة أنت يا نونويا » ، وأوصاهـا ان لا تقترب من الطبق المليء بقشور الرمان ، ووضعه فى صندوق الملابس ، واصبح محمد العروس يحيط زوجته للانونويا بالرعاية والعطف ويحسن معاملتها ويتسامح معها دائما ، ونسى كل ما فعلته .

---

(1) — وعاء من الفخار يشعل فيه الفحم

(2) — العافية هو اسم النار باللهجة العامية المغربية

(3) — هو الاسم الذى اعطى للمرأة الحمقاء وهو اسم الحكاية كذلك « للانونويا » .

وفى يوم سمعت نونويا اصوات الطبول وغناء الاطفال بمناسبة عيد عاشوراء ، ففتحت باب الدار ورات بائع الطبول مع حماره يحيط به الصغار ، فأرادت هي الاخرى ان تشترى طبلة ، وسألت البائع ان يعطيها واحدة ، فناولها طبلة ، واراد ان ياخذ الثمن لكن نونويا لم يكن معها نقود ، فطلب منها البائع ان تعطيه اى شيء بدلا من النقود ؛ وتذكرت تشور الرمان ؛ فأحضرتها ، واعطتها للرجل ، فلم يصدق عينيه حين راى الذهب ؛ وقال لها ؛ « خذى حمارى وكل الطبول » ، وانصرف بسرعة من أمامها ، ففرحت نونويا فرحا شديدا ، وادخلت الحمار محملا بالطبول الى الدار ، وزادت بأن جرته وصعدت به الدرج حتى وصلت الي السطح، وجلست فوق الحمار وظلت تدق على مختلف انواع الطبول وهى فى غاية السعادة والسرور .

وعندما عاد محمد العروسى اخبره الجيران ان زوجته تركب حمارا فوق السطح وتدق طبولا ، وانهم تعبوا من الضوضاء التى تحدثها ، فظل يطرق الباب مدة طويلة وينادى حتى فتحت له ، وصعد الى السطح وشاهد الحمار محملا بالطبول ، فصاح بها ؛ « من اتى بالحمار الى السطح ؟ » عرف منها انها هي التى صعدت بالحمار ، وحكت له ما حدث فصاح ، « قشور الرمان ، الذهب ، يا حمقاء ، يا حمقاء » ، فلم تفهم شيئا ولم يرغب أن يؤنبها فلن تكون هناك نتيجة ، فأخذ يكلم نفسه ، « قالت امى ، قالت امي ، المراة التى لا تعرف من امور الدنيا شيئا لا تصلح للحياة ، ولابد ان تكون حمقاء لابد ان تكون حمقاء ، رحمك الله يا أمى رحمك الله »، لكنه تذكر الذهب الضائع فقال لها ، « لقد اخبرتك ان لا تقربي هذا الطبق » فأجابته فى براءة وسذاجة ، « لم تكن معى نقود فاعطيته تشور رمان لا قيمة لها »، وكانت واقفة تعبث اصابعها بالملابس الموضوعة فى الصندوق ، فلمست صندوقا صغيرا مختبئا بين الملابس ، فسألت زوجها ، « ماهذا الصندوق يا سيدى محمد ؟ » ، فصاح ، « هذا الصندوق ، هذا الصندوق ليس صندوقى ، أتفهمين ، اياك أن تقتربى منه ، هذا صندوق دواير الزمان (1) » ، فهتفت مندهشة ، « ليس صندوقك »، فأجاب « نعم ليس صندوقى ، أفهمت ليس صندوقى »، وتذكر مرة ثانية الذهب

---

(1) — دواير الزمان معناها اذا دار الزمان ، والقصد اذا ساءت الظروف وقل المال .

الضائع ، فقال لها ، انا خبات الطبق فى الصندوق ، ففتحت الصندوق وأخذت الطبق منه ، يالك من حمقاء » ، فتضايقت وقالت له ،« ومــا قيمة قشور الرمان ؟! انها نفاية ، ومن المستحسن التخلص منها ، حتى تصبح الدار نظيفة »، فسخر منها قائلا ، « وتتكلمين عن نظافة الدار انظرى كم هناك من اوساخ ، وكم هناك من نفايات . وانا ساكت ولا اريد ان اضايقك ، تتكلمين عن نظافة الدار وهل هذه دار . لقد رضيت بكل مساوئك لكن الامور زادت عن الحد زادت عن الحد . احــذرك مرة اخرى ، اياك أن تأخذى هذا الصندوق الصغير ، انه ليــس صندوقي ». وانصرف محمد العروس غاضبا ، وقد اثر فيهــا كلامــه فأخذت تكنس الدار وترتبها وتنظفها وتجمع الاشياء البالية ، وتذكــرت الصندوق الصغير ، ففتحت الصندوق واخرجته من تحت الملابس وقالت لنفسها ،« ولماذا ابقي هذا الصندوق ما دام ليس ملكا لزوجي »، وخطر لها خاطر ، ففتحت الباب ، وظلت تنظر هنا وهناك ورات رجلا يقترب فسألته ،« هل أنت دواير الزمان » ، فظنها الرجل امراة سيئة الخلق تنادى عليه ، فبصق عليها ، فلم تفهم شيئا ، ثم نادت رجلا آخر وسألته فظنها تسخر منه ، فتركها وانصرف ، ونادت رجلا ثالثا وسألته « هل انت دواير الزمان »، فلم يرد عليها بسرعة ، وادرك انها بلهاء فأجاب « نعم انا دواير الزمان ، ماذا تريدين منى ؟ »، فقالت له ، « خــذ صندوقك انا لا اريده فى دارى » وناولته الصندوق فى بساطة ، فتمهل الرجل برهة واخذ الصندوق وانصرف .

وحين جاء محمد العروس ، أخبرته أنها قد لبت رغبته ونظفــت الدار ، ورتبتها وتخلصت من الاشياء الزائدة البالية ، حتى الصندوق الصغير قد أعطته لصاحبه دواير الزمان وحكت له ما حدث بالتفصيل .

عندئذ شهق محمد العروس شهقة كادت روحه أن تخرج معها ، وصرخ فيها « لا ، لا ، لا ، لقد انتهى كل شيء بيننا ، لقد اضعت كل ما جمعت ، ولقد تحملت قبائحك ومصائبك ، أما الآن فقد تاكدت اننى انا الاحمق ، انا احمق منك لاننى أردت ان أتزوج امراة جاهلة لا تقرا ولا تكتب ولم تخرج من الدار او رآها مخلوق ، نعم ، نعم ، صدقت امى ، امراة بهذه الصفات لا تصلح للحياة ولابد ان تكون حمقاء وانا الاخر احمق ، لا، لا، لا، لن اعيش معــك ، ساتركك ، ساتركك ،

سأترك لك الدار والبلاد وسأمشى فى بلاد الله الواسعة » فصاحت ، ولكن فى سذاجة « والى أين أنت ذاهب ياسيدى محمد » فأجاب ساخرا وهو على عتبة الباب « للحبس المنسى اللى ما فيه لا دنة ولا كرسى » الى مكان لا يعرفنى فيه أحد ولا يوجد فيه باب أو مقعد ، الى الجبل ».

وانصرف غاضبا ، فأسرعت فوفويا وخلعت الباب واحضرت كرسيا وحملتهما وتبعته .

وبعد أن سار محمد مسافة طويلة ووصل الي الجبل ، مضى يصعد فى شعابه حتى تعب وجلس ليستريح ولمح فجاة فوفويا مقبلة تحمل الباب والكرسى ، فلم يصدق عينيه ، وصرخ مدهولا ، « فوفويا » فأجابته « نعم ياسيدى محمد »، فضحك وقال لها ،« مسكينة حمقاء ولا ذنب لك »، فأجابته فى بساطة ، « حين سمعتك تقول « ماشى للحبس المنسى اللى ما فيه لا دنة ولا كرسي »، ذاهب الى مكان لا يعرفنى فيه احد ولا يوجد فيه باب أو مقعد الى الجبل ، احضرت معى الباب والمقعد » ، فضحك محمد من سذاجتها وكانت الشمس قد غابت واقبل الليل فقال لها ،« يجب علينا ان نبحث عن مكان لننام فيه ونعود فى الصباح الى دارنـا » .

ووجد محمد حجرين كبيرين قريبين من بعضهما فوضع الباب فوقهما وناما فوق الباب . ولم تمض ساعة حتى جاءت الى المكان عصابة من اللصوص كانت قد سرقت أحد الاغنياء ، وهرعت الى الجبل لتهرب من مطاردة أهل البلدة ، وحين راى اللصوص الحجرين ،لم ينتبهوا الى الباب لانه كان مرتفعا وظنوا المكان كهفا فدخلوا وناموا فيه ، واحس بهم محمد ، لكنه لم يتحرك ولم يوقظ فوفويا ، ونام اللصوص وعلا شخيرهم ، وفجاة استيقظت فوفويا وأرادت النهوض ، فمنعها زوجها وطلب منها أن تنام ، لكنها أخبرته انها تريد أن تتبول ، فأمرها ان تلزم مكانها وأعطاها طاقيته لتتبول فيها ، ففعلت ، ونامت قليلا ثم استيقظت وارادت النهوض فمنعها واحتجت بانها تريد أن تتبرز فأعطاها « شكارته » كيسه الجلدى الذى يحمل فيه نقوده وحوائجه الصغيرة ، فتبرزت فيه ، ونامت قليلا، ثم استيقظت لكنها فى هذه المرة هبت واقفة ترقص فوق الباب وتـدب

بقدميها وهى تقول « جات لى الشطحة »(1) وقصدت أنها أحست بالرغبة الشديدة لكى ترقص . فسمع اللصوص وقع أقدامها فظنوه حوافر الخيل وقد جاء اهل البلدة يطاردونهم ، فهبوا من نومهم خائفين هلعين ، واسرعوا بالفرار ، ونسوا أن ياخذوا معهم مسروقاتهم .

وحين رآهم محمد العروس قد ابتعدوا كثيرا واختفوا وراء الجبل تنفس الصعداء، وعثر على اللآلىء والجواهر والكثير من الذهب، فحمل ما وجده ورجع مع نونويا الى داره ، وصار محمد العروس ثريا ، واشترى دارا لتعيش فيها للانونويا واحضر لها الخدم ، واشترى دارا لنفسه وتزوج امراة اخرى تعرف الحياة وتخالط الناس وتزور وتزار ، وشمل نونويا برعايته .

(1) — الشطحة هى الرقصة

الرمان السفاري

يروى أنه كانت امرأة حاملا تتوحم ، فاشتهت الرمان السفارى (1) ، وطلبت من زوجها ان يحضر لها رمانتين ، فذهب الرجل الى السوق واشترى لها رمانتين ، وأثناء عودته شعر وهو يمشى فى الطريق بالحر ، فقد كان الجو شديد الحرارة وأحس بالعطش كذلك ، فأكل رمانة من الرمانتين ، وحين وصل الى داره اعطى زوجته رمانة واحدة ، فسألته ، « واين آلثانية ؟ » فأجابها ، « اكلتها وانا عائد فقد اضر بى الحر فى الطريق » ، فهتفت المراة ، « لماذا اكلتها ؟ ليعطك الله جزاءك » .

ولم تمض اشهر قليلة حتى بدات بطن الرجل تنتفخ ، تماما مثل المراة حين تحمل ، ولم يعرف الرجل ماذا دهاه ، لكن مع مرور الايام بدأ الجنين يلعب داخل بطنه .

وذات يوم كان فى الغابة مع زوجته ، وجاءهما الم المخاض، فرجعت المراة الى الدار وولدت ولدا ، أما الرجل فلم يطق الالم ، فأخرج سكينه وفتح بطنه ، فخرجت منها بنت صغيرة جميلة ، ومات الرجل .

واقبلت غزالة حبلى ، وولدت بجانب الطفلة هى الاخرى غزلانا صغارا ، فأخذت الطفلة ترضع من الغزالة ، وتربت مع صغارها حتى كبرت ،ووهبها الله شعرا طويلاً فكانت تفرش نصفه تحتها وتتغطى بنصفه الاخر .

وفى يوم جاء صيادون يرافقون ابن السلطان ورأوها فلم

(1) — نوع ممتاز من الرمان وخال من البذور تقريبا



أما الرجل فلم يطق الألم فأخرج سكينه وفتح بطنه

يصدقوا امينهم ، ذلك لانهم تبعوها بالخيل فلم يلحقوها ولم يقدروا ان يمسكوا بها بالرغم من أنهم طاردوهـــا ســاعات ، ورجعـــوآ الى ابـــن السلطان خائبين من غير صيد ، وحين ســألهم ، « لماذا لم تحضـروا صيدا ؟ » طلبوا منه الامان ان أراد الصدق ، فأجابهم ، « قولوا مـــا شئتم » ، فقـــالوآ ، « رأينا فتاة جميلة لها شـعر طويل ، وتجـــرى اسرع من الغزال ، ولسنا متأكدين ان كانت انســانة او جنيـــة » ، فأمرهم ابن السلطان أن يجهزوا طبقين من الكسكس ، ويضعوا فى واحد منهما ملحا ، ويجعلوا الاخر من غير ملح ، وعليهم ان يحيطـــوا بالمكان ، فلا تقدر ان تفلت من بين ايديهم ، ويحضرونها اليه ، فنفـــذ الصيادون ما أمرهم به ابن السلطان ، وجاءت الفتاة واقتربت مـــن الطبقين الممتلئين بالكسكس ، وذاقت من اولهما وكان من غـــير ملـــح فلم تأكل ، وذاقت من الثانى وهو الملح ، فأكلت منه ، فعرفوا أنها انسانة ، واحاطوا بها وامسكوها واخذوها الي ابن السلطان ، فمـــا ان رآها ورأى حســن جمالها حتى اعجبته ووقع فى حبها ، فقال لها ، « اريد أن اتزوجك » ، فأجابته ،« انا بين يديك افعل بى ما تشاء » ، فأخذها الى الجناح الذى يسكنه فى القصـر ، وهو مكون مـــن ثـــلاث غرف ، وادخلها الى احدى الغرف واقفل عليها البـــاب بالمفتاح ، وخبأ المفتاح ووضـعه فى معلف التبن الذى يأكل منه حصانه ، وراته الخادمة ، وقال لامه ، « ســأتزوج وأقيم الفرح بعـــد ايام» ، وذهب ليشـترى من السوق ما يلزم الفرح وخاصة ثيابا جديدة للفتـــاة ، فقد كـــانت عارية تتغطى بشـعرها ، وسأل أمه أن تعـــد الطعام كل يوم وتضعه فى نافذة الغرفة لانه بداخلها صـديق له مريض ، ولانه سيغيب عـــدة ايام ، ولم يقل لامه شيئا عن الفتاة ، وكتم الســـر .

فأخذت أمه تعـــد الطعام وتضـعه فى نافذة الغرفة ، وتعـــود بعـــد مـــدة لتجده قد اكل ، فأرادت ان تعرف من بداخل الغرفـــة ويأكل الطعام ، فسألت الخادمة فأجابتها انها رأت ابنها يضع المفتاح فى معلف التبن ، فأمرتها ان تاتى به ، فأحضـرته لها ، وحين حاولت الام فتح البـاب ، صرخت الفتاة ووقفت وراءه تدفعه ، وتمنعهم مـــن الدخول ، ولم يستطع أحد أن يفتح الباب ويدخل الغرفة ، فقد كانت الفتاة حذرة وتحرس الباب دائما وتنام خلفه ، وكانت تبكى كثيرا حتى أن دموعها حفرت قناة فى أرض الغرفـــة .

وذات يوم وقد أمضها فراق الامير ومحاولات الام المستمرة لدخول الغرفة ورؤيتها ، فتحت النافذة ، وطارت كالحمامة ، وباذن مولانا ربي ذهبت الى قصر فيه كل ما تحتاج اليه ، وفيه خادمة ترعاها كذلك .

وحين عاد ابن السلطان واحضر ما يلزم العرس ، والثياب لها ، دخل الغرفة فلم يجدها ، فجرى الى امه واخرج سيفه ووضع طرفه فوق قلبه وهددها قائلا ، « تولي لي من دخل الغرفة او اقتل نفسي »، فاجابته ، « لقد كنت واقفة يا بني بجانب الغرفة أمام معلف التبن ، وجاءت دجاجة واخذت تنبش وتأكل من التبن فظهر المفتاح ، فأخذته وفتحت الغرفة ودخلتها فلم اجد فيها سوى قناة من الدموع تجرى في ارض الغرفة .

فحزن ابن السلطان وخرج ، وهام على وجهه ، وبكى كثيرا ، وفي أول الزمان كانت الطيور تتكلم ، فقابله طائر كبير وساله ، « لماذا تبكي ؟ » فاجابه ، « لو عرفت لما سألتني » ، فقال الطائر، « احك لي وانا اساعدك واحل مشكلتك » ، فحكي له ابن السلطان ما جرى له فقال الطائر ، « ماذا تعطيني لو اخذتك الى الفتاة ؟ » ، فاجابه ، « اعطيك كل ما هو موجود فوق الارض ان شئته » ، فطلب الطائر ثورا ازرق ، يذبح ويأكل من لحمه حتى يشبع ، فاحضر ابن السلطان الثور وذبحه وسلخه وأكل الطائر منه حتى شبع ، وامر الطائر ابن السلطان أن يقطع قطعا كبيرة من اللحم ويحملها بين يديه ، وامسك الطائر ابن السلطان من تحت أبطيه ، وطار به الى بلاد بعيدة ، وقال له الطائر ، « انى ذاهب الى مكان بعيد لو سرت على رجليك لاستغرقت مائة عام حتى تصل اليه ، واثناء الطيران كان الطائر يطلب قطعة من اللحم فيعطيها له ابن السلطان ، وانزله الطائر أمام القصر ، وكان بجانب القصر بئر ، وخرجت خادمة لتملا منه الدلو ، فاقترب ابن السلطان منها ورمى الخاتم في الدلو وقال لها ، « اعط هذا (للاك) لسيدتك » .

فدخلت الخادمة تحمل الدلو ، وطمعت ، فمدت يدها لتاخذ الخاتم ، لكن الخاتم كان ملتصقا بقاع الدلو ولم تستطع الخادمة أن تنزعه منه .

أما الفتاة فقد امكنها بسهولة ان تأخذ الخاتم ، وعرفته ، وطلبت من الخادمة ان تحضر صاحبه ، فادخلته الخادمة الى القصر ، وقبل فتاته واخذها بين أحضانه ، وقالت له الفتاة ؛ « لى شرط واحد لابد من تنفيذه ان اردت ان أعيش معك »، وأشارت الى حجر كبير وسط القصر وقالت ، « اطلب منك ان لا تنزع هذا الحجر من مكانه وإلا تنظر الى ما يوجد تحته » ، فوعدها أن ينفذ طلبها .

وعاش معها فى القصر عشر سنوات ، وذات يوم وكان يوم عيد الاضحى (عيد الضحية) حيث يذبح المسلمون الاكباش ، تذكر امه واشتاق لها ، وقال لنفسه ، « ترى ماذا يوجد تحت هذا الحجر ؟ لابد أن ارى » ، واقترب من الحجر وأزاحه فرأى تحته فراغا ، ورأى سماء أخرى تحت الحجر ، ورأى امه ، بعيدة هناك فى قصرها وقد وقفت ومعها كبش الفداء تمسك به ، وتبكى لانها لا تجد من يذبح لها الكبش ويسلخه ، وسمعها تقول ، « هل مات ولدى أم لازال يعيش ؟» ، فرمى لها خنجره، لكن الخنجر تاه فى الفضاء ولم يصل اليها، فخلع جلبابه ورماه لها ، لكن لم يصل اليها الجلباب . ، واختفى فى الفضاء كذلك ، فأخذ يصيح ويلوح بذراعيه لتراه أمه ، لكنها لم تكن تراه ، فرمى بنفسه فذاب وتبدد فى الفضاء ، لكن نقطة دم من دمائه بقدرة الله العلى القدير وصلت حيث توجد أمه ، ولامست الكبش فذبحته لها (1) .

(1) — انظر ما كتب عن العقيدة التقشية ص 20 وما بعدها

بعيدا عن الانثى

لم يرزق الرجل وزوجته الا بنتا واحدة ، وذات يوم احضر الرجل طائر الحجل لابنته لتلعب به وتلهو ، ولما كانت الام تدلل ابنتها دائما فقد اتت بحليها الذهبية والبستها لطائر الحجل حتى تزداد البنت فرحا ومتعة وهى تلعب بالطائر ، وظل الحجل يقفز ويجرى هنا وهناك،ثم طار فجأة وهو يحمل الحلى الذهبية . فجرت البنت وراءه وتبعته ، وخافت الام أن تفقد ابنتها ، فجرت وراءها هى الاخرى ، وكانت الام حاملا ومع ذلك ظلت تجرى وراء ابنتها ، واستمر الحجل فى طيرانه وحاولت البنت أن تلحقه لتأخذ الحلى ، والام تتبعها .

ودخل الحجل الغابة وطار بين الاشجار ، واستمرت البنت تجرى وراءه ، والام تتبعها ، حتى أنهكها التعب،ومع ذلك فانها لم تترك ابنتها تغيب عن ناظريها ، وافتقدت البنت الحجل ، فقد طار بعيدا .

وغابت الشمس وبدأ الليل يقبل واصبحت الدنيا ظلاما ، ووقفت الام تلهث بجانب ابنتها وقد نسيتا الحلى ، ذلك لانهما ضلتا الطريق ، ولم تعرفا الى اين تذهبان لكنهما ظلتا سائرتين،واحستا بأن هناك من يتبعهما ، وكان غولا رهيبا . وحين نظرت الام وراءها رأته فى هيأة أسد ، وبعد ان التفتت مرة ثانية رأته فى هيأة عفريت ثم فى هيأة ثعبان ، فقد كان الغول يغير من هيأته مرة ومرات ، والتفتت البنت هذه المرة فرأته فى هيأة ثور ، فهتفت ، « أماه ثور ! » ، ثم رأته فى هيأة حصان ، فزاد رعبها وخوفها ، واسرعتا بالجرى ، واخيرا وقفت الام وابنتها تحت شجرة كبيرة وقد أصابهما التعب ولم تعد واحدة منهما تقدر على الجرى والهروب .

فالتفتت المرأة الى ابنتها وقالت ، « يا ابنتي ، انه غول رهيب »، واقترب الغول منهما ، وضرب بمخالبه بطن المراة الحامل ، ففتح بطنها ووقع طفلها على الارض ، فهتفت المراة ، « يا ابنتى ، ان وقعت على يدى اليسرى فاعرفى أن طفلى بنت ، فاعطيها للغول ، وأن وقعت على يدى اليمنى فاعرفى أنه ولد ، وخذيه وربيه » ، ووقعت الام على يدها اليمنى ، وتسلقت البنت الشجرة لتهرب من الغول لكنها تركت اخاها المولود مرميا فوق الارض تحت الشجرة ، وخافت أن يأكل الغول اخاها بعد أمها . فصرخت ، « يا شجرة ياطيبة ، ياشجرة ياطيبة ، انزلى أوراقك وغطى أخى » ، فأخذت الشجرة ترمى أوراقها وتخفض من غصونها حتي غطت الطفل تماما ، لكن الغول اخذ يهز الشجرة وبدا يكسر اعوادها لانه يريد البنت ؛ فصرخت البنت وبكت وظلت تصرخ وتبكى، وكانت تعشعش فى هذه الشجرة انثى الغراب فسألت البنت عن سبب صراخهاوبكائها، فاجابتها البنت بأن الغول أكل أمهاوهو يحاول كسر الشجرة ليأكلها هى ايضا، فوعدتها بالمساعدة، وطارت أنثى الغراب ، واحضرت سكرا، وقالت للغول ،«افتح فمك»، ورمت السكر فى فمه، فأكله ثم عاد يكسر الشجرة ، فطارت الغرابة واحضرت عسلا وقالت للغول ، « افتح فمك »، ففتح فمه ورمت فيه العسل ، فابتلعه الغول ، ثم عاد يكسر الشجرة ، فطارت الغرابة وذهبت الى حداد وطلبت منه ان يعطيها نصل المحراث (1) بعد ان يسخنه فى النار ، فأعطاها الحداد نصل المحراث ، فأحضرته وقالت للغول ، « افتح فمك »، ففتح فمه ورمت فيه نصل المحراث الحاد الساخن ، فوقع فى فمه وقطع حنجرته ، ودخل فى بطنه ومصارينه ، ومات الغول .

ونزلت البنت من اعلى الشجرة وأخذت اخاها ومشت به فى الغابة، وبينما هى سائرة لقيت خنزيرة تلد ، فقالت لها ،« اعطينى خنزيرا صغيرا من اولادك »،فأجابت الخنزيرة ،« ساعديني فى الولادة وأنا اعطيك خنزيرا »، وساعدتها البنت ، وولدت الخنزيرة أول خنزير ، فأخذته البنت وخبأته وراء ظهرها مع اخيها ، ثم ولدت الخنزيرة صغارا آخرين ، ولم تكن الخنزيرة قد رات البنت وهى تخبيء اول وليد ، فادعت البنت أنها لم تاخذ خنزيرا صغيرا ، وطلبت واحدا من الام ،

---

(1) ـ سكين المحراث الحاد .



وطارت أنثى الغراب، وأحضرت سكرا وقالت

للغول افتح فمك ، ورمت السكر في فمه

لكن الخنزيرة رفضت أن تعطيها ، فقالت البنت لنفسها :« حسنا فعلت ، فلو لم اخبىء أول وليد لما نلت شيئا ».

وسارت البنت فى طريقها فوجدت لبؤة تلد ، فاقتربت منهـا ، وطلبت ان تاخذ من أولادها شبلا صغيرا ، فوعدتها اللبـؤة بعـد ان تساعدها فى الولادة فساعدتها ، وخبأت شبلا وراء ظهرها مع أخيها والخنزير الصغير ، لكن اللبؤة بعد الولادة ، ودون ان تعرف أن البنت اخذت شبلا ، رفضت ان تعطيها .

وسارت البنت فى الغابة ، ولقيت كلبة تلد ، وتكرر معها ما حـدث بينها وبين الخنزيرة واللبؤة ، واصبح مع البنت كلب صغير وخنزير وشبل ، وسارت فى الغابة وقابلت ذئبة وتكررت الحكاية ، ثم قابلت ضبعة تلد ومن بعدها ثعلبة ، فاصبحت البنت تحمل وراء ظهرها اخاها ومعه خنزير وكلب وشبل وذئب وثعلب وضبع ، كانوا سبعة ، اخوها الرضيع وست من الحيوانات الرضيعة .

وبنت البنت دارا وربت أخاها مع الحيوانات حتى كبر ، وكانت كلها بمثابة أصدقاء لها ، فالحيوانات تطيعها وتحب اخاها ، وعاشـوا جميعا سعداء .

ومضت اعوام كثيرة ، وفى يوم جاء رجل يريد ان يتزوجها ، فلم يوافق اخوها وغضب ، فقال لها الرجل ، « أنا وأنت نحب بعضنا ، ولابد ان نقتل اخاك حتى أستطيع ان أتزوجك » ، فوافقت ، وذهب الرجل ليقتل اخاها لكنه لم يقدر لوجود الحيوانات معه ، فرجع الى البنـت وقال لها :« يجب أن تبقي الحيوانات فى الدار ، حتى يمكـن أن اقتـل اخاك » .

فطلبت البنت من اخيها ان يترك الحيوانات فى الدار معها حين يذهب للصيد لانها تخاف أن تبقى وحدها، فوافق ، وخرج للصيد بمفرده.

واحضرت البنت رحى الطحن ، ووضعتها فوق الغرفة التى بها الحيوانات ، وأخذت تطحن لتحدث صوتا مرتفعا حتى لا تسمع الحيوانات أخاها اذا صرخ فتهرع لانقاذه ، وصحب الرجل معه عددا من اصحابه وذهبوا ليقتلوا أخاها ، وعندما احاطوا به وهموا بقتله ، طلب منهم ان

يسمحوا له ان ينادى وينطق باسم آخوته الحيوانات ثلاث مرات قبل أن يموت ، فسمحوا له ، نصاح « سبع ، ضبع ، كلب ، خنزير ثعلب، ذئب ، ثلاث مرات ، وفى المرة الثالثة سمع السبع اسمه ، فقفز من الغرفة تتبعه الحيوانات ، وكانت عصها رحى الطاحون امام صدر البنت ، وحين تقفز السبع اطار !!طاحون بعصاها فدخلت عصا الطاحون فى صدرها ، نماتت فى الحال ؛ وجرت الحيوانات مسرعة لتنقذ اخاها ، هجموا على الرجل واصحابه ، وفتكوا بهم جميعا ، ورجعوا مع اخيهم سالمـا الى الدار .

وحين رأى اخته ميتة ، قام بدفنها ، ولم تمض ايام حتى جاءت اليه امراة وقالت له ، « اننى ارغب فى ان اعيش معك ، لكننى اطلب منك ان تبعد حيواناتك عنى »، نوعدها بتنفيذ رغبتها ، وتزوجها وعاشت معه .

لكنها كانت غولة : وكانت تأكل كل يوم بقرة او كبشا ، او دجاجا او بطا ، فما ان ينام الرجل حتى تقوم وتأكل ، فلاحظ أن ماشية الدار وطيورها تتناقص ، وسأل من يعملون معه عن السبب ، فأجابوه ، « لا ندرى ولا نعلم »، وظلت الغولة معه سنة ، وولدت بنتا ، ومضت الايام والشهور ، وظلت ماشية الدار وطيورها تتناقص .

وذات يوم ذهب الى الفلاح الذى يرعى الماشية ويهتم بالطيور ، وسأله أن يبحث عن السر ، وبعد ايام جاء اليه الفلاح وقال لـه ، « اننى أعد كل شيء ، وقد تأكدت ان هناك من يسرق ، انها زوجتك وانها لغولة ، فقد راقبتها ، ورايتها تقوم فى الليل وتاكل ، وما عليك الا أن تسهر ليلة وتراها بعينيك ؛ انها تعطيك شيئا تأكله قبل النوم فتنام نوما عميقا ، فان اعطتك شيئا فلا تأكله ».

فنفذ ما قاله له الفلاح ، وجاءت زوجته واعطته طعاما ليأكلـه قبل أن ينام ، فادعى انه أكله ؛ وغسل يديه ونام ، وبعد ساعة رآها فى الليل تتسلل من جانبه وتذهب الى حظيرة الاغنام ، فتبعها ، فـاذا بها تهجم على كبش وتفترسه وتأكله ورأى الدماء فى فمها ويديها .

وفى الصباح حمل ابنته على ظهره ، ومشى ، بعيدا ، وذهب لبلاد اخرى ، يريد ان ينقذ ابنته ، وقابل صديقا ، وقال له صديقه ، اليوم

قد مضى اسبوع على ميلاد ابنى ، واننى أريد ان اقيم احتفـالا بهـذه المناسبة ، فتعال لتتناول العشاء معى وتلعب ابنتك مع الاطفال » ، فذهب معه ، وفى دار الصديق تناولوا العشاء ، ودخل احدى الغرف ليرى ماذا تفعل ابنته ، وذهل حين راى ابنته تأكل ابن صديقه الرضيع وهى فرحانة تضحك ، فأخذها وحملها فوق اكتافه ، وخرج من الدار قبل أن يراه احد .

وجرى الرجل، وظل يجرى، وكانت الشمس محرقة وتعب من الجرى واحمرت أذناه ، فقالت له ابنته ، « يا ابى ان اذنيك محمرتان ، وان طعمهما لذيذا ، فصرخ ، وقذف ابنته بقوة على الارض ، فماتت الطفلة الغـولـة .

اما الغولة فقد خرجت تبحث عن ابنتهـا ، وهامت على وجهها ، اما هو فقد رجع الى داره وعاش مع أخوته الحيوانات بعيدا عن الانثى.

أحمق تماما

اخذ جحا قمحه وذهب الي الطاحون ليطحنه دقيقا ، وكان يظن ان لديه كمية كبيرة من القمح ، لكنه وجد كثيرا من الناس معهم قمح اكثر من قمحه ، فتضايق جحا ، وبخفة بدأ يسرق ويأخذ من قمح الناس ويضيفه الي قمحه ، فرآه أحدهم ، وامسكوا به وضربوه وسألوه ، لماذا تسرق ياجحا ؟ فأجاب ، « أحيانا أكون احمقا فآتي من الانفعال شيئا قبيحا مثل ما حدث الان ».

فردوا عليه « لا ياجحا لو كنت أحمقا لاخذت من قمحك واضفته الى قمح الناس » ، فضحك جحا وقال ، انني لو فعلت ذلك لكنت أحمقا تماما » .



تضايق جحا، وبخفة بدأ يسرق ويأخذ من قمح الناس ويضيفه الى قمحه

القزم حديدان الحرامي

كان للرجل سبعة اولاد ، اصغرهم تزما آسمه حديدان ، وكان غاية فى الذكاء والدهاء ولذلك لقبوه حديدان الحرامى (1) .

وذات يوم اراد الاب أن يحج مع زوجته ، ورغب الاولاد كذلك فى الحج،وحاول الوالدان ان يثنيا الاولاد عن عزمهم لما فى الحج من مشاق وصعوبات ، لكن الاولاد اصروا ، فوافق الاب على مضض .

وساروا جميعا نحو الحجاز راكبين الجمال ، يقطعون البوادى والفيافى والقفار ، ومرض اكبر الاولاد ، واشتد عليه المرض مع مرور الايام، وفى يوم قال الابن المريض لابيه ،« يا ابى اننى غير قادر على اتمام الرحلة ، فاتركونى هنا وابنوا لى كوخا صغيرا من الخشب واتركوا معى شيئا من الخبز والبصل ، وسأقيم فى الكوخ حتى ترجعوا من الحج ، فأرجع معكم الى دارنا » ، فبنوا له كوخا من الخشب واعطوه شيئا من الخبز والبصل والطعام ، وتركوه ومضوا فى طريقهم ليكملوا رحلتهم ويؤدوا فريضة الله .

وبعد ايام مرض ابن آخر واستفحل مرضه ، فنادى اباه وقال له ، « اننى عاجز عن السير معكم فابنوا لى كوخا من الخشب واتركوا لى شيئا من الخبز والبصل وسأنتظر رجوعكم فأصحبكم الى دارنا » ، فبنوا له الكوخ واعطوه ما طلب من الطعام وساروا فى طريقهم .

ولم تمض ايام حتى مرض ابن آخر ، وقال كما قال أخوه ، فبنوا له كوخا من الخشب ، واعطوه الطعام .

(1) — الحرامى : صفة فى اللهجة الشعبية المغربية يقصد بها شدة الذكاء والفطنة والشيطنة وليس معناها لص كما فى بلاد المشرق .

ومضوا فى طريقهم ، لكن سوء الحظ توالت ضرباته ، فقد مرض ستة من الاولاد ، وبنوا لهم أكواخا من الخشب ، وتركوا معهم الطعام متمنين لهم الشفاء ، آملين ان يصطحبوهم عند عودتهم ، ولم يبق الا القزم حديدان الحرامى ، لكن بعد أيام مرض هو الاخر ، نحزن عليه والداه حزنا شديدا ، فقد كان اثيرا لديهما ولغرابة شكله ازداد حبهما له ، ونادى والديه وقال لهما ، « اننى مريض ومنهوك القوى » ، فسألته أمه ،« ماذا تريد ؟ »، فطلب ان يبنيا له بيتا من الحديد ، وله باب من الحديد ، وسقف من الحديد ، وكل شيء فيه من الحديد ، وليتركا له شيئا من الخبز والبصل ، فلبيا رغبته ، وبنيا له بيتا من الحديد ، وتركاه ليتمما حجهما .

وكانت هناك غولة مهولة تسير فى الطريق وراء قافلة الحجاج ، فقابلت الابن الاكبر فى كوخه الخشبى ، وكسرت ذلك الكوخ بسهولة واكلته ، وسارت فى طريقها ، فقابلت الابن الثانى مريضا فى كوخه الخشبى ، فحطمت الكوخ واكلته ، ومشت فى الطريق فوجدت الابن الثالث يعانى من المرض فى الكوخ الخشبى ، فكسرت الكوخ بسرعة واكلته ، ومضت حتى أكلت الستة أولاد الذين يعيشون فى الاكواخ الخشبية ، فقد كانت تحطم تلك الاكواخ وبسهولة لانها مصنوعة من الخشب ..

ومضت الغولة سائرة فى طريقها حتى لقيت القزم الحرامى يعيش فى بيته الحديدى ، فحاولت تحطيمه كما حطمت الاكواخ الخشبية ، لكنها عجزت ، فنادت حديدان الحرامى وسألته عن اسمه ، فاستفسر منها الحرامى عن غرضها ، فقالت انها تريد ان تراه وتستمتع برؤيته ، والجلوس معه والحديث اليه ، لكنه رفض وابى ، وكانت تناديه بقولها « تعالى يا حديدان الحرامى » ، وتستعطفه ، لكنه رفض الخروج من بيته الحديدى ، فغضبت الغولة واهتاجت ، وذهبت واحضرت كومة من الحطب ، ووضعتها فوق الكوخ واشعلت فيها النيران ، لكن الحديد لا يحترق ، وفى الليل مشت الغولة وعادت الى بيتها ، فخرج حديدان الحرامى وملأ قربته ماء ورجع الى بيته ، واقفل الباب .

وفى الصباح جاءت الغولة وادعت أنها تريد فقط أن ترى حديدان الحرامى وتستمتع برؤياه ، فقال لها حديدان ، « أن كنت تريدين رؤيتى فتعالى واسكنى بجانبى »، فذهبت الغولة واحضرت معها اولادها الثلاثة



ومضت الغولة سائرة في طريقها حتى لقيت القزم الحرامي يعيش في بيته الحديدي

وبنت بيتا لها بجانب حديدان الحرامى ، وجاءت اليه تود ان تخدعه ليخرج اليها فتأكله ، فقالت له ، « تعـال يـا حديدان الحرامى ، اخرج لكي تملأ قربتك ماء »، فرد حديدان ، « ان قربتى مثقوبة وسأصلحها ثم اخرج »، فأسرعت الغولة الى بيتها وثقبت قربتها واخذت تصلحها حتى تنتهى فى الوقت الذى ينتهى فيه حديدان الحرامي من اصلاح قربته ، فتخرج فى الوقت الذى يخرج فيه من بيته . لكن حديدان كان قد خرج قبلها بقربتـه سليمـة ، وملأهـا مـاء و عـاد الى بيتـه ، و حيـن انتهـت الغـولـة مـن اصـلاح قـربتهـا ذهبـت الـى حـديـدان و نـادتـه ، « حديـدان هيا يا حديدان الـم تنته من اصلاح قربتك ؟ »، فرد عليها »، لقد ملأت قربتـى وانتهيـت »، فتضايقت وثارت وذهبت لتملأ قربتها بمفردها .

ثم جاءت اليه مرة اخرى ونادته وقالت ، « تعال معى نذهب الى البستان لنحضر برتقالا » ، فأجابها حديدان ، « لكـن قفتى متقطعـة وسأصلحها واخيطها ثم اذهب معك الى البستان »، فأسرعت الغولة الى بيتها وقطعت قفتها واخذت تصلحها وتخيطها لتخرج فى موعد خروج حديدان ، لكن هذا لم يحدث ، لان قفة حديدان كانت سليمة ، وقـد خرج مسرعا والتقط من البستان انضج واكبر حبات البرتقال ، وملأ قفته وعاد الى بيته ، واغلق بابه الحديدى ، ولما انتهت الغولة مـن اصلاح قفتها ، خرجت لتقابل حديدان ، قال لها ، « لقد احضرت البرتقال وشكرا لك »، فثارت الغولة وكادت أن تجن ، واحتارت ولم تعرف ماذا تفعل مع حديدان .

وكانت الغولة تخرج كل يوم فى الصباح الى الجبل لتصيد ، وتترك حمارها ، فخرج حديدان من بيته الحديدى واخذ الحمار وركبه وذهب الى اماكن كثيرة ، وعاد وقد أنهك الحمار ، وحين راى الغولة قادمة من الجبل ، ترك الحمار وذهب الى بيته الحديدى ، ووجدت الغـولة الحمار متعبا منهكا ، فازداد غيظها ، واهتاجت وثارت ، لكـن دون فـائـدة .

وذات يوم كانت الغولة تسير فى الغابة فقابلت رجلا عجوزا هرما، فاقتربت منه تريد افتراسه واكله ، فأخذ الرجل يسترحم الغولة ، فقالت له ، « ان قلت لى عن حيلة امسك بها حديدان الحرامـى اتركـك »،

وحكت له ما حدث بينها وبين حديدان الحرامى ، فقال الرجل العجوز، « هل تعدينني ان قلت لك عن حيلة تمسكين بها حديدان ، أن تتركينى ولا تأكلينى » ، فوعدته الغولة بالامان ، فقال العجوز ،« ابحثى عن رجل مثلى واكسرى راسه واخرجى مخه وادهنى بمخه ظهر حمارك . فان جاء حديدان وركب الحمار ، فانه يلتصق بظهره ولا يمكن ان يخلص نفسه من الحمار ، فسيظل ملتصقا به ، فتجيىء أنت وتمسكيه» عند ذلك هجمت الغولة على الرجل العجوز وكسرت راسه واخرجت مخه ودهنت به ظهر الحمار .

وجاء حديدان وركب الحمار ، لكنه ظل ملتصقا به ، فجاءت الغولة فرحة وامسكت به ، وقالت له ،« اخيرا امسكتك يا حديدان » ، فسألها ،« ماذا ستفعلين بي ؟ »، فضحكت وظهرت أنيابها ، واجابته ، « سآكلك طبعا يا احمق كما اكلت اخوتك الستة » ، فقال لها حديدان ، « لكن انظرى الى انا قصير وعظمى رقيق جدا ، فانت حمقاء ان اكلتنى الان ، خذينى الى بيتك واطعمينى كثيرا حتى أسمن ، فتذبحينى وتطبخى الكسكس وتستدعى احبابك واصحابك الغيلان فتكون وليمة شهية ».

فاخذته الغولة وادخلته الى دارها ، ووضعته فى غرفة ، واقفلت الباب بالمفتاح ، لكن حديدان الحرامى قال لها ، « أنا الآن أسير عندك ويحرسنى اولادك فاعطينى المفتاح وسأقفل على نفسى الحجرة فلو فتحت على الباب كل يوم فسأرتعب من قدومك ودخولك الى ، وعندئذ لاينفع معى الطعام ولن اسمن ابدا »، فوافقت الغولة واعطته المفتاح واحضرت له اكياسا مملوءة بالجوز(1) واللوز وما لذ وطاب من الاطعمة ، وكانت كل يوم تجيء وتنادى ، « حديدان الحرامى ، اخرج لى اصبعك حتى أرى درجة بدانتك »، وكان هناك فار يعيش مع حديدان فى الغرفة ، فاخرج لها حديدان ذيل الفار ، فقالت ،« اف لك، لم تسمن بعد يا ملعون »، ومشت ، وكان حديدان يعطى الفار الكثير من الجوز واللوز والطعام .

ومضت ثلاثة اشهر وانتهى كل الطعام الذى احضرته الغولة ، ولم تبق سوى لوزة واحدة ، فتشاجر حديدان مع الفار من اجلها ، واكلها حديدان ، لذلك عندما جاءت الغولة هذه المرة وارادت ان ترى اصبع حديدان ، لم يرد الفار ان يخرج لها ذيله ، فاخرج

(1) ــ الجوز : الجرجاع بالعامية المغربية

حديدان بنصره ، فصرخت العجوز فرحة «لقد سمنت يا حديدان ، وحان ميعاد الوليمة ، إفتح يا حديدان افتح » ، ففتح حديدان البـــاب ودخلت الغولة وقالت «تعال اذبحك »، فقال لها «ولماذا تشغلين نفسك بذبحي وطبخي ، اذهبي أنت واستدعي اصحابك واحبابك واتركي ذبحي وطبخي لبناتك »، فذهبت الغولة لتدعو الاصدقاء ، أما حديدان فقد احتال على بنت من بنات الغولة ، وقال لها انه سيحكي لها حكاية واخذها الي بيته وذبحها ثم قال للبنت الثانية «تعالى لاحكى لــك حكاية مثل اختك »، واخذها الى بيته وذبحها ، وكذلك فعل مع الثالثة ، واحضر حديدان رؤوس بنات الغولة الثلاثة ومشط شعورها ووضعها علي السرير ووضع المخدات كأنها اجسادهن ، وغطاهن بالغطاء، فكان يهيأ للناظر ان البنات نائمات ، واخذ لحومهن وطبخها وجهز منها الطعام ووضعه في الاطباق ، ثم احضر حديدان مخطافا حديديا له ثلاثة اطراف مدببة مسنونة ، وكيسا من الملح وحزاما من الجلد ، وربط نفسه رباطا متينا في السقــف .

وحين جاءت الغولة واصحابها ، اسرعوا الى البيت تجذبهم رائحة اللحوم المشوية والطعام ، ونظرت الغولة فوجدت بناتها نائمات فقالت « مسكينات تعبات ، ذبحن حديدان وطبخنه وهيأن لنا الكسكس ، لكن يظهر أنهن اكلن كثيرا ونمن »، وجلست الغولة واصدقاؤها يأكلون الطعام اللذيذ ولحوم بناتها المطبوخة ، وما كادوا ينتهون من التهام الطعـــام اللذيذ حتي صرخت الغولة «ثدى ، ثدى »، ذلك انها وجدت ثديـــا مطبوخا ، ولم يكن لحديدان الحرامي أثداء ، وجرت لتوقظ بناتها ، ووجدتهن رؤوســا ولا شيء اكثر من ذلك ، فتحققت انهـــا اكلت مـــع صديقاتها بناتها .

وانصرفت الغيلان حتى لا تزيد الغولة هياجا وثورة ، وبقيـــت الدولة كالمجنونة تصرخ وتولول ، واخذت تبحث عن حديدان ، فناداها حديدان من السقف «انا هنا ايتها الغولة »، فصرخت ، « لقد تعديت بي بل ان اتعشى بك »، فرد حديدان «واللـــه لقد تعديت أنت مـــن قبل ، واكلت اخوتي الستة وانا فعلت ذلك انتقاما » ، فسألته ، « لكن كيف وصلت الى السقف يا حديدان ؟ »، فأجابها «لقد احضرت عددا كبيرا من الاكواب الزجاجية التى يشرب منها الناس الماء ، ووضعت كوبا فوق كوب حتى وصلت الى السقف »

فاسرعت الغولة واحضرت الاكواب ورصتها فوق بعضها ، وحاولت ان تقف فوقها ، فتكسرت الاكواب الزجاجية ، وانتشر زجاجها شظايا حادة ، ووقعت الغولة وانغرزت شظايا الزجاج الحادة في ارجلها وفي جسدها ، ورمى حديدان الملح في جروحها ، فصرخت الما ، وحاولت الغولة مهاجمة حديدان ، فقفزت لتصل اليه فقذفها حديدان بالملح في عينيها ، فازداد صراخها .

ثم سألت الغولة حديدان ، « كيف اصل الى السقف ياحديدان ؟» فرد عليها قائلا ،« احضرى زجاجات كبيرة فارغة وضعيها فوق بعضها البعض، واصعدى عليها » ، فأحضرت الغولة زجاجات كبيرة فارغة ووضعتها فوق بعضها البعض ، وصعدت عليها ، فوقعت وتكسرت الزجاجات ، ودخل الزجاج المكسور في قدميها وفي جسمها ، ورماها حديدان بالملح ، « فملأ الملح جروحها وانتشر فيها ، فصرخت من شدة الآلام .

واخذت الغولة وقد زاد المها تقفز الى السقف حتى كادت ان تمسك حديدان،لكنه اسرع وطعنها بالخطاف الحديدى المسنون في وجهها وعينيها وقذفها بالملح حتى عميت وسالت دماؤها ، وارتمت على الارض جريحة ، وناشدت حديدان الرحمة وسألته ان ياخذها الى الطبيب ، ففك حديدان رباطه ، ونزل من السقف واحضر حمار الغولة وغطاء ، ووضع الغطاء على ظهر الحمار وملأه بالإبر ، واركب الغولة فوق الحمار وربطها فوق ظهره برباط متين ، واتفق مع الحمار ان قال له أمش ، يقف ، وان قال له ، قف ، يمشى .

وظل حديدان يعذب الغولة فوق ظهر الحمار ويغرز في جسدها الابر حتى ماتت ، فرماها في البحر، ورجع بالحمار الى بيت الغولة ، واخذ كل ما عندها من أشياء ، وذهب الى بيته الحديدى ، وظل يعيش فيه حتى عاد والداه من الحج ورجع معهما الى الدار .

الاخوان

كان الرجل متزوجا من أمراتين ، ووضعت كل منهما ولدا فى ليلة واحدة . وشب الطفلان ولاحظ الاب أنهما يتشابهان تماما حتى كان يصعب عليه أن يفرق بينهما أن اجتمعا سويا أمامه .

وبعد سنوات ماتت زوجة من زوجتيه ، فاخذ الرجل طفله وعاش مع زوجته الثانية وابنها ، وكانت الزوجة لايمكنها أن تفرق بين الولدين لتماثلهما المطلق حتى فى الصوت والحركة والعادات ، فان نام احدهما وأيقظته ، استيقظ الولد الاخر وان نادت ولدا منهما كان يدير راسه ناحية اليمين والثانى يفعل مثله ، وما يغضب أحدهما يغضب الاخر وما يفرح هذا يفرح أخاه ، ومن الغريب ان الولدين كانا يتبادلان اسميهما فان نادى الاب واحدا منهما يرد الاخر وهو يقصد المزاح فلا يكتشف الاب ذلك ، والاخ يفعل نفس الشىء ، وكانا يضحكان خفية ويعجبان من قدرتهما على خداع والديهما دون أن يكتشف اللعبة أحد .

وبعد مضى سنوات قليلة مات الاب ، فعاش الولدان مع المراة وهى أم لاحدهما وامراة اب بالنسبة للاخر .

وتغيرت المراة واصبحت تريد ان تتخلص من الولد الاخر ، لكن حب ابنها لاخيه وتعلقه الشديد به منعها من التخلص منه ، والحق ان الولد كان يبادل أخاه نفس المشاعر تماما ، وضايق المراة عدم مقدرتها على معرفة ابنها ، فالاثنان لافرق بينهما ، ودائما يمزحان ويدعي كل منهما انه الاخر، ولم تجد اى محاولة لتجعلهما يكفان عن هذه اللعبة ، حتى وصل الامر أن المراة احتارت تماما ولم تعد تقدر أن تفرق بينهما وتعرف اى من الولدين هو ابنها ، لذلك ذهبت الى نقيبه

وسألته عن وسيلة تستطيع ان تميز بها ابنها عن الاخر ، فضحك الفقيه وقال لها ، « ما دمت تنادين ابنك باسمه فيرد الاخر فلن يمكنك ان تعرفى ايهما ابنك ، فعليك أن تحضرى كسوة جديدة ويكون الولدان موجودين وتنادى ، ابنى ، ابني ، فلابد أن يرد عليك ابنك ، وخذى هذا الخاتم وضعيه فى أصبعه وستعرفين ابنك من الخاتم» .

فنفذت المراة ما قاله لها الفقيه ، وحدث ما توقعه ، ووضعت الخاتم فى اصبع ابنها ، وفرحت المراة واخذت تعطى ابنها الزبد واللبن واللحم وتعطى الاخر الزيت وخبز الشعير ، واعطت ابنها منديلا ليمسح به يديه واعطت اخاه قطعة من الخشب .

ومضى عام ، وكانت المراة مسرورة ، لانها رات ابنها فى صحة جيدة ، والاخر هزيلا وضعيفا ، واصبحت حالته سيئة ، لكن فى يوم نادت ابنها دون أن تذكر اسمه ،«ابنى ، ابنى» ، فاذهلها أن رد عليها الولد الاخر الممتلى الصحة ، فهتفت به المراة ، غير مصدقة عينيها ، «هل انت ابني ؟» ، فاجابها الولد ، «نعم يا اماه انا ابنك» ، فصاحت ، «لكنك لاتضع الخاتم فى اصبعك»، فرد عليها ،« خلعته واعطيته لاخى ، حتى يأكل الطعام الجيد بدلا منى فاننى احبه» .

وابقت ابنها فى الدار وارسلت اخاه ليرعى الغنم ، وكانت لا تعطيه الا قليلا من خبز الشعير ، لكن الابن كان يعطى اخاه فى غفلة من امه اللحم والزبد ، ويبقى له دائما ما تعطيه امه من الطعام ، ولم تجد مراقبة الام ومحاولتها الاهتمام بابنها ومضايقة الاخر واضطهاده ، بل العكس ، فالولد ظل فى صحة جيدة والابن بقى عليلا ، فذهبت الى الفقيه وحكت له ماحدث ، فقال لها الفقيه ،« لافائدة ، عليك ان تعطيهما طعاما جيدا وياكلان مع بعضهما» .

واضطرت المراة لتقوى ولدها وتحسن صحته ، اضطرت أن تعطى الولدين الطعام الجيد ، اللحم والدجاج والزبد واللبن ، وتجعلهما ياكلانه مع بعضهما .كما قال الفقيه ، فاسترد ابنها قوته واصبح الولدان فى أتم صحة وعافية .

وكبر الولدان واستطاعت الام اخيرا بالرغم من تشابههما ان تميز ابنها ، وفى يوم نادته وقالت له ، «يابنى ، لقد مات ابوك وترك

ميراثا لابأس به ، وانا اريده ان يكون لك بمفردك ، وقد جهزت سما ووضعته فى الطعام واعطيته لاخيك ليأكله ويموت ويصبح الميراث لك وحدك ، فأياك ان تأكل من الطعام» .

فأسرع الى اخيه الذى كان يرعى الغنم ، وبكى وحكى له ما قالته أمه ، واخذ شيئا من الطعام واعطاه للكلب ، فاكل منه ومات فى الحال ، فاحتضن الاخ اخاه الذى انقذه وبكى هو الاخر وقال له .: «الان لا يمكننى ان ابقى واعيش مع امك ، وقد بلغت مبلغ الرجال فعلى أن ارحل فى الحال » ، واعطاه خاتمه واوصاه أن لا يخلعه من اصبعه وقال له ، «ان شعرت فى يوم من الايام واحسست ان الخاتم صار ساخنا ، فاعرف أننى اموت » (1)، وودع كل منهما الاخر .

وسار الشاب هائما على وجهه لا يعرف الى اين يتجه ، سار حتى وصل الى بلدة بعيدة ، ووجد اهلها يعيشون فى ضيق وهم و فى خوف وقلق ، فلما أستفسرهم السبب ، عرف منهم ان هناك خارج البلدة عين ماء يجيء اليها غول ويبقى فيها ويمنع الماء عن آلزرع وعن الناس ، وقد طلب الغول أن يعطوه كل يوم عشرة خراف من الغنم ، فوعدهم الشاب أن يخلصهم من الغول .

وذهب وبقى هناك بجانب عين الماء ينتظر وصول الغول ، وغربت الشمس ومضت ساعة وجاء الغول ، وكان الشاب قويا شجاعا لا يعرف الخوف ولا يخشى الغيلان ، فاستطاع أن يقتل الغول ويخلص الناس من شره وجشعه .

وفرح الناس فرحا شديدا وقالوا له ، « لقد كانت كل دار تعطى الغول خرافا كثيرة » وارادوا أن يعطوه قطيعا من الغنم كمكافأة له فرفض ، لكنهم اصروا ، فاكتفى أن تهديه كل دار خروفا واحدا ، ولم يرض أن ياخذ الخراف وسألهم ان يحفظوها له عندهم ، فأقاموا له وليمة كبيرة وودعوه .

و رحل فى حال سبيله ، و سار حتى وصل الى بلدة وجد اهلها اكثر هما وحزنا من البلدة السابقة ، لان عين الماء التى يعيش بفضلها الناس وتسقى لهم زرعهم يسيطر عليها غول .

(1) — آثار العقيدة الطوطمية فى الحكايات ارجع لصفحة 20

كبير ، يطلب ان يعطوه كل يوم سبعة ثيران ، فوعدهم الشـــاب ان يخلصهم من الغول الكبير .

وذهب الى عين الماء وحين جاء الغول هجم عليـــه الشاب فى شجاعة وجراة واخذ يقاتله فى عنف واصرار وبعزيمة قوية ، وبقلب لا يعرف الخوف او التراجع حتى قتله ، وارادوا ان يكافئوه ويعطوه قطيعا من الثيران ، فرفض واكتفى ان تهديه كل دار ثورا ، وطلب منهم أن يحفظوهـــا له عندهم ، ولما اراد الرحيل احتفلوا به واقاموا له وليمة وشكروه وبينوا له تقديرهم لشجاعته التى انقذتهم ، وودعوه ، ورحل فى حال سبيله .

وسار ، سار حتى وصل الى بلاد يختلف شكل اهلها عن الناس تماما ، وفى هذه البلاد الفقراء مثل الاغنياء ، فرحبوا به بالرغم مـــن غرابة شكله بالنسبة اليهم ، لكنه لاحظ انهم اشد حزنا وهما ، واكثر حوما ورعبا من اهل البلدين السابقين ، وعرف السبب ، فقد كـــان هناك غول جبار ، له عشرة رؤوس ، يهاجم البلدة ويهددهم بتدميرها ان لم يعطوه فتاة كل مرة ياتي اليهم ، وكانت كل اسرة تعطيه بنتا ، حتى جاء دور بنت الملك ، ولهذا كان الناس حزانى والملك يكاد يموت الما لانه لايود أن يعطي ابنته للغول ، فوعدهم الشاب أن يخلصهم من الغول ذى العشرة رؤوس ، وطلب منهم أن يحضروا له فتاة ، وخروفا ناضجا وقصعة مليئة بالكسكس وعشرة طرابيش .

وذهب الى العين وجلس هناك مع البنت واكل الكسكس والخروف وتأهب للنوم ، وسأل البنت أن توقظه حين يقبل الغول ، ونام .

ومضت ساعة وجاء الغول ، ولكن البنت ارتعبت وهلعت عندما راته ، ومن شدة خوفها ورعبها لم تقدر ان تاتى باية حركة او توقظ الشاب ، لكن دموعها التى سالت فى غزارة ووقعت فوق وجه الشاب النائم ، ايقظته ، فهب وامتشق سيفه وهاجم الغول ، فصرخ الغول ، «من انت ايها الطائر الغريب الشكل، انا لم ار مخلوقا يشبهك من قبل؟»، وامتشق هو الاخر حسامه ، وهاجم كل منهما الاخر وتقاتلا فى ضراوة ، الشاب يهاجم ، والغول ينفجر غضبا من شجاعته ، وقطع الشاب راسا من رؤوس الغول العشرة وغطاها بطربوش حتى لا تنبت لـــه راس

جديدة مكانها ، وظل يقاتله ويقطع رؤوسه الواحدة بعد الاخرى ويغطى محل كل راس مقطوعة بطربوش ، حتى قطع الرؤوس العشرة ، ومات الغول .

نفرح اهل البلدة فرحا شديدا ، واراد الملك أن يكافىء الشاب ويزوجه ابنته اعجابا بقوته وشجاعته وتقديرا لصنيعه الذى أنقذ الناس، ورغبت كل اسرة ان تهديه بنتا من بناتها لكنه رفض ، ولما أصر الناس قبل ان يهدوه عشر بنات ، وطلب منهن ان يبقين مع اهلهن ، وقبل من الملك مكافاة سخية ، واهداه الملك حصانا اصيلا وكلبا من كلاب الصيد القوية ، واحتفلوا به احتفالا كبيرا واقاموا له ولائم كثيرة وطلبوا منه أن يبقى ويعيش معهم ، لكنه شكرهم ، وودعوه وهم يبكون لرحيله .

وركب الشاب حصانه وسار يتبعه كلبه ، وواصل رحيله ، وأراد أن يأكل ، فتوقف عن المسير ، ونزل من فوق حصانه وربطه فى شجرة واوقد نارا ، فجاءت اليه غولة وطلبت منه قبسا من النار ، فقال لها : « تعالى وخذى النار »، لكنها أجابته :« حتى تربط كلبك فاننى اخافه من الكلاب »، فانحنى وتظاهر بانه ربط الكلب ، فقفزت الغولة عليه لتأكله، لكنه لم يكن قد ربط الكلب، فاندفع الكلب وهجم على الغولة، وامتشق الشاب حسامه واطاح براسها .

وركب الشاب حصانه ومضى فى طريقه يتبعه كلبه ، حتى احس بالجوع، فتوقف وربط الحصان واشعل نارا، وجلس أمامها ينضج شيئا من لحم حيوان اصطاده ، فجاءت أليه غولة اكبر من الاولى وسألته ان يعطيها قبسا من النار ، فقال لها ، «تعالى وخذى ما شئت من النار» ، فابدت الغولة خوفها من الكلب ، وطلبت منه أن يربطه ، فتظاهر بأنه قد ربطه ، فقفزت الغولة تبغى افتراسه واكله ، لكن الكلب الطليق اندفع وهاجمها فى شراسة وقوة ، واطاح سيف الشاب براسها ، وركب حصانه ، وسار وراءه كلبه المخلص ، حتى قابل غولة اكبر من الغولتين السابقتين ، وطلبت منه نارا ، فسألها أن تجىء وتأخذها ، ولم تطلب منه ان يربط الكلب، بل اقتربت من الشاب ولم تهاجمه فلم يهاجمها الكلب ، وربطت الكلب بنفسها ، ثم قفزت على الشاب وابتلعته ، فشعر اخاه واحس بسخونة الخاتم فى أصبعه وعرف أن اخاه يموت .

فترك الدار ورحل ، وسار ليبحث عن اخيه ، ومر بالبلدة الاولى



وكان الشاب قويا شجاعا لايعرف الخوف، ولايخشى الغيلان، فاستطاع أن يقتل الغول، ويخلص الناس من شره وجشعه .

التى مر بها أخوه ، فناداه الناس فرحين برؤيته وقد ظنوه الاخ الآخر لانه يشبهه تماما ، واعطوه الخراف التى حفظوها له ، فشكرهم وتركها عندهم ، وعرف أن أخاه قد مر من هنا ، فاستأنف رحيله وسار فى طريقه حتى وصل للبلدة الثانية ، ففرح الناس بقدومه ورحبوا به وقد ظنوه الشاب الذى انقذهم وقدموا له الثيران التى حفظوها له ، فشكرهم ورحل وقد عرف أن أخاه قد مر من هنا .

وعندما وصل الى البلدة التى يختلف شكل اهلها عن الناس ، والفقراء فيها مثل الاغنياء ، قابلوه بترحاب وهللوا لمقدمه واحضروا البنات وقدموهن له ، ودعاه الملك لوليمة كبيرة ، واعطاه حصانا جميلا وكلبا من كلاب الصيد القوية ، فشكر اهل البلدة ، ورحل وعرف ان اخاه قد مر من هنا .

وركب الحصان وسار يتبعه كلبه حتى وجد حصان اخيه وكلبه ومشى معهما حتى قابل الغولة الكبيرة ، وعرف ان اخاه فى بطنها ، فامسك بسيفه فى يده ووقف ثائرا غاضبا ، وشرارات النار تتطاير من عينيه ، ووقف الكلبان ، احدهما على يمينه والآخر على يساره ، وصرخ فى الغولة ، وامرها أن تخرج أخاه من بطنها وترجعه ، فقالت الغولة ، «اذا ارجعته من بطنى سيكون اعمى» ، فصاح ، «أن رجع اعمى ساقلع لك عينيك وأجعلك عمياء» ، فقالت له الغولة ، «اذا ارجعته من بطنى سيكون أعور ، يرى بعين واحدة» ، فرد عليها ، «ان رجع بعين واحدة اقلع لك عينا» ، فقالت ، « آذا ارجعته من بطنى سيخرج ميتا » ، فصرخ الشاب ، « اذا خرج من بطنك ميتا سأقتلك » .

فأخرجت الغولة الشاب من بطنها حيا سليما ، ففرح الاخوان باللقاء وعانقا بعضهما ، وركب كل منهما حصانه وسارا يتبعهما الكلبان فى طريق عودتهما الى بلدهما .

ومرا بالبلدة التى يختلف أهلها عن الناس واصطحبا معهما الفتيات العشر والاميرة ؛ وعندما وصلا الى البلدة الاخرى ، اخذا الثيران ، واعطاهما اهل البلدة الاولى الخراف ورجعا الى بلدهما وعاشا سعيدين .

الأمير الصغير

كانت فى حديقة قصر الملك شجرة تفاح تثمر تفاحا ذهبيا ، ولاحظ الملك أن الشجرة تنقص كل يوم تفاحة ، فقرر امرا ، وحين جاء الظلام اختبأ الملك وراء خميلة وظل ينتظر طول الليل ليمسك اللص بنفسه ، وقبل بزوغ الفجر سمع جلبة ، واقبل طائر كبير يشع نورا ، ولـــه ريش ذهبى ، والتقط الطائر تفاحة ومضى مبتعداً فى الاعالى قبل ان يفيق الملك من دهشتـــه .

وفى الصباح نادى الملك اولاده الثلاثة وحكى لهم ما حـــدث ، واستطرد قائلا ، « اننى لم ار فى حياتى مثيلا لهذا الطائـــر الجميـــل بريشه الذهبى وتلك الاضواء الباهرة المنيرة التى تشع منه ، اننى اريد هذا الطائر ، ومن يحضره الى منكم ساعطيه نصف ملكى ويصبح ملكـــا من بعـــدى » .

فأجاب الابن الاكبر ، « سأقضى طول الليل يا أبى تحت شجرة التفاح الذهبية وفى الصباح سأقدم لك الطائر » ، وذهب الامير حـــين حل الظلام الى الحديقة ، وانتظر قدوم الطائـــر ، ومضت ساعـــات وساعات وحل به التعب من السهر فنام ، وجاء الطائـــر والتقـــط تفاحـــة ذهبية وطار بعيدا .

وفى الصباح قال الامير للملك ، « لم يجىء الطائـــر هذه الليلة يا أبى » ، فسأله ان كان قد نام ، فكذب عليه قائلا ، « لم يغمض لى جفن » .

وتعهد الامير الاوسط ان يقضى الليل يحرس شجرة التفاح وان يقـــدم للملك الطائـــر فى الصباح ، فأعطاه الملك الاذن ، وذهب الامير

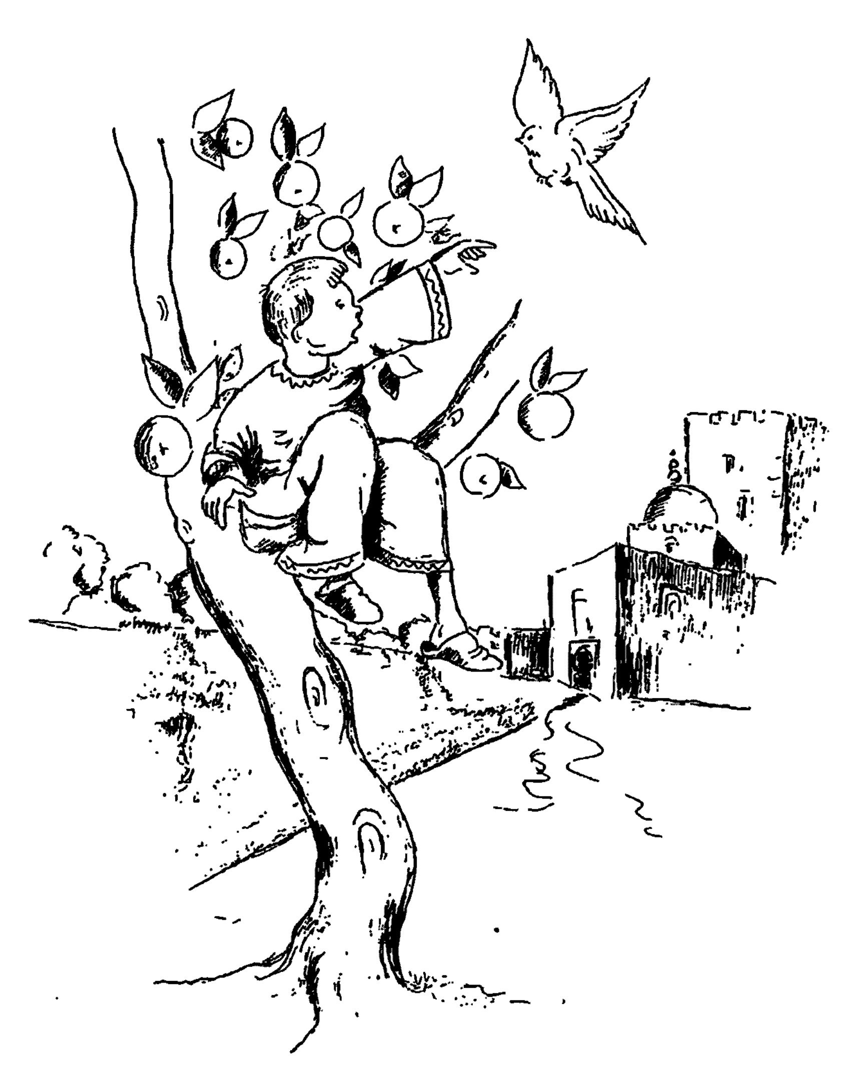
الي الحديقة ، وحين غربت الشمس وتقدم الليل ألم به النعاس ، وظل يقاومه ، لكنه فى النهاية تغلب عليه النعاس ونام ، وجاء الطائر الذهبى والتقط تفاحة وطار فى السماء بعيدا ، بعيدا .

وفى الصباح ذهب الامير الى الملك وقال له ، « لم يجىء الطائر هذه الليلة ، ولم انم لحظة واحده » ، وكذب مثل اخيه ، عندئذ تقدم الامير الصغير الي ابيه واستأذنه ان يقوم بالحراسة فى الليلة القادمة، فأذن له الملك . وعند الغروب كان الامير الصغير يقبع تحت شجرة التفاح الذهبية ، ينتظر فى لهفة ، ومرت ساعة وساعات وهو يقظ ومنتبه ، وقبيل الفجر سمع جلبة خفيفه ورأى فى السماء نوراً وضاء يلمع ويخطف سناه الابصار ، فاسرع وتسلق شجرة التفاح ، وما هى الا لحظات حتى اقبل الطائر الكبير بريشه الذهبى وجماله الاخاذ ، وهبط ليلتقط تفاحة ، لكن الامير الصغير المختبىء بين الاغصان مد يده فجاة ليمسك بجناحه حين اقترب من الاغصان لكن حركة الطائر كانت اسرع من حركة الامير ، ونزع الطائر وطار بعيدا دون أن يلتقط تفاحة ، وبقيت فى يد الامير الصغير ريشة واحدة ذهبية من جناح الطائر ، جميلة وبديعة ورائعة الحسن .

وفى أصباح قدمها الامير الصغير لابيه الملك وقص عليه ما حدث ، فأخذ الملك يقلب الريشة الذهبية متعجبا ومعجبا ، ووضعها فى الصندوق الذى يحفظ فيه انفس جواهره ، ولم يستطع احد ان يمسك بالطائر الذهبى .

ومضت الشهور وكاد الملك ان ينسي حكاية الطائر الذهبى ، لكن فى يوم من الايام اراد الملك ان يهدى احد الملوك شيئا من الجواهر ، ففتح صندوقه ورأى الريشة الذهبية تشع نورا بين الماس والياقوت والمرجان، وتبدو أروع وأبدع، وكأنها ملكة بين المجوهرات، فامسك الملك بالريشة الذهبية بين يديه يتأمل حسنها وروعة جمالها ، ونسى ما جاء من أجله ونادى أولاده الثلاثة ، وهتف بهم ، « اننى اتمنى أن يكون الطائر صاحب هذه الريشة عندى ، واكرر لكم ، ان من يحضر هذا الطائر الى سأعطيه نصف ممتلكاتى ويكون هو الملك من بعدى ، فاذهبوا أيها الامراء وابحثوا فى كل مكان ، وآتونى بهذا الطائر ».

وتخلت الغيرة الي قلب الاخوين الاكبر والاوسط من أخيهما الامير



لكن الأمير الصغير المختبئ بين الأغصان مد يده فجأة ليمسك بجناحيه حين اقترب من الاغصان

الصغير ، ذلك انهما حاولا الامساك بالطائر فغلبهما النعاس ، ونجح الامير الصغير ولو قليلا ، حقا انه لم يمسك الطائر لكنه اتى بريشته واصبح محبوبا مميزا ، فاتفقا ان يسيرا هما معا ويسير الامير الصغير وحده ، اثناء بحثهم عن الطائر الذهبى الذى كان ابوهم الملك يتحرق شوقا للحصول عليه ، ولم يعترض الامير الصغير ، ووافق لاخويه على رايهما دون غضب او ضيق .

وجهز نفسه للسفر وركب حصانه ومشى فى الطريق المجهول محاولا ان يحقق امل والده فياتيه بالطائر الذهبى .

ظل الامير الصغير يبحث ويسال فى كل مكان ، يعبر الانهار ويصعد الجبال ، ويخترق الغابات ويمر بالمدن والقرى ، يسال ، ويسال ، ولم يجد احدا يعرف الطائر او يرشده الى مكانه .

وفى يوم من الايام وصل الامير الصغير الى طريق تتفرع منه ثلاثة طرق ، فاحتار الامير ، اى الطرق يختار ، ففكر قليلا ومشى فى احداها، ولم تكد تمضى ساعات قليلة حتى احس الامير بالحصان يتعثر وتضعف قواه ، فنزل من فوقه ليطمئن عليه ، لكنه وجد الحصان غاية فى الانهاك، والزبد يخرج من فمه ، ووقع الحصان واخذت انفاسه تتلاحق واهتزت ارجله وصهل مرة واحدة وفارق الحياة .

وكان الحصان اثيرا وعزيزا لدى الامير فوقف ينظر اليه حزينا وربت بيده على عنقه المبلل بالعرق ، وشعر فجاة بوقع خطوات خفيفة مقبلة ، فنظر خلفه فابصر ذئبا لم ير مثله فى حياته ، فقد كان لونه عجيبا ، وتشع من عينيه شرارات النار وقال الذئب ، « سيدى الامير لاتحزن على حصانك الوفى ، وافرح بنجاتك ، فانا اعرف عنك كل شىء، اتذكر الطريق الذى يتفرع الى ثلاثة ، لقد سبقك اخواك اليه وكان هناك عند بداية كل طريق من الطرق الثلاثة حجر ، ومكتوب على الحجر الاول ؛ « تقاسى الجوع والعطش » ، ومكتوب على الحجر الثانى، « تعيش ويموت حصانك » ، والثالث كتب عليه « تموت ويعيش حصانك » ، وجاء اخواك وازالوا الاحجار لانهما خافا ان تسبقهما وتحصل على الطائر الذهبى وارادا لك الهلاك ، لكننى مرصود على خدمتك فكان لابد ان القاك وانقذك » .

ففرح الامير الصغير فرحا شديدا وقال للذئب ، « اذن خذنى بسرعة الى حيث يوجدالطائر الذهبى ؛ » فهز الذئب راسه وقال ، أريد أن ابين لك أمرا ، وهو أن ذلك الطائر الذهبى يوجد فى حديقة ملك من الملوك وهو داخل قفص لم تر العين له مثيلا ، قفص مصنوع من انفس واجمل المجوهرات ، وهو غريب الشكل رائع التكوين ، وللقفص علاقة مرصعة ومزخرفة بالاحجار الكريمة ، والقفص معلق فى احدى الاشجار : ويحيط به حراس شداد ، سآخذك الى الحديقة وارشدك الى الشجرة وما عليك الا ان تفتح باب القفص وتأخذ الطائر، لكنك ان حاولت أن تأخذ القفص وانزلته من الشجرة فسيستيقظ الحراس ويقبضون عليك » ، فردد الامير ، « لن افعل ، لن افعل ، خذنى بسرعة الى الطائر الذهبى ».

ومشى الامير مع الذئب حتى وصلا الى مشارف قصر كبير تحيط به حديقة جميلة حولها سور له عدد كبير من الابواب ويقف على كل باب سبعة حراس .

ووصف الذئب للامير الحديقة واشار الى الناحية التى توجد فيها الشجرة ، واعاد عليه ما اوصاه به ، فقفز الامير من فوق السور ووصل الى شجرة كبيرة ، ونظر فراى فجأة الطائر الذهبى والانوار تشع منه وتتلالا فتخطف الابصار ، وكان الطائر بالفعل داخل قفص مصنوع من الذهب وقد رصع بكل حجر كريم ونفيس ، وتشع الوان الاحجار الكريمة صفراء ، وخضراء ، وحمراء وزرقاء ، وفضية ، اما علاقة القفص فآية من آيات الفن والابداع ، ففتح الامير باب القفص وامسك بالطائر واخرجه ، فأسند الطائر راسه على صدر الامير كأنه يريد أن يذهب معه ، وخطا الامير خطوة والتفت ليلقى نظرة اخيرة على القفص الجميل ، فسحرته روعته ولم يتمالك نفسه ، فمد يده ونزعه من الشجرة ، وفجأة استيقظ الحراس واحاطوا به وامسكوه واخذوا الطائر الذهبى منه ، وادخلوه فى قفصه ، وصحبوه معهم الى الملك .

وقصوا عليه ما حدث ، فقال له الملك ، « كيف تجرؤ أيها اللص أن تدخل حديقتى وتحاول سرقة أعز ما املك وهو الطائر الذهبى ؟»، فرد الامير مبينا للملك انه ليس بلص وحكى له كل شىء ، فهز الملك

راسه وقال ، « لــو أنك جئت الى وطلبت منى الطائــر لاعطيته لك ، خاصة وأننى لاخطت انه احضر تفاحتين ذهبيتين دليلا على صدق مــا تقــول » ، وبعد ذلك انتاب الملك الحزن والاسف ، وزاد قائلا ، «والان وبعــد ان حكيت لى ، عرفت ان الطائــر يشتهى تلك التفاحــات الذهبية ، وحين حرست انت شجرة التفاح ولم تسمح له باخذ تفاحة ذهبيه ، حزن حزنا شديدا ، لكن كل هذا لا يهم ، انت الان بــص مقبوض عليك لكننى ساسامحك واعطيك الطائــر ، شرط ان تحضر لى الحصان ذا الاسنان الذهبية ، فهو أسرع حصان فى الدنيا ويجرى فى سرعــة البرق » ، وأمر الحراس ان يطلقوا سراحه ، حين تعهد له الامير بتحقيق رغبته وتنفيذ شرطــه .

وخرج الامير الصغير مكتئبا ، ورآه الذئب فسألــه ساخــرا ، « أين الطائر الذهبى ؟ » ، فحكى الامير للذئب ما حدث ، فانبه الذئب قائــلا ، « انك لم تسمع كلامى ولم تعمل بنصيحتى ، على اية حال ساساعــدك مرة ثانية » ، فهتف الامير ، « اذن هيا بنا الى حيــث يوجد الحصان ذو الاسنان الذهبية ، اسرع حصان فى الدنيا » .

فاخــذه الذئب الى مكان الحصان ، وكان داخل حظيرة كبيرة ذات جدران سميكة اشبه بقلعة صغيرة ، وتقع على مقربة من قصر أحــد الملوك وهو صاحب الحصان .

ووقف الذئب مع الامير قريبا من الحظيرة ، وقال له ، « فلتدخل يا سيدى الامير هنا حيث يوجد الحصان ، فاقترب منه ولا تخف من الحراس المحيطين به ، فكلهم نائمون ، وستجد بجانب الحصـــان حنوات ذهبيــة معلقة على الجدار ، اياك أن تحاول أخذها ، فــان فعلت فان الحراس سيستيقظون ويمسكون بك ويأخذونك الى الملــك صاحب الحصان » ، فوعــد الامير ان لا يفعل .

واســرع واتجه الى الغرفة الكبيرة الشبيهة بقلعة ودخلها ، وذهل حين راى الحصان واقفا يلمع جلده وكانه مدهون بالزيت ، وتنتصب رقبته عالية ، وهو يضرب بحوافره فى الارض فتتطاير شرارات النار من تحتها ، كان واقفا فى خيلاء كأنه ملك الخيل ، وصهل الحصان : فظهــرت اسنانه الذهبية العجيبة تلمع وتبرق .

واقترب الامير منه فى شجاعة وربت على رقبته وأمسك بلجامه

وقاده فانقاد له ، والتفت الامير فراى اربعا من الحـذوات الذهبيـة المزينة بالنقوش معلقة على الحائط وقال فى نفسه ، « ان هـذا الحصان العجيب يستحق هذه الحذوات »، ومد الامير يده واخذ الحذوات الذهبيـة ، فسمع فى الحال جلبة ، فقد استيقظ الحراس وهجموا على الامير واحاطوا به وامسكوه ، واخذوه الى الملك صاحب الحصان .

ولما مثل بين يدى الملك ، وحكى الحراس ما جرى ، وانهـم امسكوا به وهو يقود الحصان ليسرقه ، قال له الملك ، «سأعاقبـك أيها اللص عقابا شديدا »، فقاطعه الامير فى شجاعة ،« كفى ، اننى لست بلص بـل انا امـير ابن ملك مثلك » ، فاندهش الملـك واستفسره فحكى الامير حكايته ، وحين انتهى قال له الملك ، « لـو انك طلبت منى الحصان لاعطيته لك اما الان فانت لص ، لكن يمكننى ان اعفو عنك واعطيك الحصان كذلك ، شرط أن تحضر لى الامـيرة الغاليـة ، التي يفوق جمالها جمال القمـر ، وامـر الحـراس ان يخلوا سبيله ، فقد وعد الامير ان يحضر للملك الاميرة الغالية .

ورجع الامير الى الذئب حزينا ، فسأله الذئب عن سبب حزنه ، فحكى لـه ما جـرى فقال له الذئب ، « للمرة الثانية لم تسمع كلامى وتعمل بنصيحتى »، واستطرد ،«الاميرة الغالية فى مكان بعيد ولابد ان نقطع سبعة بحور وسبعة جبال وسبع صحارى ، لكن ليس عليك من باس فساساعـدك » .

وحول الذئب نفسه الى بجعة كبيرة وسأل الامير ان يركب فوقه وطار به ، طار فوق بحـر كبير ، وظل يطير ، حتى وصل الى بحـر آخر واسع ورحيب ، وظل يطير ويطير ثم عبر بحرا ثالثا ، وبحرا رابعا ، وواصل الطيران ، وعبر البحر الخامس والسادس حتى وصل الى البحـر السابع ، وقال للامير ، « يا سيدى الامير اننى احـس بالجوع والعطش ؛ ولااقوى علي الطيران ، فاجابه الامير ،« لاعليك »، واستل خنجره وقطع من لحم فخذه واعطاه للطائـر ، ثم اعطاه دماءه ليشربها ، وظل يقطع من لحمه ويناوله حتى عبر البحر السابع .

ونزل الطائر والامير على الارض ، ووقفا عند سفوح الجبال ، ورجع الذئب الى شكلـه الحقيقى ، ونظـر الي الاميـر وجروحـه وقـال له ، « سيدى الامير لقد انقذت حيـاتى وكنت سـأموت من

الجوع والعطش ، لكنك قطعت من لحمــك واعطيته لــى طعامــا ، وسقيتنى من دمك ، والان سأداويك » ، واعطاه الذئب بعضا مــن شعيراته وساله ان يمسح بها على جروحه ففعل الامير ، وعاد سليما معـــافى .

وحول الذئب نفسه الى حصان وقال للامير ، « اركب »، فقفز الامير فوق ظهــر الحصان ومضى يصعد فى الجبال ويعبر الوهاد ، وظل الحصان يجرى دون تعب أو ملل،حتى عبر السبعة جبال،واطل على كثبان رمال الصحراء الاولى ، فحول الذئب نفسه مرة ثالثة الى جمل وركب فوقه الامير ، ومضي الجمل يسير ويسير عبر الصحارى السبع وفى الطريق وجدا واحة فشربا من مائها ، واكلا من ثمرها الحلــو ، واستأنفا المسير حتى اجتازا الصحارى السبع ، وعند أطراف الصحراء السابعــة وجدا قصرا بديعا تحيط به الحدائق الغناء ، وكانت الاميرة الحسناء التى يفوق جمالها جمال القمــر تتنزه فى الحديقة ، فاختطف الامير الصغير الاميرة الجميلة ، وركب معها فوق الجمل ، وبدأوا رحلة العــودة .

فاجتازوا الصحارى السبع ، وعندئذ حول الذئب نفسه من شكل جمل الى شكل حصان ، ثم عبروا الجبال السبعة حتى وصلوا الــى البحــار ، فحول الذئب نفسه الى شكل بجعة كبيرة ، وتزود الامــير هذه المرة بالماء واللحم ، وركب مع الاميرة فوق البجعة ، وطــارت البجعة وعبرت السبعة بحور ، واستعاد الذئب هيأتــه الحقيقيــة ، واستأنفوا مسيرهم حتى وصلوا قريبا من قصر الملك صاحب الحصان.

وسار الامير ممسكا بيد الاميرة وبجانبه الذئب ، نحو باب القصر، وتباطأ الامير فى خطواته ، ذلك لانه كان قد وقع فى حب الاميرة الجميلة، فقال للذئب ، « يا عمى الذئب ، الا ترى جمال الاميرة الساحر وحسنها الفتان ، حرام أن نعطيها للملك ، اننى احبها ، أحبها واود الاحتفــاظ بها ، الا يمكنك ان تساعدنى ؟»، فهز الذئب رأســه واجاب الامير ، « لا عليك » ، ودخل الذئب الى دغل قريب وخبأ فيه الاميرة ثم حول الذئب نفسه الى شكل الاميرة ، ورجع الى القصر مع الامير الصغير، واستقبل الملك فرحا الامير والاميرة الحسناء ، واخذها الى داخــل القصر ، ورجع الى الامير وشكره ، وصحبه الى الغرفة الشبيهــة

بالقلعة واعطاه الحصان ، فركبه الامير وودع الملك ، واسرع الى الدغل حيث خبأ الاميرة ، فركبت معه فوق أسرع حصان فى الدنيا والذى يجرى فى سرعة البرق .

لكن الامير قبل ان يسير التفت حائرا وقال ، « أين عمى الذئب ؟ » ، فوجده بجانبه ، وجرى الحصان يحمل الامير ومحبوبته والذئب يجرى بجانبه فى سرعة تماثل سرعته .

ولم يقفوا الا عند قصر الملك صاحب الطائر الذهبى ، ونزل الامير من فوق الحصان وبقيت الاميرة مع الذئب حتى يسلم الامير الصغير الحصان للملك ويحضر الطائر .

ولم يرد الامير ان يتقدم ، لانه اعجب بالحصان وسرعة جريانه اعجابا شديدا فقال للذئب ، « لقد رايت كيف يجرى الحصان ، حرام ان نعطيه للملك ، انني أريد هذا الحصان » ، فهز الذئب رأسه واجاب «سأساعدك ياسيدى الامير »» واخذ الحصان والاميرة وخباهما وراء شجرة ، وعاد الذئب الى الامير ، وحول نفسه الى شكل الحصان ، فقاده الامير ، ومثل بين يدى الملك وقدم له الحصان .

ففرح الملك وامر حراسه أن يعتنوا بالحصان ويحيطوه بالرعاية واعطى الامير الطائر الذهبى .

وخرج الامير من القصر حاملا الطائر الذهبى ، وذهب وراء الشجرة حيث وجد الحصان الحقيقي والاميرة ، فركب الحصان ووراءه الاميرة وأمامه الطائر الذهبى ، وقبل أن يسير التفت وقال ، « اين عمى الذئب ؟ » فوجد الذئب واقفا قريبا منه يبتسم ويقول ، « وداعا أيها الامير ، ان معك الان الطائر الذهبى ، والحصان العجيب ، والاميرة الغالية ، وقد حققت لك امنيتك وزيادة » ، واختفى الذئب من أمامه فى لمح البصر .

وقاد الامير الحصان وجرى به فى سرعة البرق ، ليعود الى بلاده ، وما أن وصل الى الطريق الذى يتفرع الي ثلاثة طرق حتى لمح اخويه فوقف فرحا بلقائهما ، لكنهما ما أن أبصرا الطائر الذهبى بين يديه حتى انتابتهما الحسرة وامتلا قلباهما حسدا وغيرة ، فسياخذ الامير الصغير نصف ممتلكات ابيهم ويتولى من بعده الملك ، وحكى لهما

الامير عن ماجرى له من احداث ، وزادت غيرتهما اشتعالا عندما رأيا اخاهما الصغير يملك كذلك اسرع حصان في الدنيا وبجانبه اميرة حسناء يفوق جمالها جمال القمر ، فأعماهما الحسد فأسرعا وقفزا وهاجما الامير الصغير ، واوثقا يديه واخذاه الى غابة بعيدة ، وربطاه الى شجرة ربطا متينا بالحبال وتركاه وانصرفا .

واخذ الامير الاكبر الطائر الذهبي والحصان ، والاوسط الاميرة الجميلة ، وضربها واخافها ، وطلب منها ان تقول حين تمثل بين يدى ابيه الملك، انه هو الذى خطفها وأحضرها معه .

وسارا الى قصر ابيهما الملك ، وقدم الامير الاكبر الطائر الذهبي اليه ، ففرح الملك فرحا شديدا ، ووعده ان يقتسم معه ممتلكاته وان يكون ملكا من بعده .

وحكى الاميران — كذبا — للملك عن المغامرات التي قاما بها ، همـا الاثنان ، فكل ما حكاه لهما الامير الصغير نسبه كل امير الى نفسه ، الامير الاكبر ، قال انه احضر الطائر والحصان ، مبينا ما لاقاه في سبيل ذلك من مشاق ومتاعب ، والامير الاوسط شرح كيف احضر الاميرة الجميلة .

لكن الملك استفسرهما عن الامير الصغير ، « ماذا جرى له ؟ »، فاجاباه وهما يدعيان الحزن ،« انه قد مات وقد دفناه فى بلاد بعيدة »، فحزن الملك حزنا شديدا ، اما الامير الصغير فقد ظل مربوطا في الشجرة ثلاثة ايام ، دون طعام او ماء ، حتى اشرف على الهلاك ، واقترب من الموت ، وحامت الغربان والنسور تنتظر ان يلفظ آخر انفاسه لتنقض على الجثة .

وحين كان الامير الصغير يعاني سكرات الموت ، جاء الذئب وقال للغراب رئيس الغربان ، « قل لغربانك ان تحل رباط الامير » ، لكن الغربان احتجت وقالت للذئب ، « اننا ننتظر موته ، فلا تحرمنا من وجبة شهية »، فامر الذئب الغربان ان تسكت وتقوم بحل ربط الامير ، فاطاعت الامر ، وزادت فاحضرت له ماء وطعاما .

وبدأ الامير يستعيد قواه ، فاقترب منه الذئب وقال له ، «سيدى

الامير ، لقد انقذتك من الموت ولن ترانى بعـد اليوم » . واختفـى مـن امامـه .

واتخذ الامير طريقه الى قصـر ابيه الملك . وراعه انه وجـد القصـر مضاء بالانوار وتصدح فى انحائه الموسيقى . ودخل القصـر . وما أن لمحه الملك حتى صرخ من الفرح ، وقام اليه يعانقه . امـا الاميران فقد صعقتهما المفاجأة ، ودهلا وكادا أن يقعا مغشيا عليهما ، وسألهما الملك : « الم تقولا لى انكما دفنتما الامير . فلم يستطيعا ان يتكلما ، وجرت الاميرة الجميلة الى احضان الامير الصغير وعـانقته وبكت فرحا ، ذلك لان اليوم كان يوم عرسها ، لتتزوج الامير الاوسط، وحكى الامير الصغير لابيه الملك ما جرى له من احداث .

عندئذ أمـر الملك بذبح الاميران فى الحال ، لكن الامير الصغـير تشفع لهما واكتفى الملك بالقائهما فى السجن عقابا لهما .

ورد الملك الحصان الى الامير الصغير ، واكتفى بأن اخذ الطائر الذهبى وأعطاه نصف ممتلكاته ، ووعده أن يكون ملكا مـن بعـده ، وزوجه من الاميرة الجميلة التى عاش معها فى هناء ، ورزقا البنـين والبنات ، وتولى الملك بعد موت أبيـه .

مولاى محمد الكاس

روى انه عاش فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان ، أحد السلاطين وكان متزوجا من بنت الوزير ، وقال المنجمون للسلطان أن ابنه سيقتله وسيستولى على العرش،لذلك كان السلطان يذبح كل ولد تلده زوجته ، حتى بلغ عدد من ذبحهم السلطان من ابنائه سبعة اولاد .

وحزنت الام على فقدان أولادها ، واحتارت ماذا تفعل ، فذهبت الى عجوز وسالتها المشورة والنصيحة ، فقالت لها العجوز «» عندما تحملين اخبرينى ودعينى أدبر لك الامر » ، وحين حملت الملكة أخبرت العجوز ، فاتفقت العجوز مع قابلة (1)، وعرفت ميعاد الوضع المحتمل، واحضرت كلبا صغيرا واعطته للقابلة .

وولدت الملكة طفلا جميلا ، فاسرعت القابلة بارساله الى منزل جده الوزير ، واظهرت الكلب ، وقالوا ان الملكة ولدت كلبا ، وحين جاء السلطان ليطمئن كعادته ، ويذبح الطفل الصغير ، قدمت القابلة له الكلب، فذبحه فى الحال ، أما الطفل الوليد فقد ظل يعيش فى بيت الوزير، واحضروا له احسن المربيات ، لكن الام لم تستطع ان تتحمل البعد عن طفلها ، لذلك حفر الوزير نفقا تحت الارض من بيته حتى غرفة الملكة فى قصر الملك .

وفى كل يوم جمعة عندما يغادر السلطان القصر ليؤم المصلين فى صلاة الجمعة ، كانت الملكة تذهب عن طريق النفق الى بيت أبيها ، وتزور ابنها ، واسمت الملكة ابنها احمد ، ومضت الايام ، وحملت الملكة مرة اخرى ، وخافت أن تلد ذكرا فيذبحه الملك كعادته ، فهرعت الى العجوز وسالتها النجدة والمعونة والنصيحة ، فاتفقت العجوز مع القابلة

(1) ــ قابلة : مولدة .

نفسها ، وعرفن ميعاد الولادة ، وجهزن كلبا وليدا ، وتكرر ما حدث فى المرة الاولى ، وهربت الطفل الى منزل الوزير ، واظهرت الكلب الوليد للسلطان ، فذبحه فى الحال .

واسمت الملكة ولدها عليا ، وعاش مع اخيه فى بيت جده الوزير ، وكانت الملكة تزور وليديها احمد وعليا ، عن طريق النفق ، فى كل يوم جمعة حين تتأكد من غياب السلطان عن القصر .

ومضت الايام والشهور وحملت الملكة مرة اخرى ، وتكرر ما حدث فى السابق ، وولدت الملكة ولدا ثالثا اسمته محمد ، فأخذوه عن طريق النفق الى بيت جده الوزير ، وعاش مع أخويه ، وكانت الملكة تزورهم كل يوم جمعة .

ونشأ الاولاد وكبروا وهم يعتقدون أن الوزير أبوهم وزوجته ـ جدتهم ـ أمهم ، لكن الخدم وكثيرا من الناس عرفوا أن هؤلاء الصبيان ليسوا ابناء الوزير الشرعيين وانما احضرهم الوزير ، ورباهم كابنائه .

ومضت السنون وكبر الاولاد وأصبحوا شبابا ، وفى يوم من الايام بينما كان احمد الابن الاكبر يلعب الكرة ، تذفها بشدة فأطاحت بخيمة امراة فلاحة ، فتضايقت المراة وانزعجت ، وثارت واخذت تسب احمد قائلة ،« يلعنك الله يا من لا يعرف لك احد ابا »، وكان المعنى قبيحا ، فرجع احمد الى بيته ، وقال للوزير وهو يظن انه ابوه ،« يابى لقد قذفت الكرة اليوم فهدمت خيمة امراة فلاحة فسبتنى قائلة لعنك اللـه يا من لا يعرف احد لك ابا ، فلماذا قالت الفلاحة هذا الكلام ، الست ابى ؟ » ، فصمت الوزير ، وذهل احمد ، واعاد السؤال ، لكن الوزير لم يرد ، فازداد احمد حزنا وذهولا وبكى ، عندئذ قال له الوزير «يا احمد انا ابوك » ، وجاءت جدته وعرفت ما حدث فقالت له ، « انا أمك يا بنى » ، فتذكر احمد شيئا فسالهما ، « لكن من هى هذه المراة التى تجيء كل يوم جمعة وتقبلنى وتدللنى وتبكي، من هى هذه المراة؟»، ولاحظ احمد سكوت الوزير وزوجته فشك فى صدق ما يقولان ، وتذكر ما قالته الفلاحة ، لعنك الله يا من لا يعرف احد لك ابا ، عندئذ قال له الوزير ، « الآن وقد كبرت يا احمد ، ساحكى لك سرا اردت ان أبقيه فى طي الكتمان طويلا ، لكن يظهر انه قد آن الاوان لاطلعك عليه ،

الا فاعلم يا بنى أننى جداك أب امك ، ، وهذه زوجتى جدتك ، اما امك الحقيقية فهى ابنتى الملكة ، انها تلك المراة التى تجىء كل يوم جمعة فتقبلك وتحتضنك وتدللك ، وان اباك لهو السلطان نفسه »، وحكى له القصة باكملها .

فحزن أحمد حزنا شديدا ، وقال ، « الحقيقة يا جدى وجدتى ، لقد لقيت منكما الرعاية والعطف ونشأت معكما ، وانا اعتقد انكما ابى وامى فانتما خير الاباء والامهات ، ولكن ما هذه البلد الذى لا يعرف فيها الاب ابنه ، ولا يرضى لقاءه أو يعترف به »، واقسم احمد أن يهاجر من هـذه البـلاد .

وحين عرفت الملكة امه ، انه بنوى السفر ، اخذت تحاول ارجاعه عن عزمه وقالت له ،« يا بنى لقد عشت دائما بعيدة عنك ، والان انت تنوى أن تسافر وتتركنى ، الا فلترحم امك ، ولتبق يا بنى ، فاننى لا استطيع فراقك » ، لكن احمد كان قد نوى ان يرحل من هذه البلاد التى يعيش فيها ابوه ؛ عندئذ أعطته امه الكثير من المال والعبيد وفرسـا اصيلة .

فغرس أحمد شجرة ورد ، وقال لامه ،« ستزدهر الورود فى هـذه الشجرة ان سقيتها كل يوم ، فعليك يا اماه ان توليها بالرعاية ، فـان وجدت الورود قد ذبلت فى يوم من الايام فاعلمى اننى قد فارقت الحياة». وركب احمد حصانة ورحل من بلاده يتبعه عبيده وخدمه وسار، سار حتى وصل الى بلاد بعيدة ، واستاجر دارا وسكن فيها مع عبيده وخدمه .

وبعد ايام بينما كان احمد يسير فى السوق سمع مناديا ينـادى ويقول ، ان السلطان لديه ابنة جميلة ، ومن يريد الزواج بها عليه ان يمكث معها ثلاثة ايام ، وان يجعلها تتكلم ثلاث مرآت ، فان فشل فان السلطان يقطع راسه ، وقد قطع السلطان رقاب الكثيرين من الناس ، إما ان تكلمت الاميرة ثلاث مرات خلال هذه الايام فان السلطان يزوجها بمن تكلمت معه ، فاراد احمد ان يتزوج ابنة السلطان ، فحاول الناس ارجاعه عن عزمه لان الاميرة لم تكلم الكثيرين ممن تقدموا اليها ، فقطع السلطان رؤوسهم .

لكن احمد ذهب الى السلطان ، وابدى رغبته فى الزواج من الاميرة

فادخلوه الى غرفتها ، ووجدها فى اكمل زينتها وابهى واحلى ملابسها ، تجلس فوق كرسى ذهبى مزين بالماس والياقوت ، ووجد اباها وشاهدا معه على يمينها ، وعمها وشاهدا معه على يسارها ، واخذوا عليه المواثيق واشترطوا الشروط ، سيمكث أحمد ثلاثة ايام فان لم تكلمه قطعوا راسه ، فوافق احمد .

واخذ احمد يتكلم اليها ، يحييها ويطرى جمالها ، ويحاول ان تبادله الحديث ، لكن دون فائدة ، وبذل كل جهده لحملها على التفوه ولو بكلمة واحدة فلم ينجح ، فاخذ يستعطفها و ركع تحت اقدامها ، و رجوها و توسل اليها ان تنطق ، فلم تتكلم .

فجاء السلطان والشهود ، وقطعوا راسه ، فذبلت الورود المزدهرة فى الشجرة التى غرسها احمد ، وعرفت أمه انه قد فارق الحياة ، وبكت وحزنت حزنا شديدا ، ولم يخفف منه الا بقاء اخويه على ومحمد .

ومضت سنة كاملة ، وراى على ان يرحل ويسافر ليعرف ما جرى لاخيه ، وحاولت الام ان تبقيه بجانبها وتثنيه عن عزمه، لكنه صمم على على الرحيل ، عندئذ اعطته الكثير من المال وجهزت له ما يلزم من عبيد وخدم ، فغرس على شجرة وقال لامه ،« ستزدهر الورود فى هذه الشجرة ، ان سقيتها كل يوم ، فعليك يا اماه أن تشمليها بالرعاية ، فان وجدت الورود قد ذبلت فى يوم من الايام ، فاعلمى اننى قد فارقت الحياة » .

وسار على فى طريقه وقادته الاقدار الى البلاد التى ذهب اليها احمد، واخذ يسأل ويستفسر ويفتش عن اخيه ، فقابل عبيد احمد وخدمه فاخبروه بما حدث وجرى له ، وكان من عادة الناس فى هذه الايام حين يرون غريبا جاء الى البلاد ان يخبروا السلطان .

فارسل السلطان المنادى يطلب عريسا لابنته ويشترط عليه ان ينجح فى دفعها الى الكلام ، ولم يكن على فى حاجة الى ان يسمع المنادى لانه اراد ان يتزوج ابنة السلطان الذى قتل اخاه ، وظن انه سينجح ، وحاول العبيد والخدم أن يمنعوه ، ونصحه كثير من الناس ، لان الاميرة الجميلة لم تكلم احداً ، والسلطان لا يبغى أن يزوجها ، وانه قطع رؤوسا كثيرة من قبل .

لكن عليا اسرع الى القصر وقدم بنفسه للسلطان وخطب منه ابنته ، فأخذه السلطان وادخله الى غرفة الاميرة ، وكانت فوق الكرسي الذهبي المزين بالماس والياقوت والاحجار الكريمة ، ووقف السلطان وشاهد على يمينها ، وعمها وشاهد على يسارها واخذوا عليه العهود والمواثيق ، فقبل الشروط ووافق عليها .

واخذ على ينظر الى الاميرة يلاطفها ويسمعها اعذب الاحاديث وارق الكلمات ، لكنها لم ترد عليه ، فأخذ يحكي لها النوادر والمسليات والفكاهات ويحاول اضحاكها ، لكن دون فائدة ، واطرى جمالها واشاد بحسنها ودلالها ، وشكا لها حبه وهيامه بها، لكن دون فائدة ، ومضت الايام الثلاثة وقطعوا راسه .

وذبلت الورود في الشجرة التي غرسها على ، وعرفت امه انه قد مات ، فبكت وحزنت حزنا شديدا ، ولم يخفف منه الا بقاء محمد ، وراى محمد ان يرحل ويسافر ، ليعرف ما جرى لاخويه ، فهلعت الام وارتجفت ، فمحمد هو ابنها الوحيد الذي بقي لها ، فاخذت تتوسل اليه وترجوه ان يبقى ليعيش بجانبها مع جده وجدته ، لكنه لم يرغب بعد ان فقد اخويه في البقاء في تلك البلدة التي يرفض فيها ابوه الملك ان يعترف به ابنا ويقبله ، وصمم وقرر الرحيل ، عندئذ اعطته امه الملكة اموالا اكثر مما اعطت لاخويه وجهزت له قافلة يصحبها العبيد والخدم ، وكل مايحتاجون اليه ، فغرس محمد شجرة ورد وقال لامه ،« ستزدهر الورود في هذه الشجرة ان سقيتها كل يوم فعليك يا اماه ان توليها بالرعاية ؟ فان وجدت الورود قد ذبلت في يوم من الايام فاعلمي انني قد فارقت الحياة . »

وسار محمد في طريقه ليبحث عن اخويه ، وقادته الاقدار الى مشارف البلدة التي مات فيها اخواه ، واحس بالتعب ، فلم يقدر على مواصلة المسير ، فاراد الراحة وتوقفت القافلة ، وذهب محمد ليجلس تحت شجرة وارفة الظلال، واتكأ على جذع الشجرة وكاد ان ينام من شدة الارهاق، لكنه سمع عصفورا يقول لعصفور ،«هل تعرف من ينام تحت هذه الشجرة ؟ »، فاجاب العصفور ،« هذا مولاي محمد شقيق سيدي احمد وسيدي على ، ولقد حفظتهم امهم وانقذتهم من ابيهم السلطان» ، فهتف العصفور ، « يا له من سلطان قاس ، لا يرحم حتى طفله الرضيع ،



لكنه سمع عصفورا يقول لعصفور « هل تعرف من ينام تحت هذه الشجرة »
فأجاب العصفور : هذا مولاي محمد شقيق سيدي أحمد وسيدي علي.

لتعرف ما اريد واتمنى يا اخي العصفور ، أن ينجح مولاى محمد » ، فرد العصفور ، « لو عرف السر ، لامكنه ان ينجو من السلطان ويتزوج ابنته، ان كل ماعايه ان يفعله هو ان يذبحنا معا، ويضع دمنا فى قصبة، فان دخل غرفة الاميرة عليه ان يرش الدم على كل شىء يقابله ، وان يرفض ان يتناول عندهم طعاما او شرابا مهما قاسى من الجوع والعطش، بل عليه ان يرفض حتى ان يشم البخور الذى يحرقوه فى قصرهم » .

فهم محمد كلام العصفورين ، فامسكهما وذبحهما ووضع دماءهما فى قصبة غاب ، وفى الصباح دخل البلدة ، وارشده الناس الى الدار التى اقام فيها اخواه ، ووجد هناك خدمهم وعبيدهم ، وحكوا له ما جرى وحدث لاخويه احمد وعلى ، وصمم محمد ان يذهب الى قصر الملك ليخطب ابنته ، فبكوا وحذروه وتوسلوا اليه أن لايسير الى القصر لكنه اجابهم ،« لقد عرفت لماذا مات اخواى فلا تخافوا على »، وجاء المنادى ينادى ، لكن محمدا لم يكن فى حاجة الى سماعه ، فقد اسرع الى القصر ، فبين له السلطان الشروط ، وادخلوه الى غرفة الاميرة الجميلة حيث تجلس فوق كرسيها الذهبى المرصع بانفس الجواهر،ووقف السلطان وشاهد على يمينها ، وعمها وشاهد على يسارها ، واخذوا عليه العهود والمواثيق ، وبينوا له أنهم سيتركونه مع الاميرة ثلاثة ايام ، وعليه أن يجعلها تتكلم ثلاث مرات ، وعندئذ يقبلون ان يزوجوها له ، اما اذا ظلت الاميرة ساكتة فسيقطعون راسه ، فوافق ، وتركوه مع الاميرة الجميلة ، قال لها محمد ،« السلام عليكم »، فلم ترد ، فرش الدم على الباب والجدران والارض والكراسى واحضر سجادة صلاة وجلس عليها ولم يكلم الاميرة ، واحضروا الاكل ، فلم ياكل ، واحضروا الماء فلم يشرب ، واحرقوا البخور فقام واطفاه ، وقال محمد للاميرة « امرك غريب والله ، فانت لا تتكلمين ، وما دمت سامكث معك ثلاثة ايام ، فلن أستطيع أن اظل صامتا ، ولابد أن اتكلم مع اى احد ، وخاطب الكرسى ،« يا كرسى الا يوجد أحد يكلمنى، كلمنى انت لعلى أستانس بك ، احك لى حكاية ايها الكرسى » .

فتكلم الكرسى وقال ،« ساحكى لك حكاية يا مولاى محمد ، كان يوجد ثلاثة من الاصدقاء خياط ، وفقيه ، وتاجر ، وكانوا يجتمعون كل يوم بعد الانتهاء من عملهم ، وفى يوم اتفقوا أن يدعو كل منهم صديقيه

للغداء ، واول يوم دعاهم الخياط وجهز طعاما فاخرا ، بسطيلة (1) رائعة ، حشاها باللوز وما لذ وطاب؛ وطبخ كسكسا بالدجاج وطاجينا(2) من اللحم ، وشوى بعض الحمام ، واحضر الكثير من الحلوى والفواكه، لانه كان ميسور الحال ، وفى اليوم الثانى دعاهم التاجر للغذاء ، فجهز طعاما فاخرا ، بسطيلة اكبر حجما واجود نوعا ، وطبقا فيه سبع دجاجات واكثر من عشر حمامات والكثير من الكسكس والخضروات الشهية ، اما الحلوى فكانت زائدة عن الحد ، والفواكه لا مثيل لجودتها وكثرتها .

وفى اليوم الثالث دعاهم الفقيه الى الغذاء ، وكان فقيرا ، فاحضر الحريرة (3) وشيئا من الكفتة ، وطبقا من الكسكس اما الحلوى فكانت « الشاى المغربى » واستأنف الكرسى كلامه ، « لقد عرفت يا مولاى محمد ما قدم كل منهم لصاحبيه ، لكن ثار سؤال وعلى الاجابة عليه تتوقف حياة أحدهم ، فقل لى الصدق ، اننى اسالك ، طعام اى من الثلاثة تكلف الاكثر من المال ؟»، فاجاب محمد ،« طعام الفقيه »، فهتفت الاميرة ،« كيف يكون ذلك وقد اعد التاجر البسطيلة والدجاج والحمام، واحضر الخياط » وقبل ان تكمل كلامها صاح محمد ،« ايها الشهود ، يا مولاى السلطان تعالوا ، ها هى قد تكلمت » ، فجاؤوا ، وشهدوا بما حدث .

فضرب السلطان ابنته ضربا مبرحا ، ولم يقبل حجتها ولا تبريرها لاندفاعها فى الكلام، وفى الليلة الثانية دخل محمد ورش الدماء على الارض والجدران والكرسى وفى كل مكان ، وحين احضروا له الطعام والشراب رفض ان يقربهما ، وعندما اشعلوا البخور قام واطفاه ، وقال للاميرة، « السلام عليكم »، فلم ترد ، فخاطب الباب ،« ياصديقى الباب »، لا احد يكلمنى ، والاميرة ساكتة فلتؤنس وحدتى يا باب ، احك لى حكاية »، فقال الباب ، « ساحكى لك حكاية عجيبة عن المقامرة ، فقد كان ثلاثة من المقامرين ، جلسوا يلعبون القمار فى دار احدهم ، بداوا لعبهم فى العصر وظلوا يلعبون ، وتناولوا العشاء وشربوا الشاى ، واستانفوا المقامرة ، وكان صاحب الدار يعمل نجارا واحدهم يعمل فقيها وثالثهم

---

(1) — نوع ممتاز من الطعام المغربى ، ورق من الرغيف (مثل البقلاوة فى المشرق)، محشو بالدجاج واللوز والبيض والتوابل الخاصة .

(2) — طبق من الفخار بغطاء وينضج فيه الطعام ببطء

(3) — حساء شعبية بها شيء من العدس والحمص والتوابل

نقاشا زواقا) وخسر النجار كثيرا ، فاستأذن صاحبيه وخرج الى صحن الدار ليريح أعصابه ، وصنع عروسة من الخشب ، ودخل الى صاحبيه واستأنف لعب القمار معهما ، وبعد مدة خسر النقاش ، فقام وخرج الى صحن الدار هو الاخر فوجد العروسة الخشبية أمامه ، فلونها وزخرفها ورسم لها عيونا وحواجب وأنفا وفما واذنين ، ثم دخل الدار واستأنف لعب القمار مع صاحبيه ، وبعد مدة خسر الفقيه ، فقام وخرج الى صحن الدار حيث وجد العروسة الخشبية المزخرفة ، فاعجبه شكلها فابتهل الى الله تعالت وجلت قدرته : ان يهب ويمنح العروسة الخشبية الروح ، فاستجاب الله دعاءه واصبحت العروسة المصنوعة من الخشب شابة جميلة حسناء وفاتنة ، ودخلت مع الفقيه الى الدار .

فتشاجروا جميعا ، ذلك أن كلا منهم أراد ان ياخذها »، وساله الباب »« سيدي محمد من تراه يستحق ان ياخذها ؟»، فاجاب محمد « النقاش »، فهتفت الاميرة »« كيف ياخذها وهو لونها فقط اما النجار فقد صنعها والفقيه توسل لربه فأحياها »، فصاح محمد « أيها الشهود اشهدوا ، تعال أيها السلطان ، فقد تكلمت ابنتك » .

فجاء السلطان والشهود ، متضايقين حانقين واخذ السلطان يضرب ابنته ضربا كاد ان يؤدى بها الى الموت ، ولم يقبل ان يسمع لتوسلاتها وتبريرها لما حدث ، ضربها كثيرا واوصاها ان لا تتكلم ابدا مهما حدث.

وفى الليلة الثالثة ، دخل محمد الى غرفتها ، ورش الدماء فى كل مكان ، واحضروا له الطعام والشراب فلم يمسسهما ، واطفا البخور حين اشعلوه ، وقال لها « السلام عليكم » ، فلم ترد ، فنظر الى كاس الماء وكلمه »« ايها الكاس ، ما دامت الاميرة لا تخاطبنى وأنا احتاج لمن يؤنس وحدتى فاتكلمنى انت يا كاس ، ولتحك لى حكاية » ، فقامت الاميرة وامسكت بالكاس ورمته بقوة على الارض ، فتناثر قطعا صغيرة وشظايا ، وتكلمت قطع الزجاج المتناثرة ، وقالت ، « ساحكى لك حكاية يا مولاى محمد ، وهى حكاية غريبة عجيبة ، كان يعيش فى قديم الزمان سلطان له ابنة جميلة ، وكان يحبها حبا شديدا ، ولا يريد ان يزوجها لاحد » ، فابتسم محمد ، واستأنفت قطع الزجاج الكلام ، « وقال السلطان، لن ازوج ابنتي الا لمن يحضر لى ياقوتة تحمل على جمل ، فاندهش الناس وتعجبوا وتساءلوا هل توجد ياقوتة فى الدنيا

كبيرة الى هذا الحد ، لكن الذى حدث انه جاء رجل الى السلطان ومعه جمل فوقه ياقوتة فى حجم ثلاثة رجال ، لم ير احد لها مثيلا من قبل ، فاضطر الملك أن يزوجه ابنته ويعطيها له ، وجهز لها ما يلزم من الملابس والجواهر والعبيد والجوارى ، وصنع لها محفة فخمة (عمارية) يحملها العبيد وتسترها وتلتف حولها الستائر الحريرية ، وودعها السلطان ، ورحلت مع زوجها الذى احضر الياقوتة ، وما ان ابتعدت القافلة عن البلاد حتى ظهر الرجل على حقيقته وغير هيأته الانسانية واصبح غولا له انياب طويلة وله اثداء كبيرة مدلاة ، وقد كان غولا مهولا معروفا ، اسمه الغول السياف ، وسمى كذلك لانه كان من قدرته أن يقطع سبع رؤوس بضربة واحدة من سيفه .

واكل الغول السياف العبيد والجوارى ، والخدم ، والخيول ، والجمال ولم تبق الا الاميرة فحملها وسار بها الى بلاده ، وهى قفر موحشة لا تعيش فيها الا امراة عجوز وحيدة ، وادخل الغول السياف الاميرة داره الموحشة الكئيبة ، فوجدت بقايا عظام لكثير من الناس والحيوانات التي اكلها .

وكانت الاميرة قد اخذت معها من دار ابيها حمامتين تحبهما ولا تقوى على فراقهما ، واحضر لها الغول السياف شيئا من الطعام ، فلم تقدر أن تأكله ، فتركها وانصرف بعد ان اغلق عليها الدار ، وصعدت الاميرة الى سطح الدار وجلست تبكي حظها ، ونظرت فرأت كل ما امامها مقفرا موحشا ، ورأت امراة عجوزا شمطاء تجلس فى الشمس ، وما ان لمحتها العجوز حتى جاءت اليها واقتربت من الفتاة واندهشت حين وجدتها شابة حسناء ، فقالت لها ، « وما الذى اتى بك يا ابنتى الى بلاد ودار الغول السياف ، انه سيأكلك دون شك » ، فارتجفت الاميرة وبكت وعلا نحيبها ، فواستها العجوز واظهرت نحوها العطف ، فسالت الاميرة العجوز ، « الا تستطيعين مساعدتى لاهرب من الغول» ، فاجابتها ، « انك لو خرجت من الدار فلن تقدرى أن ترجعى الى بلادك ، فكل ما حولنا قفر ولا يمكنك ان تجتازيه ، لكن عند حضور الغول اقتربى منه ولا تخافى وارضعى من ثديه » .

وحين رجع الغول فى الليل ، اقتربت الاميرة منه ورضعت فى الحال من ثديه ، فقال لها ، « من اخبرك أن تفعلى هذا ، فلو لم

ترضعي من ثديي لاكلتك » ، ونام معها وكان شعرها كثيفا فافترش نصفه ونام فوقه وتغطى بنصفه الاخر ؛ وفي الصباح خرج الغول وصعدت الاميرة الي سطح الدار ومعها الحمامتان ، وفكرت في خطة ، فأحضرت قطعة صغيرة من القماش وكتبت عليها ما حدث لها ، وربطتها في ارجل الحمامتين واطلقت الحمامتين ؛ وطلبت منهما ان تذهبا الى أبيهما ، فطارت الحمامتان .

اما ما حدث لابيها ، فقد أحزنه فراقها ولم تصله اية أخبار عنها وافتقدها تماما ؛ فقاسى وتالم وأصبحت أيامه كلها شقاء ، والتزم قصره لا يخرج منه ولا يقابل احدا ، وافتقده الناس ولذلك طلب منه الوزير أن يخرج ليقابل رعيته ، وفي ذلك اليوم حين خرج السلطان لاول مرة جلس امام قصره ، فاذا بحمامتين تقدمان وتقفان على كتفيه ، فحاول احد الحراس أن يطردهما ، فنهاه السلطان ، فجاءت الحمامتان وجلستا في حجره ، فمسح السلطان بيده ريش الحمامتين ، ولاحظ وجود قطعة القماش ، وعرف السلطان فجأة الحمامتين التي تحبهما ابنته ، فانتزع قطعة القماش وقرأ المكتوب عليها ، وعرف أحوال ابنته ، فقد كتبت له الاميرة «لقد اعطيتني يابى الغول السياف »، فازداد حزنه وشقاؤه ، وحاول الوزير أن يرسل كثيرا من الفرسان والابطال ، لكن أحدا لم يقدر ان يصل الى بلاد الغول، ومن استطاع الوصول اليها اكله الغول.

وكانت تعيش في بلاد السلطان امراة عجوز لديها سبعة ابناء اقوياء اشداء ، يسافرون كثيرا ، وقلما يجتمعون سويا عند أمهم ، وفي يوم اتفق أن اجتمعوا كلهم فقالت لهم العجوز ، « آن الغول السياف قد اخذ الاميرة ابنة السلطان ، والسلطان حزين ، ويريد استرجاع ابنته فهل يمكنكم أن تحضروا له ابنته »، فقالوا لها ، « عليه أن يعطي كلا منا مائة مثقال ذهب وكسوة كاملة ، ويزوجها لاحدنا » ، فاسرعت العجوز الي السلطان، ففرح فرحا شديدا ، واعطاها اكثر من ثلاثمائة مثقال من ذهب وثلاث كساوى كاملة لكل ابن من ابنائها ، فرجعت العجوز الى دارها ، ونادت اصغر ابنائها و سألته ، « ماذا ستفعل لتنقذ الاميرة ؟ »، فاجاب « انني استطيع ان اشم من مسافة بعيدة ، وسأعرف واخبر اخوتي اين الغول ، سأبين لهم مكانه ، وحين يدخل الدار اعلمهم بذلك » ، فاعطته ثلاث كساوى كاملة وثلاثمائة

مثقال ذهب : ونادت الثاني وسألته ، « ماذا ستفعل لتنقذ الاميرة »، فأجاب ،« انني استطيع ان احمل اخوتي الستة على ظهري واقطع بهم مسافات شاسعة ، واستطيع ان أحملهم والاميرة معهم واعود بهم »، فأعطته الكساوى الثلاث والذهب ، واجاب الثالث حين سألته ، أنه يمكنه أن يضرب الارض بعصاه فتنشق فينزل فيها هو واخوته ، ولا يخرجون منها الا عند بلاد الغول وأمام داره ، ويأخذون الاميرة ، فيضرب الارض مرة اخرى فتنشق وينزلون فيها ويعودون الى بلادهم »، فاعطته الكساوى والذهب ، واجابها الرابع ان للغول كلبا ، لو نبح وكان الغول نائما لاستيقظ وعندئذ لا يمكن أن نتغلب عليه ابدا ، وانا ساخلع أسنان الكلب حتى لا ينبح »، فاعطته الكساوى والذهب ، واجابها الخامس حين سألته ، « انني أستطيع ان اعرف ان كان الغول نائما ام مستيقظا ، فان كان مستيقظا فلا نهاجمه »، فاعطته الكساوى والذهب، واجابها السادس ،« انني استطيع ان أخرج شعر الاميرة من تحت الغول حتي يمكننا قتله » فاعطته الكساوى والذهب ، وسألت ابنها السابع اكبر أولادها ، فأجابها ،« انني سآخذ سيف الغول نفسه واقتله به لان للغول ثلاثة رؤوس ، وعلى أن اقطع راسين وابقى واحدة حتى يموت »، فاعطته الذهب والكساوى .

وأستعد الاخوة السبعة لانقاذ الاميرة وقتل الغول ، فاخذ اصغرهم يشم الهواء وقال ،« الغول فى طريقه الى داره » وانتظر برهة وقال ، « ها هو الغول يدخل الدار ويقفل الباب ، انني أشم رائحته داخل الدار »، وحمل الاخ الثاني اخوته الستة فوق ظهره ، فأسرع الثالث وضرب الارض بعصاه فانشقت الارض ونزل فيها الاخوة ، وساروا ، ثم خرجوا امام دار الغول ، ولحسن الحظ كان كلب الغول نائما ، واقترب الاخ الخامس من الدار ونظر وقال ،« ان الغول نائم فهيا ولنسرع »، فدخل السادس الدار واخرج شعر الاميرة من تحت الغول ، واسرع الاخ الاكبر السابع واخذ سيف الغول وضرب بسرعة وقوة وقطع راسين من رؤوسه الثلاثة فمات الغول فى الحال .

وحمل الاخ الثانى اخوته الستة والاميرة فوق ظهره ، وضرب الثالث الارض بعصاه فانشقت ونزلوا فيها،ثم خرجوا فى بلادهم وذهبوا الى قصر السلطان، ففرح السلطان برجوع ابنته، وطلب كل منهم ان يتزوجها،

وسألته قطع الزجاج المتناثرة ، من يستحق أن يتزوجها ؟ »، فأجاب محمد ،« الاخ الرابع الذى بمكنه أن ينزع اسنان الكلب فلا يقدر ان ينبح وينبه الغول »، فهتفت الاميرة ،« لكنه الوحيد الذى لم يفعل شيئا ، لان الكلب كان نائما »، فصاح محمد ، « ايها الشهود ، أيها السلطان تعال ، لقد تكلمت الاميرة للمرة الثالثة وطلب أن يأخذهـا ويرحـل ، ولكنهم قالوا له ،« لا، ان أباها السلطان لن يزوجها فى الحال لابد أن يقيم لها فرحا (1)، وفى يوم الفرح قد تأخذها وقد لاتأخذها ، فاحتج بأنه حقق شروط السلطان ، فأجابوه « الكلام والراى أولا واخيرا للسلطان »، وأخبروه أن الفرح سيكون بعد ثلاثة أيـام . . .

فرجع الى داره ونام نوما عميقا ، وفى الصباح قام وركب حصانه وذهب الى الشجرة الوارفة الظلال التى وجد فوقها العصفورين ، وجلس تحتها يفكر فيما جرى له ، فسمع عصفورين آخرين يتكلمان ، وقال عصفور ،« لقد ارشد عصفوران منا مولاى محمد ومكناه من أن يجبر الاميرة على الكلام ، وسيقيم أبوها السلطان الفرح ، ويحضر ثلاث محفات (عماريات) يحملها العبيد ويزين اثنين منها بالستائر الحريرية الثمينة ، والجواهر ، وواحدة بقماش عادى وتكون قديمة ومتسخة ، وداخل القديمة تجلس الاميرة ، على اية حال ، فسنتحول الى نحلتين ونطير أمام المحفة (العمارية) التى بداخلها الاميرة لنرشد مولاى محمد وعليه ان يرحل فى نفس الليلة لانه لو انتظر للصباح فسيحفرون حفرة ويملأونها بالنار ليقع فيها مولاى محمد وعروسه ، لان اباها يحبها ولا يستطيع أن يفارقها »، فعرف مولاى محمد السر .

واقيمت الافراح وعزفت المزامير ودقوا الطبول واقبل المدعوون ، وجاء السلطان الى محمد وأحضر له ثلاث محفات (عماريات)، اثنان منهما غطيتا بأنفس أنواع الحرير ، تزينهما الاحجار الكريمة ، من ماس وياقوت وأفخر المجوهرات ، والثالثة قديمة متسخة تطير امامها نحلتان، وسأله السلطان « فى اى محفة (عمارية) توجد الاميرة ؟ »، فقال محمد « اننى فقير ومسكين والاميرة هنا »، وأشار الى المحفة المتسخة .

وسألوه أن يبقى حتى الصباح ، لكنه اسرع وطلب الى الحمالين

(1) ـ عرسا .

ان يحملوها ومشى يقصد الرحيل الى بلاده ، حتى انه لم يأخذ خدمه وعبيده معه ، وقال لهم ان عليهم ان يتبعوه فى الصباح لانه فى عجلة من أمره ، وحين وصل الى بلاده اسرع الى دار جده الوزير مع زوجته فجاءت اليه امه فرحة وسعيدة برجوعه ، واخبرته ان اباه السلطان قد مرض وضعف بصره ، وهو يندم على ما فعل ويقول ، « ليتنى أبقيت ولدا من اولادى الذين ذبحتهم ليجلس على العرش » . واسرعت امه الى السلطان وحكت له القصة كلها ، ففرح فرحا شديدا واجلس محمدا على العرش واصبح ملكا ، وعاش مع عروسته الاميرة الجميلة ورزقوا بالاولاد والبنات .

الفهرس

قريبا سيصدر الجزء الثاني



من هنا كان تقديرنا لهذا العمل الذي أنجزه صديقنا المصري الأستاذ يسري شاكر في إطار جمع الحكايات الشعبية المغربية

وهو عمل جليل وضخم تطلب منه سنوات طويلة من التتبع والجمع في غير قليل من المعاناة المضنية المرهقة، وكان سبق له أن أطلعنا على مشروعه منذ أزيد من ثلاثة أعوام فاشفقنا عليه مما قد يصيبه من المشقة والعناء ولكننا لم نلبث أن شجعناه حين ألفيناه مصمماً وبروح قوية عالية على المضي في البحث الميداني عن الحكاية هنا وهناك وعلى مواجهة الصعوبات التي تعترضه مادية ومعنوية، وكنا قد تعرفنا عليه من خلال مسلسل "الأغنو" الذي قدمت التلفزة المغربية حلقاته الناجحة فأعجبنا بالعمل وقدرنا صاحبه

دكتور عباس الجراري



طبع ونشر دار النشر المغربية

الثمن: 17 درهما